

شبهة المختصر في أخبار البشر

(تأليف أبي الوردية)

للأستاذ العلامة الشيخ
زين الدين عسر بن الوردي

إشراف وتحقيق
أحمد رفعت البدرأوي

المجلد الأول

توزيع
دار الباز للنشر والتوزيع
عباس أحمد الباز
مكة المكرمة



تمتمة المختصر في أخبار البشر

(تأريخ ابن الوردي)

للأستاذ العلامة الشيخ
زين الدين عسبر بن الوردي

اشرف وتحقيق
أحمد رفعت البدر اوي

الجزء الأول

الناشر
دار المعرفة

بيروت - لبنان

131617

المقارنة

فارق كبير ، لا شك يدركه القارئ المطلع ، بين كتاب للتاريخ قديم وآخر حديث . لا نعني بذلك الفارق في أسلوب الكتابة أو في التبويب أو في طريقة سرد الأحداث والأخبار ، أو في نوع الورق والطباعة فحسب ، بل نعني فارقاً يتعدى ذلك كله إلى جوهر الكتاب ..

كتب التاريخ المؤلفة منذ قرون عدة ، بالإضافة إلى ما تحرص عليه من سرد للأخبار والحوادث من حروب وغزوات وفتن وثورات و كوارث طبيعية ، تحفل بفيض من البحوث العامة والعلمية ، و بفيض أغزر من التراجم ، لا للحكام والسلاطين والخلفاء والقادة والشخصيات السياسية فحسب ، بل وللفقهاء والأدباء والعلماء والشعراء ، مع قسط وافر من شواهد نبوغهم في فنهم علماً كان أو فقهاً أو بلاغة أو خطابة أو شعراً . ولعل هذا الكتاب « تنمة المختصر في أخبار البشر » من أحفلها جميعاً بهذه الشواهد ، حتى ليتمكن أن يقال وبحق إنه التاريخ الجامع لتاريخ الحوادث والأخبار وتاريخ العلم والعلماء والأدب والأدباء ، وحتى ليجد فيه الأديب الذواق طلبته كما يجدها الباحث المتابع للأحداث والأخبار .

هذه الميزة التي نراها في كتب التاريخ المؤلفة منذ مئات السنين ، وفي هذا الكتاب بالذات ، تعود إلى أن مؤلفيها لم يتخذوا التاريخ صنعة وحرفة يتخصصون بها ويقصرون جهدهم عليها ، بل اعتبروه علماً كسائر العلوم التي درسوها وتعمقوا

في دراستها وأبحاثها فألفوا فيها مؤلفات ومصنفات شاملة كانت ولا زالت مرجعاً لكل من يريد الاستزادة والمعرفة حتى عصرنا الحاضر . ولقد خلف لنا ابن الوردي ، مؤلف هذا الكتاب ، العالم الفقيه الأديب النحوي والشاعر ، تراثاً عظيماً قيماً من المؤلفات والمصنفات ، منها ما طبع ومنها ما لم يطبع بعد ، في مختلف الفنون : في الفقه والنحو والفرائض والشعر والأدب كما في التاريخ .. تمتاز جميعها بالدقة والعمق والفزارة . منها ، على سبيل المثال لا الحصر : البهجة الوردية ، أحوال القيامة ، أبنكار الأفكار في مشكل الأخبار ، تذكرة الغريب في النحو ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة في حل الألفية ، الذراري السارية في مائة جارية ، الرسائل المهذبة في المسائل الملقبة ، رسالة السيف والقلم .. وغيرها كثير ، منه « تنمة المختصر في أخبار البشر » .. كتابنا هذا ..

ولقد اشتهر ابن الوردي بشاعريته الفياضة ، حتى عدّه كثير من المؤرخين والمصنفين سيد شعراء عصره ، ووصفه آخرون فقالوا « إنه في الذروة العليا والطبقة القصوى » .. وسيجد القارئ لهذا الكتاب من شعره نماذج قيمة بليغة عذبة وسلسة ..

ولا بد لنا إذ نتحدث عن المؤلفات والمصنفات من أن نقدم نبذة مختصرة عن حياة المؤلف : عمر بن المظفر بن أبي الفوارس ، وينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) . وقد أشار المؤلف إلى نسبه هذا في مؤلفاته وقصائده ، وقد غلبت عليه شهرته بابن الوردي . من أهالي معرفة النعمان ، التي ظهر في مؤلفاته وقصائده حنينه إليها ، واعتزازه الدائم بها اعتزازاً يصل الى درجة التعصب لها ولكل من أنجبته من النابهين وذوي الشأن ممن ورد ذكرهم في تاريخه ومؤلفاته .

رحل ابن الوردي عن معرفة النعمان طلباً للعلم . فتتلمذ على كثير من الشيوخ

العارفين والفقهاء والقضاة ، ذكرهم في كتابه هذا وفي غيره من مؤلفاته ، منهم :
الشيخ الزاهد عبد عيس بن عيسى بن علوان الرحاوي العليمي الدمشقي ، وقاضي
القضاة شرف الدين ابو القاسم هبة الله البارزي ، وقاضي القضاة فخر الدين عثمان
الشهير بابن خطيب جبرين ، وغيرهم كثير ، ممن سيلاحظ القارىء إشارة المؤلف
إليهم بقوله : « واشتغلنا عليه » أي درسنا عليه وسمعنا منه ..

تولى المؤلف نيابة القضاء ثم القضاء بعدة بلاد متفرقة من أعمال حلب ثم
سكن بها واستوطنها الى أن مات . ويتضح مما ورد في شعره أنه كان متبرماً
دائم الشكوى والتذمر والعتب على قضائه من مقامه في البر ، وعدم إلحاقه
بأخذانه ومساواته بأقرانه ، وتقديم من هم دونه علماً وتقوى عليه . وظل كذلك
حتى استعفائه من القضاء ، لبدأ مرحلة جديدة من حياته ، ينصرف فيها الى
البحث والتفرغ للعلم دراسة وتدريساً . ثم أسس مدرسة للشافعية في المعرفة وأجاز جماعة
من أعلام عصره بمؤلفات غيره في الفقه والنحو والمعاني والبيان .

وعن كتابنا هذا « تنمة المختصر في أخبار البشر » ، لا نجد تقديمًا له خيرًا مما
ذكره المؤلف من أنه رأى « المختصر في أخبار البشر » ، للملك المؤيد عماد الدين
اسماعيل ابي الفداء ، فكان في رأيه من الكتب التي لا يقع مثلها ولا يسع
جهلها .. « فاختصرته الى نحو ثلثيه اختصاراً زاده حسناً وكفل بوجازة اللفظ
وكال المعنى ، أقمت به إعرابه وذلت صعابه . وأودعته شيئاً من نظمي ونثري ..
وحذفت منه ما حذفه أسلم .. وقلت في أول ما زدته (قلت) ، وفي آخره
(والله أعلم) . » ولقد ذيل المؤلف المختصر من سنة تسع وسبعمائة ، التي وقف
عليها ابي الفداء الى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، التي وقف عليها ابن الوردي -
وتوفي أيضاً بها ، في طاعون حلب ، عن عمر ناهز الثانية والخمسين عاماً ..

ولقد أثارت إشارة المؤلف الى بدء تذييله على تاريخ ابي الفداء في سنة تسع

وسبعمائة التي وقف عليها أبو الفداء مع استمرار تاريخ أبي الفداء الى ما بعد هذه السنة ، بل واستمراره الى ما بعد وفاة أبي الفداء نفسه ، في كثير من طبقات تاريخه المختصر ، كثيراً من الجدل والنقاش ووضعت لها التفسيرات العديدة ، وقد أشرنا الى ذلك ، بما نعتبره تفسيراً كافياً وموضحاً ، في حواشينا وتعليقاتنا على الكتاب ، في جزئه الثاني ..

انه كتاب قيم ، نقدمه الى القارئ العربي ، معترفين رغم ما بذلناه من جهة ، بأنه لا زال محتاجاً إلى المزيد ، الذي نأمل في بذله لاستكمال تحقيقه وتزويده بفهارس الأعلام والأماكن مما يزيد من قيمته كمرجع للأدباء والمحققين في طبقاتنا القادمة باذن الله . ومن الله نستمد العون ونرجو التوفيق .

احمد رفعت البدر اوي

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقدم، المنزه عن الفناء والعدم، وصلواته على رسوله محمد خير برئته وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته. (وبعد) .

فيقول الفقير المعترف بالتقصير عمر بن مظفر بن عمر بن محمد أبي الفوارس الوردی المعري الشافعي، أنجح الله مسعاه وأصلح له أمر آخرته ودنياه : إني رأيت المختصر في أخبار البشر تأليف مولانا السلطان الملك المؤيد صاحب حماء، قدس الله سره واکرم مثواه؛ من الكتب التي لا يقع مثلها ولا يسع جهلها، فإنه اختاره من التواريخ التي لا تجتمع إلا للملوك، ونظمه في سلوك الحسن بحسن السلوك، فانجلي كالعروس التي حسنها المغرب وجمالها الكامل، وثغرها العقد وضراتها الدول المنقطعة، وخیالها لذة الأحلام، ولفظها المنتظم، وخدها ابن أبي الدم ومحبتها تجارب الأمم، وحسادها بنو اسرائيل، ونظرها مفرج الكرب، ودلالها وفيات الأعيان، ووصلها الأغاني، وقربها مروج الذهب، وعطرها من اليمن، وذكرها مجاوز في المشرق أصفهان وفي المغرب القيروان، وفصاحتها البيان ووجهها مرآة الزمان . رتبته رحمه الله تعالى ترتيباً رفيعاً به اسماعيل القواعد من

البيت الأيوبي وشيد، وضمنه كنوزاً وهل يعجز عن الكنوز من هو ملك مؤيد،
فاختصرته في نحو ثلثيه اختصاراً زاده حسناً وكفل بوجازة اللفظ وكال المعنى،
أقمت به إعرابه وذللت صعابه ونمقته بياناً وألحقته أعياناً، وكللت حلته بجواهر
وكملت روضته بأزاهر وأودعته شيئاً من نظمي ونثري، ورجوت دعوة صالحة
عند ذكرى، وحذفت منه ما حذفه أسلم، وقلت في أول مازدته قلت وفي آخره
والله اعلم . وسأذيله ان شاء الله تعالى من سنة تسع وسبعمائة التي وقف المؤلف
عليها إلى هذه السنة المباركة التي صرنا إليها ، وسميته :

تمة المختصر في أخبار البشر

ومن الله سبحانه وتعالى أسأل حسن النية وبلوغ الأمنية .

اعلم أن التواريخ القديمة في هذا الكتاب مؤلفة على مقدمة وخمسة فصول
والتواريخ الإسلامية مرتبة على السنين .

أما المقدمة فتتضمن ثلاثة أمور :

الامر الاول: إن اختلاف المؤرخين كثير جداً كقول ابن الأثير في الكامل :
ولادة المسيح بعد خمس وستين سنة للاسكندر عند الجوس وبعد ثلاثمائة وثلاث
سنين للاسكندر عند النصارى، وهذا تفاوت فاحش . وكقول أبي معشر
وكوشيار وغيرهما من المنجمين بين الطوفان والهجرة ثلاثة آلاف وسبعمائة
وخمس وعشرون سنة ، وهذا في الزيج المأموني وغيره ، وقول المؤرخين بينها
ثلاثة آلاف وتسعمائة وأربع وسبعون سنة ، فالتفاوت بينها ٢٤٩ سنة ، وسبب
هذا الاختلاف ان من هبوط آدم إلى وفاة موسى صلى الله عليه وسلم لا يعلم إلا
من التوراة، والتوراة مختلفة على ثلاث نسخ كما سيأتي، وما بين وفاة موسى إلى
ملك نخت نصر يعلم من المنجمين . قال ابو عيسى : ويعلم من قرانات زحل
والمشتري في المثلثات وهم أيضاً مختلفون في ذلك ، ويعلم أيضاً من سفر قضاة

بني اسرائيل وهو أيضاً غير محصل . وأما ما يؤخذ عن المؤرخين قبل الإسلام فمضطرب أيضاً فانهم أرخوا بابتداء ملك كل ملك منهم فكثرت ابتداءات تواريخهم ، قال حمزة الأصفهاني: وفسدت تواريخهم بسبب ذلك فساداً لا مطمع في اصلاحه مع بعد العهد وتغير اللغات وعدم الكتب المؤلفة في هذا الفن فتعذر التحقيق .

الامر الثاني ان نسخ التوراة ثلاث : السامرية والبرانية واليونانية .

١ - التوراة السامرية

فالتوراة السامرية تنسب ان من هبوط آدم إلى الطوفان ألفاً وثلثمائة وسبع سنين . وكان الطوفان لستمائة خلت من عمر نوح عليه السلام ، وعاش آدم عليه السلام تسعمائة وثلثين سنة باتفاق ، فيكون نوح على حكم هذه التوراة أدرك من عمر آدم فوق مائتي سنة فنوح قد أدرك جميع آبائه إلى آدم وهذا منكر . وتنسب هذه النسخة أن من انقضاء الطوفان إلى ولادة ابراهيم عليه السلام تسعمائة وسبعاً وثلثين سنة ، وأن من ولادة ابراهيم إلى وفاة موسى خمسمائة وخمسة وأربعين سنة ، فمن آدم إلى وفاة موسى حينئذ ألفان وسبعمائة وتسع وثمانون سنة ، وفيما بين وفاة موسى والهجرة مذهبان : أحدهما للمؤرخين ، والثاني للمنجمين ، فإذا ضمنا إلى ذلك ما بين وفاة موسى والهجرة وكان بين هبوط آدم وبين الهجرة على حكم اختيار المؤرخين وحكم توراة السامرة خمسة آلاف ومائة وسبع وثلثون سنة ، وينقص اختيار المنجمين عن هذه الجملة مائتين وتسعاً وأربعين سنة ، فقد ظهر فساد هذه التوراة من كونها تقتضي ادراك نوح آدم وعيشه معه المدّة الطويلة .

٢ - التوراة البرانية

وأما التوراة البرانية ففسادة أيضاً لأنها تنسب أن بين هبوط آدم والطوفان ألفاً وخمسمائة وستاً وخمسين سنة ، وبين الطوفان وبين ولادة ابراهيم مائتان واثنان وتسعون سنة ، وعاش نوح بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة باتفاق ،

فأنبأت التوراة العبرانية ان نوحاً أدرك من عمر ابراهيم ثمانياً وخمسين سنة وهذا منكر ، فنوح لم يدرك ابراهيم ولا يجوز ذلك لأن قوم هود أمة نجمت بعد قوم نوح ، وأمة صالح نجمت بعد أمة هود ، و ابراهيم وأمه بعد أمة صالح ، بدليل قوله تعالى يخبر عن هود فيما يعظ به قومه وهم قوم عاد : « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة » ، وكذلك أخبر سبحانه وتعالى عن صالح فيما يعظ به قومه وهم ثمود : « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً » . فظهر فساد هذه التوراة العبرانية بذلك وهي التي بأيدي اليهود إلى زماننا وعليها اعتمادهم .

ولنستوف ما تنبىء به من جملة سني العالم ؛ فقد تقدم أنها تنبىء ان بين هبوط آدم والطوفان ألفاً وخمسمائة وستاً وخمسين سنة ، وبين الطوفان وولادة ابراهيم مائتان واثنتان وتسعون سنة ، وبين ولادة ابراهيم ووفاة موسى خمسمائة وخمس وأربعون سنة باتفاق ، وفيما بين وفاة موسى والهجرة المذهبان المذكوران ، فعلى اختيار المؤرخين ومقتضى العبرانية يكون بين آدم والهجرة أربعة آلاف وسبعمائة واحدى وأربعون سنة وتنقص على اختيار المنجمين من هذه الجملة مائتان وتسع وأربعون سنة ، فيكون من آدم إلى الهجرة على ذلك أربعة آلاف وأربعمائة واثنتان وتسعون سنة ، وجملة سني هذه التوراة تنقص عن التوراة اليونانية التي عليها العمل ألفاً وأربعمائة وخمساً وسبعين سنة ، وهذه الجملة هي القدر الذي نقصه اليهود من الماضي من سني العالم ، فنقصوا من قبل الطوفان ستاً وستاً وثمانين سنة ومن بعد الطوفان سبعمائة وتسعاً وثمانين سنة ، الجملة ألف وأربعمائة وخمس وسبعون سنة .

وصورة ما اعتمد اليهود في ذلك انهم نقلوا من عمر كل واحد من آدم وبنيه مائة سنة من قبل ميلاد ابنه إلى ما بعد الميلاد ، فلم يتغير جملة عمر ذلك الشخص ونقصت مدة الزمان ، فإن آدم لما صار له مائتان وثلاثون سنة ولد له شيث وعاش آدم تسعمائة وثلاثين سنة باتفاق ، فأخذ اليهود مائة سنة من عمر آدم قبل أن يولد له شيث وجعلوها بعد مولد شيث ، فلم يتغير جملة

عمر آدم وجعلوه أنه ولد له شيث لمضي مائة وثلاثين سنة من عمره ، وكذا اعتمدوا في كل من بعده ، فنقص من سني العالم القدر المذكور . قالوا : والذي دعا اليهود إلى ذلك ان التوراة وغيرها من كتب بني اسرائيل بشرت بالمسيح عليه السلام وانه يجيء في أواخر الزمان ، وكان مجيء المسيح في الألف السادس ، فلما نقلوا ذلك صار المسيح في أول الألف الخامس فيكون مجيء المسيح في توسط الزمان لا في أواخره بناء على ان عمر الزمان جميعه سبعة آلاف سنة

٣ - التوراة اليونانية

التوراة اليونانية اختارها محققو المؤرخين وليس فيها ما يقتضي الانكار على الماضي من عمر الزمان ، وهي توراة نقلها اثنان وسبعون حبراً قبل ولادة المسيح بقريب ثلثمائة سنة لبطليموس اليوناني بعد الاسكندر ببطليموس واحد ، وسنذكر صورة نقلها إلى اليونانية في أواخر بني اسرائيل ، فذلك اعتمدت دون غيرها . وأنبأت هذه التوراة اليونانية ان بين هبوط آدم وبين الطوفان ألفين ومائتين واثنين وأربعين سنة ، وبين الطوفان وكان لستمائة سنة مضت من عمر نوح وبين مولد ابراهيم عليه السلام ألفاً واحدى وثمانين سنة ، وبين مولد ابراهيم ووفاة موسى خمسمائة وخمس وأربعون سنة باتفاق نسخ التوراة جميعها ، وبين وفاة موسى وابتداء ملك نخت نصر تسعمائة وثمان وسبعون سنة ومائتان وثمانية وأربعون يوماً ، وأما ما بين ابتداء ملك بختنصر وبين الهجرة فألف وثلثمائة وتسع وستون سنة ومائة وسبعة عشر يوماً ، وليس فيه خلاف ، لأن بطليموس أثبتته في الجسطي وأرخ به رصده ، فيكون بين الهجرة وبين هبوط آدم ستة آلاف سنة ومائتان وست عشرة سنة ، وهذا المختار وعليه بني هذا الكتاب . اما اختيار المنجمين الذي أثبتوه في الزيجات بين وفاة موسى وبختنصر فينقص عما ذكرنا مائتين وتسعاً وأربعين سنة .

الامر الثالث في جدول يتضمن ما بين التواريخ المشهورة من المدد .

فإذا أردت معرفة ما بين أي تاريخين منها فادخل في الجدول إلى البيت الذي يلتقيان فيه ، فما فيه من العدد فهو ما بينهما . واعلم ان محققي المنجمين والمؤرخين اختلفوا فيما بين وفاة موسى وبين ابتداء ملك بختنصر . فذهب أبو عيسى والمحققون من المؤرخين إلى انه تسعمائة وثمان وسبعون سنة ومائتان ، ثمانية وأربعون يوماً وهو المختار لهذا الجدول وجعلت الأيام المذكورة على سبيل الجبر سنة ، فصار المثبت في الجدول تسعمائة وتسعاً وسبعين سنة . وقال أبو معشر وكوشيار وغيرهما من المنجمين في الزيجة : بينها سبعمائة وعشرون سنة ، وهذا ينقص عن ذلك مائتين وتسعاً وأربعين سنة ، وإذا أنقص ما بين وفاة موسى وبختنصر المدة المذكورة نقص ما بين الطوفان والهجرة قطعاً ، فلذلك تجدد في الزيج المأموني وغيره ان بين الطوفان والهجرة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسة وعشرين سنة ، وبين الطوفان والهجرة في هذا الكتاب والجدول ثلاثة آلاف وتسعمائة وأربع وسبعون سنة ، فيكون ما في الجدول أزيد مما في الزيجات بمائتين وتسع وأربعين سنة ، فاعلمه لئلا تتوهم ان الزيجة هي الصحيحة وان هذا الكتاب غلط ، فإن الأمر فيه على ما ذكر .

أما بمقتضى سفر قضاة بني اسرائيل وسفر ملوكهم إذا جمعنا مدد ولاياتهم فيبين وفاة موسى ملك بختنصر بمقتضى ذلك اثنتان وخمسون وتسعمائة سنة ومن بختنصر إلى الهجرة لم يختلف فيه لاثبات بطليموس إياه في المجسطي وتاريخ فيلبس مشهور وقد أرخ به بطليموس في المجسطي غالب أرساده وتركناه اختصاراً ولنقدمه على تاريخ الاسكندر باثني عشرة سنة ، فاذا زدت على تاريخ الاسكندر اثني عشرة سنة خرج تاريخ فيلبس . وبين ملك اردشير بن بابك وبين الاسكندر ٥١٢ تقريباً ، وبينه وبين الهجرة أربعمائة واثنتان وعشرون سنة تركناه للاختصار . انتهى الكلام في المقدمة وهذا الجدول :

| بين | هبوط آدم | الطوفان | مولد ابراهيم الخليل | وفاة موسى | ابتداء ملك بخت نصر | غلبة اسكندر على دارا | غلبة اغسطس على قلوبطرا | مولد المسيح | دقلطيانوس | الهجرة |
|------|----------|---------|---------------------|-----------|--------------------|----------------------|------------------------|-------------|-----------|--------|
| ٢٢٤٢ | ٣٣٢٣ | ١٠٨١ | ١٠٨١ | ١٦٢٦ | ٤١٤٧ | ٥٢٨١ | ٥٥٦٣ | ٥٥٨٤ | ٥٨٧٦ | ٦٢١٦ |
| ٢٢٤٢ | ٣٣٢٣ | ١٠٨١ | ١٠٨١ | ١٦٢٦ | ٤١٤٧ | ٥٢٨١ | ٥٥٦٣ | ٥٥٨٤ | ٥٨٧٦ | ٦٢١٦ |
| ٢٢٤٢ | ٣٣٢٣ | ١٠٨١ | ١٠٨١ | ١٦٢٦ | ٤١٤٧ | ٥٢٨١ | ٥٥٦٣ | ٥٥٨٤ | ٥٨٧٦ | ٦٢١٦ |
| ٢٢٤٢ | ٣٣٢٣ | ١٠٨١ | ١٠٨١ | ١٦٢٦ | ٤١٤٧ | ٥٢٨١ | ٥٥٦٣ | ٥٥٨٤ | ٥٨٧٦ | ٦٢١٦ |
| ٢٢٤٢ | ٣٣٢٣ | ١٠٨١ | ١٠٨١ | ١٦٢٦ | ٤١٤٧ | ٥٢٨١ | ٥٥٦٣ | ٥٥٨٤ | ٥٨٧٦ | ٦٢١٦ |
| ٢٢٤٢ | ٣٣٢٣ | ١٠٨١ | ١٠٨١ | ١٦٢٦ | ٤١٤٧ | ٥٢٨١ | ٥٥٦٣ | ٥٥٨٤ | ٥٨٧٦ | ٦٢١٦ |
| ٢٢٤٢ | ٣٣٢٣ | ١٠٨١ | ١٠٨١ | ١٦٢٦ | ٤١٤٧ | ٥٢٨١ | ٥٥٦٣ | ٥٥٨٤ | ٥٨٧٦ | ٦٢١٦ |
| ٢٢٤٢ | ٣٣٢٣ | ١٠٨١ | ١٠٨١ | ١٦٢٦ | ٤١٤٧ | ٥٢٨١ | ٥٥٦٣ | ٥٥٨٤ | ٥٨٧٦ | ٦٢١٦ |
| ٢٢٤٢ | ٣٣٢٣ | ١٠٨١ | ١٠٨١ | ١٦٢٦ | ٤١٤٧ | ٥٢٨١ | ٥٥٦٣ | ٥٥٨٤ | ٥٨٧٦ | ٦٢١٦ |
| ٢٢٤٢ | ٣٣٢٣ | ١٠٨١ | ١٠٨١ | ١٦٢٦ | ٤١٤٧ | ٥٢٨١ | ٥٥٦٣ | ٥٥٨٤ | ٥٨٧٦ | ٦٢١٦ |
| ٢٢٤٢ | ٣٣٢٣ | ١٠٨١ | ١٠٨١ | ١٦٢٦ | ٤١٤٧ | ٥٢٨١ | ٥٥٦٣ | ٥٥٨٤ | ٥٨٧٦ | ٦٢١٦ |

واما الفضول الخمسة:

فالاول : في عمود التواريخ القديمة وذكر الأنبياء عليهم السلام وحكام بني اسرائيل .

والثاني : في ذكر ملوك الفرس ومن يليق ايراده معهم .

والثالث : في الفراعنة، وملوك اليونان، وملوك الروم، والقيصرية .

والرابع : في ذكر ملوك العرب .

والخامس : في ذكر أمم العالم .

الفصل الأول

في

عمود التواريخ القديمة وذكر الأنبياء (عليهم السلام)



ذكر آدم وبنيه الى نوح

عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق آدم (١) من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأسود والأحمر والأبيض وبين ذلك ومنهم السهل والحزن وبين ذلك . آدم أي من أديم الأرض خلق الله جسده وتركه أربعين ليلة وقيل أربعين سنة ملقى بغير روح « وقال للملائكة إذا انفخت فيه من رُوحِي فَسَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ، فَلَمَّا نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ سَجَدَ لَهُ الملائكة كلُّهم أجمعون إلا إبليسَ أبى واستكبرَ وكان من الكافرين ، كبراً وحسداً ، فأوقع الله على إبليس اللعنة والاياس من رحمته وجعله شيطاناً رجيماً وأخرجه من الجنة بعد ان كان ملكاً على سماء الدنيا والأرض وخازناً من خزان الجنة . وأسكن آدم الجنة ، ثم خلق من ضلع آدم حواء زوجته ؛ سميت حواء لأنها خلقت من شيء حي ، فقال الله « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » ، ثم إن إبليس أراد دخول الجنة ليوسوس لآدم فمنعه الحزنفة فعرض نفسه على دواب الأرض

(١) من الكامل لابن الأثير .

أن تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجته فأبى الجميع ذلك إلا الحية فأدخلته الجنة بين نابينها ، وكانت الحية على غير شكلها الآن ، فوسوس لآدم وزوجه وحسن عندهما الأكل من الشجرة التي نهاهما الله عنها وهي الخنطة ، وقدر عندهما انها إن أكلتا منها خلدأ ولم يموتا . فأكلا منها فبذت لهما سوآتهما ، فقال الله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدوآ آدم وحوآء وإبليس والحية ، وأهبطهم الله من الجنة إلى الأرض وسلب آدم وحوآء كل ما كانا فيه من النعمة والكرامة .

ولما هبط آدم إلى الأرض كان له ولدان هابيل وقابيل ويسمى قابيل قايين أيضاً ، فقرب كل من هابيل وقابيل قرباناً وكان قربان هابيل خيراً من قربان قابيل فتقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل فحسده على ذلك ، وقتل قابيل هابيل وقيل بل كان لقابيل أخت توأمة وكانت أحسن من توأمة هابيل وأراد آدم أن يزوج توأمة قابيل بهابيل وتوأمة هابيل بقابيل فلم يطب لقابيل ذلك وأخذ قابيل توأمة وهرب بها ، وبعد قتل هابيل ولد لآدم شيث لمضي مائتين وثلاثين سنة من عمر آدم وهو وصي آدم ، وتفسير شيث هبة الله ، وإلى شيث ينتهي انساب بني آدم كلهم .

ولما صار لشيث مائتان وخمس سنين ولد له « أنوش » لمضي أربعمئة وخمس وثلاثين سنة من عمر آدم . قالت الصابئة : ولد لشيث ابن آخر اسمه صابئ ، واليه تنسب الصابئة . ولما صار لأنوش مائة وتسعون سنة ولد له قينان لمضي ستائة وخمس وعشرين سنة من عمر آدم . ولما صار لقينان مائة وسبعون سنة ولد له « مهلاييل » لمضي سبعمئة وخمس وتسعين سنة من عمر آدم . ولما مضي لمهلاييل مائة وخمس وثلاثون سنة ، توفي آدم لمضي تسعمائة وثلاثين سنة من عمره هو جملة عمره . عن ابن الجوزي : ان آدم عند موته بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاً . ولما صار لمهلاييل مائة وخمس وستون سنة ولد له « يزد » بالزاي المعجمة والبدال المهملة .

ولما صار ليزد مائة واثنان وستون سنة ولد له حنوخ—بمهملة وبنون معجمة . ولمضي عشرين سنة من عمر حنوخ . توفي شيث وعمره تسعمائة واثننا عشرة سنة

وكانت وفاة شيث لمضي ألف ومائة واثنتين وأربعين لهبوط آدم، واسم شيث عند الصابئة عاديمون. ولما صار لحنوخ مائة وخمسة وستون سنة ولد له متوشلح^(١) ولما مضى من عمر متوشلح ثلاث وخمسون سنة توفي أنوش بن شيث وكان عمر أنوش لما توفي تسعمائة وخمسين سنة. ولما صار لمتوشلح مائة وسبع وستون سنة ولد له لامخ، ويقال لامك وملك أيضاً. ولما مضى إحدى وستون سنة من عمر لامخ، توفي قينان بن أنوش وعمره تسعمائة وعشر سنين، ولما صار للامخ مائة وثمان وثمانون سنة ولد له نوح بعد مضي ألف وستائة واثنتين وأربعين سنة من هبوط آدم، ولما مضى من عمر نوح أربع وثلاثون سنة توفي مهلايل بن قينان وعمر مهلايل لما توفي ثمانمائة وخمس وتسعون سنة، ولما مضى من عمر نوح مائتان وست وستون سنة توفي يزد بن مهلايل وعمره تسعمائة واثنان وستون سنة.

وأما حنوخ وهو ادريس، فرفع لما بلغ ثلاثمائة وخمسا وستين سنة الى السماء لمضي ثلاث عشرة سنة من عمر لامخ قبل ولادة نوح بمائة وخمس وسبعين سنة ونبأ الله ادريس وانكشفت له الاسرار السماوية. وله صحف منها: لا تروموا ان تحيطوا بالله خيرة فانه أعظم وأعلى أن يدركه بظن المخلوقون الا من آثره. ومتوشلح بن حنوخ توفي لمضي ستائة سنة من عمر نوح عند ابتداء مجيء الطوفان وعمر متوشلح لما توفي تسعمائة وتسع وستون سنة. ولما صار لنوح خمسمائة سنة ولد له سام وحام ويافت، ولمضي ستائة من عمر نوح كان الطوفان لمضي ألفين ومائتين واثنتين وأربعين سنة من هبوط آدم.

ذكر نوح وولده

أرسل نوح الى قومه^(٢) وكانوا أهل أوثان على الاصح بدليل « لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعاء الآية. وصار نوح يدعوهم ولا يلتفتون ويخفقونه

(١) بمثناة فوق وقيل مثلثة وآخره مهملة.

(٢) من الكامل لابن الاثير.

حتى يغشى عليه ، فاذا أفاق قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ، وبقي لا يأتي قرن منهم الا أخبث من الذي قبله وكم ضربوه حتى ظنوا موته فيفيق ويغتسل ويقبل يدعوهم ، فلما طال عليه شكا الى الله فأوحى اليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن . فلما يش من منهم دعا عليهم « رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا » . فأوحى الله اليه ان يصنع السفينة ، وصاروا يسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة ، صنعها من خشب الساج ، فلما فار التنور وكان هو الآية بين نوح وبين ربه عز وجل ، حمل نوح من أمره الله بحمله ومنهم أولاده سام وحام ويافث ونسأؤهم ، وقيل حمل أيضاً ستة أناسي وقيل ثمانين رجلاً أحدهم جرهم كلهم من بني شيث ، ثم ادخل ما أمره الله من الدواب ، وتخلف عن نوح ابنه يام كافراً . وارتفع الماء وطما ، وهي تجري بهم في موج كالجبال وعلا الماء على رؤوس الجبال خمسة عشر ذراعاً فهلك ما على وجه الارض من حيوان ونبات ، وبين ما أرسل الماء وغاض ستة أشهر وعشر ليال وقيل كان ركوب نوح في السفينة لعشر ليال مضت من رجب لعشر خلت من آب وخرج من السفينة يوم عاشوراء من المحرم واستقرت على الجودي من أرض الموصل .

قال ابن الاثير : والمجوس لا يعترفون بالطوفان وبعضهم يزعم انه كان باقليم بابل وما قرب منه وان مساكن ولد جيومرث كانت بالشرق فلم تصلهم ، وكذلك جميع الامم المشرقية من الهند والفرس والصين لا يعترفون بالطوفان ، وبعض الفرس يقول لم يعم ولم يتعد عقبة حلوان . والصحيح : أن جميع أهل الارض من ولد نوح لقوله تعالى « وجعلنا ذريته هم الباقين » فجميع الناس من ولد سام وحام ويافث أولاد نوح ، فسام أبو العرب وفارس والروم ، وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك ، ويأجوج وماجوج والفرنج والقبط من ولد قوط ابن حام ، وولد لحام أيضاً ماريغ ، ولما ريغ كنعان ، وبنو كنعان كانوا أصحاب الشام حتى غزتهم بنو اسرائيل (١) .

(١) من تاريخ ابن سعد .

وقال ابن الاثير : بنو كنعان من ولد سام ، ولسام أولاد منهم : لاوذ وللاوذ فارس وجرجان وطسم وعمليق أبو العماليق ومنهم الجبابرة بالشام والفراعنة بمصر ، وسكنت بنو طسم اليمامة الى البحرين ، ومن ولد سام أيضاً ارم بن سام ، ولارم أولاد منهم جاثر ومن ولد جاثر ثمود وجديس وولد لارم أيضاً عوض ، ومن عوض عاد ، وكان كلام ولد ارم العربية ، وسكنت بنو عاد الرمل الى حضرموت ، وسكنت ثمود الحجر بين الحجاز والشام .

عدنا الى ذكر من على عمود النسب من نوح الى ابراهيم : ولد لنوح سام وحام ويافث لمضي خمسمائة سنة والطوفان لستمائة من عمره . وولد لسام ارفخشذ لمضي مائة وستين من عمر سام بعد الطوفان بستين ، ولما بلغ ارفخشذ مائة وخمسا وثلاثين سنة ولد له قينان ، فولادة قينان تكون لمضي مائة وسبع وثلاثين سنة للطوفان ، ولما بلغ قينان مائة وتسعا وثلاثين ولد له شالخ فتكون ولادة شالخ لمضي مائتين وست وسبعين من الطوفان .

وفاة نوح

ولما مضت سنة ثلثمائة وخمسين للطوفان توفي نوح وعمره تسعمائة وخمسون سنة ، فوفاة نوح لمضي أربع وسبعين من عمر شالخ .

ولما بلغ شالخ مائة وثلاثين سنة لمضي أربعمائة وست سنين للطوفان ولد له غابر ، ولما بلغ غابر مائة وأربعمسا وثلاثين سنة ولد له فالغ لمضي خمسمائة وأربعين للطوفان . ثم ولد لفالغ أرغو وفالغ مائة وثلاثون سنة ، وعند مولد ارغو تبليت الالسن وقسمت الارض وتفرق بنو نوح وذلك لمضي ستمائة وسبعين للطوفان ، ولما صار لأرغو مائتان واثنتان وثلاثون ولد له ساروغ ، واسمه في التوراة سرور وذلك لمضي ثمانمائة وستين للطوفان . ولما صار لساروغ مائة وثلاثون سنة ولد له ناخور لمضي اثنتين وثلاثين وتسعمائة للطوفان . ولما

صار لناخور تسع وسبعون سنة ولد له تاريخ لمضي ألف واحد عشر
سنة للطوفان .

ولما صار لتاريخ سبعون سنة ولد له ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم لمضي
ألف واحد وثمانين للطوفان . فتكون جملة أعمار المذكورين : عاش سام ستائة
فتكون وفاته بعد وفاة نوح بمائة وخمسين سنة . وعاش ارفخشد أربعائة وخمسا
وستين ، وقينان أربعائة وثلاثين ، وشالغ أربعائة وستين ، وغابر أربعائة وأربعاً
وستين وفالغ ثلثائة وتسعا وثلاثين سنة وأرغو ثلثائة وتسعا وثلاثين ، وساروغ
ثلثائة وثلاثين ، وناخور مائتين وثمان سنين وتاريخ مائتين وخمس سنين .

سبب تبليل الالسنة

قال أبو عيسى اجتمع بنو نوح الناشئون بعد الطوفان على بناء حصن خوفاً
من الطوفان ثانياً وقالوا نبني صرحاً شامخاً يبلغ السماء ، فجعلوا له اثنين وسبعين
برجاً على كل برج كبير منهم يستحث على العمل فانتقم الله تعالى منهم وبلبلهم الى
لغات شتى ، ولم يوافقهم غابر على ذلك واستمر على طاعة الله فبقاه الله على اللغة
العبرانية ، ولما افترق بنو نوح صار لولد سام العراق وفارس وما يلي كدا الى الهند ،
ولولد حام الجنوب مما يلي مصر على النيل ومغرباً الى المغرب الاقصى ، ولولد
يافت ما يلي بحر الخزر ومشرقاً الى جهة الصين . وكانت شعوب أولاد نوح عند
تبليل الالسنة اثنين وسبعين شعباً .

ذكر هود وصالح

نبيان أرسل بعد نوح وقبل ابراهيم ، وقيل ان هود هو غابر بن شالغ ،
أرسل الله هوداً الى عاد أهل أصنام ثلاثة وكانت عاد وثمود جبارين طوالا بدليل
قوله تعالى « واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق

بسطة^(١)» ودعا هود قوم عاد فلم يؤمن منهم الا القليل فأهلك الله الذين لم يؤمنوا بريح سبع ليال وثمانية أيام حسوماً، أي دائماً ، فلم تدع من عاد أحداً حتى هلك غير هود والمؤمنين معه ، فانهم اعتزلوا في حظيرة ، وبقي هود كذلك حتى مات وقبره بحضرموت وقيل بحجر مكة . قيل من قوم عاد لقمان غير الحكيم الذي على عهد داود . وحصل لعاد قبل هلاكهم جذب فأرسلوا جماعة منهم إلى مكة يستسقون لهم ، منهم لقمان ، فلما هلكت عاد بقي لقمان بالحرم فقال له الله تعالى « اختر ولا سبيل إلى الخلود » . فقال يا رب أعطني عمر سبعة أنسر . فكان يأخذ الفرخ الذكر حين يخرج من بيضته حتى إذا مات أخذ غيره . وعاش كل نسر ثمانين سنة ، واسم النسر السابع لبد فلما مات لبد مات لقمان معه ، وقد كثر ذكر هذا نظماً ونثر .

وأرسل الله صالحاً إلى ثمود^(٢) ، فدعا صالح قوم ثمود وكانوا بالحجر إلى التوحيد فلم يؤمن به إلا قليل مستضعفون ، ثم ان كفارهم عاهدوه على انه إن أتى بما يقترحونه آمنوا ، فاقترحوا أن يخرج من صخرة معينة ناقة ، فسأل صالح الله فأخرج ناقة وولدت فصيلاً ، فلم يؤمنوا وفي الآخر عقروها فأهلكوا بعد ثلاثة أيام بصيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة ، فتقطعت قلوبهم فأصبحوا في ديارهم جائعين ، وسار صالح إلى فلسطين ثم إلى الحجاز يعبد الله حتى مات ابن ثمان وخمسين سنة .

ذكر ابراهيم صلى الله عليه وسلم

هو ابراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناخور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن غابر

() سورة الأعراف آية ٦٩ .

(٢) هو صالح بن عبيد بن آسف بن ماشخ بن عبيد بن جاثر بن ثمود .

ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ، وأسقط ذكر قينان بن ارفخشذ من عمود النسب ، قيل لأنه كان ساحرا فقالوا شالخ بن ارفخشذ ، وبالْحَقِيقَةُ هو شالخ بن قينان بن ارفخشذ . ولد ابراهيم بالاهواز وقيل ببابل وهي العراق .

وكان آزر ابوه يصنع الأصنام ويعطيها ابراهيم لبييعها فيقول من يشتري ما يضره ولا ينفعه . ولما أمر ابراهيم بدعاء قومه إلى التوحيد ، دعا أباه فلم يجبه ودعا قومه فاتصل أمره بنمرود بن كوش ملك تلك البلاد ، وكان نمرود عاملاً على سواد العراق وما اتصل به للضحك وقيل كان مستقلاً ، فرمى نمرود ابراهيم في نار عظيمة فكانت النار عليه برداً وسلاماً وخرج من النار بعد أيام . وآمن به رجال من قومه على خوف من نمرود ، وآمنت به زوجته سارة بنت عمه هاران ، ثم ان ابراهيم ومن آمن معه وأباه على كفره هاجروا إلى حران مدة ثم سار ابراهيم إلى مصر وصاحبها فرعون ، قيل اسمه سنان بن علوان وقيل طوليس . فذكر جمال سارة لفرعون فأحضرها ، وسأل ابراهيم عنها فقال هذه أختي ، يعني في الاسلام ، فهم فرعون بها ، فأبى الله يديه ورجليه ، فلما تخلى عنها أطلق . ثم هم بها فجرى له ذلك فأطلق سارة . وقال لا ينبغي لهذه أن تخدم نفسها ، فوهبها هاجر جارية فجاءت بها إلى ابراهيم .

مولد اسماعيل واسحاق

ثم سار ابراهيم من مصر إلى الشام ، وأقام بين الرملة وإيليا . وكانت سارة لا تلد فوهبت ابراهيم هاجر فولدت منه اسماعيل ومعناه بالعبراني « مطيع الله » لمضي ست وثمانين من عمر ابراهيم ، فحزنت سارة لذلك فوهبها الله اسحاق ، ولدته سارة بنت تسعين سنة ، وغارت سارة من هاجر وابنها وقالت : ابن الأمة لا يرث مع ابني ، وطلبت من ابراهيم اخراجها عنها فسار بها إلى الحجاز وتركها بمكة .

بناء الكعبة والفداء

وتزوج اسماعيل بمكة امرأة من جرم وماتت أمه بمكة . وقدم اليه ابراهيم وبنيا الكعبة ، البيت الحرام ، ثم أمره الله بذبح ولده ، قيل اسحاق وقيل اسمعيل ، وفداه الله بكبش . وكان ابراهيم في آخر أيام بيوراسب الضحاك وسيدكر مع الفرس وفي أول ملك افريدون والنمرود عامه . ولا ابراهيم اخوان هاران وناخور ابنا آزر ، فهاران أولد لوطاً ، وأولد ناخور تبويل ، وأولد تبويل لابان ، وأولد لابان ليا وراحيل زوجتي يعقوب ، ومن زعم ان الذبيح اسحاق يقول موضع الذبح بالشام على ميلين من ايليا وهي بيت المقدس ، ومن زعم انه اسمعيل يقول كان بمكة .

واختلف في الأمور التي ابتلى الله ابراهيم بها ، قيل هي هجرته عن وطنه والختان وذبح ابنه ، وقيل غير ذلك . وفي أيام ابراهيم توفيت سارة بعد هاجر وفيه خلاف ، وتزوج بعد سارة امرأة من الكنعانيين ولدت من ابراهيم ستة ، فجملة أولاده ثمانية باسمعيل واسحاق وفيه خلاف . وتقدم ان ابراهيم ولد لمضي ألف واحد وثمانين من الطوفان .

ولما صار لابراهيم مائة سنة ولد له اسحاق ، ولما صار لاسحاق ستون سنة ولد له يعقوب . ولما صار ليعقوب ست وثمانون ولد له لاوي . ولما صار للاوي ست وأربعون ولد له قاهات . ولما صار لقاهات ثلاث وستون ولد له عمران . ولما صار لعمران سبعون ولد له موسى صلى الله عليه وسلم ، فولادة موسى لمضي أربعمائة وخمس وعشرين من مولد ابراهيم ، وعاش موسى مائة وعشرين فبين ولادة ابراهيم ووفاة موسى خمسائة وخمس وأربعون سنة .

جملة أعمارهم : عاش ابراهيم مائة وخمسا وسبعين ، واسحاق مائة وثمانين ، ويعقوب مائة وسبعا وأربعين ، ولاوي مائة وسبعا وثلاثين ، وقاهات مائة وسبعا

وعشرين، وعمران مائة وستا وثلاثين، ومات ابراهيم ولاسحاق خمس وسبعون، ومات اسحاق وليعقوب مائة وعشرون، ومات يعقوب وللأوي ستون ولأوي ولقاهات احدى وثمانون وقاهات ولعمران أربع وستون وعمران ولموسى ست وستون سنة، بناء على أن جملة عمر عمران مائة وست وثلاثون.

واختلف في معنى الصحف المنزلة على ابراهيم فعن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انها امثال منها «أيها المسلط المغرور اني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، لكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها ولو كانت من كافر، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه»^(١).

وابراهيم أول من اختتن وأضاف الضيف ولبس السراويل.

ذكر لوط (عليه السلام)

ولوط ابن أخي ابراهيم، أبوه هاران بن آزر وهو تارخ وباقي النسب مر مع ابراهيم، آمن لوط بعمه ابراهيم وهاجر معه إلى مصر وعاد إلى الشام، وأرسله الله إلى أهل سدوم أهل كفر وفاحشة دعاهم ونهاهم فلم يلتفتوا، كانوا يأتون الرجال ويقطعون السبيل ويأتون في ناديم المنكر، كان قطعهم الطريق امساكلهم المسافرين واللواط به، فلما طال على لوط تماديههم، سأل الله النصر فأرسل الله الملائكة لقلب سدوم وقراها الخمس وكان بسدوم أربعمئة ألف، وقراها صبغه وعمره واذمى وصيوم وبالغ، وأعلنت الملائكة ابراهيم بما أمروا به من الخسف بقوم لوط، فسأل ابراهيم جبريل فيهم وقال له: رأيت إن كان فيهم

(١) قال تعالى في سورة الأعل «والآخرة خير وأبقى»، إن هذا لفي الصحف الأولى، صحف ابراهيم وموسى. الآيات: ١٧/١٨/١٩.

خمسون من المسلمين . فقال جبريل : إن كان فيهم خمسون لا نعذبهم . قال ابراهيم وأربعون ، قال وأربعون . قال وثلاثون ، قال وثلاثون . قال ابراهيم وعشرة ، قال جبريل وعشرة . فقال ابراهيم ان هناك لوطا . فقال جبريل والملائكة نحن أعلم بمن فيها . فلما وصلت الملائكة إلى لوط ، هم قومه ان يلوطوا بهم ، فأعلمهم جبريل بجناحه وقالت الملائكة للوط نحن رسل ربك . « فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد »^(١) فلما خرج لوط بأهله قال للملائكة أهلكوهم الساعة ، فقالوا لم تؤمر إلا بالصبح أليس الصبح بقريب ، فلما كان الصبح قلبت الملائكة سدوم وقراها الخمس بمن فيها وسمعت امرأة لوط الهدية فقالت واقوماه ، فأدر كها حجر فقتلها ، وأمطر الله الحجارة على من لم يكن بالقري فأهلكهم .

وولد اسمعيل و ابراهيم ست وثمانون سنة ، ولما صار لاسماعيل ثلاث عشرة سنة تطهر هو وأبوه ابراهيم ، ولما صار ل ابراهيم مائة سنة وولد له اسحاق اخرج اسمعيل وأمه إلى مكة ، وسكن مكة مع اسمعيل قبائل جرهم كانوا قبله بالقرب من مكة فاختلفوا به وتزوج منهم ورزق من الجرهمية اثني عشر ولداً .

ولما أخذ ابراهيم في بناء بيت الله واسماعيل يناوله الحجارة بأمر الله كانا كلما بنيا قالا : ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . وكان وقوف ابراهيم على حجر وهو يبني وذلك موضع مقام ابراهيم ، واستمر البيت على ما بناه حتى هدمته قريش سنة خمس و ثلاثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم . وبنساء ابراهيم الكعبة بعد ما مضى مائة سنة من عمره ، فبين ذلك وبين الهجرة ألفان وسبعائة وثلاث وتسعون سنة تقريباً ، وأرسل الله اسمعيل إلى قبائل اليمن وإلى العماليق . وزوج اسمعيل ابنته من ابن أخيه العيص بن اسحاق ، وعاش اسمعيل

(١) سورة هود - آية ٨١ .

مائة وسبعة وثلاثين سنة ومات بمكة ودفن عند قبر أمه بالحجر. ووفاة اسمعيل بعد وفاة ابراهيم بثمان وأربعين سنة. ثم ان اسحاق تزوج بنت عمه فولدت له العيص ويعقوب ويقال ليعقوب إسرائيل ، وأولد العيص زوجته بنت عمه اسمعيل أولاداً ونكح يعقوب ليا بنت لابان بن ثوبيل بن ناخور بن آزر والد ابراهيم فولدت ليا روبيل وبيل أكبر أولاد يعقوب ثم شمعون ولاوي ويهوذا. ثم تزوج يعقوب عليها اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وكذلك ولد ليعقوب من سريتين له ستة أولاد فكان بنو يعقوب اثنا عشرهم آباء الاسباط. وأقام اسحاق بالشام حتى توفي ابن مائة وثمانين ودفن عند أبيه ابراهيم صلوات الله عليهم .
 أسماء آباء الاسباط الإثني عشر روبيل ثم شمعون ثم لاوي ثم يهوذا ثم يساخر ثم زيولون ثم يوسف ثم بنيامين ثم دان ثم تفتالي ثم كاذ ثم اشار .

ذكر أيوب عليه السلام

وأيوب عليه السلام قد عد من أمة الروم لانه من ولد العيص (١) . وزوجة أيوب رحمة ، وكانت لايب البثنة من أعمال دمشق ملكاً وأموالاً عظيمة فابتلي بذهاب الأموال وبالفقر وهو على عبادته وشكره ، ثم ابتلي في جسده حتى تجرد ودود مرميا على مزبلة لاتطاق رائحته ، ورحمة تخدمه صابرة عليه ، فترامى لها إبليس وأراها ما ذهب لهم ، وقال اسجدي لي لأرد مالكم اليكم ، فاستأذنت أيوب فغضب وحلف ليضربها مائة ، ثم عافاه الله ورزقه ورد إلى امرأته شبابها وحسنها وولدت لايب ستة وعشرين ذكراً . ثم أمره الله أن يأخذ عرجونا من النخل فيه مائة شمراخ فيضرب به زوجته لير في يمينه ففعل ، وكان أيوب نبياً في عهد يعقوب في قول بعضهم ، وذكر ان أيوب عاش ثلاثاً

(١) هو أيوب بن موسى بن رازح بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم .

وتسعين ومن ولد أيوب ابنه بشر بعثه الله بعد أيوب وسماه ذا الكفل وكان
مقامه بالشام .

ذكر يوسف عليه السلام

وولد ليعقوب يوسف وليعقوب احدى وتسعون سنة وفارقه وعمره ثماني
عشرة سنة وافترقا احدى وعشرين سنة ، واجتمعا بمصر وعمر يعقوب مائة
وثلاثون سنة ، وبقيا مجتمعين سبع عشرة سنة فعمر يوسف لما توفي يعقوب ست
وخمسون سنة ، وعاش يوسف مائة وعشر سنين فولد يوسف لمضي مائتين
واحدى وخمسين من مولد ابراهيم ووفاته لمضي ثلاثمائة واحدى وستين من مولد
ابراهيم ، وتكون وفاة يوسف قبل مولد موسى بأربع سنين محققاً .

وحسدت يوسف اخوته لحسنه وحب أبيه له وألقوه في الجب ، وفيه ماء
وصخرة ، فأوى اليها ثلاثة أيام وأخرجه السيارة من الجب وأخذوه معهم ، وجاء
أخوه يهوذا اليه بطعام فلم يجده ، ثم رآه عند السيارة فأخبر يهوذا إخوته ، فأتوهم
وقالوا هذا عبدنا أبق منا ، وخافهم يوسف فلم يذكر حاله ، فاشتروه من اخوته
بثمان بئس قيل عشرون وقيل أربعون درهماً ، وذهبوا به إلى مصر فباعه
أستاذه من العزيز الذي على خزائن مصر ، وفرعون مصر حينئذ الريان بن
الوليد من العماليق من ولد عملاق بن سام بن نوح .

ولما اشترى العزيز يوسف هويته امرأته راعيل ، وراودته عن نفسها فأبى
وهرب منها ولحقته من خلفه وأمسكته بقميصه فانقد قميصه ، وصل أمرهما إلى
زوجها العزيز ، وابن عمها تينان ، فظهر لهما براءة يوسف ، وانها هي التي راودته ، ثم
ما زالت تشكو من يوسف إلى زوجها وتقول انه يقول للناس اني راودته عن
نفسه وقد فضحني حتى حبسه زوجها سبع سنين ، ثم أخرجه فرعون مصر

بسبب تعبيره الرؤيا . ولما مات العزيز الذي اشترى يوسف جعل فرعون يوسف موضعه على خزائنه كلها ، وجعل القضاء اليه وحكمه نافذا ، ودعا يوسف فرعون الريان المذكور إلى الإيمان ، فأمن وبقي كذلك إلى أن مات الريان ، وملك مصر بعده قابوس بن مصعب من العمالة أيضاً ولم يؤمن .

وتوفي يوسف عليه السلام في ملكه بعد أن وصل اليه أبوه يعقوب وأخوته جميعهم من أرض كنعان وهي الشام ، بسبب المحل ، واجتمع شملهم سبعة عشرة سنة ، ومات يعقوب وأوصى إلى يوسف بدفنه مع أبيه اسحاق فسار به ودفنه في الشام عند أبيه وعاد إلى مصر وبها توفي ودفن حتى كان من موسى وفرعون ما كان ، فلما سار موسى من مصر ببني إسرائيل إلى التيه نبش يوسف وحمله معه في التيه حتى مات موسى ، فلما قدم يوشع ببني إسرائيل إلى الشام دفنه بالقرب من نابلس وقيل عند الخليل .

ذكر شعيب عليه السلام

ثم بعث الله شعيباً عليه السلام إلى أصحاب الأيكة^(١) وأهل مدين ، قيل شعيب من ولد ابراهيم ، وقيل من ولد من آمن بابراهيم ، فلم يؤمنوا فأهلكوا بسحابة أمطرت ناراً يوم الظلة وأهلك أهل مدين بالزلزلة .

ذكر موسى عليه السلام

ثم أرسل الله موسى بن عمران بن قاهات بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم نبياً بشريعة بني اسرائيل ، ولما ولد كان فرعون مصر الوليد قد

(١) الأيكة : الشجر الكثير الملتف .

أمر بقتل الاطفال ، فخافت عليه أمه والقي الله تعالى في قلبها أن تلقيه في النيل فجعلته في تابوت وألقته ، والتقطته آسية امرأة فرعون وربته و كبر ، فيينا هو يمشي في بعض الأيام إذ وجد إسرائيلياً وقبطياً يختصمان ، فوكز القبطي ففضى عليه ، ثم اشتهر ذلك وخاف من فرعون فهرب نحو مدين ، واتصل بشعيب وزوجه ابنته صفوره ، واقام يرعى غنم شعيب عشر سنين .

ثم سار موسى بأهله في زمن الشتاء و اخطأ الطريق وامرأته حامل ، فأخذها الطلق في ليلة شاتية ، فأخرج زنده ليقده فلم تظهر له نار وأعيا مما يقده ، فرفعت له نار ، فقال لأهله أمكثوا اني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ، فلما دنا منها رأى نوراً من السماء إلى شجرة عظيمة من العوسج وقيل من العناب ، فتحير موسى وخاف ورجع فنودي منها ، ولما سمع الصوت استأنس وعاد . لما أتادا نودي من جانب الوادي الأيمن من الشجرة : يا موسى اني أنا الله رب العالمين . ولما رأى تلك الهيبة علم انه ربه فخفق قلبه وكل لسانه وضعفت منته ، ثم شد الله قلبه ، ولما عاد عقله نودي ، « أن اخلع نعليك إنك بالوادي المقدس »^(١) وجعل الله عصاه ويده آيتين . ثم أقبل إلى أهله وسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلاً واجتمع به هارون وسأله من أنت . فقال أنا موسى ، فتعارفا واعتنقا ، ثم قال موسى : يا هارون ان الله تعالى أرسلنا إلى فرعون ، فانطلق معي اليه فقال سمعاً وطاعة ، فانطلقا اليه وأراه موسى عصاه ثعباناً فاغراً فاه .

قال الزنخشري في الكشاف . كان ثعباناً ذكراً أشعر فاغراً فاه بين لحييه ثمانون ذراعاً وضع لحيه الأسفل على الأرض ولحيه الأعلى على سور القصر . ثم توجه نحو فرعون ليأخذه ، فوثب فرعون من سريره وهرب وأحدث ، ولم يكن أحدث قبل

(١) سورة طه . آية - ١١/١٠

ذلك ، وحمل على الناس فانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون ألفاً فقتل بعضهم بعضاً، ودخل فرعون البيت وصاح : يا موسى خذها وأنا أو من بك وأرسل معك بني اسرائيل ، فأخذه موسى فعاد عصا . والله أعلم . ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها وهي بيضاء لها نور تكل منه الابصار فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها إلى جيبه وأخرجها فاذا هي على لونها الأول . ثم أحضر لها فرعون السحرة و عملوا الحيات والقي موسى عصاه فتلقفت ذلك ، وآمن به السحرة فقتلهم فرعون عن آخرهم ، ثم أراهم الآيات من القمل والضفادع وصيرورة الماء دماً ، فلم يؤمن فرعون ولا أصحابه ، وآخر الحال أطلق فرعون لبني إسرائيل المسير مع موسى ثم ندم فلحقهم بعسكره عند بحر القلزم ، فضرب موسى بعصاه البحر فانشق ودخل فيه هو وبنو إسرائيل وتبعهم فرعون وجنوده فانطبق البحر على فرعون وجنوده وغرقوا عن آخرهم .

ومن معجزات موسى قصته مع قارون بن عم موسى رزقه الله مالاً عظيماً قيل ان مفاتيح خزائنه كانت حمل أربعين بغلاً ، وبنى داراً صفحها بالذهب وأبوأها ذهب فتكبر قارون بماله على موسى واتفق مع بني إسرائيل على الخروج عن طاعته ، وجعل لبني (أي قحبة) جعلاً على أن تقذف موسى بنفسها ، ثم أتى موسى وقال ان قومك قد اجتمعوا ، فخرج اليهم موسى وقال من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى رجمناه ، فقال له قارون وان كنت أنت ، قال موسى نعم ، وان كنت أنا ، قال فإن بني إسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة ، قال موسى فادعوها فان قالت فهو كما قالت ، فلما جاءت قال لها موسى أقسمت عليك بالذي انزل التوراة إلا صدقت ، أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ قالت : لا . كذبوا ولكن جعلوا لي جعلاً على أن أقذفك . فأوحى الله إلى موسى : مر الأرض بما شئت تطعمك . فقال يا أرض خذيهم ، فجعل قارون يقول : يا موسى ارحمني وموسى يقول يا أرض خذيهم فابتلعهم الأرض ، ثم خسف بهم وبدار قارون .

ولما هلك فرعون وجنوده ، قصد موسى المسير ببني إسرائيل إلى مدينة الجبارين أريحا . فقال بنو إسرائيل «يا موسى ان فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى نخرجوا منها . فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون» فغضب موسى ودعا عليهم . فقال : رب لا أملك إلا نفسي وأخي ، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . فقال الله تعالى فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض . فبقوا في التيه وانزل الله عليهم المن والسلوى . ثم أوحى إلى موسى اني متوف هارون فأت به إلى جبل كذا فانطلقا نحوه فاذا هما بسرير فناما عليه وأخذ هارون الموت ورفع إلى السماء ، ورجع موسى إلى بني إسرائيل فقالوا له : أنت قتلت هارون لحبنا إياه ، فقال : ويحكم أفتروني أقتل أخي ؟ فلما أكثروا عليه سأل الله تعالى فأنزل السرير وعليه هارون وقال لهم إني مت ولم يقتلني موسى .

ثم توفي موسى واختلف في صورة وفاته ، قيل كان هو ويوشع يمشيان فظهرت غمامة سوداء فخافها يوشع واعتنق موسى فانسل موسى من قماشه وبقي يوشع معتنق الثياب وعدم موسى . وأتى يوشع بالقماش إلى بني إسرائيل فقالوا أنت قتلت موسى ووكلوا به ، فسأل الله أن يبين براءته فرأى كل رجل كان موكلاً على يوشع في منامه ان يوشع لم يقتل موسى فإنا رفعناه اليك ، فتركوه . وقيل بل تنبأ يوشع وأوحى اليه وبقي موسى يسأله فلم يخبره ، فعظم ذلك على موسى وسأل الموت فمات . وقيل غير ذلك . وتوفي في التيه في سابع آذار لمضي ألف وستمائة وست وعشرين من الطوفان في أيام منوجهر الملك مات بعد هارون أخيه بأحد عشر شهراً وهارون كان أكبر منه بثلاث سنين ، ومولد موسى لمضي أربعمائة وخمس وعشرين من مولد إبراهيم ، وبين وفاة إبراهيم ومولد موسى مائتان وخمسون سنة ، وولد موسى لمضي ألف وخمسمائة وست سنين من الطوفان ، وكان عمره لما خرج ببني إسرائيل من مصر ثمانين سنة وأقام في التيه أربعين سنة فيكون عمره مائة وعشرين سنة .

وكان بنو اسرائيل قبل أن يخرجهم موسى تحت حكم فراعنة مصر رعية لهم وكانوا على بقايا من دينهم الذي شرعه يعقوب ويوسف ، وأول قدومهم الى مصر لمضي تسع وثلاثين سنة من عمر يوسف فأقاموا في مصر عمر بقرية يوسف وهو احدى وسبعون لأن عمر يوسف مائة وعشر سنين فاذا نقصنا منها تسعاً وثلاثين بقي احدى وسبعون ، وأقاموا أيضاً مدة ما بين وفاة يوسف ومولد موسى وهو أربع وستون سنة وأقاموا أيضاً ثمانين سنة من عمر موسى حتى خرج بهم فجملة مقام بني اسرائيل بمصر حتى اخرجهم موسى مائتين وخمس عشر سنة .

ذكر حكام بني اسرائيل ثم ملوكهم

لما مات موسى لم يتملك على بني اسرائيل ملك بل سد حكامهم مسدء الملوك الى قيام طالوت ، فكان أول ملوكهم كما سترى . قال المؤلف رحمه الله : وهذا الفصل في حكام بني اسرائيل وملوكهم قد كثر الغلط فيه لبعده عنده ولكونه باللغة العبرانية فتعسر النطق بألفاظه على الصحة ، والتواريخ في هذا الفن مختلفة ، إما في أسماء الحكام وإما في عددهم وإما في مدد استيلائهم ، وللإهود الكتب الأربعة والعشرون وهي عندهم متوافدة قديمة ولم تعرب الى الآن ، فأحضرت منها سفرى قضاة بني اسرائيل وملوكها وأحضرت عارفاً بالعبرانية والعربية وتركته يقرؤها وأحضرت بها ثلاث نسخ وكتبت منها ما ظهر عندي صحته وضبطت الأسماء حسب الطاقة .

ذكر يوشع

لما مات موسى قام بتدبير بني اسرائيل يوشع بن نون بن البشامع بن عمهود ابن بغدان بن ياحن بن شالخ بن راشف بن رافح بن يربعا بن افرايم بن يوسف بن يعقوب ، وأقام بهم في التيه ثلاثة أيام ، ثم ارتحل بهم الى الشريعة بالغور واسمه الأردن في

عاشر نيسان من سنة وفاة موسى ، فلم يجد سبيلا للعبور فأمر يوشع حاملي صندوق الشهادة الذي فيه الألواح بأن ينزلوا الى حافة الشريعة فوقفوا حتى انكشفت أرضها وعبر بنو اسرائيل ، ثم عادت الشريعة كما كانت ، ونزل يوشع بهم على أريحا محاصراً لها وفي كل يوم يدور حولها مرة واحدة الى السابع أمر بني اسرائيل أن يطوفوا حول أريحا سبع مرات وأن يصوتوا بالقرون ، فعندما فعلوا هبطت الاسوار ورسخت وتساوت الخنادق بها ، ودخل بنو اسرائيل أريحا بالسيف وقتلوا أهلها . وبعدها سار الى نابلس الى المكان الذي بيع فيه يوسف فدفن عظام يوسف هناك ، وكان موسى قد استخرج يوسف من فيل مصر واستصحبه الى التيه ، وبقي معهم أربعين سنة وتسلمه يوشع الى أن دفنه بعد فراغه من أريحا .

وملك يوشع الشام وفرق فيه عماله ودبر بني اسرائيل نحو ثمان وعشرين سنة . ثم توفي يوشع ودفن في كفر حارس وله من العمر مائة وعشر سنين .

وفي تاريخ ابن سعيد المغربي ان يوشع مدفون في المعرة . فلا أعلم أنقل ذلك أم أثبتته على ما هو مشهور الآن ، قال المؤلف رحمه الله : فكانت وفاة يوشع سنة ثمان وعشرين لوفاة موسى .

ذكر فينحاس : وبعده يوشع قام بتدبيرهم فينحاس ^(١) بن العيزار بن هارون بن عمران وكالب بن يوقنا . وكان فينحاس هو الامام وهو من سبط يهوذا ، وكان كالب يحكم بينهم ، وكان أمرهما في بني اسرائيل ضعيفاً ، دام بنو اسرائيل كذلك سبع عشرة سنة ثم طغوا فسلط الله عليهم كوشيان ملك الجزيرة قيل قبرس وقيل كان ملك الارمن ، وهو من ولد العيص بن اسحاق ، فاستولى على بني اسرائيل واستعبدهم ثمان سنين فاستغاثوا الى الله وكان لكالب أخ من أمه اسمه عثنال بن قيباز فأقام كالب أخاه عثنال على بني اسرائيل ، فكان خلاص

(١) فينحاس بفاء ثم مشناة تحت مماله ثم نون ساكنة ثم حاء مهملة ثم الف مماله وسين مهملة .

بني اسرائيل من كوشيان سنة اثنتين وخمسين لوفاة موسى عليه السلام لأن كوشيان حكم عليهم ثمان سنين .

كوشيان : قام بعد كوشيان عثنال (١) بن قياز من سبط يهوذا وأزال قطيعة صاحب الجزيرة عن بني اسرائيل وأصلح حالهم ، وكان صالحا دبر أمرهم أربعين سنة فتكون وفاته في أواخر سنة اثنتين وتسعين لوفاة موسى عليه السلام . وبعده أكثر بنو اسرائيل المعاصي وعبدوا الاصنام فسلط عليهم عفلون (٢) ملك ماب من ولد لوط واستعبدهم ، فاستغاثوا الى الله تعالى وبقوا تحت مضايقته ثمان عشرة سنة فيكون خلاصهم منه في أواخر عشر ومائة . ثم اقام الله لهم (أهوذ) من سبط بنيامين فكف عنهم أذية عفلون ومضايقته ودبرهم ثمانين سنة فتكون وفاة أهوذ في أواخر سنة تسعين ومائة لوفاة موسى عليه السلام .

ولما مات أهوذ قام بتدبيرهم (شمكار) بن عنوث دون سنة فتكون ولاية شمكار ووفاته سنة إحدى وتسعين ومائة لوفاة موسى . ثم طفوا فاسلمهم الله الى نابين ملك الشام فاستعبدهم عشرين سنة حتى خلاصوا منه ، فيكون خلاصهم منه في أواخر سنة إحدى عشرة ومائتين لوفاة موسى .

ثم قام فيهم (باراق) بن ابي نعم من سبط تفتالي وامرأة اسمها دبوراً فقهرنا نابين ودبرا بني اسرائيل أربعين سنة ، فتكون انقضاء مدتها أواخر سنة إحدى وخمسين ومائتين لوفاة موسى . ثم ارتكبوا المعاصي بغير مدبر لهم منهم سبع سنين واستولى عليهم أعداؤهم من مدين تلك المدة فيكون آخر مدة هذه الفترة في أواخر سنة ثمان وخمسين ومائتين من وفاة موسى ،

(١) عثنال بعين مهملة وءاء مثلثة ساكنة ونون مكسورة ومثناة تحت مهموزة والفاء ولام .

(٢) عفلون بعين مفتوحة مهملة وسكون الفين المعجمة وضم اللام وسكون الواو ثم نون .

فاستغاثوا فأقام الله فيهم لدعون^(١) بن نواش فقتل أعداءهم وأقسام دينهم أربعين سنة ، فتكون وفاته في أواخر سنة ثمان وتسعين ومائتين لوفاة موسى .

ثم قام فيهم بعده ابنه ابيالخ^(٢) ثلاث سنين فتكون وفاته في أواخر سنة إحدى وثلاثمائة لوفاة موسى .

ثم قام بعده فيهم (يواثير) الجرشي من سبط شيوخر اثنتين وعشرين سنة فتكون وفاته لمضي ثلاثمائة وثلاث وعشرين من وفاة موسى . ثم ارتكبوا المعاصي فسلط عليهم بنو عمون من ولد لوط وملكهم أمونيطو فاستولى عليهم ثمان عشرة سنة حتى خلعوا منه ، فتكون انقضاء مدته في أواخر سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة لوفاة موسى ، ثم استغاثوا الى الله فأقام فيهم يفتح^(٣) الجرشي من سبط منشا فكفاهم شر بني عمون وقتل من بني عمون كثيراً ودبرهم ست سنين فتكون وفاته في أواخر سنة ثلاثمائة وسبع وأربعين . وقام فيهم بعده (أبصن) من سبط يهوذا سبع سنين فوفاته في أواخر سنة أربع وخمسين وثلاثمائة لوفاة موسى . وبعده دبرهم (آيلون) من سبط زيويون عشر سنين فوفاته في سنة أربع وستين وثلاثمائة لوفاة موسى . وبعده دبرهم (عبْدُون) بن هلال من سبط أفرائيم بن يوسف ثمان سنين فوفاته سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة لوفاة موسى .

شمشون : ثم اخطؤوا وعصوا فسلط عليهم أهل فلسطين واستولوا عليهم أربعين سنة فيكون آخر استيلاء أهل فلسطين عليهم في أواخر سنة اثنتي عشرة وأربعمائة لوفاة موسى . فاستغاثوا الى الله فأقام فيهم (شمشون) بن

(١) بذال منقوطة وعين مهملة بوزن منصور .

(٢) ابيالخ بهمزة وباء موحدة تحت ومثناة تحت وميم والفاء ولام وخاء معجمة .

(٣) يفتح بضم الياء المثناة تحت وسكون الفاء وضم التاء المثناة فوق وحاء مهملة .

مانوخ من سبط دوف ، وكان لشمشون قوة عظيمة يعرف بشمشون الجبار فدافع أهل فلسطين ودبر ملك بني اسرائيل عشرين سنة ، ثم غلبه أهل فلسطين وأسروه ودخلوا به كنيستهم وكانت مركبة على أعمدة فأمسك العواميد وحرّكها بقوة حتى وقعت الكنيسة فقتلته ومن فيها من فلسطين من كبارهم ، فانقضاء مدة تدبير شمشون في أواخر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة لوفاة موسى . ثم كانت فترة وصاروا بغير مدبر عشر سنين ، فانقضاء مدة الفترة في أواخر سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة لوفاة موسى .

ثم قام فيهم (غالي) الكاهن عبد صالح من ولد اثنامور بن هارون بن عمران ومعنى الكاهن الامام . فدبرهم أربعين سنة ، وكان عمره لما ولي ثمانيا وخمسين سنة ، فمدة عمره ثمان وتسعون سنة . في أول سنة من ولايته ولد شمویل النبي بقريه سيلو على باب القدس .

وفي الثالثة والعشرين من ولاية غالي ، ولد داود النبي عليه السلام ، فوفاة غالي في أواخر سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة لوفاة موسى . ثم دبر بني اسرائيل (شمویل) النبي وتنبأ بعد الأربعين عند وفاة غالي إحدى عشرة سنة .

ومنتهى هذه الاحدى عشرة سنة هي آخر سنين حكام بني اسرائيل وقضاتهم . فكلهم كانوا بمنزلة القضاة وسدوا مسد ملوكهم ، وبعد تدبير شمویل احدى عشرة سنة قام لهم ملوك كما سنذكر ، فتكون انقضاء سنين حكامهم في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة لوفاة موسى ، ثم حضر بنو اسرائيل الى شمویل وسألوه ان يقيم فيهم ملكا فأقام فيهم (شاول) .

وشاول هو طالوت بن قيس من سبط بنيامين كان راعيا وقيل سقاء وقيل دباغاً ، فملك سنتين واقتتل هو وجالوت من جبابرة الكنعانيين ، وكان ملكه يجهاث فلسطين كان من الشدة وطول القامة بكان عظيم ، فلما برز للقتال لم يقدم عليه أحد فذكر شمویل علامة قاتل جالوت فاعتبر طالوت عسكره فلم يكن فيهم من يوافق العلامة ، وكان داود أصغر بني أبيه راعيا في غنم أبيه

واخوته فطلبه طالوت واعتبره شمويل بالعلامة وهي دهن كان يستدير على رأس من يكون فيه السر ، وأحضر ايضاً تنور حديد وقال الذي يقتل جالوت يكون ملء هذا التنور ، فلما اعتبر داود ملأ التنور واستدار الدهن على رأسه فتحقت العلامة ، فأمره طالوت بمبارزة جالوت . فبارزه وقتل داود جالوت وعمره اذ ذاك ثلاثون سنة ، ثم مات شمويل فدفنه بنو اسرائيل في الليل وناحوا عليه وكان عمره اثنتين وخمسين سنة .

ومال الناس الى داود حبا فحسده طالوت وقصد قتله مرة بعد أخرى فهرب داود منه واحترز على نفسه ، ثم ندم طالوت على قصد قتله وما وقع منه واراد تكفير ذنوبه بموته في الغزاة وقصد الفلسطينيين وقتلهم حتى قتل هو وأولاده فموت طالوت في اواخر سنة خمس وتسعين واربعمئة لوفاة موسى .

وبعد قتله افتقرت الاسباط فملك على أحد عشر سبطاً (ايش يوشث) بن طالوت ثلاث سنين ، وانفرد سبط يهوذا وملك عليهم (داود) بن بيشا بن عوفيد بن بوعر بن سلمون بن نحشوف بن عمينندوب بن رم بن مصرون بن بارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام ، وحزن داود على طالوت ولعن موضع مصرعه . وكان مقام داود بجيرون فلما استوثق له الملك وأطاعه كل الاسباط لثمان وثلاثين سنة من عمر داود انتقل الى القدس ثم فتح في الشام كثيراً ثم ارض فلسطين وبلد عمان ومساب وحلب ونصيبين وبلاد الارمن وغير ذلك .

ولما أوقع داود بصاحب حلب وعسكره وكان صاحب حماة اذ ذاك اسمه ثاعو وكان معاديا لصاحب حلب فأرسل صاحب حماة وزيره ثاعو بالسلام والدعاء والهدايا الى داود فرحا بقتل صاحب حلب . ولما صار لداود ثمان وخمسون سنة وهي السنة الثامنة والعشرون من ملكه كانت قصته مع أوريا زوجته وهي مشهورة ، وفي ستين من عمر داود خرج عليه ابنه أبشولوم بن داود فقتل ، وملك داود أربعين سنة ، ولما صار له سبعون سنة توفي فوفاته في اواخر سنة

خمس وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى ، وأوصى بالملك لسليمان وأوصاه بعمارة بيت المقدس وعين لذلك عدّة بيوت تحتوي على جمل من الذهب .

ذكر سليمان الحكيم : وملك بعده (سليمان) وعمره اثنتا عشرة سنة وآتاه الله من الحكمة والملك ما أخبر به في كتابه العزيز ، وفي السنة الرابعة من ملكه في ايار وهي سنة تسعة وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى ، ابتداء سليمان بعمارة بيت القدس وأقام في عمارته له سبع سنين وفرغ منه في الحادية عشر من ملكه ، فالفراغ من عمارته في أواخر ست وأربعين وخمسمائة لوفاة موسى ، وكان ارتفاع البيت الذي عمره سليمان ثلاثين ذراعاً وطوله ستين في عرض عشرين ذراعاً وعمل خارج البيت سورا محيطاً به إمتداده خمسمائة في خمسمائة ، ثم شرع في بناء دار ملكه بالقدس واجتهد وشيدها وفرغها في ثلاث عشرة سنة وانتهت في الرابعة والعشرين من ملكه . وفي الخامسة والعشرين من ملكه جاءت بلقيس ملكة اليمن ومن معها وأطاعه ملوك الأرض وحملوا اليه النفائس وتوفي وعمره اثنتان وخمسون سنة ومدّة ملكه أربعون سنة فوفاته في أواخر سنة خمس وسبعين وخمسمائة لوفاة موسى .

وملك بعده ابنه (رحبعم) وكان رديء الشكل شنيع المنظر فأظهر الصلابة على بني اسرائيل وقال لهم « أنا خنصري أغلظ من ظهر أبي ومها كنتم تخشون من أبي فاني اعاقبكم بأشدّ منه » فخرج عن طاعته عشرة أسباط ولم يبق معه غير سبطي يهوذا وبنيامين ، وملك على العشرة (بريعم) عبد سليمان وكان كافراً فاسقاً، واستقر لولد داود الملك على السبطين فقط وعلى بيت المقدس ، وصار للأسباط العشرة ملوك تعرف بملوك الأسباط نحو مائتين واحدى وستين سنة ، وكان ولد سليمان في بني اسرائيل بمنزلة الخلفاء فينا وملوك الاسباط مثل الخوارج ، ولنقدّم ذكر بني داود الى حين اجتمعت لهم المملكة على جميع الاسباط ، ثم نذكر ملوك الاسباط متتابعين فنقول : استمر رحبعم (١) ملكاً

(١) رحبعم بالراء وضم الحاء المهمله وسكون الباء وضم العين .

للسبطين الى دخول السنة الخامسة من ملكه فغزاه فيها فرعون مصر واسمه
شيشاق ونهب المال المخلف عن سليمان ، وزاد رجبهم في عمارة بيت لحم وغزة
وصور وغيرها وجدّد أيلة وولد له ثمانية وعشرون ابناً سوى البنات وملك
سبع عشرة سنة وعاش إحدى وأربعين ، فوفاته في أواخر سنة اثنتين وتسعين
وخمسة لوفاة موسى .

وملك بعده علي قاعدته ابنه أفيسا^(١) ثلاث سنين فوفاته في أواخر سنة
خمس وتسعين وخمسة لوفاة موسى .

وملك بعده ابنه (ايشا) إحدى وأربعين سنة ، خرج عليه عدو وقيل من
الجبشة وقيل من الهند ، فهزمه الله بين يدي ايشا ، فوفاته في أواخر سنة ست
وثلاثين وستة لوفاة موسى .

ثم بعده ابنه (يهوشافاط) خمساً وعشرين سنة ، وعمره لما ملك خمس
وثلاثون سنة . وكان صالحاً معتقياً بعلماهم ، خرج عليه عدو من ولد العيص
في جمع عظيم ، فافتن أعداؤه حتى انمحقوا فغنمهم واستمر ملكاً خمساً وعشرين
سنة وتوفي ، فوفاته في أواخر سنة إحدى وستين وستة .

ثم ملك ابنه (يهورام) (بالمشاة تحت) ابن يهوشافاط ، وعمره اذ ذاك
اثنان وثلاثون ، وملك ثماني سنين ، فوفاته سنة تسع وستين وستة .

ثم ملك ابنه (أحزياهو) وعمره لما ملك اثنان وأربعون وملك سنتين ،
فوفاته في أواخر سنة إحدى وسبعين وستة^(٢) .

وبعده فترة سبع سنين بغير ملك ، حكمت فيها ساحرة أصلها من جوارى
سليمان ، اسمها عثليا هو ، أفنت بني داود سوى طفل اسمه يواش بن حزبو ،
أخفوه عنها .

(١) افيسا : بفتح الهمزة وكسر الفاء العبرانية .

(٢) احزياهو : وهو بفتح الهمزة والحاء المهملة وسكون الزاي .

ثم ملك بعدها (يواش) ابن سبع سنين ، وفي السنة الثالثة والعشرين من ملكه رمم بيت المقدس وملك أربعين سنة ، فوفاته في أواخر سنة ثمان عشرة وسبعمئة (١) .

ثم ملك بعده ابنه امصياهو (٢) وهو ابن خمس وعشرين ، وملك تسعا وعشرين سنة وقيل خمس عشرة وقتل ، فوفاته في أواخر سنة سبع وأربعين وسبعمئة لوفاة موسى .

ثم ملك بعده عزياهو (٣) وهو ابن ست عشرة ، ملك اثنتين وخمسين سنة وبرص وتنغصت أيامه عليه ، وتغلب عليه ابنه يوثم ، فوفاته عزياهو في أواخر سنة تسع وتسعين وسبعمئة لوفاة موسى .

ثم ملك بعده ابنه يوثم (٤) وهو ابن خمس وعشرين سنة ، ملك ست عشرة سنة ، فوفاته سنة خمس عشرة وثمانمئة ، قيل كان يونس في أيامه ، وملك بعد وفاته ابنه آحز (٥) وهو ابن عشرين ، وملك ست عشرة سنة ، وفي الرابعة من ملكه قصده رصين ملك دمشق و (اشعيا) النبي كان في أيامه فبشر آحز بصرف رصين عنه بغير حرب ، فوفاته آحز في أواخر إحدى وثلاثين وثمانمئة .

وملك بعده ابنه حزقيا (٦) وكان صالحاً مظفراً ، ولدخول السنة السادسة من ملكه ، انقضت دولة الخوارج ملوك الاسباط ، وتقدم ذكركم ، ولندكركم

-
- (١) يواش : بضم المثناة تحت وشين معجمة .
(٢) امصياهو : بسكون الصاد .
(٣) عزياهو : بضم العين وتشديد الزاي .
(٤) يوثم : بضم المثناة تحت ثم فتح المثناة .
(٥) آحز : بمد الهمزة المائلة وبالحاء والزاي .
(٦) حزقيا : بكسر الحاء والقاف وتشديد المثناة تحت .

الآن مختصراً إلى حين انتهوا في السادسة من ملك حزقيا ، وهؤلاء خرجوا بعد سليمان على رحبعم ابنه سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وانقرضوا سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ، فمدة ملكهم مائتان واحد و ستون سنة ، وعدتهم سبعة عشر ملكا ، وهم : يربعم ، ونودب ، وتعشو ، وايللا ، وزمرا ، وتبني ، وعمرى ، واحوب ، واحزيو ، وياهو رام ، ويهوناحان ، ويواش ، ويربعم ، وآحز ، ويقحو ، ويافح ، وهوشاع .

عدنا الى ذكر حزقيا ملك وهو ابن عشرين ، فرغ عمره قبل موته بخمس عشرة سنة ، فزاده الله خمس عشرة ، وأمره ان يتزوج ، واخبره بذلك نبي في زمانه ، وقصده سنجاريب ملك الجزيرة ، فغذل وفتن عسكره ، فرجع وقتله ابنان من اولاده في نينوى ، ثم هربا الى جبال الموصل ، ثم الى القدس فأما بحزقيا واسمها : أرزمالحو وسراصر ، وملك بعد سنجاريب ابنه اشحدون ، وكان اشعيا النبي قد اخبر بني اسرائيل أن الله يكفيهم سنجاريب بغير قتال ، وعظم حزقيا وهادنه الملوك وتوفي في أواخر سنة ستين وثمانمائة .

وملك بعده ابنه (منشا)^(١) وعمره اثنتا عشرة سنة فطفي وفسق اثنتين وعشرين سنة . وغزاه صاحب الجزيرة ثم تاب توبة نصوحا ، حتى مات وملكه خمس وخمسون سنة ، فوفاته في أواخر سنة تسعمائة وخمس عشرة سنة ثم ملك بعده ابنه آمون^(٢) سنتين . ثم بعده ابنه يوشيا^(٣) ثم بعده ابنه (يهوياخين) ثلاثة اشهر ، فغزاه فرعون مصر (أظنه الاعرج) واسره الى مصر فمات بها .

وملك بعد أسره أخوه (يهوياقيم) وفي السنة الرابعة من ملكه تولى بخت نصر على بابل ، وهي سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة لوفاة موسى ، وذلك على حكم ما اجتمع لنا من مدد ولايات بني اسرائيل وفتراتهم .

(١) منشا : بيم ونون مفتوحة وشين معجمة مشددة .

(٢) آمون : بهزة مماله .

(٣) يوشيا : بضم المثناة تحت ومكون الواو وكسر الشين المعجمة وتشديد المثناة تحت .

أما ما اختاره المؤرخون فهو أن وفاة موسى إلى ابتداء ملك بخت نصر تسعمائة وثمانيا وسبعين سنة ، ومائتين وثمانية وأربعين يوماً وهو يزيد على ما اجتمع لنا من المدد المذكورة فوق ست وعشرين سنة وهو تفاوت قريب وكان هذا النقص إنما حصل من إسقاط اليهود كسور المدد المذكورة اذ يبعد ان يملك الشخص عشرين سنة أو تسع عشرة سنة مثلاً بلا أشهر وأيام معها ، ولنؤرخ بولاية بخت نصر ما بعدها .

ولاية بخت نصر :

كان ابتداء ولاية (بخت نصر) في سنة تسع وسبعين وتسعمائة لوفاة موسى ، وفي السنة الأولى من ولاية بخت نصر فتح نينوى مدينة قبالة الموصل وقتل أهلها وخربها ، وفي الرابعة - وهي السابعة - من ملك يهوياقيم - سار بخت نصر إلى الشام ، وغزا بني اسرائيل فأطاعه يهوياقيم ، فبقاه على ملكه ، أطاعه ثلاث سنين ، ثم عصى عليه ، فأرسل لامساكه وأحضر فمات في الطريق خوفاً فمده يهوياقيم نحو احدى عشرة سنة ، وانقضاؤها في اوائل سنة ثمان لابتداء ملك بخت نصر ويهوياقيم^(١) . ولما اخذ استخلف ابنه يخنيو^(٢) ، فأقام مائة يوم ثم أرسل بخت نصر فأخذه الى بابل ، واخذ بخت نصر معه جماعة من علماء بني اسرائيل منهم : دانيال وحزقيال النبي من نسل هارون وسجن يخنيو إلى ان مات بخت نصر . ولما امسكه نصب عمه (صدقيا) واستمر في طاعته ، وكان أرمياء النبي يعظ صدقيا وبني اسرائيل ويهددهم ببخت نصر ولا يلتفتون ، وفي التاسعة من ملك صدقيا عصى على بخت نصر فنزل بخت نصر بالجيش على قارين ورفنيه وبعث بالجيش مع وزيره نبوزرادون^(٣) الى حصار

(١) مثنى اليا وسيأتي ذكره بعد.

(٢) يخنيو : بفتح المثناة تحت وفتح الخاء وسكون النون وضم المثناة تحت ثم واو .

(٣) نبوزرادون : بفتح النون وضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الزاي والراء

وبالذال المعجمة .

صدقيا بالقدس ، فحاصره سنتين ونصفا ، أولها عاشر تموز من التاسعة لملك
صدقيا ، وأخذ بعد حصار تلك المدة القدس بالسيف ، وأسر صدقيا وخلقا من
بني اسرائيل وأحرق القدس وهدم البيت الذي بناه سليمان وأحرقه ، وأباد
اسرائيل قتلا وتشريدا ، فكان مدة ملك صدقيا نحو إحدى عشرة سنة وهو
آخر ملوك بني اسرائيل .

وأما من تولى منهم بعد إعادة عمارة بيت المقدس كما سيأتي ، فإنما كان له
الرياسة ببيت المقدس لا غير ، فيكون انقضاء ملك بني اسرائيل وخراب
بيت المقدس على يد بخت نصر سنة عشرين من ولاية بخت نصر تقريبا ، وهي
سنة ثلاث وخمسين واربعمائة مضت من عمارة بيت المقدس ، وهي مدة لبثه على
العمارة . واستمر بيت المقدس خرابا سبعين سنة ، ثم عمر كما سيأتي ، وإلى هنا
انتهى نقلنا من كتب اليهود المعروفة بالأربعة والعشرين المتواترة عندهم .

من (تجارب الامم) لابن مسكويه

لما غزا بخت نصر القدس وخربه وأباد بني اسرائيل ؛ أقام
منهم جماعة عند فرعون مصر هربا منه ، فطلبهم من فرعون مصر وقال :
هؤلاء عبيدي ، فلم يسلمهم فرعون وقال : ليسوا بعبيدك ، وإنما هم أحرار ،
فقصد بخت نصر مصر ، وهرب منهم جماعة أيضا إلى الحجاز ، واقاموا مع
العرب (١) . ثم بعد ذلك قصد بخت نصر صور وحاصرها فأرسل أهلها أموالهم
في البحر ، فأرسل الله على السفن ريحا ففرقت ، وملك صور بالسيف ، وقتل
صاحبها ولم يجد فيها كسبا طائلا ، ثم سار بخت نصر إلى مصر وقاتل فرعون
الأعرج ، فانتصر بخت نصر عليه وقتله وصلبه ، وحاز ذخائر مصر وسبى
قبط مصر وغيرهم ، وصارت مصر خرابا أربعين سنة ، ثم غزا المغرب وعاد
إلى بلاده ببابل ، وسندكر بخت نصر ووفاته مع الفرس إن شاء الله تعالى .

(١) من كتاب أبي عيسى .

عمارة بيت المقدس

وأما بيت المقدس فعمر بعد لبثه على التخريب سبعين سنة . عمره بعض ملوك
الفرس ، وإسمه عند اليهود كيرش ، فقيل هو دارا بن بهمن وقيل هو بهمن ، وهو
الأصح ، يشهد بصحته كتاب أشعيا ، كما سنذكر عند ذكر ازدشير بهمن
المذكور مع ملوك الفرس ، فتراجعت إلى القدس بنو اسرائيل ، وكانت عمارته
في اول سنة تسعين لابتداء ولاية بخت نصر . ومن جملة العائدين الى القدس
(عزير) عليه السلام ، كان بالعراق وقدم معه الفان أو يزيدون من بني
اسرائيل العلماء وغيرهم ، وترتب مع عزير بالقدس مائة وعشرون شيخاً من
اسرائيل ، وكانت التوراة قد عدت منهم إذ ذاك فثلثها الله في صدر العزير
ووضعها لبني اسرائيل ، يعرفونها بحلالها وحرامها فأحبوه وأصلح أمرهم ،
ومن كتب اليهود أن العزير لبث يدبر بني اسرائيل في القدس ، حتى توفي بعد
أربعين سنة لعمارة بيت المقدس ، فتكون وفاة العزير سنة ثلاثين ومائة لابتداء
ولاية بخت نصر واسمه بالعبراني عزرا ، من ولد فينحاس بن العزر بن هارون
ابن عمران .

ومنها ان الذي تولى رياستهم بعده شمعون الصديق ، من نسل هارون أيضاً
ومن كتاب أبي عيسى أنهم لما تراجعوا الى القدس ، صار حكامهم منهم تحت
حكم الفرس ، حتى ظهر الاسكندر في سنة أربعمائة وخمس وثلاثين لولاية بخت
نصر ، وغلبت اليونان على الفرس ، فدخل بنو اسرائيل حينئذ تحت حكم
اليونان وأقاموا ولايتهم منهم أيضاً ، وكان يقال للمتولي عليهم (هرذوش)
وقيل هيرذوص ، واستمروا كذلك حتى خرب بيت المقدس الخراب الثاني
وتشتت منه بنو اسرائيل كما سيذكر .

عدنا الى ذكر من كان من الانبياء في ايام بني اسرائيل .

ذكر يونس بن متى عليه السلام

ومتى أمه ، ولم يشتهر نبي بأمه غير عيسى ويونس عليهما السلام . قيل ان يونس

من بني اسرائيل ، وانه من سبط بنيامين ، وقيل بعث يونس في تلك المدة إلى أهل نينوى قبالة الموصل بينها دجلة ، فنهاهم عن الأصنام ، وأوعدهم بالعذاب في يوم معلوم ان لم يتوبوا وضمن ذلك عن ربه عز وجل ، فلما أظلمهم العذاب آمنوا فكشفه الله عنهم وجاء يونس لذلك اليوم فلم ير العذاب حل ولا علم بإيمانهم ، فذهب مغاضباً .

قال ابن سعيد ودخل في سفينة بدجلة فوقفت السفينة ، فقال رئيسها : فيكم من له ذنب . وتساهموا على من يلقونه في البحر ، فوقعت المساهمة على يونس فرموه ، فالتقمه الحوت وسار به الى الابلة ، وكان من شأنه ما أخبر الله به في القرآن العظيم .

ذكر ارميا

تقدم أن أرميا كان في أيام صدقيا وبقي أرميا يأمر بني اسرائيل بالتوبة ويتهددهم ببخت نصر ، فلما لم يرجعوا فارقمهم أرميا واختفى ، حتى غزاهم بخت نصر وخرب القدس كما مر ، قال ابن سعيد : أوحى الله الى أرميا اني عامر بيت المقدس ، فاخرج اليها ، فخرج الى القدس وهي خراب فقال في نفسه : سبحان الله ، أمرني الله أن انزل هذه البلدة وأخبرني انه عامرها فمتي يعمرها ، ومتي يحييها الله بعد موتها . فنام ومعه حماره وسلة فيها طعام ، وكان من قصته كما قال الله (أو كالذي مرّ على قريةٍ وهي خاويةٌ علىٰ عروشها قال أنسىٰ يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه) الآية . وقيل صاحب هذه القصة العزيز والأصح انه أرميا .

ذكر نقل التوراة وغيرها من العبرانية الى اللغة اليونانية

من كتاب أبي عيسى : لما ملك الاسكندر وعظم ملك اليونان وقهروا الفرس أطاعهم بنو اسرائيل وغيرهم ، وتولت ملوك اليونان بعد الاسكندر ، وكان

يقال لكل واحد منهم بطليموس وذلك أن الاسكندر مات فملك بطليموس ابن لاغوس ابن عشرين سنة ، ثم ملك بعده بطليموس محب أخيه ، فوجد نحو ثلاثين الف أسير من اليهود فأعتقهم ، وأمرهم بالعودة إلى بلادهم ، ففرح بنو اسرائيل بذلك ، وأرسل رسولا إلى بني اسرائيل المقيمين بالقدس ، وطلب منهم ان يرسلوا اليه عدة من علماءهم ، لنقل التوراة وغيرها الى اللغة اليونانية ، فسارعوا إلى أمره وازدحموا على الرواح اليه ، ثم اتفقوا أن يبعثوا من كل سبط من أسباطهم ستة نفر فبلغوا اثنين وسبعين رجلاً ، فلما وصلوا الى بطليموس ، أحسن قراهم وصيرهم ستا وثلاثين فرقة ، وخالف بين أسباطهم ، وأمرهم فترجموا له ستا وثلاثين نسخة بالتوراة ، وقابل بطليموس بعضها ببعض فوجدها مستوية لم تختلف اختلافاً يعتد به ، وفرق النسخ المذكورة في بلاده ، وبعد فراغهم من الترجمة وصلهم وجهزهم إلى بلادهم ، وسأله المذكورون نسخة من تلك النسخ ، فأسعفهم بنسخة وعادوا بها إلى بيت المقدس ، فنسخة التوراة المنقولة لبطليموس حينئذ أصح التوراة وأثبتها وقد تقدم ذكرها وذكر نسخة اليهود ونسخة السامرة .

ذكر زكريا ويحيى عليهما السلام

قال ابن سعيد في كتابه : زكريا من ولد سليمان بن داود نبي مذكور في القرآن كان نجاراً وهو الذي كفل مريم أم عيسى وكانت مريم بنت عمران بن مائتان من ولد سليمان بن داود ، وأم مريم اسمها حنه ، وكان زكريا متزوجاً أخت حنه ، واسمها ايساع ، فكانت زوج زكريا خالة مريم ، ولذلك كفل مريم ، فلما كبرت بنى لها زكريا غرفة في المسجد ، وانقطعت فيها للعبادة وكان لا يدخل على مريم غير زكريا ، وأرسل الله جبريل فبشر زكريا بيحيى ، مصدقاً بكلمة من الله يعني عيسى بن مريم ، ثم أرسل جبريل وتنفخ في جيب مريم ، فحملت بعيسى ، وكانت قد حملت خالتها ايساع بيحيى ، ولد يحيى قبل المسيح بستة اشهر ، ثم ولدت مريم عيسى وعلمت اليهود ولادة مريم

لعيسى من غير بعل ، فاتهموا بها زكريا فهرب واختفى في شجرة عظيمة ،
فقطعوا الشجرة وقطعوا زكريا معها ، وكان عمره نحو مائة سنة . ولد المسيح
لمضي ثلاثمائة وثلاث سنين للاسكندر ، وقتل زكريا بعد ولادته فيكون مقتل
زكريا بعده بقليل .

ويحيى ابنه نبيء صغيراً ودعا الى عبادة الله تعالى ، ولبس الشعر واجتهد
حق نحل ، وكان عيسى قد حرّم نكاح بنت الأخ ، وكان لهردوس الحاكم على
بني اسرائيل بنت أخ ، أراد ان يتزوجها حسباً هو جائز في دين اليهود ،
فنهاه يحيى ، فطلبت أم البنت من هرديوس قتل يحيى ، فامتنع ، فعاودته هي
والبنت وألحت ، فأمر بيحيى فذبح لذيها ، قبل رفع المسيح بمدة يسيرة ، لأن
عيسى ابتداء بالدعوة وله ثلاثون سنة ، ولما امره الله ان يدعو الناس الى دين
النصارى ، غمسه يحيى في نهر الأردن ، ولعيسى نحو ثلاثين سنة ، وخرج من
الغمس وابتداء بالدعوة ، وجميع ما لبث المسيح بعد ذلك ثلاث سنين ، فذبح
يحيى كان بعد مضي ثلاثين سنة من عمر عيسى ، وقيل رفعه ورفع عيسى بعد
ذبوته بثلاث سنين ، والنصارى تسمي يحيى يوحنا المعمدان ، لكونه عمد
المسيح .

ذكر عيسى بن مريم عليهما السلام

مريم أمها حنة زوج عمران ، كانت حنة لا تسد واشتهت الولد ، فدعت
ونذرت ان رزقت ولدا جعلته من سدنة بيت المقدس ، فحملت حنة وهلك
زوجها عمران ، وهي حامل ، فولدت بنتاً سمّتها مريم ، ومعناه العابدة ، ثم
حملتها وأتت بها المسجد ووضعها عند الأحبار وقالت : دونكم هذه المنذورة
فتنافسوا فيها لأنها بنت عمران ، وكان من أئمتهم ، فقال زكريا أنا أحق بها
لأن خالتها زوجتي ، فأخذها زكريا وضمها إلى ايساع خالتها وكان ما قدّمناه ،
وولدت مريم عيسى في بيت لحم سنة أربع وثلاثمائة لعلبة الاسكندر «فأتت به

قومها تحمله ، قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً ، وأخذوا الحجارة ليرجموها ، فتكلم عيسى وهو في المهد معلقاً في منكبها « قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً » فلما سمعوا كلام ابنها تركوها ، ثم أخذته مريم وسارت به الى مصر ، مع ابن عمها يوسف النجار بن يعقوب بن ماثان ، وكان نجاراً حكيماً ، ويزعم بعضهم أن يوسف كان تزوج مريم ، لكن لم يقربها ، وهو أول من أنكر حملها ثم تحقق براءتها وسار معها الى مصر ، وأقاما هناك اثني عشرة سنة ، ثم عاد عيسى وأمه إلى الشام ، ونزلا الناصرة ، وبها سميت النصارى ، أقام بها حتى بلغ ثلاثين سنة فأرسل .

لما صار له ثلاثون (١) ، سار الى الأردن وهو شريعة الغور ، فاعتمد وابتدأ بالدعوة لسته ايام خلت من كانون الثاني ، لمضي سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة للاسكندر ، واطهر عيسى المعجزات : فأحيا عازار بعد ثلاثة ايام من موته ، وجعل من الطين طيراً (٢) ، وابرأ الاكمه والأبرص ، ومشى على الماء ، وانزل الله عليه المائدة ، وأوحى اليه الانجيل (٣) .

وقال ابن سعيد: ولما أعلم الله المسيح انه خارج من الدنيا جزع من ذلك ، فدعا الحواريين وصنع لهم طعاماً وقال لهم احضروني الليلة فان بي إليكم حاجة ، فلما اجتمعوا بالليل عشاهم وقام يخدمهم ، فلما فرغوا من الطعام أخذ

(١) من كتاب ابي عيسى .

(٢) قيل هو الخفاش .

(٣) من كتاب ابن سعيد المغربي: لبس عيسى الصوف والشعر وأكل من نبات الأرض وربما تقوت من غزل أمه ، والحواريون الذين اتبعوه اثنا عشر وهم شمعون الصفا وشمعون القناني ويعقوب بن زندي ويعقوب بن حلقى وقولوس ومارقوس واندرواس وتمريللا ويوحنا ولوقا وقوما ومتى وهؤلاء هم سألوه نزول المائدة فسأل ربه فأنزله سفره حمراء مغطاة بئديل فيهما سمكة مشوية وحولها البقول ما خلا الكراث ، وعند رأسها الملح وعند ذنبها خل ومعهما خمسة أرغفة على بعضها زيتون وعلى باقيها رمان وتمر ، فأكل منها خلق كثير ولم تنقص ولم يأكل منها ذر عانة إلا برأ ، كانت تنزل يوماً وتغيب يوماً أربعين ليلة .

يفسل أيديهم ويمسحها بثيابه ، فتعاضموا ذلك ، فقال : من ردّ عليّ شيئاً مما أصنع فليس مني ، فتركوه حتى إذا فرغ قال : إنما فعلت ذلك ليكون لكم أسوة بي في خدمة بعضكم بعضاً ، وأما حاجتي إليكم فإن تجتهدوا لي في الدعاء إلى الله أن يؤخر أجلي .

فلما أرادوا ذلك ألقى الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا الدعاء ، وجعل المسيح يوقظهم ويؤنبهم ، فلا يزدادون إلا نوماً وتكاسلاً ، وأعلموه أنهم مغلوبون عن ذلك ، فقال المسيح : سبحان الله يذهب بالراعي فتتفرق الغنم . ثم قال لهم : والحق أقول لكم ليكفرنّ بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ، وليبيني أحدكم بدرهم بسيرة ، ويأكلنّ ثمنني .

وكانت اليهود قد جدت في طلبه ، فعرض بعض الحواريين إلى هرودس الحاكم على اليهود ، وإلى جماعة من اليهود وقال : ما تجعلون لي إذا دللتكم على المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً ، فأخذها ودلّم عليه . فرفع الله تعالى المسيح إليه وألقى شبهه على الذي دلّم عليه ، واختلف العلماء في موته قبل رفعه ، فقيل : رفع ولم يمّت ، وقيل توفاه الله ثلاث ساعات ، وقيل سبع ساعات ثم أحياه ، وتناول قائل هذا قوله تعالى إني متوفيك .

وربط اليهود الشخص المشبه به وقادوه بحبل ، ويقولون له : أنت كنت تحيي الموتى أفلا تخلص نفسك من هذا الحبل ، ويبصقون في وجهه ، ويلقون عليه الشوك ، وصلبوه على الخشب ست ساعات ، ثم استوهبه يوسف النجار من الحاكم الذي كان على اليهود واسمه فيلاطون ، ولقبه هرودوس ، ودفنه يوسف في قبر كان يوسف قد أعده لنفسه .

وأنزل الله المسيح من السماء إلى أمه مريم وهي تبكي ، فقال لها : إن الله رفعني إليه ولم يصبني إلا الخير . وأمرها فجمعت له الحواريين فبشهم في الأرض

رسلاً عن الله ، وأمرهم أن يبلغوا عنه ما أمره الله به . ثم رفعه الله إليه وتفرق
الحواريون حيث أمرهم . وكان رفعه لمضي ثلثمائة وست وثلاثين سنة من غلبة
الإسكندر على دارا .

قال الشهرستاني : ثم ان أربعة من الحواريين متى ولوقا ومرقس ويوحنا
اجتمعوا وجمع كل واحد منهم إنجيلاً ، وخاتمة إنجيل متى أن المسيح قال : إني
أرسلتكم الى الأمم كما أرسلني أبي إليكم ، فاذهبوا وادعوا الأمم باسم الأب والابن
وروح القدس . قلت : تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وكان بين رفع المسيح
ومولد النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة وخمس وأربعون سنة تقريباً ؛ وكانت
ولادة المسيح أيضاً لمضي ثلاث وثلاثين سنة من أول ملك أغسطس ، ولمضي
إحدى وعشرين سنة من غلبته على قلوبطرا ، لأن أغسطس لمضي اثنتي عشرة
سنة من ملكه سار من رومية وملك ديار مصر ، وقتل قلوبطرا ملكة اليونان ،
وبعد إحدى وعشرين سنة من غلبته على قلوبطرا ، ولد المسيح عليه السلام ،
وقيل غير ذلك لكن هذا الأقوى .

وكانت مدة ملك أغسطس ثلاث وأربعون سنة ، وعاش المسيح الى أن رفع
ثلاثاً وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ، فيكون رفع المسيح بعد موت أغسطس بثلاث
وعشرين سنة ، في أواخر السنة من ملك غانيوس ؛ وسنذكر أمة عيسى
النصارى ، مع باقي الأمم في الفصل الخامس ، ومريم أم عيسى عاشت نحو ثلاث
وخمسين سنة ، حملت بالمسيح ولها ثلاث عشرة سنة ، وعاشت مجتمعة معه ثلاثاً
وثلاثين سنة وكسراً ، وبقيت بعد رفعه ست سنين ، واعلم أنه لما ظهر المسيح
أراد هردوس قتله ، واسم هردوس فيلاطوس ، فرفع وجري ما تقدم ذكره .

وكان عمر المسيح عند موت أغسطس عشر سنين تقريباً ، ورفع بعد موت
أغسطس بنحو ثلاث وعشرين سنة ، والذي ملك بعد أغسطس طيباريوس اثنتين
وعشرين سنة ، ثم غانيوس أربع سنين ، ثم فلوذيوس أربع عشرة سنة ، ثم

يارون ثلاث عشرة سنة ، ثم ملكك ملك آخر قيل اسمه أوشاسبانوس وقيل
اسفسيشوس عشر سنين ، ثم ملك بعده طيطوس ، وفي السنة الأولى من ملكه
قصد بيت المقدس ، وأوقع باليهود وقتلهم وأسره عن آخرهم ، إلا من اختفى ،
ونهب القدس وأحرق الهيكل وأحرق كتبهم ، وخلا القدس من بني اسرائيل
كأن لم تغن بالأمس ، ولم تعد لهم بعد ذلك رياسة ولا حكم ، وذلك بعد رفع
المسيح بنحو أربعين سنة . فخراب بيت المقدس ثانياً وتشتت اليهود التشتت
الذي لم يعودوا بعده لأربعين سنة من رفع المسيح ، ولثلاثمائة وست وسبعين من
غلبة الإسكندر ، ولثمانمائة وإحدى عشرة لابتداء ملك بخت نصر ، فلبث بيت
المقدس على عمارته الأولى كذلك الى أن خربه بخت نصر أربعمائة وثلاثاً
وخمسين سنة ، ثم لبث على التخريب سبعين سنة ، ثم عمر ولبث على عمارته الثانية
الى حين خربه طيطوس التخريب الثاني سبعمائة وإحدى وعشرين سنة (١) .

وخلاصة ما ذكر أن هيكل بيت المقدس عمره سليمان وبقي حتى خربه
بخت نصر أولاً ثم عمره كورش ثانياً ، وبقي حتى خربه طيطوس ثانياً ثم تراجع
للعماره قليلاً قليلاً حتى خربته هيلانة أم قسطنطين ثالثاً ، ثم عمره عمر رضي الله
عنه رابعاً ، ثم خرب وعمره الوليد خامس عماره وهي الى الآن .

(١) في العزيزي للحسن بن أحمد المهلب في المسالك والممالك : أن بيت المقدس بعد أن خربه
طيطوس ثانياً كما مر تراجع الى العماره قليلاً قليلاً وترمم ، واستمر عامراً ، وهي عمارته الثالثة ،
حتى سارت هيلانة أم قسطنطين الى القدس في طلب خشبة المسيح التي زعم النصارى صلب
المسيح عليها ، ولما وصلت الى القدس بنت كنيسة قمامة على القبر الذي زعم النصارى أنه قبر
عيسى ، وخربت هيكل بيت المقدس وأمرت أن تلقى فيه قمامات البلد وزبالته ، فصار موضع
الصخرة مزبلة ، وبقي كذلك حتى قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفتح القدس فدلّه
بعضهم على موضع الهيكل ، فنظفه عمر من الزبائل وبنى به مسجداً الى أن تولى الوليد بن
عبد الملك ، فهدم المسجد وبنى على الأساس القديم المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وبنى هناك
قباباً أيضاً سمى بعضها قبة الميزان وبعضها قبة المعراج وبعضها قبة السلسلة والأمر على ذلك الى
يومنا هذا .

الفصل الثاني

في ذكر ملوك الفرس

كان ملوك الفرس أعظم ملوك الأرض قديماً، وترتيبهم لا يماثلهم غيرهم فيه،
وهم أربع طبقات :

طبقة أولى : يقال لها الفيشدادية ، لأن كل واحد منهم يقال له فيشداد ،
ومعناه أول سيرة المعدل ، وهم تسعة : أوشنج ، وطهمورث ، وجمشيد ،
وبيوراسب^(١) ، وافريدون بن القيان ، ومنوجهر ، وافراسياب ، وكرشاسب ،
وزو ، هذه طبقة قديمة .

طبقة ثانية : يقال لهم الكيانية ، أي في أول أسمائهم لفظة كي للتنزيه^(٢) ،
وهم تسعة أيضاً: كيقباد ، وكيكائوس ، وكينخسرو ، وكيلهراسب ، وكيشاسف ،
وكي ازدشيربهمن وهماي بنت ازدشيربهمن ، ودارا الأول ، ودارا الثاني^(٣) .

(١) وهو الضحاك .

(٢) معناها الروحاني ، وقيل الجبار .

(٣) هو الذي قتله الاسكندر واستولى على ملكه .

طبقة ثالثة : وهم بعض ملوك الطوائف ، ويقال لهم الاشغانية ، وعدتهم أحد عشر : اشغان بن اشغان ويقال اشك بن اشكان ، وشابور بن اشغان ، وأورمز بن اشغان ، وبيزن الاشغاني ، وجودرز الاشغاني ، ونرسي الاشغاني ، وهرمز الاشغاني ، وخسرو الاشغاني ، وبلاش الاشغاني ، واردوان الأصغر الاشغاني .

طبقة رابعة : وهم الأكاسرة ، لأن كل واحد يقال له كسرى ^(١) ، وملك منهم عدة من النساء بعد الهجرة ، واستولى عليهم غيرهم من الفرس وأولهم ازدشير بابك وآخرهم يزدجرد ، قتل أيام عثمان رضي الله عنه كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

ذكر الطبقة الأولى

وهم الفيشدادية - أولهم أوشهنج ، وهو أول من رتب الملك ووضع الخراج . ملكه بعد الطوفان بمائتي سنة ، وقيل كانوا قبل الطوفان وكذا تقول الفرس ، وينكرون الطوفان ويزعمون أن ملك ملوكهم لم ينقطع ، ولم يشتهر بعد أوشهنج غير طهمورث وبينه وبين أوشهنج عدة آباء وسلك سيرة جده ، وهو أول من كتب بالفارسية . وبعده جمشيد ^(٢) أخو طهمورث لأبويه ، وجم القمر وشيد الشعاع أي شعاع القمر ، وكذلك يسمون خورشيد أي شعاع الشمس فحور اسم الشمس .

ملك جمشيد الأقاليم السبعة وزاد في صلاح السيرة ، وأحدث النيروز عيداً يتنعمون فيه ، ووضع لكل أمر من الأمور خاتماً مخصوصاً ، فكتب على خاتم الحرب : الرفق والمدارة ، وعلى خاتم الخراج : العدل والعمارة ، وعلى خاتم البريد والرسول : الصدق والأمانة ؛ وعلى خاتم المظالم : السياسة والانتصاف ؛

(١) ويقال لهم الساسانية نسبة الى جدم ساسان .

(٢) يجيم مفتوحة وشين منقوطة ومثناة تحت وذال منقوطة .

وبقيت رسوم تلك الخواتم حتى محاربا الإسلام ، ثم بدّل سيرته بالتكبر والجبرية على وزرائه وقواده وآثر اللذات ، فتبعه بيوراسب حتى قتله بالمنشار .

ثم ملك بيوراسب (الضحاك) ^(١) ، وسار بالعنف والفجور والمكس واللّهو ، وكان على منكبيه سلعتان يحركهما إذا شاء ، فادعى أنها حيتان تهويلا ، ولما اشتد جوره ظهر بأصفهان (كابي) قتل له الضحاك ابنين ، فأخذ كابي عصا وعلق بطرفها جراباً ، ويقال كان حداداً ، والذي علقه نطع الحدادة ، وحض الناس على مجاهدة بيوراسب ، واستفعل أمره وبقي ذلك العلم عند الفرس ، ورصعوه بالجواهر وسموه (درفش كابينان) ، فهرب بيوراسب وأبى كابي أن يتملك ، لكونه ليس من بيت الملك ، وأمرهم فملكوا أفريدون بن القيان من أولاد جمشيد ، واحتوى على منازل بيوراسب وأمواله ، وأسره بدماوند وقتله .

وكان النبي إبراهيم عليه السلام في أواخر أيام الضحاك ، ولذلك زعم قوم أنه نمرود أو أن نمرود عامل من عماله ، ويزعم كل من الفرس والسريان والعرب أن الضحاك منهم . وكان إبراهيم في أول ملك أفريدون ، وقيل هو ذو القرنين ، وسار في الناس بأحسن سيرة وردّ مظالم الضحاك ، وكان لأفريدون ثلاثة أولاد فقسم الأرض بينهم أثلاثاً : أحدهم (ايرج) جعل له العراق والهند والحجاز ، وجعله صاحب التاج والسرير ، وولاه على أخويه . والثاني (سلم) جعل له الروم وديار مصر والمغرب . والثالث (طوج) جعل له الصين والترك والمشرق جميعه .

لما مات أفريدون ، وثب طوج وسلم على ايرج فقتلاه واقتسما بلاده ، وملكا الأرض . ونشأ لايرج ابنه منوجهر حقد على عميه ، وتغلب على ملك أبيه

(١) ويقال له الدهاك ، معناه عشر آفات ، فمرب فصيل الضحاك .

وتقوى وسار نحو الترك فقتل طوج ثم قتل سلم عميه ، وأدرك ثار أبيه منها .
ثم نشأ من ولد طوج ابنه (أفراسياب) حشد وحارب منوجهر بن ايرج ،
وحاصره بطبرستان ، ثم اصطلمها وجعلها نهر بلخ حداً بينها .

وفي أيام منوجهر ظهر موسى ، وذكروا أن فرعون موسى ، وهو الوليد بن
الريان كان عاملاً لمنوجهر ثم هلك منوجهر ، فتغلب أفراسياب على ملك فارس ،
وأفسد وخرب ؛ ثم ظهر (زو) بن طهماسب من أولاد منوجهر ، فطرد
أفراسياب الى بلاد الترك بعد حروب ، وأحسن السيرة وعمر وأصلح واستخرج
للسواد نهر الزاب ، وبنى على حافته مدينة ، وكان وزيره كرشاسف من أولاد
طوج بن افريدون ، وقيل اشتركا في الملك .

ذكر الطبقة الثانية

وهم الكيانية ، ملك بعد هلاك كرشاسف كيقباد بن زو وأشبه أباه في الخير
وعماره البلاد ، ثم هلك وملك بعده (كيكوس) بن كينيه بن كيقباد المذكور ،
فشدد على أعدائه ، وقتل خلقاً من عظماء البلاد ، وله ابن اسمه سياوش (١) كان
في نهاية الجمال سلمه أبوه الى رستم الشديد نائب مملكة سجستان ، فرباه كما ينبغي
وأتى به الى والده كيكوس وهو في نهاية الأدب والفروسية ، ففرح به وولاه
مملكته .

وكان لكيكوس زوجة مبدعة الحسن فهويت سياوش وأعلمته ، فامتنع ،
وراجعته حتى طاوعها ، وت عاشقا تعاشقا شديداً مبرحاً ، وفي الآخر علم
كيكوس بذلك ، فمنع ابنه من الدار وضربها وحبسها ، ثم ترضاها فأرسلت مع
بعض الخصيان الى سياوش تقول : إن عاهدتني أن تزوج بي قتلت أباك ، فعرف

(١) بسين مهملة والأخرى منقوطة .

الخصي كيكوس بذلك ، فحبسها ومنع سياوش الدخول إليه ، فسأل سياوش رستم الذي رباه أن يشفع إليه ، وأن يرسله الى حرب أفراسياب ملك الترك فأرسله مع جيش فصالحه أفراسياب على ما أراد ، وأرسل الى أبيه يعلمه بذلك ، فأنكر عليه وقال : لا بد من الحرب . فلم يمكن سياوش الغدر بأفراسياب ولا الرجوع الى والده لما ذكر ، فهرب سياوش الى أفراسياب ، فأكرمه وزوجه ابنته .

ثم ان أولاد أفراسياب أغروا والدم بقتل سياوش ، وخوفوه عاقبته فقتله ، وبنت أفراسياب حبلى منه ، فأراد أبوها قتلها ثم تركها فولدت ابناً ، وسمع كيكوس بذلك فقتل زوجته لكون ذلك بسببها ، وأرسل شطاراً في زي التجار بالمال فسرقوا له ابن سياوش وزوجته ، واسم الولد كيخسرو ، ثم ان كيكوس قرر الملك لابن ابنه كيخسرو وهلك .

واستمر كيخسرو ملكاً وقوي ، فقصد جده أبا أمه أفراسياب ، طالباً ثأر أبيه سياوش ، وجرت حروب ، وفي الآخر ظفر كيخسرو بأفراسياب وأولاده وعسكره ، فقتلهم ونهب الأموال . ولما أخذ ثأره واستقر ملكه ، تزهد وخرج عن الدنيا ، فسأله وجوه الدولة أن يعين من يختاره ملكاً ، وكان هراسف حاضراً وهو من مراز بته ، فجعله وصيه . وأقبل الناس عليه وفقد كيخسرو ، ومدة ملك كيخسرو ستون سنة .

ولما ملك هراسف ، ويقال هو ابن أخي كيكوس ، اتخذ سريراً ذهباً مرصعاً بالجواهر ، وبنيت له بخراسان بلخ وسكنها لقتال الترك . وفي زمن هراسف كان (بنجت نصر) جعله هراسف اصهبداً على العراق والاهواز والروم وغربي دجلة ، فأتى دمشق وصالحه أهلها وصالحه بنو إسرائيل بالقدس ثم غدروا به ، فقتل وخرب القدس ، وارتكب ما تقدم ذكره في مصر والمغرب وفلسطين والأردن ، وحصل مع بنجت نصر من بني إسرائيل دانيال النبي وغيره من أولاد الأنبياء ،

وحمل الى هراسف من المغرب والشام والقدس أموالاً عظيمة ، واختلف المؤرخون في بخت نصر فقيل كان مستقلاً بنفسه ، وقيل كان نائباً للفرس ، والأصح أنه كان نائباً لهراسف . وغزا بخت نصر العرب ، وكان في زمن معد بن عدنان ، فقصده طوائف من العرب مسلمين ، فأحسن إليهم وأنزلهم شاطئ الفرات ، وبنوا موضع معسكرهم وسموه الأنبار .

رؤيا بخت نصر

وفي كتب اليهود والمؤرخين من المسلمين أن بخت نصر رأى في نومه صنماً رأسه من ذهب و صدره وذراعا من فضة وبطنه وفخذه من نحاس ، وساقاه وقدماه من حديد ، وأصابع قدميه بعضها حديد وبعضها خزف ، وان حجارة انقطعت من جبل من غير يد قاطعة لها ، وصكت الصنم فاندق الحديد والنحاس وغيره ، وصار جميع ذلك مثل الغبار وألوت به ريح عاصفة ، ثم صارت الحجارة التي صكت الصنم جبلاً عظيماً امتلأت منه الأرض كلها ، فقال بخت نصر : لا أصدق تعبير ما رأيته إلا ممن يخبرني بما رأيت .

و كتم بخت نصر ذلك ، وسأل العلماء والسحرة والكهنة عن ذلك ، فلم يطق أحد أن ينبئه بذلك حتى سأل دانيال ، فنبأه دانيال بصورة رؤياه كما رآه بخت نصر ، ولم يخل منها بشيء . ثم عبرها له دانيال فقال : الرأس ملكك ، وأنت بين الملوك بمنزلة رأس الصنم الذهب ، والذي يقوم بعدك دونك بمنزلة الفضة من الذهب ، ثم يكون كل متأخر أقل ممن قبله مثل ما ان النحاس دون الفضة ، والحديد دون النحاس ، وأما الأصابع التي بعضها حديد وبعضها خزف فإن المملكة تصير آخر الوقت مختلطة مختلفة ، بعضها قوي وبعضها ضعيف ، ثم ان الله تعالى يقيم بعد ذلك مملكة لا تبديد الى آخر الدهر ، هذا تعبير رؤياك . فخر بخت نصر ساجداً لدانيال ، وأمر له بالخلع وأن يقرب له القرابين . قيل تولى

بخت نصر سبعا وخمسين سنة وشهراً وثمانية أيام ، وتفسير بخت نصر بالعربية عطاردهو ينطق ، سمي بذلك لتقريبه الحكماء والعلماء وحبه العلم .

ولما هلك بخت نصر ولي ملك الفرس بعده ابنه أولاق سنة واحدة وقتل ، ثم ابنه بلطشاصر منتين ، وجلس للشراب واحتفل وجمع في مجلس عمله ألف نفس من أصحابه ، وجعل فيه من آنية الذهب ما يفوق الحصر ، فرأى على ضوء الشمع يد إنسان تكتب على الحائط فتغير بلطشاصر واضطرب ، واصطكت ركبته ، فدعا دانيال وأخبره بذلك ، فقال : إنك لما عظمت الذهب والفضة والخشب والحديد وليس فيها ما ينصرك ، ولم تعظم الإله الذي بيده نسمتك وروحك ، وجميع تصاريف أمرك ، أرسل كف يد كتبت ما معناه اكشف واعر ، أي أن مملكتك كشفت وعريت ، وجعلت لأهل فارس . فقتل بلطشاصر في تلك الليلة وبه انقرضت دولة بني بخت نصر .

عدنا الى سياق ملك هراسف . . ثم ملك بعده ابنه (كي كشتاسف) ، ويزعمون أنه باق في كنگد وهو بني مدينة نسا ، وظهر في أيامه (زرادشت) (١) . وتوقف كشتاسف عن الدخول في دينه ، ثم صدقه ودخل فيه ، وبين كشتاسف وبين ارجاسف ملك الترك حروب عظيمة ، وقتلى كثيرون بسبب زرادشت ودخول كشتاسف في دينه ، وانتصر كشتاسف على ارجاسف . ثم ان كشتاسف تنسك وانقطع للعبادة في جبل طميدز ، ولقراءة كتاب زرادشت ، ثم فقدوا صفنديار بن كشتاسف هلك في حياة أبيه وخلف ولداً اسمه (ازدشير بهمن) فملك حتى ملك الأقاليم السبعة (٢) .

(١) بزاي وراء والشين منقوطة ساكنة ، وهو صاحب كتاب الجوس .
(٢) من كتاب أبي عيسى : ازدشير بهمن اسمه بالعبرانية كورش ، هو الذي أمر بعمارة بيت المقدس وعود بني اسرائيل اليه ، ولا دليل على أن ازدشير هو كورش أقوى من كلام اشعيا النبي عليه السلام ، فانه يقول في الفصل الثاني والعشرين من كتابه حكاية عن الله تعالى ، أنا القائل لكورش داعي الذي يتم جميع محياتي ويقول لأورشليم عودي مبنية ، ولهيكلها كن مزخرفاً ←

وكان ازدشير كريماً متواضعاً علامته على كتبه من « ازدشير بهمن عبد الله وخادم الله والسائس لأمركم ». وغزا رومية في ألف ألف مقاتل ، وبقي كذلك إلى أن هلك ، ومعنى بهمن الحسن النية ، وكان بهمن متزوجاً بابنته هماي على رأي الجوس ، فتوفي بهمن وهي حامل منه بدارا ، وأوصى بهمن أن يعقد التاج على ما في بطنها ، ويخرج ابنه ساسان من الملك ، وساست هماي الملك بعده ولحق ساسان باصطخر ، وتزهد واتخذ غنماً يرعاها بنفسه ، وهذا ساسان أبو الأكاسرة ، ثم وضعت هماي ولداً سمته دارا ، ابنها وأخوها ، ولما اشتد سلت إليه الملك وعزلت نفسها ، فضبط دارا وساس ، وولد له ابن سماه دارا بن دارا ، ثم هلك .

وولي (دارا) بن دارا ، وكان حقوداً ظالماً ، فنفرت عنه القلوب . وفي زمان دارا تملك الاسكندر المشهور بن فيلقوس ، فعرف سيرة دارا ونفرة القلوب عنه فسار نحوه يبيشه ، فلحق به كثير من أصحاب دارا ، واقتتلا ثم وثب بعض أصحاب دارا على دارا فقتلوه ، وأتوا الى الاسكندر فقتلهم عن آخرهم ، وصار ملك دارا إلى الاسكندر .

ع

ذكر الاسكندر

كان الاسكندر بن فيلقوس أبوه أحد ملوك اليونان وكانوا طوائف ، فلما ملك الاسكندر غزاهم وجمع ملكهم ثم غزا دارا المذكور ، ثم الهند وتناول أطراف الصين ، ثم انصرف الى الاسكندرية وكان بناها ، فهلك بناحية السواد

→ مزيناً ، هكذا قال الرب لمسيحه كورش ، الذي أخذ بيمينه لتدبير الأمم ، وتنحني لك ظهور الملوك سائراً بفتح الأبواب أمامه فلا تغلق ، وأسير أنا قدامك ، وأسهل لك الوعور ، وأكسر أبواب النحاس ، وأحبوك بالذخائر التي في الظلمات . ولم يكن أحد في ذلك الزمان بهذه الصفة التي ذكرها اشعيا ، أعني ملك الأقاليم والحكم على الأمم وغير ذلك مما ذكره ، غير ازدشير بهمن فتعين أن يكون هو كورش .

وقيل بشهر روذ وعمره ست وثلاثون سنة ، فحمل في تابوت ذهب الى أمه ،
وكان ملكه نحو ثلاث عشرة سنة ، واجتمع بعده ملك الروم ، وكان متفرقاً
وافترق ملك فارس وكان مجتمعاً . مرض الاسكندر بالخنزوق ، وقيل بالسّم ،
وهو صاحب أرسطاطاليس وتلميذه ، وأرسطو الذي أشار عليه بعدم قتل
الفرس ، وأن يولي أكابرهم ومن يصلح للملك كل واحد برأسه مملكة ، ليحصل
بينهم التباغض ، ولا يجتمعوا على أحد ، ففعل فصار منهم ملوك الطوائف . وكان
الاسكندر أشقر أزرق ، وكان اليونان قبله طوائف ، فأول ما تملك غزاهم وقتل
ملوكهم ، واجتمع له جميع مملكة اليونان والروم ، ولما اجتمع له مملكة المغرب
بني الاسكندرية .

وسار يريد الشرق وقتال دارا ، ومر في طريقه على بيت المقدس ، وأكرم
بني إسرائيل ، ثم سار الى فارس واستولى على ملك الفرس ، وقتل دارا كما مر ،
وقيل انه انصرف من المشرق الى جهة الشمال ، وبنى السد على يأجوج ومأجوج .
والصحيح أن الاسكندر المذكور لم يكن منه ذلك ، بل ذو القرنين المذكور في
القرآن وهو ملك قديم على زمن ابراهيم الخليل ، قيل أنه افريدون ، وقيل
غيره ، وغلط من ظن أن باني السد هو الاسكندر الرومي ، ولذلك استفاض
على الألسنة أن لقب الاسكندر ذو القرنين ، وهذا أيضاً غلط فإن لفظة ذو
عربية محضة ، وذو القرنين من ألقاب العرب وملوك اليمن ، وكان منهم ذو
جدب وذو كلاع وذو نواس وذو شناتر ، وذو القرنين الصعب بن الرائش واسم
الرائش الحارث بن ذي سدد بن عاد بن الماطاط بن سبا ، وقيل ان ذا القرنين
الصعب هو الذي مكن الله له في الأرض وبني السد (١) .

(١) مما نقله ابن سعيد المغربي أن ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن ذي القرنين الذي
ذكره الله في كتابه ، فقال : هو من حمير . وهذا مما يقوي أنه الصعب المذكور لأنه كان ملكاً
عظيماً من ولد حمير .

ولما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه فأبى وتنسك ، فانقسمت ممالك الاسكندر بين ملوك الطوائف وبين ملوك اليونان ، كما سيأتي في الفصل الثاني ، وبين غيرهم .

ذكر ملوك الطوائف

أشار أرسطاطاليس على الاسكندر بما تقدم من تولية الملوك في الفرس قصد التباغض والتشاحن ، فملك من كبار الفرس عشرين ملكاً عليهم ، وهم المسمون ملوك الطوائف ، واستمروا خمسمائة سنة واثنى عشرة سنة ، حتى قام ازديشير ابن بابك فجمع ملك الفرس ، وكانت عدة ملوك الطوائف تزيد على تسعين ملكاً ، ولم تؤرخ في مبتدأ أمرهم أسماءهم ولا مُدد ملكهم ، فإنهم ملوك صغار في الأطراف . وعظم بعد الاسكندر ملك اليونان فكان الحكم لهم ، فلذلك ذكروا بعد الاسكندر في التواريخ دون ملوك الطوائف ، وبقي الأمر كذلك حتى اشتهرت الملوك الأشفانية من بين ملوك الطوائف .

ذكر الطبقة الثالثة من الفرس

وهم الأشفانية . أول من اشتهر منهم (اشفا بن اشغان) ملك لمضي مائتين وست وأربعين لقلبة الاسكندر ، وملك اشفا عشر سنين ، فانقضت ملكه لمضي مائتين وست وخمسين سنة للاسكندر . ثم ملك بعده (شابور) بن اشغان ستين سنة ، ومولد المسيح سنة بضع وأربعين خلت من ملك شابور ، وانقضت ملك شابور لمضي ثلاثمائة وست عشرة سنة للاسكندر . ثم ملك بعده (جور) بن اشغان ، وقيل جودرز عشر سنين ، وهلك لمضي ثلاثمائة وست وعشرين سنة للاسكندر . ثم ملك (بيزن) الأشفاني إحدى وعشرين سنة ، وهلك لمضي ثلاثمائة وسبع وأربعين . ثم ملك (يزدجرد) الأشفاني تسع عشرة سنة ، وهلك

لمضي ثلثمائة وست وستين . ثم ملك (نرسي) الأشغاني أربعين سنة ، وقال يوم ملك إني محب ومكرم من أنفذ أمري ، وهلك لمضي أربعمائة وست سنين . ثم ملك (هرmez) الأشغاني تسع عشرة سنة وهلك لمضي أربعمائة وخمس وعشرين سنة ، وقال يوم ملك يا معشر الناس اجتنبوا الذنوب كيلا تذلوا بالمعاذير . ثم ملك بعده (أردوان) الأشغاني اثنتي عشرة سنة ، وهلك لمضي أربعمائة وسبع وثلاثين سنة . ثم ملك (خسرو) الأشغاني أربعين سنة ، وقال يوم ملك لتسطع ناري ما دامت مضطربة ، وهلك لمضي أربعمائة وسبع وسبعين سنة للاسكندر . ثم ملك بعده (بلاش) الأشغاني أربعاً وعشرين سنة ، وهلك لمضي خمسمائة وسنة . ثم ملك بعده (أردوان) الأصغر وظهر أمر ازدشير بن بابك ، وقيل أردوان المذكور وغيره من الأردوانيين ، واجتمع له ملك جميع الطوائف ، فيكون انقضاء ملك أردوان لمضي خمسمائة واثنتي عشرة سنة لغلبة الاسكندر ، ويكون ملكه إحدى عشرة سنة ، وقيل ملك أردوان ثلاث عشرة سنة .

ذكر الطبقة الرابعة

وهم الأكاسرة الساسانية . وأولهم ازدشير بن بابك ، وهو من ولد ساسان ابن ازدشير بهمن ، وازدشير بابك في أول ملكه ، أحد ملوك الطوائف ، تغلب على الأردوانيين لمضي تسعمائة وأربعين لابتداء ولاية بخت نصر ، ولمضي خمسمائة واثنتي عشرة لغلبة الاسكندر على دارا ، وهي مدة ملوك الطوائف ، فبين قيام ازدشير وبين الهجرة أربعمائة واثنتان وعشرون ، ورصد بطليموس قبل ازدشير بسبع وسبعين سنة ، وهذه مدة يمكن أن يعيشها بطليموس أو غالبها ، فليس بطليموس عن ازدشير ببعيد ، وجميع الأكاسرة الذين آخروهم يزجرد بن شهریار من ولد ازدشير ، قتل الأردوانيين جميعاً وضبط الملك ، وكان حازماً وكتب لابنه سابور عهداً ليكون له ولين بعده من أهل بيته يتضمن حكماً وتاموساً ،

وملك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر فموت في آخر سنة خمسمائة وسبع وعشرين لقلبة الاسكندر .

ثم ملك بعده ابنه (سابور) إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر ، وكان جيلاً حازماً ، ظهر في أيامه (ماني الزنديق) وادعى النبوة وتبعه خلق سمو المانوية ، ولما مضى من ملك سابور إحدى عشرة سنة فتح نصيبين من الروم ، وتوغل في بلادهم وهم على عبادة الأصنام قبل تنصرهم ، وافتتح من الشام بلاداً عنوة وقتل أهلها ، وسار نحو رومية فصانعه ملك الروم عرديانوس ، واعتنى سابور بجمع كتب الفلسفة لليونانيين ونقلها الى الفارسية ، وقيل في زمانه استخرج العود ، ومات لمضي أربعة أشهر من سنة تسع وخمسين وخمسمائة للاسكندر .

ثم ملك ابنه (هرمز) سنة وستة أشهر ، وكان عظيم الخلق قوياً يلقب البطل ، مات في أواخر سنة خمسمائة وستين للاسكندر .

ثم ملك ابنه (بهرام) بن هرمز ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، فأحسن ورفق ، ومات سنة أربع وستين وخمسمائة بعد مضي شهر منها .

ثم ملك ابنه (بهرام) بن بهرام سبع عشرة سنة فموت في أول سنة إحدى وثمانين وخمسمائة للاسكندر .

ثم ملك ابنه (بهرام) بن بهرام أربع سنين وأربعة أشهر ، فعدل وسام ، ومات سنة خمس وثمانين وخمسمائة بعد مضي سبعة أشهر منها .

ثم ملك أخوه (نرسي) بن بهرام تسع سنين فموت سنة أربع وتسعين وخمسمائة بعد مضي سبعة أشهر منها .

ذكر سابور بن هرمز (ذو الاكتاف) :

ثم ملك ابنه (هرمز) بن نرسي تسع سنين ، فهلاكه لمضي سبعة أشهر من

سنة ثلاث وستائة ، وخلف حملاً فعقدوا التاج على رأس الحمل فولد وسموه وهو (سابور) واشتد ونجب من صباه ، بلغه ازدحام الناس على الجسر على دجلة بالمداين ، فعمل الى جانب الجسر جسراً آخر ، ليكون هذا للداخلين وذاك للخارجين .

وفي صباه طمع العرب في بلاده وخرّبوا ، فلما بلغ ست عشرة سنة انتخب من عسكره عدة وسار بهم الى العرب ، وقتل من وجد منهم ، ووصل الحسا والقطيف ، وشرع يقتل ولا يفادي ، وورد المشقر وبه أناس من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس ، فسفك ما لا يحصى وسار الى اليمامة وسفك ، وما مر بباء للعرب إلا غوره ولا بشر إلا طمها ؛ ثم عطف على ديار بكر وربيعه فيما بين فارس والروم ، وصار ينزع أكتاف العرب ، فسُمي سابور ذا الأكتاف ؛ ثم غزا الروم ، وقتل وسبى ثم هادنه قسطنطين ملك الروم ، حتى توفي قسطنطين سنة خمس وأربعين مضت من ملك سابور .

وملكت بنو قسطنطين وهلكوا في مدة ملك سابور ، ثم ملك على الروم كليانوس وارتد الى الأصنام ، وقتل النصارى وخرّب الكنائس وأحرق الإنجيل ، وسار لقتال سابور ومعه العرب أيضاً لفعل سابور بهم ، ثم اقتتل كليانوس وسابور فانهزم سابور ، وقتلت الروم منهم واستولى كليانوس على مدينة سابور ، وهي طيسفون المعروفة بالمداين .

ثم استنجد سابور بالملوك المهورين لبلاده ، ورفع كليانوس عن طيسفون ، واستمر كليانوس مقيماً ببلاد الفرس ، وسمى سابور في الصلح ، فبينما كليانوس في فسطاطه إذ أصابه سهم غرب في فؤاده فقتله ، فهال الروم فقد ملكهم في بلاد عدوهم ، فقصدوا يونيانوس مقدم جيش كليانوس ، وكان يسر النصرانية ، ولم يرتد الى الأصنام معه ، وسأله أن يتملك عليهم فأبى يونيانوس وقال : لا أملك على قوم يخالفونني في الدين ، فعادوا الى النصرانية وادعوا أنهم إنما عبدوا

الأصنام خوفاً وتقية ، فملك يونيانوس وصالح سابور ، وسار إليه في جمع من أصحابه واجتمعا واعتنقا ، وانتظمت المودة بينها ، وعاد بالروم الى بلاده . واستمر سابور على ملكه حتى مات بعد اثنتين وسبعين سنة هي مدة ملكه ومدة عمره ، فموت سابور لمضي سبعة أشهر من سنة خمس وسبعين وستائة للاسكندر .

ثم ملك أخوه (ازدشير) بن هرمز أربع سنين أوصى سابور له بذلك لصغر ابن سابور ، ومات سنة تسع وسبعين وستائة للاسكندر .

ثم ملك بعده (سابور) بن سابور ذي الأكتاف خمس سنين وأربعة أشهر ، فأحسن السيرة ومات بسقوط فسطاطه عليه ، فموته لمضي أحد عشر شهراً من سنة أربع وثمانين وستائة للاسكندر .

ثم ملك أخوه (بهرام) بن سابور ذي الأكتاف إحدى عشرة سنة ويدعى كرمان شاه ، فأحسن الى أن قتله بعض الفرس بسهم ، لمضي أحد عشر شهراً من سنة خمس وتسعين وستائة للاسكندر .

٤

ذكر يزدجرد بن بهرام :

ثم ملك ابنه يزدجرد بن بهرام بن سابور ويلقب بالأثيم وبالخشن ، إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ، وكان كلقبه فعسف وسفك ، وصبروا عليه وطالت أيامه وهو يزداد جوراً ، فهلك برفسة فرس لمضي أربعة أشهر من سنة سبع عشرة وسبعمائة ، وكان له ولد اسمه بهرام جور أسلمه أبوه الى المنذر ملك العرب ليربيه بظهر الحيرة ، فنشأ هناك وقدم على أبيه قبل هلاكه ، وبهرام جور في غاية الأدب والفروسية فأهابه أبوه ، فطلب العود الى العرب فأمره بذلك ، ومات أبوه وهو عند المنذر ، فاجتمع الفرس على تملك غير ولد يزدجرد ، لما قاسوا منه ، وأيضاً لتخلق بهرام جور بأخلاق العرب ونشأته فيهم ، فولوا شخصاً يسمى كسرى من ولد ازدشير ، وبلغ ذلك بهرام جور فانتصر بالمنذر

وابنه النعمان . وتملك بهرام جور موضع أبيه ، ويحكى عنه فرط في القوة ، وهلك بالتوحد في سبحة بسبب طرد صيد وعدم ، وكان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً ، فيكون هلاكه لمضي ثلاثة أشهر من سنة إحدى وأربعين وسبعمائة .

ثم ملك ابنه (يزدجرد) بن بهرام جور ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر وقمع الأعداء وعمّر البلاد ، ثم هلك لمضي سبعة أشهر من سنة تسع وخمسين وسبعمائة ، وخلف ابنين هرمز وفيروز ، فتملك (هرمز) سبع سنين ، وظلم واحتجب ، وهرب أخوه فيروز منه الى الهياطلة وراء خراسان ، وهي طخارستان ، واستعان بملكهم على أخيه هرمز ، فأنجده واقتل في الري فظفر فيروز بأخيه هرمز ، فسجنه ، وأمها واحدة ، فانقضاء ملك هرمز في سنة ست وستين وسبعمائة للاسكندر .

ثم ملك (فيروز) بن يزدجرد بن بهرام جور سبعمائة وعشرين سنة ، فأحسن وحصل في أيامه غلاء وقحط ، وغور الأعين ويبس النبات وهلاك الوحش مدة سبع سنين ، ثم أغاثهم الله تعالى وحسن الحال ، وملك الهياطلة حينئذ اسمه الاخشنواز ، ووقع بينه وبين فيروز بسبب ابن فيروز خطب بنت الاخشنواز فلم يزوجه ، فسار فيروز الى الهياطلة ، وذكر لهم ذنباً منها أنهم يأتون الذكران ، ولم يظفر منهم بشيء ، وتردى فيروز في خندق عمله الهياطلة وغطس ، فوقع فيه وجماعة فهلكوا ، واحتوى اخشنواز على جميع ما كان في معسكره ، فيكون هلاك فيروز في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .

ثم ملك ابنه (بلاش) أربع سنين فأحسن ومات سنة سبع وتسعين وسبعمائة .

ثم ملك أخوه (قباد) بن فيروز ثلاثاً وأربعين سنة ، وفي أيامه ظهر

(مزدك) الزنديق وادعى النبوة ، وأمر بالتساوي في الأموال والاشترك في النساء ، لأنهم إخوة لأبوين آدم وحواء ، ودخل قباد في دينه ، فهلك الناس وعظم عليهم ذلك ، وخلصوا قباد وولوا أخاه جاماسف بن فيروز ، ولحق قباد بالهياطة فنجدوه ، وسار بهم وبمسكر خراسان ، وانتصر على أخيه جاماسف وحبسه حتى مات قباد سنة أربعين وثمانمائة لمضي سبعة أشهر من السنة .

ثم ملك بعد قباد ابنه أنوشروان صغيراً ثمانياً وأربعين سنة ، ولما استقل بالملك وجلس على السرير قال لخواصه : إني عاهدت الله إن صار الملك إليّ على أمرين :

أحدهما : اني أعيد آل المنذر الى الحيرة ، وأطرد الحارث عنها .

وأما الأمر الثاني فهو : قتل المزدكية الذين قد أباحوا نساء الناس وأموالهم ، وجعلوهم مشتركين في ذلك بحيث لا يختص أحد بامرأة ولا بمال ، حتى اختلط أجناس اللؤماء بعناصر الكرماء ، وتسهل سبيل العاهرات الى قضاء شهواتهن ، واتصلت السفلة الى النساء الكرائم التي ما كان أمثال أولئك يتجاسرون أن يملؤوا عيونهم منهن إذا رأوهن في طريق .

فقال مزدك وهو بجانب السرير : هل تستطيع أن تقتل الناس جميعاً ؟ هذا فساد في الأرض ، والله قد ولاك لتصلح لا لتفسد .

فقال أنوشروان : يا ابن الحبيثة ، أتذكر وقد سألت قباد أن يأذن لك في المبيت عند أمي ، فأذن لك ، ومضيت نحو حجرتها فلحقت بك وقبلت رجلك ، وإن نتن جواربك ما زال في أنفي منذ ذلك الى الآن ، وسألتك حتى وهبتها لي ورجعت . قال : نعم .

فأمر به فقتل وأحرقت جيفته ، ونادى بإباحة دماء المزدكية والمانوية

أيضاً ، فقتل منهم خلق كثير ، وثبت المجوسية القديمة ، وكتب بذلك الى أصحاب الولايات ، وهجر الملاذ ، وقوى جنده بالأسلحة ، وعمّر البلاد ، واسترد كثيراً من الأطراف إليه ، كالسند والزنج وزابلستان وطخارستان ودروستان ، وبني الحصون ، وقسم أموال المزدكية على الفقراء ، ورد الأموال التي لها أصحاب الى أصحابها ، وألحق كل مولود اختلف فيه بالشبه ، وإن كان ولداً للمزدكية المقتولة جعله عبداً لزوج المرأة التي حبلت به من المزدكية ، وأمر بكل امرأة غلبت على نفسها أن تعطى من مال المزدكي الذي غلبها مهر مثلها ، وأمر بنساء المعروفين اللاتي مات من يقوم عليهن ، أو تبرأ منهن أهلن لفرط الغيرة والأنفة ، أن يجتمعن في موضع أفرده لهن وأجرى عليهن المؤنة ، وأمر أن يزوجن من مال كسرى ، وكذلك فعل بالبنات اللاتي لم يوجد لهن أب ، وأما البنون الذين لم يوجد لهم أب فأضافهم الى مماليكه . ورد المنذر الى الحيرة وطرد الحارث عنها ، وأطاعه قيصر وفتح الرها مدينة هرقل ، ثم الاسكندرية .

وغزا الخزر وتوجه الى عدن فعسكر هناك ناحية من البحر بين جبلين بالصخور وعمد الحديد ثم طالب الهياطة بدم فيروز ، وكبس بلادهم ، وقتل ملكهم وخلقاً من أصحابه ، وتجاوز بلخ وما وراءها وعاد الى المدائن وأرسل جيشاً الى اليمن ، وقدم عليهم وهرز فقتلوا الحبشة المستولين عليها ، وأعاد ملك آباء سيف بن ذي يزن عليه بعد قتل ملك الحبشة مسروق بن ابرهة الأشرم ، الذي جاء بالفيل الى الكعبة ، وغزا براحان وبني باب الأبواب .

وفي زمانه ولد عبد الله أبو النبي ﷺ لأربع وعشرين سنة من ملكه ، ولذلك ولد النبي صلى الله عليه وسلم في الثانية والأربعين من ملكه ، وتوفي أنوشروان سنة ثمان وثمانين وثمانماية للاسكندر لمضي سبعة أشهر منها .

ثم ملك بعده ابنه (هرمز) فعدل وأخذ للأدنى من الشريف ، وبالغ في

ذلك حتى أبغضته خواصه ، وأقام الحق على بنيه ومحبيه وأفرط في التشديد بالعدل ، ووضع صندوقاً في أعلاه خرق ، وأمر أن يلقي المتظلم قصته فيه ، والصندوق بختمه قصد بذلك وصول الشكاوى إليه بسهولة ، ثم طلب أن يعلم بالظلمات ساعة فساعة ، فاتخذ سلسلة وخرق لها في داره موضع جلوسه وقت خلوته ، وجعل فيها جرساً ليحركها المتظلم فيحضره وينصفه من ظالمه .

ثم خرج عليه أعداء، منهم (شابه) ملك الترك وملك الروم والعرب ، فأرسل عسكرياً إلى ملك الترك مقدمهم بهرام جوبين بن بهرام خشنش من أهل الري ، فقتل شابه ونهب عسكريه وطردهم ، فقام ابن شابه مقام أبيه وصالح بهرام جوبين ، ثم أمر هرمز بهرام جوبين بغزو الترك في بلادهم ، فلم ير بهرام جوبين ذلك مصلحة ، وخاف من مخالفة هرمز ، فاتفق بهرام وعسكريه وخلصوا طاعة هرمز ، فأنفذ هرمز لهم عسكرياً فصار أكثرهم مع بهرام جوبين بعد قتال .

وكان برويز بن هرمز مطروداً عن أبيه إلى أذربيجان ، فبلغه اتفاق الأكبر على خلع أبيه وخشي من استيلاء بهرام جوبين على الملك ، فقصد برويز أباه ، ووثب خالاً برويز على هرمز وأمسكاه وسمل عينيه ، ولبس برويز التاج .

ومن أول ملك هرمز إلى استقرار ابنه برويز نحو ثلاث عشرة سنة ونصف سنة ، فإن هرمز بقي معتقلاً مدة مديدة ، ثم خنق وجلس برويز على السرير ، وخالفه بهرام جوبين وأظهر انتصاره لهرمز ، وشنع على برويز بقتل أبيه وسمل عينيه ، وتراسلاً إلى أن تغلب بهرام جوبين ، وخشي برويز أن يقيم أباه الأعمى صورة ويستولي على الملك ، فقتل أباه ولحق برويز بملك الروم مستنجداً به . ووصل بهرام جوبين وتوج وقعد على السرير ، وقال : إنني وإن كنت لم أكن من بيت الملك ، فإن الله تعالى ملكني اليوم ، والملك بيده يملكه من يشاء .

وتزوج برويز مريم بنت ملك الروم ، وأنجده بثمانين ألف فارس ، فقاتل

بهرام جوبين ، ولحق برويز كثير من الفرس ، فهرب بهرام جوبين الى خراسان ثم الى الترك .

ثم تملك (برويز) وأكرم عسكر الروم وأعادهم الى ملكهم ، واستقرار برويز في الملك في أثناء سنة اثنتين وتسعمائة للاسكندر ، وملك برويز ثانياً وثلاثين سنة . ولما استقر غزا الروم ، وسببه أن ملك الروم أبا زوجته هلك ، فطرد الروم ابنه وأقاموا غيره ، فحاربهم برويز وكسرهم ووصلت خياله القسطنطينية ، وجمع أموالاً لم تجتمع لغيره ، وتزوج شيرين المغنية ، وبنى لها قصر شيرين بين حلوان وخانقين ، وكان له ثمانية عشر ابناً أكبرهم شهريار ، ومنهم شيرويه ملك بعده وأم شيرويه مريم بنت ملك الروم .

ثم عتا برويز وظلم ، وأنهى إليه زاذان فروخ متولي الحبس أنه اجتمع في الحبس ستة وثلاثون ألف رجل وضاعت عليهم الحبوس وأنتنوا ، وطلب منه أن يعاقب من يستحق منهم ، ويقطع من يستحق ، ويفرج عنهم . فقال برويز : بل اقتلهم جميعهم ، واقطع رؤوسهم واجعلها قدام دار المملكة ، فاعتذر زاذان فروخ واستعفى ، فقال : إن لم تقتلهم اليوم قتلتك قبلهم ، وشتمه وأخرجه ، فأعلم زاذان فروخ المحبوسين بذلك فضجوا ، فقال : إن أفرجت عنكم تأخذوا بأيديكم ما تجدونه في الأسواق من آلات وأخشاب ، وتكبسوا كسرى في داره بغتة ، فحلفوا على ذلك ، ولم يشعر كسرى برويز إلا بالغبلة ، وعجزت حاشيته تلك الساعة عن الرد عنه ، فاخفى منهم بجانب بستان بالدار يعرف بباغ الهند ، فأخرجوه الى زاذان فروخ فحبسه في دار رجل اسمه مارسفيد وقيده بقيد ، ووكل به .

ومضى الى عقر بابل فجاء ومعه (شيرويه) بن برويز وأجلسه على السرير ، فأطاعه الخاص والعام ، فراسله أبوه وقرعه ، فقال شيرويه : لا تعجب إن أنا قتلتك ، فإنني أقتدي بك في سملك عيني أبيك هرمز وقتله ، ولو لم تفعل ذلك مع أبيك ما أقدم عليك ولدك بمثل ذلك .

وأرسل شيرويه إليسه من له عليه ثار فقتله ، ولمضي اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً من ملك برويز ؛ هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وهلك برويز لمضي خمس سنين وستة أشهر وخمسة عشر يوماً للهجرة ، لأن من السنة الثانية والأربعين من ملك أنوشروان ، وهي سنة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نصف السنة الثالثة والثلاثين من ملك برويز وهي عام الهجرة ثلاثاً وخمسين سنة ، بيانه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد في السنة الثانية والأربعين من ملك أنوشروان .

وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فيكون له صلى الله عليه وسلم سبع سنين في أيام أنوشروان ، واثنتا عشرة سنة في أيام هرمز بن أنوشروان ، وسنة ونصف تقريباً في الفترة التي كانت بين إمساك هرمز واستقرار ابنه برويز ، واثنتان وثلاثون سنة ونصف تقريباً من ملك برويز ، ومجموع ذلك ثلاث وخمسون ، وعلى ذلك فتكون السنة الثالثة والثلاثون من ملك برويز ، هي السنة الخامسة والثلاثون وتسعمائة لاسكندر تقريباً ، وكانت مدة ملك برويز ثمانية وثلاثين سنة ، فيكون هلاك برويز في سنة أربعين وتسعمائة لاسكندر .

ثم ملك شيرويه وكان رديء المزاج كثير الأمراض صغير الخلق وإخوته السبعة عشر كأنهم عوالي الرماح ، كملوا خلقاً وخلقاً وأدباً فقتل الجميع ، ثم ندم وسقم وجزع ، ولم يلتذ بعدهم بشيء ، وحرّم النوم وبكى ليلاً ونهاراً ، ورمى التاج وهلك على تلك الحال ، ومدة ملكه ثمانية أشهر .

ثم ملك ازدشير بن شيرويه بن برويز قيل كان ابن سبع سنين ، وحضنه مهر خشنش فأحسن السياسة ، ثم قتل . ومدة ملكه سنة وستة أشهر .

ثم ملك (شهريراز) وكان من مقدمي الفرس ، مقيماً في مقابلة الروم في

عسكر عظيم ، واقطاعه الشام ، وبلغه ملك ازدشير وصفره ، فأقبل وهجم طيسفون ليلاً بعد قتال ، وقتل مهر خشنش ، وقتل ازدشير ، ولبس التاج وجلس على السرير ، وليس من بيت الملك ، ولما جلس على السرير منعه وجع بطنه عن القيام الى الخلاء ، فدعا بطست وستارة وتبرز بين يدي السرير ، فتطير الناس من ذلك . وكان من سنة الفرس إذا ركب الملك ، أن تقف حرسه صفين له ، وعليهم الدروع والبيض وبأيديهم السيوف مشهورة والرماح ، فإذا حاذاهم وضع كل منهم ترسه على قربوس سرجه ، ثم وضع جبهته عليه كهيئة السجود ، ثم يرفعون رؤوسهم ويسرون من جانبي الملك ، وركب شهريراز ، فوقف له فروخ وأخواه في جملة الحرس ، فلما حاذاهم طعنوه ثلاثتهم فألقوه عن فرسه ، وحملت عظام الفرس على أصحابه فقتلوا منهم جماعة ، وشدوا في رجل شهريراز حبلاً وجروه إقبالاً وإدباراً ، لكونه تعرض للملك وليس من بيته .

ثم ملكوا (بوران) بنت كسرى برويز فأحسننت وردت خشبة الصليب على ملك الروم ، فعظم موقعها عنده ، وأطاعها فيما كلفته ، وملك سنة وأربعة أشهر ثم هلكت . فملك (خشنشده) من بني عم كسرى برويز ، فلم يدبر الملك ، وكان ملكه أقل من شهر وقتل .

ثم ملكت (أرزمي دخت) بنت كسرى برويز فعدلت وأحسننت ، وكان أعظم الفرس حينئذ فرخ هرمز اصهبند خراسان ، وكانت أرزمي دخت من أجل النساء ، فخطبها هذا فامتنعت ثم أجابته الى الاجتماع به في الليل ليقتضي وطره منها ، فحضر بالشمع والطيب فأمرت حرسها فقتلته ، وكان رستم بن فرخ هرمز ، وهو الذي تولى قتال المسلمين فيما بعد قد جعله أبوه نائبه على خراسان ، لما توجه بسبب أرزمي دخت ، فلما قتله جمع جمعاً وقصدها فقتلها بثأر أبيه ، وكان ملكها ستة أشهر .

واختلف الفرس فيمن يولون ، فلم يجدوا غير رجل من عقب ازدشير بن بابك

اسمه (كسرى) بن مهر خشنش ، فملكوه ، فلم يلق به الملك فقتلوه بعد أيام ، ولم يجدوا من بيت الملك أحداً إلا رجلاً اسمه (فيروز) بن خستان يزعم أنه من نسل أنوشروان فملكوه ، فكبر رأسه عن التاج فقال : ما أضيق هذا التاج ! . فتطيروا من افتتاح كلامه بالضيق وقتلوه .

ثم ملك (فرخ زاد خسرو) من ولد أنوشروان ستة أشهر وقتلوه .

ثم ملك يزدجرد بن شهریار بن برويز بن هرمز بن أنوشروان بن قباد بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد بن بهرام بن سابور ذي الأكتاف ابن هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام آخر بن هرمز بن سابور بن ازدشير بن بابك . وكان يزدجرد مختلفياً باصطخر لما قتل أبوه مع إخوته حين قتلهم أخوهم شيرويه .

وكان ملك يزدجرد المذكور كالمخيال بالنسبة الى ملك آبائه ، يدبر الوزراء ملكه . وضعفت مملكة فارس واجترأ عليهم أعداؤهم ، وغزا المسلمون بلادهم بعد أن مضى من ملكه ثلاث أو أربع سنين ، وعميره الى أن قتل بمرو عشرون سنة . قتل في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة إحدى وثلاثين للهجرة ، وهو آخرهم ، وزال ملكهم بالإسلام الى الأبد .

كان هذا ترتيب ملوك الفرس من أوشهنج الى يزدجرد . من « تجارب الأمم » لابن مسكويه ، ومن « كتاب أبي عيسى » .

الفصل الثالث

بنو الفراعنة وملوك اليونان والروم والقيصرية

الفراعنة ملوك القبط بمصر : كان أهل مصر أهل ملك عظيم في الدهور الخالية أخلاطاً ما بين قبطي ويوناني وعمليقي ، إلا أن جمهورم قبط ، وأكثر ملوكها الغرباء ، وكانوا صابئة يعبدون الأصنام ، وصار بعد الطوفان بمصر علماء بضروب من العلوم وخاصة الطلسمات والنجيمات والكيمياء .

وكانت مدينة منف كرسى الملك على اثني عشر ميلاً من القسطنطينية ، وأول ملوكها بعد الطوفان (مصر) بن حام بن نوح ، نزل منف هو وثلاثون من ولده وأهله . وملكها بعده ابنه (مصر) وسُميت البلاد به لطول مدته ، ثم بعده ابنه (قفط) ابن مصر . وبعده ملك أخوه (اتريب) ابن مصر ، وأتريب باني مدينة عين شمس وبها الآثار العظيمة . ثم ملك بعده أخوه (صا) وبه سميت مدينة صا ، وهي خراب على النيل من أسفله . ثم ملك بعده (تدراس) ثم (ابنه ماليق) ثم ابنه (حرابا) بن ماليق ، ثم كلكلي بن حرابا ، وكان ذا حكمة وهو أول من جمد الزئبق وسبك الزجاج ، ثم بعده (حريبيا) بن ماليق كافرًا ، ثم ملك بعده (طونيس) فرعون ابراهيم صلى الله عليه وسلم ، هو وهب سارة

هاجر ، كان يسكن الفرما . ثم ملكت بعده أخته (جورساق) ثم بعدها
(زلفا) بنت مأمون ، سمع عمالقة الشام بضعفها فغزوها وملكوا مصر .

وصارت الدولة للعمالقة ، والذي أخذ منها الملك (الوليد بن دبيع العملاقي)
عابد البقر ، قتله أسد في صيده ، وقيل هو أول من تسمى بفرعون ، وملك بعده
ابنه (الريان) فرعون يوسف ونزل بعين شمس . ثم ابنه (دارم) وفي زمانه
توفي يوسف وتجر دارم وكفر شديداً ، فأغرقه الله بسبب ريح عاصفة بالقرب
من حلوان .

ثم ملك بعده (كاسم) بن معدان العمليقي ، وقصد هدم الهرمين ، فقال
حكاء مصر: ان خراج مصر لا يفي بهدمها ، وأيضاً فإنها قبران لنبيين عظيمين ،
وهما شيث بن آدم وهرمس ، فأمسك عن هدمها .

فرعون موسى :

ثم ملك بعده (الوليد) بن مصعب فرعون موسى - قيل من العمالقة - وهو
الأظهر ، وقيل هو فرعون يوسف ، وعمر إلى أيام موسى ، وقيل هو من القبط
كان صاحب شرطة كاسم العملاقي ، فكثرت الأقباط فملكوا الوليد بعد كاسم ،
وانقرضت حينئذ دولة العمالقة من مصر ، وادعى الوليد الربوبية ، وعظمت
دولته ، وعمرت أرض مصر في أيامه ، وأكثر الناس من التصنيف في سيرته ،
وفي مناجاة موسى: يا رب لم أطلت عمر عدوك فرعون مع ادعائه ما انفردت
به من الربوبية ، وجحد نعمتك . فقال الله تعالى : أمهلته لأن فيه خصلتين من
خلال الإيمان الجود والحياء .

وهامان وزير فرعون حفر لفرعون خليج السردوسي ، سأله أهل كل قرية
أن يجريه إليهم ويعطوه مالاً ، فكان يأتي به إلى القرية نحو المشرق ، ثم يردده إلى
القرية من نحو المغرب ، وكذلك في الجنوب والشمال ، فاجتمع له من ذلك نحو
مائة ألف دينار ، وحملها إلى فرعون ، فقال فرعون : ويحك إنه ينبغي للسيد

أن يعطف على عبده ولا يطعم فيما في أيديهم ، ورد" على أهل كل قرية ما أخذ منهم . وأخبر المنجمون بظهور موسى وزوال ملكه على يده ، فأخذ في قتل الأطفال حتى قتل تسعين ألفاً ، وسلم الله نبيه موسى صلى الله عليه وسلم منه ، بأن التقطته آسية امرأة فرعون وحمته منه .

وزعم اليهود أن بنت فرعون هي التي التقطته لا زوجته ، والأصح أنها زوجته ، كما نطق القرآن ، ولما أظهر الآيات لفرعون وسلم إليه بني إسرائيل وسار بهم ندم ، ولحقهم عند بحر القلزم ، فضرب موسى بعصاه البحر فصار فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق ، فتبعه فرعون وجنوده ، ففرق هو وجنوده ، وذلك لمضي ثمانين سنة من عمر موسى ، وكان قد تملك قبل ولادة موسى ، ولذلك قتل الأطفال في أيام ولادة موسى ، فمدة ملك فرعون تزيد على ثمانين سنة قطعاً .

ولما هلك فرعون ملكت القبط بعده (دلوكة) المشهورة بالعجوز من بنات ملوك القبط ، انتهى السحر إليها وعمرت حتى عرفت بالعجوز ، وصنعت على أهل مصر من أول أرضها في حد أسوان الى آخرها سوراً متصلاً .

ثم ملك مصر بعد دلوكة صبي من أبناء أكابر القبط اسمه (دركون) بن بلطوس . ثم ملك بعده أخوه (لقاش) ثم أخوه (مرينا) ثم ملك بعده (استمادس) ثم بلطوس بن مكاكيل .

ثم ملك بعده (بوله) وهذا غزا رحبعم بن سليمان بن داود ، كما تقدم ، وفي كتب اليهود أن فرعون الذي غزا بني إسرائيل أيام رحبعم اسمه شيشاق ، وهو الأصح ، ثم لم يشتهر بعد شيشاق غير فرعون الأعرج ، الذي غزاه بنحت نصر وصلبه . وبين رحبعم وبنحت نصر فوق أربعائة سنة ، وكان شيشاق على أيام رحبعم ، فشيشاق قبل فرعون الأعرج بأكثر من أربعائة سنة .

قال المؤلف رحمه الله : ولم تصح أسماء فراعنة هذه المدة التي بين شيشاق والأعرج . ولما قتل بجخت نصر فرعون المذكور ، وأباد أهلها بقيت مصر أربعين سنة خراباً . قال ابن سعيد : وصارت مصر والشام من حين غزاهما بجخت نصر تحت ولايته حتى مات ، وتوالت الولاة من جهة بجخت نصر على مصر والشام ، حتى انقرضت دولة أولاده ، فتوالت على مصر ولاة الفرس ، فكان منهم (كثرحوش) الفارسي باني قصر الشمع ، وبعده (طخارست) الطويل ، وفي أيامه كان بقراط الحكيم ، وتوالت بعده نواب الفرس الى أن غلب الاسكندر على الفرس .

ذكر ملوك اليونان

أول من اشتهر منهم (فيلبس) أبو الاسكندر ومقر ملكه كان بمقدونية ، مدينة حكماء اليونان ، على جانب الخليج القسطنطيني من شرقه ، وملوك اليونان طوائف لم يشتهر منهم غير فيلبس . وكان يؤدي الأتاوة للفرس ، ولما مات ملك ابنه (الاسكندر) ثلاث عشرة سنة ، ومات في أواخر السنة السابعة من غلبته على دارا ملك الفرس ، وقد تقدم ذكره مع ملوك الفرس ، وانقسمت بعده الممالك ، فملك بعض الشام والعراق انطياحس ، وملك مقدونية أخو الاسكندر (فيلبس) باسم أبيه ، وملك بلاد العجم ملوك الطوائف الذين رتبهم الاسكندر ، وملك مصر وبعض الشام والمغرب البطالسة ، وملوك اليونان ، كل منهم يسمى بطليموس ، معناه أسد الحرب ، وعدتهم أعني الذين بعد الاسكندر منهم ، ثلاثة عشر ملكاً ، آخرهم الملكة قلوبطرا بنت بطليموس ، وزالت مملكتهم بملك أغسطس الرومي ، وصارت الدولة للروم .

ومدة ملك اليونان مائتان وخمس وسبعون سنة ، وكان بين غلبة الاسكندر على ملك فارس وبين غلبة أغسطس ، مائتان واثنان وثمانون سنة ، وبقي

الاسكندر بعد غلبته على دارا نحو سبع سنين ، وإذا نقصنا سبعاً من مائتين واثنتين وثمانين ، بقي من موت الاسكندر الى غلبة أغسطس ، مائتان وخمس وسبعون سنة ، هي مدة ملك البطالسة . وأول البطالسة بعد الاسكندر بطليموس (شيشوس) بن لاغوس المنطقي وملك عشرين سنة ، فيكون موت ابن لاغوس المذكور ، لسبع وعشرين سنة مضت من غلبة الاسكندر .

ملوك البطالسة وعددهم اثني عشر :

ثم ملك بعده بطليموس الثاني واسمه (فيلوذفوس) معناه محب أخيه ثانياً وثلاثين سنة ، ونقلت له التوراة ، وأعتق اليهود الذين وجدتم أسرى كما تقدم ، فموت هذا خمس وستين مضت من غلبة الاسكندر .

وملك بعده بطليموس الثالث واسمه (ارواخيطس) خمساً وعشرين سنة ، وأدى له ملك الشام الاثاوة ، فيكون موته لتسعين مضت من غلبة الاسكندر .

ثم بطليموس الرابع واسمه (فيلوبطور) معناه محب أبيه ، ملك سبع عشرة سنة ، فيكون موته لمضي مائة وسبع سنين من غلبة الاسكندر .

ثم الخامس واسمه (افنفيوس) ملك أربعاً وعشرين سنة ، فموته لمائة وإحدى وثلاثين من غلبة الاسكندر .

ثم السادس واسمه (فيلوميطور) أي محب أمه ، ملك خمساً وثلاثين سنة ، فموته لمضي مائة وست وستين لغلبة الاسكندر .

ثم السابع واسمه (ارواخيطس) الثاني تسعاً وعشرين سنة ، فموته لمضي مائة وخمس وتسعين للاسكندر .

ثم بطليموس الثامن واسمه (سوطيرا) ست عشرة سنة ، فموته لمضي مائتين وإحدى عشرة للاسكندر .

ثم بطليموس التاسع واسمه (شيديريطس) سبع سنين ، فموته لمضي مائتين وعشرين للاسكندر .

ثم العاشر واسمه (اسكندروس) ثلاث سنين ، فموته لمضي مائتين وثلاث وعشرين للاسكندر .

ثم الحادي عشر واسمه (فيلودفوس آخر) ثماني سنين ، فموته لمضي مائتين وإحدى وثلاثين .

ثم الثاني عشر واسمه (ديثوسيوس) تسعاً وعشرين سنة ، فموته لمضي مائتين وستين سنة للاسكندر .

ثم ملكت قلوبطرا الثالثة عشر اثنتين وعشرين سنة ، وغلبها (أغسطس) على الملك فقتلت نفسها . وانقرض ملك اليونان وانتقلت المملكة الى الروم بني الأصفر ، فموت قلوبطرا وغلبة أغسطس كانت لمضي مائتين واثنتين وثمانين سنة لغلبة الاسكندر .

ذكر ملوك الروم

أولهم روملس ورومانارس ، فبنى رومية ، ثم قتل روملس أخاه رومانانا ، وملك بعده ثمانياً وثلاثين سنة وحده ، واتخذ برومية ملعباً عجيباً ، ثم ملك بعده ملوك لم يشتهروا . ومن الكامل : كان مقر ملكهم رومية الكبرى ، قبل غلبتهم على اليونان ، وكان الروم يدينون بالصابئية ، ولهم أصنام على أسماء الكواكب السبعة يعبدونها .

وأول من اشتهر من ملوكهم غالبيوس ، ثم ملك بعده يوليوس ثم أغسطس^(١) وخرج أغسطس في السنة الثانية عشرة من ملكه من رومية بعساكر في البر والبحر ، وسار الى مصر واستولى على ملك اليونان ، وكانت قلوبطرا هي الملكة في اليونان ومقامها الاسكندرية ، فاضمحل بأغسطس ذكر اليونان ، ودخلوا في الروم وأطاعه بنو إسرائيل كما كانوا أطاعوا البطالسة ، فولى على يهود بيت المقدس والياً منهم يلقب هردوس كما مر . وغلبة أغسطس على مصر وقتل قلوبطرا لمضي مائتين واثنين وثمانين سنة لغلبة الاسكندر ، ومدة ملك أغسطس ثلاث وأربعون سنة ، منها اثنتا عشرة سنة قبل غلبته على اليونان ، وإحدى وثلاثين سنة من غلبته الى وفاته . وموت أغسطس لمضي ثلثمائة وثلاثة عشرة سنة لغلبة الاسكندر .

ثم ملك بعده أغسطس (طاريوس) في أول سنة ثلثمائة وأربع عشرة للاسكندر ، اثنتين وعشرين سنة ، وبنى طبرية بالشام^(٢) ، ومات لمضي ثلثمائة وخمس وثلاثين للاسكندر .

ثم (غانيوس) أربع سنين ولمضي السنة الأولى من ملكه رفع المسيح عليه السلام ، فيكون رفعه لمضي سنة ست وثلاثين وثلثمائة للاسكندر ، ومات غانيوس لمضي سنة تسع وثلاثين وثلثمائة للاسكندر .

ثم ملك بعده قلوذيوس أربع عشرة سنة من القانون ، وفي أيام قلوذيوس ، كان شمعون الساحر برومية ، وفي مدة ملكه حبس شمعون الصفا ، ثم خلص وسار الى انطاكية ودعا الى النصرانية ، ثم سار الى رومية ودعاهم ، فأجابته زوجة الملك . ومات قلوذيوس لمضي ثلاث وخمسين وثلثمائة للاسكندر .

(١) وشيناه معجمتان وعرب فصارة سينين ، لقبه قيصر معناه شق عنه - ماتت أمه فشق
بطنها وأخرج - ولقب به ملوك الروم بعده .

(٢) مشتقة من اسمه .

ثم ملك بعده (قارون) . من قانون أبي الريحان النبروني : أنه ملك ثلاث عشرة سنة وقتل في آخر ملكه بطرس وبولص برومية ، وصلبها منكسين ، ومات في أواخر سنة ست وستين وثلثمائة للاسكندر . وملك بعده ساسيانوس عشرة سنين فموته في أواخر سنة ست وسبعين وثلثمائة .

ثم ملك بعده طيطوس . من القانون : ملك سبع سنين فغزا اليهود وأسرم وباعهم وخرب بيت المقدس ، وأحرق الهيكل كما تقدم ، مات في أواخر سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة للاسكندر .

ثم (دومطيشوس) . من القانون : ملك خمس عشرة سنة وتبع النصارى واليهود وأمر بقتلهم ، وكان دينه ودين غيره من الروم عبادة الأصنام ، ومات في أواخر سنة ثمان وتسعين وثلثمائة للاسكندر .

ثم (بارواس) ملك سنة ومات في أواخر سبع وتسعين وثلثمائة للاسكندر . ثم طراناموس وقيل غراطيانوس تسع عشرة سنة ، وقيل تسعاً وعشرين ، فموته في أواخر سنة ثمان عشرة وأربعمائة للاسكندر .

ثم أذريانوس إحدى وعشرين سنة ، وكان في أيامه بطليموس صاحب المجسطي ، من ولد فلوديوس ، ولهذا قيل له الفلودي ، وخدم اذريانوس لمضي ثمان عشرة سنة من ملكه ، ومات في أواخر سنة سبع وثلاثين وأربعمائة للاسكندر . ثم ملك انطونسوس ثلاثاً وعشرين سنة ، وأخذ أرصاد بطليموس صاحب المجسطي ، في السنة الثالثة من ملكه ، ومات في أواخر سنة اثنتين وستين وأربعمائة للاسكندر .

ثم ملك بعده مرقوس وقيل قومودس تسع عشرة سنة ، وفي أيامه أظهر ابن

ديسان مقالته بالاثنين (١) ، ومات مرقوس في أواخر سنة إحدى وثمانين وأربعمائة للاسكندر .

ثم ملك بعده (قوموذوش) ثلاث عشرة سنة ، وخنق نفسه في أواخر سنة أربع وتسعين وأربعمائة للاسكندر . وفي الكامل : أن جالينوس كان في أيام قومودوس ، وقد أدرك جالينوس بطليموس ، وكان دين النصارى قد ظهر في أيامه . وذكرهم جالينوس في كتابه في جوامع كتاب أفلاطون ، في سياسة المدن ، فقال ان جمهور الناس لا يمكنهم أن يفهموا سياقة الأقاويل البرهانية ، ولذلك صاروا محتاجين الى رموز ينتفعون بها ، يعني بالرموز الأخبار عن الثواب والعقاب في الدار الآخرة ، من ذلك انا نرى الآن القوم الذين يدعون نصارى ، إنما أخذوا إيمانهم عن الرموز ، وقد تظهر منهم أفعال مثل أفعال من يفلسف بالحقيقة ، وذلك ان عدم جزعهم من الموت أمر قد نراه كلنا ، وكذلك أيضاً عفاهم عن استعمال الجماع ، فإن منهم قوماً رجالاً ونساء أيضاً قد أقاموا جميع أيام حياتهم ممتنعين عن الجماع ، ومنهم قوم قد بلغ من ضبطهم لأنفسهم في التدبير ، وشدة حرصهم على العدل ، أن صاروا غير مقصرين عن الدين يتفلسفون بالحقيقة . « انتهى كلام جالينوس » .

ثم ملك بعده قومودس (قوطنحوس) ستة أشهر ، وقتل في رحبة القصر في منتصف سنة خمس وتسعين وأربعمائة . ثم (سيوارس) ثماني عشرة سنة ، وفي أيامه بحثت الأساقفة عن أمر الفصح ، وأصلحوا رأس الصوم ، ومات منتصف سنة ثلاث عشرة وخمسمائة . ثم ملك انطينسوس الثاني أربع سنين وقتل بين حران والرها منتصف سنة تسع عشرة وخمسمائة .

ثم (الاسكندروس) ثلاث عشرة سنة وموته منتصف سنة ثلاثين

(١) كان ديسان أسقفاً بالرها ، ونسب الى نهر اسمه ديسان بباب الرها .

وخمسة مائة . ثم (مكسيمينوس) ثلاث سنين ، فشدّد في قتل النصارى ، ومات
منتصف سنة ثلاث وثلاثين وخمسة مائة للاسكندر .

ثم ملك عورديانوس ست سنين وقتل في حدود فارس في منتصف سنة تسع
وثلاثين وخمسة مائة للاسكندر .

أصحاب الكهف :

ثم (دقيوس) ويقال دقيانوس سنة واحدة بنصر الملك الذي قبله ، فقتله
دقيوس وأعاد عبادة الأصنام ودين الصابئين ، وتتبع النصارى يقتلهم ، ومنه
هرب الفتية أصحاب الكهف ، وكانوا سبعة وناموا والله أعلم بما لبثوا ، ومات
في منتصف سنة أربعين وخمسة مائة .

ثم ملك (غانيوس) ثلاث سنين ومات منتصف سنة ثلاث وأربعين وخمسة مائة .
ثم (غلينوس وولريانوس) خمس عشرة سنة . ومن الكامل : أن ولريانوس ،
وقيل اسمه ولوسينوس ، انفرد بالملك بعد سنتين من اشتراكها ، فيكون موت
المذكور منتصف سنة ثمان وخمسين وخمسة مائة .

ثم (فلودبيوس) سنة ، فموته منتصف سنة تسع وخمسين وخمسة مائة . ثم
(اذرفلينوس) وقيل اورليانوس ست سنين ، ومات بصاعقة في منتصف سنة
خمس وستين وخمسة مائة .

ثم (فرويوس) سبع سنين وهلك منتصف سنة اثنتين وسبعين وخمسة مائة .

ثم (دقلطيانوس) إحدى وعشرين سنة ، ولثلاث عشرة سنة مضت من
ملكه عصاه أهل مصر والاسكندرية ، فسار إليهم من رومية وأنكى فيهم .
وهو آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم وتنصروا بعده ، ومات منتصف سنة
خمس وتسعين وخمسة مائة .

ثم ملك قسطنطين المظفر إحدى وثلاثين سنة ، ولثلاث مضت انتقل من رومية الى قسطنطينية ، وبني سورها وتنصر ، وكان اسمها قبله البربطية ، وزعمت النصارى أنه بعد ست سنين خلت من ملك قسطنطين ، ظهر له في السماء شبه الصليب فأمر بالنصرانية ، ولعشرين مضت من ملكه ، اجتمع ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً ، ثم اختار منهم ثلثمائة وثمانية عشر ، فحرموا اربوس الاسكندري لكونه يقول ان المسيح مخلوق ، واتفق الأساقفة لدى قسطنطين ، ووضعوا شرائع النصرانية بعد أن لم تكن . وكان رئيس هذه البطارقة بطريق الاسكندرية . وفي إحدى عشرة سنة من ملكه سارت أمه واسمها هيلانه الى القدس ، وأخرجت خشبة الصلبوت ، وأقامت لذلك عيداً يسمى عيد الصليب ، وبني قسطنطين وأمه عدة كنائس منها قمامة بالقدس ، وكنيسة حمص ، وكنيسة الرها . ومات منتصف سنة ست وعشرين وستائة ، فانقسمت مملكته بين بنيه الثلاثة ، وكان الحاكم عليهم منهم (قسطس) أربعاً وعشرين سنة ومات منتصف سنة خمسين وستائة .

ثم خرج الملك عن بني قسطنطين وملك (ليلانوس) وارتد الى عبادة الأصنام ، وقهر سابور ذا الأكتاف ، وقتل في أرض الفرس بسهم غرب كما تقدم ، وكانت مدته سنتين ، وهلك - أعني ليلانوس - سنة اثنتين وخمسين وستائة .

ثم ملك (يونيانوس) سنة ، وأعاد النصرانية ، ولما ملك على الروم وهم بأرض الفرس اصطلح مع سابور ، وعاد الى بلاده ، ومات في منتصف سنة ثلاث وخمسين وستائة . ثم ملك (واليطانوس) أربع عشرة سنة ومات منتصف سنة سبع وستين وستائة .

ثم ملك (أنونيانوس) ثلاث سنين فموتة منتصف سنة سبعين وستائة . ثم (حرطيانوس) ثلاث سنين ، فموتة منتصف سنة ثلاث وسبعين وستائة .

ثم (ثاودوسيوس) الكبير تسعاً وأربعين سنة ، فموته منتصف سنة اثنتين وعشرين وسبعائة للاسكندر .

ثم (ارفادنوس) بقسطنطينية وشريكه (اونورنوس) برومية ، ثلاث عشرة سنة فموتها في منتصف سنة خمس وثلاثين وسبعائة .

ثم (ثاودوسيوس الثاني) عشرين سنة ، وفي أيامه غزت فارس الروم ، وانتبه أصحاب الكهف ، وموته في منتصف سنة خمس وخمسين وسبعائة . وفي مدة ملكه كان المجمع الثالث في أفسيس ، واجتمع مائتا أسقف وحرموا نسطورس ، صاحب المذهب بطركاً بالقسطنطينية ، لقوله أن المسيح جوهران : جوهر لاهوتي وجوهر ناسوتي ، وأقنومان : لاهوتي وناسوتي . وقيل ملك هذا اثنتين وأربعين سنة . وملك بعده (مرقيانوس) سبع سنين ، ولسنة خلت بني دير مارون بجمص ، وفي أيامه لعن نسطورس ونفي ، ومات مرقيانوس في منتصف سنة اثنتين وستين وسبعائة .

ثم ملك بعده (والنطيس) سنة ، فموته منتصف سنة ثلاث وستين وسبعائة . ثم (لاون الكبير) سبع عشرة سنة ، وفي أيامه كثر الخسف في انطاكية بالزلازل ، وموته منتصف سنة ثمانين وسبعائة .

ثم (ربنوث) ثماني عشرة سنة ومات منتصف سنة ثمان وتسعين وسبعائة . ثم ملك (اسطيفنوس) سبعاً وعشرين سنة ، فعمر سور مدينة حماه في أول سنة من ملكه ، وفرغت عمارتها في سنتين ، ولعشر خلت من ملكه جاء الجراد والجوع ، ولائتي عشرة غزا قواد الفرس آمد وحاصروها وخربوها ، ومات اسطيفنوس في منتصف سنة خمس وعشرين وثمانائة .

ثم ملك بعده (قسطينوس) تسع سنين ، ومات منتصف سنة أربع وثلاثين وثمانائة . ثم ملك (قسطينوس الثاني) ثمانياً وثلاثين سنة ، واحترق في أيامه

الفرس والروم ، وفي الثامنة من ملكه كان بينهم مصاف على شط الفرات ، قتل منهم خلق وغرق من الروم في الفرات خلق ، ومات في منتصف اثنتين وسبعين وثمانمائة .

ثم ملك (قسطينوس) آخر أربع عشرة سنة ، ولسبع من ملكه غزا ملك الفرس الشام وأحرق فامية ، ومات منتصف سنة ست وثمانين وثمانمائة .

ثم ملك (طبرنوس) الأول ثلاث سنين ، فمات في منتصف سنة تسع وثمانين وثمانمائة . ثم ملك (طبرنوس) الثاني أربع سنين فموته منتصف ثلاث وتسعين وثمانمائة . ثم ملك (مارقوس) ثمان سنين فهلاكه منتصف سنة إحدى وتسعمائة .

ثم ملك (مرقوس) الثاني اثني عشرة سنة فموته منتصف ثلاث عشرة وتسعمائة . ثم ملك (فوقاس) ثمان سنين ، فموته منتصف إحدى وعشرين وتسعمائة .

ثم ملك (هرقل) واسمه بالروم ارقليس وكانت الهجرة في السنة الثانية عشرة من ملكه ، لمضي ثلاث وثلاثين وتسعمائة لغلبة الاسكندر على دارا ، ولكن قد سبق في الجدول أن بين الهجرة وغلبة الاسكندر تسعمائة وأربعاً وثلاثين سنة ، فيكون التفاوت بين ذلك وبين ما ذكر الآن سنة واحدة ، وهي تفاوت يسير .

الفصل الرابع

في ذكر ملوك العرب قبل الإسلام

ما يتعلق بقبائل العرب وأنسابهم سند كره مع ذكر أمة العرب . وجاء في الفصل الخامس من كتاب أبي سعيد ، أن بعد تبلبل الألسن وتفرق بني نوح أول من نزل اليمن (قحطان) بن عابر بن شالح .

وقحطان أول من ملك أرض اليمن ، ولبس التاج ؛ ثم مات فملك بعده ابنه (يعرب) أول من نطق بالعربية على ما ذكر ، ثم ملك ابنه (يشجب) ، ثم ابنه (عبد شمس) فأكثر الغزو في الأقطار ، فسُمي سبا وهو الذي بنى السد بأرض مأرب ، وفجر إليه سبعين نهراً ، وساق إليه السيول من أمد بعيد ، وبني مأرب وعرفت بمدينة سبا ، وقيل مأرب لقب لمن يلي اليمن ، وقيل مأرب قصر الملك ، والمدينة سبا . وخلف سبا عدة أولاد منهم حمير وعمرو وكهلان وأشعر وغيرهم ، كما سيأتي . وملك بعده ابنه (حمير) فأخرج ثمود من اليمن إلى الحجاز . ثم ملك ابنه (وائل) بن حمير ، ثم ابنه (السكسك) ثم ابنه (يعفر) . ثم وثب على ملك اليمن (ذو رياش) عامر بن باران بن عوف بن حمير ، ثم نهض من بني وائل (النعمان) بن يعفر بن السكسك بن وائل بن حمير ، واجتمع عليه

الناس وطرده عامر بن باران عن الملك ، واستقل النعمان ولقب النعمان بالمعافر لقوله :

إذا أنت عافرت الأمور بقدره بلغت معالي الأقدمين المقاول^(١)

ثم ملك ابنه (اسمح) ثم (شداد) بن عاد بن الماطاط بن سبا ، وجمع الملك وغزا البلاد الى أقصى الغرب ، وبني المدائن والمصانع ، وأبقى الآثار العظيمة . ثم ملك أخوه (لقمان) بن عاد ، ثم أخوه (ذو شدد) بن عاد ، ثم ابنه (الحارث) الرائش بن ذي شدد^(٢) ، ثم ابنه (ذو القرنين) الصعب ، ثم ابنه (ذو المنار ابرهة) ، ثم ابنه (افريقش) ، ثم أخوه (ذو الاذعار) عمرو ابن ذي المنار .

ذكر بلقيس بنت الهداد :

ثم ملك (شرحبيل) بن عمرو بن غالب بن المنتاب بن زيد بن يعفر بن السكسك بن وائل بن حمير ، فإن حمير كرهت ذا الاذعار فخلعت طاعته ، وملكها عليها شرحبيل ، وجرى بينها حرب ، واستقل شرحبيل بالملك . وبعده ابنه (الهداد) ، ثم بنته بلقيس ابنة الهداد زوج سليمان عليه السلام ؛ ثم عمها (ناشر النعم) بن شرحبيل^(٣) . ثم ملك بعده (شمر يرعش) بن ناشر النعم ، وقيل شمر بن افريقش بن ابرهة بن ذي المنار .

ثم ابنه (أبو مالك) بن شمر ، ثم ملك عمران بن عامر الأزدي هو (عمران) بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزدي بن الغوث بن نبت بن مالك بن أد بن زيد بن كهلان بن سبا ، وانتقل الملك حينئذ من ولد حمير بن سبا ، الى ولد أخيه كهلان بن سبا ، وكان عمران كاهناً .

-
- (١) المقاول لفظة جمع ، وهم الذين يلون الجهات الكبار من اليمن .
(٢) وقيل الحارث الرائش المذكور هو ابن قيس بن صيفي بن سبا الأصغر وهو تبع الأول .
(٣) وقيل ناشر النعم اسمه مالك بن عمرو بن يعفر بن عمرو من ولد المنتاب بن زيد الحميري .

ثم ملك بعده (مزيقيا) عمرو بن عامر الأزدي (١) . ومن تاريخ حمزة الأصبهاني أن الذي ملك بعد أبي مالك بن شمر قبل عمران الأزدي ابنه (الأقرن) ابن أبي مالك . ثم ملك (ذو حبشان) بن الأقرن وأوقع بطسم وجديس ، ثم أخوه (تبع) بن الأقرن ، ثم ابنه (كلبكرب) بن تبع .

ثم ملك (أبو كرب أسعد) تبع الأوسط وقتل ، ثم ابنه (حسان) بن تبع وقتل قتلة أبيه ، ثم قتله أخوه (عمرو) بن تبع وملك بعده . وتواترت بعمره الأسقام فكان يمضي الى الخلاء على نعش ، فسمي ذا الأعواد .

ثم ملك بعده (عبد كلال) بن ذي الأعواد ، ثم (تبع) بن حسان بن كلبكرب وهو تبع الأصغر .

ثم ابن أخيه (الحارث) بن عمرو ، وتهود الحارث .

صاحب الأخدود :

ثم ملك (مرثد) بن كلال ، ثم تفرق بعده ملك حمير ، والذي اشتهر بعده انه ملك (وكيعه) بن مرثد ثم (ابرهة) بن الصباح ثم صهبان بن مجرب ، ثم (عمرو بن تبع) ثم (ذو شناتر) ثم (ذو نواس) وكان من لا يتهود ألقاه في أخدود مضطرم ، فسمي صاحب الأخدود ، ثم (ذو جدن) آخر ملوك حمير ، ومدة ملكهم على ما قيل ألفان وعشرون سنة . قال صاحب تواريخ الأمم : ليس في التواريخ أسقم من تواريخ ملوك حمير ، لما يذكر فيه من كثرة عدد سنيهم مع قلة عدد ملوكهم ، فإنهم يزعمون أن ملوكهم ستة وعشرون ملكاً ، ملكوا في مدة ألفين وعشرين سنة ؛ ثم ملك اليمن بعدهم من الحبشة ومن الفرس ثمانية ، ثم صارت اليمن للاسلام .

(١) قيل له مزيقيا لأنه كان يلبس كل يوم حلة ، فاذا أراد الدخول الى مجلسه رمى بها فمزقت لتلا يجد أحد فيها ما يلبسه بعده .

ثم ملك اليمن بعد ذي جدن من الحبشة (ارباط) ثم (ابرهة الأشرم)
صاحب الفيل ، ثم (بكسوم) ثم مسروق بن ابرهة وهو آخر من ملك اليمن
من الحبشة .

ثم عاد اليمن الى حير وملكها (سيف بن ذي يزن الحميري) أنجده كسرى
أنو شروان بجيش من العجم ، مقدمه وهرز ، فطرد الحبشة وقرر سيفاً باليمن ،
فجلس سيف يوماً يشرب في غمدان ، وهو قصر لأجداده باليمن ، فامتدحه
العرب بالأشعار منها قول أمية بن أبي الصلت ، يصف تغرب سيف وقصده
قيصر ثم كسرى ونجدته له :

| | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| لا تقصد الناس إلا كابن ذي يزن | إذ خيم البعر للأعداء أحوالا |
| وافى هرقل وقد سالت نعامة | فلم تجد عنده النصر الذي سالا |
| ثم انتحى نحو كسرى بعد عشرة | من السنين نهبن النفس والمالا |
| حتى أتى ببني الأحرار يقدمهم | تخالهم فوق متن الأرض أجيالا |
| لله درهم من فتية صبروا | ما ان رأيت لهم في الناس أمثالا |
| بيض مرازبة غلب أساوره | أسد تربب في الفيضات أشبالا |
| فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً | برأس غمدان دارا منك محلالا |
| تلك المكارم لا قعبان من لبن | شيباً بماء فعادا بعد أبوالا |

واصطفى سيف جماعة من الحبشان خاصة له ، فاغتالوه وقتلوه ، فأرسل
كسرى عاملاً على اليمن ، واستمرت عمال كسرى على اليمن الى آخرهم ، وهو
باذان الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ، وأسلم ثم صارت اليمن للاسلام .

ذكر ملوك العرب في غير اليمن

كان أول ملك من العرب بأرض الجزيرة (مالك) بن فهم بن غنم بن دوس
ابن عدنان بن عبد الله بن وهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن النضر

ابن الأزد من ولد كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، كان ملك مالك في أيام ملوك الطوائف قبل الأكَاسرة . ثم ملك بعده أخوه (عمرو) بن فهم ؛ ثم ابن أخيه (جذيمة) بن مالك ، كان به برص ، فقالوا جذيمة الأبرص وقالوا جذيمة الأبرص كناية عنه ، وعظم شأنه وأخته رقاش ، هويت عدي بن نصر بن ربيعة من أباد وهويها ، وكان جذيمة اصطنع عديا ، وسلم إليه مجلس شرابه ، فاتفتت معه أن يخطبها من أخيها جذيمة حال سكره ، ففعل وأذن له جذيمة ، فدخل عدي برقاش ، فلما أصبح جذيمة وعلم بذلك عظم عليه ، فهرب عدي ، وقيل ظفر به جذيمة فقتله ، وحبلت رقاش من عدي فقال لها جذيمة :

خبريني رقاش لا تكذبيني أبِحُرِّ زنيت أم بهجين
أم بعد فأنتِ أهلٌ لعبد أم بدونِ فأنتِ أهل لدون

فقال: بل من خيار العرب . وجاءت بولد سمته عمراً وربته وزينتته وألبسته طوقاً وفرح به جذيمة ، ثم عدم الغلام وتزعم العرب أن الجن اختطفته ، ثم وجده شخصان مالك وعقيل ، فأحضراه له فجعلها منادمين له ما بقوا . والعرب تضرب المثل بندماني جذيمة . وفي أيام جذيمة ملك الجزيرة ، وأعلي الفرات ، ومشارف الشام رجل من العمالقة اسمه عمرو بن الظرب بن حسان ، وحاربه جذيمة وانتصر جذيمة عليه وقتله . ولعمرو بنت اسمها نائلة وتدعى (الزباء) ملكت بعده وبنت على الفرات مدينتين منقابلتين ، وأخذت في الحيلة على جذيمة وأطمعته بنفسها حتى اغتر وقدم إليها فقتلته وأخذت بثأر أبيها .

ذكر ابتداء ملك اللخمين

ملوك الحيرة هم المناذرة بنو عدي بن نصر بن ربيعة من ولد لحم بن عدي بن عمرو بن سبا ، ولما قتل جذيمة ملك بعده ابن أخته رقاش (عمرو) بن عدي بن

نصر بن ربيعة ، وكان لجذيمة عبد يقال له قصير ، فاتفق معه عمرو على جددع أنف قصير وضربه بالسياط ، وحضر قصير على تلك الحالة إلى الزباء في صورة مفاضب لعمرو ، فأمنت إليه الزباء وصار يتجر لها ، ويأخذ قصير المال من مولاه ويحضره إليها ، موهما لها أنه كسب متجرها مرات ، حتى أتى بقافلة نحو ألف جمل ، عليها صناديق مقلعة من داخل فيها أبطال ، فارتابت الزباء منها وقالت :

ما للجبال سيرها وثيدا أجنடلاً يحملن أم حديدا ؟
أم صرفاناً بارداً شهيدا أم الرجال جثماً قعودا ؟

فلما دخلوا حصنها خرجوا من الصناديق ، وأخذوا المدينة عنوة وقتلوا الزباء ، وأخذ قصير بثأر جذيمة مولاه . (قلت) : هو قصير بن سعد اللخمي صاحب جذيمة . وذكر ابن الجوزي في كتاب الأذكياء : أنه ابن عم جذيمة ، وفي صحاح الجوهري : أنه صاحب جذيمة ، ففي قوله أنه عبد له فيه نظر ، وضرب يجددع قصير أنفه المثل المشهور والله أعلم .

امرؤ القيس :

وطال ملك عمرو ومات وملك بعده ابنه (امرؤ القيس) بن عمرو ويقال له البداء أي الأول ، ثم ملك بعده ابنه (عمرو) في أيام سابور ذي الأكتاف ، ثم ملك (أوس) بن قلام العمليقي ، ثم ملك آخر من العماليق ، ثم رجع الملك إلى بني عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمين المذكورين ، وملك منهم (امرؤ القيس) من ولد عمرو بن امرئ القيس ، ويعرف هذا الثاني بالمحرق لأنه أول من عاقب بالنار .

ثم ملك ابنه (النعمان) الأعور باني الحورنق والسدير ، ملك ثلاثين سنة ثم تزهد وخرج من الملك ، في زمن بهرام جور بن يزدجرد ، ذكره عدي بن زيد في قصيدته المشهورة بقوله :

وتدبر رَبَّ الخورنق إذ أشرف يوماً وللهدى تفكير
سَرَّهُ ماله وكثرة ما يملك والبحر معرض والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غِبْطَة حَيٍّ الى الممات يصير

وملك بعده ابنه (المنذر بن النعمان) وانتهى ملكه في زمن فيروز بن يزيد جرد،
ثم ملك ابنه (الأسود) وانتصر على غسان عرب الشام، وأسر عدة من ملوكهم،
وأراد الأسود بن المنذر أن يعفو عنهم، وكان له ابن عم يقال له أبو أذينة قد
قتل له آل غسان أخاً في بعض الوقائع، فقال أبو أذينة في ذلك قصيدته المشهورة
يفري الأسود بقتلهم، منها:

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا ولا يسوِّغه المقدار ما وهبا
وأحزم الناس من إن فرصة عرّضت لم يجعل السبب الموصول مقتضياً
وأنصف الناس في كل المواطن من سقى المعادين بالكأس الذي شربا
وليس يظلمهم من راح يضربهم بحد سيف به من قبلهم ضربا
والعفو إلا عن الأكفاء مكرمة من قال غير الذي قد قلته كذبا
قتلت عمراً وتستبقي يزيد لقد رأيت رأياً يجرُّ الويل والحربا
لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها إن كنت شهماً فألحق رأسها الذنبا
هم جرّدوا السيف فاجعلهم له جزراً وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا
إن تعف عنهم يقول الناس كلهم لم يعف حلماً ولكن عفوه رهبا
هم أهلة غسان ومجدهم عالٍ فإن حاولوا ملكاً فلا عجباً
وعرّضوا بفداء واصفين لنا خيلاً وإبلاً تروق العُجم والعربا
أجلبون دماً منا ونحلبهم رسلاً لقد شرفونا في الذي حلبا
علامَ نقبلُ منهم فدية وهم لا فضة قبلوا منا ولا ذهباً

وانتهى ملك الأسود في زمن فيروز.

ثم ملك أخوه (المنذر) بن المنذر بن النعمان الأعور ؛ ثم ملك (علقمة)
الذميلي - وذميل بطن من لحم - ثم ملك امرؤ القيس بن النعمان بن المحرق بن
امرئ القيس المحرق قاتل سنار باني قصر امرئ القيس ، وفيه يقول المتلمس :

جزاني أبو لحم على ذات بيننا جزاء سنار وما كان ذا ذنب

ثم ملك ابنه (المنذر) بن امرئ القيس وأم المنذر ماء السماء ، فاشتهر
بأمه ، وهي ماوية ، كانت جميلة وأبوها عوف بن جشم . وطرده كسرى قبادة
المنذر عن ملك الحيرة وملك موضعه (الحارث) بن عمرو بن حجر الكندي ،
لموافقة الحارث لقبادة على دين مزدك ، ولم يوافق المنذر ، وأعاد كسرى
أنوشروان لما ملك إلى ملك الحيرة كما تقدم .

ثم ملك بعد المنذر (عمرو) مضطرب الحجارة ، وهو ابن المنذر بن ماء السماء ،
وأمه هند ، ويعرف بعمر و هند ، ولثمان سنين مضت من ملكه كان مولد النبي
صلى الله عليه وسلم .

ثم ملك بعده أخوه (المنذر) بن المنذر ؛ ثم ابنه (النعمان) بن المنذر بن المنذر
ابن ماء السماء ، وكنيته أبو قابوس ، وهو الذي تنصر ، وأمه سلمى بنت وائل بن
عطية الصائغ من أهل فدك ، وملك اثنتين وعشرين سنة وقتله كسرى برويز ،
وسبب قتله وقعة ذي قار بين الفرس والعرب .

ثم انتقل ملك الحيرة بعد النعمان عن اللخمين إلى (إياس) بن قبيصة الطائي ،
ولسته أشهر من ملك إياس بعث النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وملك بعد إياس
(زادويه) بن ماهان الهمداني .

ثم عاد الملك إلى اللخمين ، فملك بعد زادويه (المنذر) بن النعمان بن المنذر

ابن المنذر بن ماء السماء ، وسمته العرب المفرور ، واستمر مالكا للحيرة الى أن قدم إليها خالد بن الوليد واستولى عليها ، والمناذرة الى نصر بن ربيعة عمال الأكاسرة على عرب العراق ، كما كانت ملوك غسان عمالاً للقيصرية على عرب الشام .

ذكر ملوك غسان

عمال القياصرة على عرب الشام أصلهم من اليمن من بني الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبا ، تفرقوا من اليمن بسيل العرم ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان ، فنسبوا إليه ، وكان قبلهم بالشام العرب الضجاعة من سليح^(١) ، فأخرجت غسان سليحاً ، وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم .

وأول ملوك غسان (جفنة) بن عمرو بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقيا ، وابتداء ملك غسان قبل الإسلام بأزيد من أربعمئة سنة ، ولما قتل جفنة ملوك سليح دانت له قضاة ومن بالشام من الروم ، وبني بالشام مصانع ثم هلك . وملك ابنه (عمرو) وبني بالشام ديورا منها دير جالي ودير أيوب ودير هند .

ثم ملك ابنه (ثعلبة) وبني صرح الغدير في أطراف حوران مما يلي البلقاء . ثم ملك ابنه الحارث ثم (جبلة) بن الحارث ، وبني القناطر واذرح والقسطل .

ثم ملك (الحارث) بن جبلة وسكن البلقاء ، وبني بها الحفير ومصنعه . ثم ملك ابنه (المنذر) الأكبر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو ابن جفنة الأول ، ثم هلك المنذر .

(١) سليح بفتح السين وآخره حاء مهملة .

وملك بعده أخوه النعمان بن الحارث ، ثم ملك بعده أخوه جبلة بن الحارث ،
ثم ملك بعدهم أخوهم الأيهم بن الحارث ، وبني دير صخم ودير النبوة . ثم ملك
أخوهم عمرو بن الحارث . ثم ملك جفنة الأصغر بن المنذر الأكبر وأحرق الحيرة ،
فسمي ولده آل محرق . ثم ملك أخوه النعمان الأصغر بن المنذر الأكبر ، ثم النعمان
ابن عمرو بن المنذر ، وبني قصر السويداء ، ولم يكن عمرو أبو النعمان المذكور
ملكاً ، وفي عمرو يقول النابغة الذبياني :

علي لعمر و نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

ثم ملك بعد النعمان المذكور ابنه جبلة ، وهو الذي قاتل المنذر بن ماء
السماء ، وكان جبلة ينزل بصفين . ثم ملك النعمان بن الأيهم بن الحارث بن ثعلبة .
ثم أخوه الحارث ثم الأيهم . ثم ابنه النعمان بن الحارث ، وأصلح صهاريج الرصافة ،
وكان قد خربها بعض ملوك الحيرة اللخمييين . ثم ابنه المنذر بن النعمان ، ثم أخوه
عمرو بن النعمان ثم أخوها حجر بن النعمان ، ثم ابنه الحارث بن حجر . ثم ملك
ابنه جبلة بن الحارث ثم ابنه الحارث بن جبلة . ثم ابنه النعمان بن الحارث وكنيته
أبو كرب ، ولقبه قطام . ثم الأيهم بن جبلة بن الحارث صاحب تدمر ، وكان
عامله يسمى القين بن خسر وبني له بالبرية قصرأ عظيماً ومصانع ، وكأنه قصر
برقع . ثم أخوه المنذر بن جبلة ، ثم أخوها شرحبيل بن جبلة . ثم أخوهم عمرو
ابن جبلة ، ثم ابن أخيه جبلة بن الحارث بن جبلة .

ثم ملك بعده (جبلة) بن الأيهم بن جبلة وهو آخر ملوك غسان ، أسلم في
خلافة عمر رضي الله عنه ، ثم عاد إلى الروم وتنصر ، وسيأتي ذكره . واختلف
في مدة ملك الغسانية ، فقليل أربعمئة ، وقيل ستائة وقيل بين ذلك .

ذكر ملوك جرهم

هم صنفان : جرهم الأولى في عهد عاد ، فبادوا ودرسوا . وجرهم الثانية من ولد جرهم بن قحطان . وجرهم أخو يعرب بن قحطان ملك (يعرب) اليمن ، وملك أخوه (جرهم) الحجاز ، ثم ابنه عبد ياليل ، ثم ابنه جرهم ، ثم ابنه عبد المدان ، ثم ابنه نفيلة ، ثم ابنه عبد المسيح ، ثم ابنه مضاض ، ثم ابنه عمرو ، ثم أخوه الحارث بن مضاض ، ثم ابنه عمرو ، ثم أخوه بشر بن الحارث ، ثم مضاض بن عمرو بن مضاض ، وجرهم هم الذين اتصل بهم اسماعيل وتزوج منهم .

ذكر ملوك كندة

أولهم حجر آكل المرار بن عمرو من ولد كندة ، واسم كندة ثور بن عفير ابن الحارث من ولد زيد بن كهلان بن سبا ، كانت كندة بغير ملك ، فأكل القوي الضعيف ، فملك حجر وسدد وساس فأحسن ، وانتزع من اللخمين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل ، قالت عنه امرأته : كأنه جمل قد أكل المرار بغضاً له . فغلب عليه لقباً . ثم ملك بعده ابنه (عمرو) ولقب عمرو بالقصور ، لأنه اقتصر على ملك أبيه .

ثم ملك ابنه (الحارث) فقوي ملكه ، ووافق كسرى قباذ على الزندقة المزدكية ، فطرد قباذ المنذر بن ماء السماء ، كما تقدم . فلما أعاد أنوشروان المنذر إلى ملك الحيرة ، وطرد الحارث وهرب ، تبعته تغلب فظفروا بأمواله وبأربعين نفساً من بني حجر آكل المرار ، منهم اثنان من ولد الحارث فقتلهم المنذر جميعاً في ديار بني مرين ، وفي ذلك يقول امرؤ القيس بن حجر بن الحارث :

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا
ملوك من بني حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلوننا

فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل ولكن في الدماء مرمينا
تظل الطير عاكفة عليهم وتنتزع الحواجب والعيونا

وهرب الحارث الى ديار كلب وبقي بها حتى عدم، واختلف في صورة عدمه، وكان قد ملك ابنه (حجراً) على بني أسد وبني خزيمه بن مدركة ، وملك باقي بنيه على قبائل العرب ، فابنه شرحبيل على بكر بن وائل ، وابنه معدي كرب ويلقب غلفاً ، لتغليف رأسه بالطيب ، على قيس عيلان ، وابنه سلمة على تغلب ، والنمر وحجر هذا أبو امرئ القيس الشاعر ، تماسك أمره في بني أسد مدة ثم تنكروا عليه فقهرهم وأنكى فأطاعوه ثم قتلوه غيلة، وفيه يقول امرؤ القيس ابنه أبياتاً منها :

بنو أسد قتلوا ربهم ألا كل شيء سواه جلل

ولما سمع بقتل أبيه بدمون - موضع باليمن - قال :

تطاول الليل علينا دمون دمون إننا معشر يمانون

امرؤ القيس والسموأل :

ثم استنجد امرؤ القيس ببكر وتغلب على بني أسد، فهربوا منه ، ثم تخاذلت عنه بكر وتغلب ، وتطلبه المنذر بن ماء السماء ، ففرقت جموع امرئ القيس خوفاً ، وخاف امرؤ القيس أيضاً من المنذر ، فتنقل الى قبائل العرب يتدخل عليهم ، حتى قصد سموأل بن عاديا اليهودي ، فأكرمه وأقام عنده ما شاء الله ، ثم قصد قبصر ملك الروم مستنجداً ، وأودع أدرأه عند سموأل ، ومر على حماة وشيزر قلت : ومر أيضاً على بادف ذات التل ، وقال في سيرة قصيدته المشهورة ، منها :

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا

ومنها :

نقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاورنا حماة وشيزرا

ومنها :

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعدرا

وكان به قرحة طالت به ، وفيها يقول :

وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة لعل منايانا تحولن أبؤسا

فمات امرؤ القيس بعد عوده عن قيصر بالروم ، عند جبل عسيب ،
وهناك قال :

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني متم ما أقام عسيب

مقتل ابن السمؤال :

وقيل سمه ملك الروم وليس بشيء ، ولما مات امرؤ القيس ، سار الحارث
ابن أبي شمر الغساني الى السمؤال ، وطالبه بأدراع امرئ القيس وهي مائة ،
وبما له عنده ، وكان الحارث قد أسر ابن السمؤال ، فامتنع السمؤال من تسليم
ذلك الى الحارث ، فقال الحارث : إما أن تسلم الأدراع وإما قتلت ابنك ، فأبى
السمؤال من تسليمها ، فقتل ابنه قدامه ، فقال السمؤال أبياتاً منها :

وفيت بأدراع الكندي اني إذا ما ذم أقوام وفيت
وأوصى عادياً يوماً بأن لا يهدم يا سمؤال ما بنيت

وذكر الأعشى هذه الحادثة فقال :

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به في جمفل كسواد الليل جرار
فشك غير طويل ثم قال له اقتل أسيرك إني مانع جاري

ذكر عدة من ملوك العرب متفرقين

منهم (عمرو) بن لحيّ بن حارثة بن عمرو مزيقيا بن عامر بن حارثة
ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ، من ولد كهلان بن سبا .

بداية عبادة العرب للأصنام :

هذا عمرو ملك الحجاز كبير الذكر في الجاهلية ، وإليه تنسب خزاعة ،
فيقولون إنهم من ولد كعب بن عمرو المذكور ، وهو أول من جعل الأصنام على
الكعبة وعبدها ، فأطاعه العرب وعبدوها حتى جاء الإسلام ، لأنه رأى باللقاء
من الشام قوماً يعبدون الأصنام ، وقالوا له هذه أرباب اتخذناها ، على شكل
الهيكل العلوية ، والأشخاص البشرية ، نستنصر بها فننصر ، ونستقي بها
فنسقى ، ونستشفى فنشفى . فأعجبه ذلك ، فطلب منهم صنماً فأعطوه هبل ،
فنقله إلى مكة وجعله على الكعبة ، واستصحب أيضاً أساف وثائلة ، صنمين ،
ودعا إلى تعظيم الأصنام ، فأجابوه .

وقال الشهرستاني : كان ذلك في أيام سابور وهو غلط ، فعمره وعبادة
الأصنام قبل ذلك ، وسابور قبل الإسلام بنحو أربعمئة سنة ، إن كان سابور ابن
ازدشير بن بابك ، وإن كان سابور ذا الأكتاف فأبعد عن الصواب ، فإنه بعد
سابور الأول بكثير .

ومن ملوك العرب (زهير) بن جناب بن هبل بن عبدالله بن كنانة بن بكر

ابن عوف بن عذرة الكلبي ، سمي زهير الكاهن لصحة رأيه ، وعمر وغزا كثيراً ، واجتمعت عليه قضاة ، فغزاهم غطفان ، بسبب أن بني بغيض بن ريث بن غطفان بنوا حرمًا مثل حرم مكة ، وولي سدائته منهم بنو مرة بن عوف ففاظه بناؤه ، فغزاهم وظفر ، وأبطل حرمهم وأخذ أموالهم وردّ نساءهم عليهم ، وفي ذلك يقول :

ولولا الفضل منا ما رجعت
إلى عذراء شيمتها الحياء

وكان زهير قد اجتمع بأبرهة صاحب الفيل ، فأكرمه وأمره على بكر وتغلب ابني وائل ، واستمر زهير أميراً عليهم حتى خرجوا عن طاعته ، فغزاهم أيضاً وقتل فيهم ، وغزا بني القين ، ويطول شرح حروبه معهم ، وكان الظفر له ، وأسّٰن وشرب خمرًا صرفاً فمات ، ومن قتله الصرّف ، عمرو بن كلثوم التغلبي ، وأبو عامر ملاعب الأسنة العامري .

كليب ابن ربيعة :

ومن ملوك العرب كليب بن ربيعة بن الحارث بن نصر بن جشم بن بكر ابن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل ، ووائل هو ابن قاسط بن هنب بن أقصى بن دغمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد ابن عدنان ، واسم كليب وائل ، ولقب كليباً . ملك على بني معد ، وقاتل جموع اليمن وهزمهم ، وعمر زماناً ثم زها وبغى على قومه ، وحمى عليهم مواقع السحاب ، فلا يرعى حماه ويقول : وحش أرض كذا في جوارى فلا يصاد ولا ترد إبل مع إبله ، ولا يوقد نار مع ناره ، حتى قتله (جسّاس) بن مرة بن ذهل ابن شيبان ، وشيبان من بني بكر بن وائل .

سبب مقتل كليب

ان رجلاً من جرم نزل على خالة جسّاس ، وهي البسوس بنت منقذ التميمية ، وللجرمي ناقة اسمها سراب ، فوجدها كليب ترعى في حماه ، فخرم ضرعها

بسهم ، فصرخ صاحبها بالذل ، فصاحت البسوس واذلاه ، بسبب نزيلها ،
فانتصر جساس لحالته ، وقصد كليياً وهو منفرد في حماه فقتله بالرمح ، فقام
أخوه (مهلهل) بن ربيعة وجمع تغلب ، وجرى بين تغلب وبني بكر وقائع ،
أولها يوم عنيزة ، كانوا في القتال على السواء ، ثم اقتتلوا على ماء اسمه (النهى)
وكان رئيس تغلب مهلهلاً ، ورئيس بني شيبان بن بكر الحارث بن مرة أخا
جساس ، فانتصرت تغلب ، ثم اقتتلوا (بالذئاب) وهي أعظم وقعاتهم ، فانتصر
مهلهل وبني تغلب ، وقتل من بكر مقتلة عظيمة ، ومن بني شيبان جماعة منهم
شرحبيل بن همام بن مرة ، وهو ابن أخي جساس ، وشرحبيل جد معن بن
زائدة ، وقتل أخو جساس الحارث بن مرة ، وكذلك قتل جماعة من
رؤساء بكر .

ثم التقوا يوم (واردات) فظفرت تغلب أيضاً ، وكثر القتل في بكر ، وقتل
همام أخو جساس لأبويه ، وجعلت تغلب تطلب جساساً ، فألحقه أبوه بأخواله
بالشام سراً مع نفر قليل ، وبلغ مهلهلاً الخبر ، فأرسل إليه ثلاثين فارساً
فأدركوه ، فاقتتلوا فلم يسلم من أصحاب مهلهل غير رجلين ، ولا من أصحاب
جساس غير رجلين ، وجرح جساس جرحاً مأت منه ، وكذلك قتل مهلهل
أيضاً بجير بن الحارث البكري ، ولما قتله مهلهل قال بؤ بشسع نعل كليب ،
فقال الحارث أبو بجير أبياته المشهورة ، ومنها :

قرباً مربط النعامة^(١) مني شاب رأسي وأنكرتني رجالي
لم أكن من جناتها علم الله وإني بجرها اليوم صالي

ودامت الحرب بين بني وائل المذكورين أربعين سنة ، ولما قتل جساس ،
أرسل أبو مرة يقول لمهلهل : قد أدركت نارك وقتلت جساساً ، فاكفف عن

(١) النعامة فرسه .

الحرب ودع اللجاج والاسراف . فلم يرجع مهلهل عن القتال . ولما طالت الحرب وأدركت تغلب ما أرادته من بكر ، أجابوهم الى الكف عن القتال وعدم مهلهل .

ومن ملوك العرب (زهير) بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن فظيعة بن عبس والد الملك قيس بن زهير العبسي ، كان لزهير أتاوة على هوازن يأخذها كل سنة بسوق عكاظ أيام الموسم بالحجاز ، فحقدوا عليه لذلك ، واحترب زهير وعامر ، فاتفقت هوازن مع خالد بن جعفر بن كلاب وبني عامر على حرب زهير ، واقتتلوا فاعتنق زهير وخالد ، فقتل زهير بالقرب من أرض هوازن ، فحمله بنوه ميتاً إلى بلادهم . وفي ذلك يقول ورقة بن زهير لخالد أبياتاً منها :

فطر خالداً إن كنت تستطيع طيرة ولا تبقين إلا وقلبك حاذر
أنتك المنايا إن بقيت بضربة تفارق منها العيش والموت حاضر

فخاف خالد من قتل زهير ، وسار الى النعمان بن امرئ القيس اللخمي ملك الحيرة واستجار به ، وكان زهير سيد غطفان ، فانتدب منهم (الحارث) بن ظالم المري وقدم الى النعمان في معنى حاجة له ، وكان النعمان قد ضرب لخالد قبة ، فلما جن الليل دخل الحارث الى خالد وقتله في القبة غيلة وهرب وسلم . ثم جمع (الأحوص) بن جعفر أخو خالد بن عامر وطلب الحارث المري ، وكذلك أخذ النعمان في طلبه لقتله جاره ، وجرت لذلك حروب طويلة آخرها يوم شعب جيلة ، كما سيأتي .

ومن ملوك العرب (الملك قيس) بن زهير العبسي المذكور ، جمع لقتال بني عامر أخذاً بثأر أبيه زهير ، ثم نزل بالحجاز وفاخر قريشاً ، ثم رحل ونزل على بني بدر الفزاري الذبياني ، على حذيفة بن بدر ، وكان قيس قد اشترى من

الحجاز حصانه وفرسه ، وهما (داحس والغبراء) وقيل الغبراء بنت داحس ، استولدها قيس من داحس ، وكان لحذيفة بن بدر فرسان الخطار والحنفاء ، وقصد أن يسابق بينهما وبين داحس والغبراء ، فكره قيس السباق فأبى حذيفة إلا ذلك .

وأجروا الأربعة بذات الآصاء ، وكان الميدان مائة غلوة (١) والرهن مائة بعير ، فسبق داحس سبقاً بيناً والناس ينظرون إليه ، وكان حذيفة قد أكن في طريق الخيل من يعترض داحساً إن جاء سابقاً ، فاعترضه الكمين وضربه على وجهه ، فتأخر داحس ، وسبق الغبراء أيضاً الخطار والحنفاء ، فأنكر حذيفة ذلك كله وادّعى السبق ، فوقع الخلف بين بني بدر وبني قيس .

حرب داحس :

وكان بين الربيع بن زياد وبين قيس خلف بسبب درع اغتصبها الربيع من قيس ، وكان الربيع يسوؤه اتفاق بني بدر مع قيس ، فسره ذلك ، واشتد الأمر ، فقتل قيس بديّة بن حذيفة ، وكان مالك أخو قيس نازلاً في بني ذبيان ، فبلغهم قتل بديّة ، فقتلوا مالكا غيلة ، فعظم على الربيع بن زياد مقتل مالك ، وعطف على قيس وانتصر له ، وللربيع أبيات في مقتل مالك منها :

من كان مسروراً بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار
يحد النساء حواسراً يندبته ويقمن قبل تبلج الأسحار

ثم اجتمع قيس والربيع وتعانقا ، وقال قيس للربيع إنه لم يهرب منك من لجأ إليك ، ولم يستغن عنك من استعان بك . واجتمع إليهما بنو عبس ، واجتمع إلى بني بدر فزاره وذبيان ، واشتدت الحرب المعروفة بحرب داحس ، فاقتلوا أولاً فقتل عوف بن بدر ، وانهمت فزاره بعد قتل ذريع فيهم . ثم اقتتلوا

(١) الغلوة رمية سهم أبعد ما يمكن .

ثانياً فنصرت عبس أيضاً وقتل الحارث بن بدر ، وطالت الحروب وآخرها هزيمة فزارة ، فانفرد حذيفة وحمل أخوه وجماعة وقصدوا (حفر الهباسة) فلحقهم بنو عبس وفيهم قيس والربيع بن زياد وعنترة ، وحالوا بينهم وبين خيلهم ، وقتلوا جميلاً وحذيفة .

ذكر عنترة بن شداد :

وأكثر الشعراء في ذلك ، وظهرت في هذه الحروب شجاعة عنترة بن شداد . فلما قويت فزارة دخلت بنو عبس على كثير من أحياء العرب ، فلم يطل لهم مقام عند أحد . وآخر الحال قصدت عبس الصلح مع فزارة ، وتم الصلح ، وقيل لما اصطلحوا لم يسر قيس معهم ، بل انفرد وتنصر وساح وترهب بعمان زماناً ، وقيل تزوج في النهرين لما انفرد ، وولد له فضالة ، وبقي فضالة حتى قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم على من معه من قومه ، وكانوا تسعة وهو عاشرهم .

وبين ملوك العرب وقائع مشهورة منها : يوم خزاز ، تقاتل فيه بنو ربيعة ابن نزار وهو ربيعة الفرس ، وقبائل اليمن ، وكانت الدائرة على اليمن ، وقيل كان كليب وائل قائد بني ربيعة ، وخزاز جبل بين البصرة الى مكة . ومنها : أيام بني وائل بسبب قتل كليب ، كانت بين مهلهل قائد تغلب ، وبين أبي جساس قائد بكر ، فأولها (يوم عنيزة) تكافؤوا فيه ، ثم يوم (واردات) نصرت تغلب ، ثم (يوم الحنو) لبكر ، ثم (يوم القضييات) لتغلب ، حتى كادت بكر تبديد ، ثم (يوم اقضه) ويقال يوم التحالف ، قتل من الفريقين ، ثم أيام بينهم لم تشتد كهنه . ومن أيام العرب (يوم عين اباغ) بين غسان ولخم ، وكان قائد غسان الحارث الذي طلب ادراع امرئ القيس ، وقيل غيره ، وقائد لخم المنذر ابن ماء السماء ، وقتل المنذر هذا اليوم ، وانهمزمت لخم ، وتبعتهم غسان الى الحيرة ، وأكثروا فيهم القتل ، وعين اباغ بموضع يسمى ذات الخيار .

ومنها (يوم مرج حليلة) بين غسان ولخم أيضاً ، وكان عظيماً ، حجب

غباره الشمس ، وظهرت الكواكب في خلاف جهة الفبار ، واختلف في النصر لمن كان منهم . ومنها (يوم الكلاب الأول) كان بين الأخوين شرحبيل ، وسلمة ابني الحارث بن عمرو الكندي ، كان مع شرحبيل وهو الأكبر بكر وائل وغيرهم ، ومع سلة تغلب وائل وغيرهم ، والكلاب موضع بين البصرة والكوفة ، وبذل كل واحد من الأخوين في رأس أخيه مائة من الإبل ، واشتد القتال فانتصر سلة ، وقتل شرحبيل ، وحمل رأسه الى سلة .

ومنها (يوم أواراة) جبل كان بين المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة ، وبين بكر وائل ، بسبب اجتماع بكر على سلة بن الحارث ، وظفر المنذر ببكر ، وأقسم أن لا يزال يذبحهم حتى يسيل دمهم من رأس أواراة الى حضيضه ، فجمد الدم فسكب عليه ماء حتى سال وبراً قسمه .

ومنها (يوم رحرحان) وهو واد ، وذلك أن الحارث بن ظالم المري ، ثم الذبياني لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب ، قاتل زهير كما تقدم ، وهرب من النعمان ملك الحيرة لقتله خالداً جاره ، فلم يجر الحارث أحد خوفاً من النعمان ، إلا معبد ابن زرارة ، فلم يوافق قومه بنو تميم ، ووافقهم هنهم بنو ماوية وبنو دارم . وبلغ الأحوص أخا خالد ذلك فسار إليهم واقتتلوا ، فانهزم بنو تميم وأسر معبد ، وقصد أخوه لقيط بن زرارة فكه فلم يقدر ، وعذبوا معبداً حتى مات .

ومنها (يوم شعب جبلة) يوم عظيم ، فإنه لما انقضت وقعة رحرحان ، استنجد لقيط بن زرارة بذبيان ، فنجدته وتجمعت له تميم ، غير بني سعد ، وخرجت معه بنو أسد ، وسار بهم لقيط الى بني عامر وعبس ، لثأر معبد أخيه ، فأدخلت عبس وبنو عامر أموالهم في شعب جبلة (١) ، فحضرهم لقيط ،

(١) وجبلة هضبة حمراء بين الشريف والشرف وهما ماءان .

فخرجوا عليه من الشعب، وكسروا جموعه وقتلوه، وأسروا أخا لقيط حاجبا،
وفي ذلك يقول جرير :

ويوم الشعب قد تركوا لقيطاً كأن عليه حلة أرجوان
وكبل حاجب بالشام حولاً فحكّم ذا الرقبة وهو عان

وكثر أيضاً فيه القتلى من بني ذبيان وتميم وأسد فأكثر العرب المراثي فيه،
وهو بعد شعب رحرحان بسنة، ويوم الشعب في عام مولد النبي صلى الله
عليه وسلم.

ومنها يوم (ذي قار) في سنة أربعين من مولده صلى الله عليه وسلم، وقيل
عام وقعة بدر، وذلك أن كسرى برويز غضب على النعمان بن المنذر وحبسه،
فهلك في الحبس، وكان النعمان قد أودع حلقتة، وهي السلاح والدروع، عند
هانيء بن مسعود البكري، فأرسل برويز يطلبها منه فقال: هذه أمانة والحر
لا يسلم أمانته، فاستشار برويز اياس بن قبيصة الطائي الذي ملكه برويز
الحيرة موضع النعمان، فأشار اياس بالتغافل عن هانيء ليطمئن فيدرك، فقال
برويز: إنه من أخوالك ولا تألوه نصحاً. فبعث برويز الهرمزان في ألفين من
الأعاجم، وألف من بهرا، فبلغ بكر وائل فنزلوا ببطن ذي قار، فوصلت
الأعاجم واقتتلوا ساعة، فانهزمت الأعاجم قبيحاً، وأكثر الشعراء من ذكره.

الفصل الخامس

في ذكر أئمة العالم

الأمة : الجماعة ، لفظه واحد ومعناه جمع ، وكل جنس من الحيوان أمة ،
وفي الحديث : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها » .

أمة السريان والصابئين

السريان أقدم الأمم ، وبالسرياني تكلم آدم وبنوه ، وملتهم ملة الصابئين ،
ويذكرون أنهم أخذوا دينهم عن شيث وإدريس ، ولهم كتاب يسمونه صحف
شيث ، فيه محاسن أخلاق كالصدق والشجاعة والتعصب للغريب ، واجتناب
الرزائل . قلت : ورأيت صحيفتين من صحف الصابئين ولكنها عن إدريس .

الأولى منهما : صحيفة الصلاة ، فمنها : « أنت الأزلي الذي ترتبط به الرياسات ،
رب جميع المكوّنات المعقولات والمحسوسات ، رئيس البرايا وراعي العوالم ،
رب الملائكة ورؤساء الملائكة ، منك تنزلت العقول الى مدبري الأرض ، لأنك
السبب الأول ، أحاطت قدرتك بالكل ، وأنت الوحدانية التي لا تحدد ولا

تدرك ، مدبر سلاطين السماء ، وينابيع النور الدائمة الإنارة ، أنت ملك الملوك ،
 الأمر بالخيرات كلها ، المتقدم لكل شيء بالوحي والإشارة ، منك تنبت
 المخلوقات ، وبرمزمك ينتظم العالم بأسره ، ومنك النور ، وأنت العلة القديمة
 السابقة لكل شيء ، نسألك أن تزكي نفوسنا وتوفقها لاستحقاق نعمتك ، الآن
 وفي كل أوان إلى الأبد . يا ظاهراً متعالياً عن كل دنس احلل عقالنا وعافنا من
 كل مرض ، وبدّل أحزاننا أفراحاً ، بك نعتصم ومنك نخاف ، نسألك أن
 توفقنا لتمجيد عظمتك التي يشار إليها ، ولا ينطق بها منك الكل ، وبك يستنير
 الكل ، وأنت رجاء العالمين ، ومعين الناس أجمعين »

وفي هذه الصحيفة عبارة فلسفية لا يجوز في ديننا إطلاقها على الباري
 سبحانه وتعالى عما لا يليق بجلاله .

والثانية (صحيفة الناموس) فمنها: « لا يجربن أحد منكم في معاملة أخيه إلى
 ما يكره أن يعامل بمثله ، وإياكم والتفاخر والتكاثر ، لا تحلفوا بالله كاذبين ، ولا
 تهجموا على الله باليمين ، واعتمدوا الصدق ، حتى يكون نعم من قولكم نعم
 ولا لا ، وتورعوا في تحليف الكاذبين بالله جل ذكره ، فإنكم تشر كونهم في الإثم
 إذا علمتم منهم الحنث ، وليكن الأسر في نفوسكم أن تكلوهم إلى الله عالم السرائر ،
 فحسبكم به من حاكم يعدل ، وناطق يفصل ، لا تلهجوا بهجر الكلام وسوء المقال ،
 ولا تتفاوضوا الأضاليل والأباطيل ، ولا تكثروا الهزل والضحك والهمز واللمز ،
 لا تبدر منكم عند الغضب كلمة الفحش ، فإنها تردىكم العار والمنقصة ، وتلحق
 بكم العيب والهجنة ، وتجرح عليكم المآثم والعقوبة ، من كظم غيظه وقيد لفظه
 ونظف منطقه وطهر نفسه ، فقد غلب الشر كله ؛ استشعروا الحكمة ، وابتغوا
 الديانة ، وعودوا نفوسكم الوقار والسكينة ، وتحلوا بالآداب الحسنة الجميلة ،
 ترووا في أموركم ولا تعجلوا ولا سيما في مجازاة المسيء ، إن تكن من أحدكم
 فرطة وارتكب منكراً ، فليقلع عنها ، ولا تحمله السلامة منها على المعاودة

لها ، فإنها إن سترت عليه في الدنيا ، فإنه يفتضح بها على رؤوس الأشهاد يوم الدين .

وهما طويلتان ، والله أعلم .

وللصابئين عبادات منها سبع صلوات منهن خمس توافق صلواتنا ، والسادسة الضحى ، والسابعة في تمام الساعة السادسة من الليل ، واصلاتهم نية ، ولا يخلطها المصلي بشيء من غيرها ، ولهم الصلاة على الميت بلا ركوع ولا سجود ، ويصومون ثلاثين يوماً ، وإن نقص الهلال صاموا تسعة وعشرين ، يراعون في فطرم وصومهم الهلال ، بحيث يكون الفطر وقد دخلت الشمس للحمل ، ويصومون من ربيع الليل الآخر إلى غروب قرص الشمس ، ولهم أعياد عند نزول الكواكب الخمسة المتحيرة بيوت اشرافها ، والمتحيرة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد ، ويعظمون بيت مكة ، وبظاهر حران مكان يحجونه ، ويقولون ان أهرام مصر أحدهما قبر شيث بن آدم والآخر قبر ادريس ، وهو خنوخ ، والآخر قبر صابىء بن ادريس الذي ينتسبون إليه ، ويعظمون يوم دخول الشمس الحمل ، فيتزينون ويتهادون فيه .

قال ابن حزم : الدين الذي انتحلوه أقدم الأديان على وجه الدهر ، والغالب على الدنيا الى أن أحدثوا فيه الحوادث ، فبعث الله إليهم ابراهيم خليله عليه السلام بالدين الذي نحن عليه الآن .

قال الشهرستاني : والصابئون يقابلون الحنيفية ، ومدار مذهبهم التعصب للروحانيين ، كما أن مدار مذهب الحنفاء التعصب للبشر الجسمانيين .

أمة القبط

من ولد حام أهل ملك بديار مصر ، واختلط بهم طوائف من اليونان والعماليق والروم وغيرهم ، وذلك لكثرة من ملك عليهم من الغرباء ، وكانوا سالفاً صابئة ذوي هياكل وأصنام ، ومنهم علماء بالفلسفة ، وخاصة الطلسمات والنيرنجات والمرائي المحرقة والكيمياء ، ودار ملكهم منف ، ولقبت ملوكهم بالفراعنة ، وقد تقدم هذا .

أمة الفرس

وهي بفارس ، ومنها كرمان والأهواز وأقاليم ، وما دون جيحون منها يسمى إيران ، وهي أرض الفرس ، وما وراء جيحون يسمى توران ، وهي أرض الترك . قيل الفرس من ولد فارس بن ارم بن سام ، وقيل من ولد يافث ، وهم يقولون من ولد كيومرث ، وهو عندهم النبي ابتداء منه النسل مثل آدم عندنا ، ويذكرون أن الملك فيهم من كيومرث وهو آدم الى غلبة الإسلام ، خلا تقطع في مدد يسيرة ، مثل تغلب الضحاك ، وأفراسياب التركي . وملوكهم عند الأمم أعظم ملوك العالم ، بعقول وافرة وأحلام راجحة ، وترتيب المملكة ، كانوا لا يولون ساقط البيت ، وفرقهم كثيرة ، منهم الديلم سكان الجبال ، ومنهم الجبل يسكنون الوطأة لجبال الديلم ، وأرضهم ساحل بحر طبرستان ، ومنهم الكرد يجبال شهرزور . وقيل الكرد من العرب ثم تنبطوا ، وقيل هم أعراب العجم .

وللفرس ملة قديمة يقال للدائنين بها الكيومرثية ، أثبتوا إلهاً قديماً سموه يزدان ، وإلهاً مخلوقاً من الظلمة سموه أهرمن ، ويزدان عندهم الله تعالى ، وأهرمن

إبليس . أصل دينهم مبني على تعظيم النور وهو يزدان ، والتحرز من الظلمة ، وهو أهرمن ، ولما عظموا النور عبدوا النار ، وكانوا على ذلك حتى ظهور زرادشت ، في أيام كشتاسف ملك الفرس ، ودخل كشتاسف والفرس في دين زرادشت .

وذكر لهم كتاباً زعم أن الله أنزله عليه ، وهو من قرية من قرى اذربيجان ، ولهم في خلق زرادشت وولادته كلام لا يفيد . وقال زرادشت بالباري سبحانه : وإنه خالق النور والظلمة ، وإنه واحد لا شريك له ، وإن الخير والشر إنما حصل من امتزاج النور بالظلمة ، ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم ، ولا يزال المزاج حتى يغلب النور الظلمة ، ثم يتخلص الخير الى عالمه والشر الى عالمه ، وقبلة زرادشت الى المشرق حيث مطلع الأنوار .

أعياد الفرس :

وللفرس أعياد ورسوم ، فمنها (النوروز) وهو اليوم الأول من فرور دين ماه ، واسمه يوم جديد ، لكونه غرة الحول الجديد ، وبعده أيام خمسة كلها أعياد .

ومن أعيادهم (التيركان) وهو ثالث عشر من تيرماه ؛ ولما وافق اسم اليوم الثالث عشر اسم شهره ، صار ذلك اليوم عيداً ، وهكذا كل موافق اسمه اسم شهره .

ومنها (المهرجان) وهو سادس عشر مهرماه وفيه زعموا أن افريدون ظفر بالساحر الضحاك بيوراسب ، وحبسه يجبل دماوند .

ومنها (الفروردجان) وهو الأيام الخمسة الأخيرة من آبان ماه ، تصنع المجوس فيها الأطعمة والأشربة لأرواح موتاهم على زعمهم .

ومنها (ركوب الكوسج) كان يأتي في أول الربيع كوسج راكب حماراً قابض على غراب ، ويتروّح بمروحة ويودّع الشتاء ، وله ضريبة ، ومق وجد بعد ذلك اليوم ضرب .

ومنها (السدق) وهو عاشر بهمن ماه وليلته توقد فيها النيران ، ويشرب حولها .

ومنها (الكنبهارات) أقسام مختلفة لأيام السنة ، في أول قسم منها خمسة أيام ، هي الكنبهارات زعم زرادشت أن في كل يوم منها خلق الله نوعاً من الخليقة ، من سماء وأرض وماء ونبات وحيوان وإنس وجن ، فتم خلق العالم في ستة أيام .

أمة اليونان

نجموا من رجل اسمه اللن ولد سنة أربع وسبعين لمولد موسى عليه السلام ، وكان أوميرس الشاعر اليوناني موجوداً في سنة ثمان وستين وخمسة لوفاة موسى عليه السلام ، وهو تاريخ ظهور أمة اليونان ، كانوا أهل شعر وفصاحة ، ثم صارت فيهم الفلسفة زمان بخت نصر . قال أبو عيسى : وهذا منقول من كتاب كورس اليوناني ، الذي رد فيه على للبان الذي ناقض الإنجيل .

قال المؤلف رحمه الله : ونقل الشهرستاني أن أيسدقليس كان في زمن داود عليه السلام ، وفيثاغوراس في زمن سليمان عليه السلام ، وهما من فلاسفة اليونان . فقول أبي عيسى أن الفلسفة ظهرت من اليونان زمن بخت نصر غير مطابق لهذا ، فإن بخت نصر بعد سليمان بأكثر من أربعمئة سنة .

من كتاب ابن سعيد: أن بلاد اليونان كانت على الخليج القسطنطيني من شرقيه وغربيه الى البحر المحيط ، والبحر القسطنطيني ، خليج بين بحر الروم وبين بحر القرم ، واسمه قديماً بحر نيطش^(١) .

قال : واليونان فرقتان ، فرقة يقال لهم (الإغريقيون) وهم الأول ، وفرقة يقال لهم (اللطينيون) . قيل اليونان من ولد يافث وقيل من جملة الروم من ولد صوفر بن العيص بن يعقوب بن ابراهيم عليهم السلام ، وكانت ملوكهم أعظم الملوك ، حتى غلبت عليهم الروم كما تقدم في ذكر أغسطس ، وكانت بلادهم في الربع الشمالي المغربي ، يتوسطها الخليج القسطنطيني . وجميع العلوم العقلية مأخوذة عنهم ، كالمنطقية والطبيعية والإلهية والرياضية^(٢) .

حكاء وفلاسفة اليونان :

ومن فلاسفة اليونان (بالس) العملي من بخت نصر ، ومنهم (أبيدقلس وفيثاغورس) في زمن داود وسليمان عليها السلام ، وفيثاغورس من كبار الحكماء ، زعم أنه سمع حفيف الفلك ، ووصل الى مقام الملك ، وقال : ما سمعت شيئاً ألد من حركات الأفلاك ، ولا رأيت أبهى من صورتها .

ومنهم (بقراط الحكيم) المشهور ، نجم سنة مائة وست وتسعين لبخت نصر ، فيكون بقراط قبل الهجرة بألف ومائة وبضع وسبعين سنة .

ومنهم (سقراط) ، قال الشهرستاني : كان فاضلاً زاهداً ، واعتزل في غار

(١) بكسر النون وياء مثناة تحت ساكنة وطاء مهملة وشين معجمة .

(٢) كانوا يسمون الرياضي جومطرياً ، ويشتمل على الهيئة والهندسة والحساب واللحون والايقاع وغير ذلك ، وكان العالم بذلك يسمى فيلسوفاً ، وتفسيره محب الحكمة ، فيلو : محب ، وسوقا : الحكمة .

بالجبل ، ونهى عن الشرك والأوثان ، فألجأت العامة الملك الى أن حبسه ثم سمه فمات .

ومنهم (افلاطون) تلميذ سقراط جلس بعده على كرسيه . ومنهم (أرسطاطاليس) تلميذ أفلاطون في زمن الاسكندر ، وبين الاسكندر والهجرة تسعمائة وأربع وثلاثون سنة ، فأفلاطون قبل ذلك ببسير وسقراط قبل أفلاطون ببسير ، فيكون بين سقراط والهجرة نحو ألف سنة وبين أفلاطون والهجرة أقل من ذلك .

ومنهم (طيماوس) من مشايخ أفلاطون ، وأما أرسطاطاليس فهو المقدم المشهور والحكيم المطلق . لما بلغ أرسطو سبع عشرة سنة سلمه أبوه الى أفلاطون ، فمكث نيفاً وعشرين سنة ، ثم صار حكيماً مبرزاً يشتغل عليه ، والاسكندر من تلاميذ أرسطو ، تعلم عليه خمس سنين ونال من الفلسفة ما لم ينل سائر تلاميذ أرسطو ، وعهد إليه بالملك .

ومنهم (برقليس) بعد أرسطو صنف كتاباً فيه سيئة في قدم العالم . ومنهم (الاسكندر) الافروديسي بعد أرسطو من كبار الحكماء .

ومن تاريخ ابن القفطي وزير حلب قال :

ومنهم (طيموخارس) رياضي يوناني عالم بهيئة الفلك ، رصد الكواكب ، وذكره بطليموس في المجسطي ، قبل بطليموس بأربعمائة وعشرين سنة .

ومنهم (فرقوريوس) من صور بالشام على البحر الرومي بعد جالينوس ، الذي سيذكر ، عالم بكلام أرسطو ، وفسر كتبه لما شكا الناس من غموضها .

ومنهم (فلوطيس) يوناني شرح كتب أرسطو ونقل من تصانيفه من الرومي الى السرياني ، ولا نعلم ان شيئاً منها خرج الى العربي . ومنهم (فولس) الأجنبيطي

القوابلي^(١). ومنهم (لسون) المتعصب لفلسفة أفلاطون. ومنهم (مقسطراطيس) يوناني شرح كتب أرسطو وخرجت الى العربي .

ومنهم (منظر) الاسكندري إمام في علم الفلك ، واجتمع هو وافطيمن بالاسكندرية ، ورصدا وحققا ، قبل بطليموس بنحو خمسمائة سنة وإحدى وسبعين . ومنهم (مورطس) ويقال مورشطس يوناني له رياضة وتخييل ، صنف كتاباً للأرغن^(٢) .

ومنهم (مفنس) من حمص تلميذ أبقراط ، له ذكر في زمانه وتصانيف ككتاب البول وغيره .

ومنهم (مثروديطوس) ركب المعجون وسماه باسمه ، وجرب الأدوية وامتحن قواها في أشخاص استحقوا القتل ، فمنها ما وافق لدغة الرتيلا، ومنها ما وافق لدغة العقرب ، وكذلك غير ذلك .. (انتهى كلام ابن القفطي) .

وأما بطليموس وجالينوس فمتأخران عن زمن اليونان، هما في زمن الروم، متقاربا الزمن ، وجالينوس متأخر بقليل . قال ابن الأثير : أدرك جالينوس زمن بطليموس مصنف المجسطي المذكور في زمن انطونينوس ، ومات انطونينوس سنة اثنتين وستين وأربعمائة للاسكندر ، وبين رصد بطليموس ، ورصد المأمون ستمائة وتسعون سنة ، ورصد المأمون بعد مائتين للهجرة ، ورصد بطليموس أربعمائة وتسعون سنة بالتقريب ، وجالينوس في أيام قومودوس الملك ، وموت قومودوس سنة أربع وتسعين وأربعمائة للاسكندر ، فبين جالينوس والهجرة أكثر من أربعمائة سنة بقليل .

(١) نسبة الى جمع قابلة، خبير بطب النساء يسأله القوابل عن حوادث النساء عقيب الولادة. هو بعد جالينوس أقام بالاسكندرية .

(٢) آلة تسمع على ستين ميلا .

ومن حكماء اليونان (اقليدس) صاحب كتاب الاستعصاب المسمى باسمه في زمن البطالسة ، فلم يكن بعد أرسطو ببعيد ، وهو جامع كتاب اقليدس ومحرره لا مخترعه .

ومنهم (ابرخس) رياضي زهدي نقل بطليموس عنه في المجسطي ، وبين رصد أبرخس ورصد بطليموس مائتان وخمس وثمانون سنة فارسية تقريبا .

أمة اليهود

تقدم ذكر موسى عليه السلام ، وذكر بني إسرائيل ، وإسرائيل هو يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام ، وإسرائيل اثنا عشر ابنا : روبيل ، ثم شمعون ، ثم لاوي ، ثم يهوذا ، ثم ايشاخر ، ثم زيولون ، ثم يوسف ، ثم بنيامين ، ثم دان ، ثم نفتالي ، ثم كاذ ، ثم أشار .

ومنهم أسباط بني إسرائيل ^(١) وكتابهم التوراة مشتملة على أسفار ، في السفر الأول مبتدأ الخلق ثم الأحكام والحدود والأحوال ، والقصص والمواعظ والاذكار ، في سفر سفر وأنزل عليه الألواح شبه مختصر ما في التوراة ، قال في خير البشر بخير البشر .

ليس في التوراة ذكر القيامة ولا الدار الآخرة ، ولا فيها ذكر بعث ولاجنة ولا نار ، وكل جزاء فيها إنما هو معجل في الدنيا ، فيجزون على الطاعة النصر

(١) جميع بني إسرائيل أولاد الاثني عشر سبطا . واليهود أعم من بني إسرائيل اذ من العرب والروم والفرس وغيرهم من تهود وليسوا من بني إسرائيل ، وغير بني إسرائيل دخيل في ملتهم . يقال هاد الرجل اذا رجع وأتاب . قال موسى : انا هدنا اليك . فلزم هذا الاسم اليهود .

على الأعداء وطول العمر وسعة الرزق ونحو ذلك. ويجزون على الكفر والمعصية ، بالموت ومنع القطر والحيات والحرب ، وأن ينزل عليهم بدل المطر الغبار والظلمة ونحو ذلك . وليس فيها ذم الدنيا ولا الزهد فيها ، ولا وظيفة صلوات معلومة ، بل الأمر بالبطالة والقصف واللهو .

ومما تضمنته التوراة أن يهوذا بن يعقوب في زمان نبوته ، زنى بامرأة ابنه وأعطاهما عمامته وخاتمه رهناً على جسدي ، هو أجرة الزنا ، وهو لا يعرفها ، فأمسكت برهنه عندها ، وأرسل إليها بالجدي فلم تأخذه ، وظهر حملها ، وأخبر يهوذا بذلك فأمر بها أن تحرق ، فأنفذت إليه بالرهن ، فعرف يهوذا أنه هو الذي زنى بها ، فتركها وقال : هي أصدق .

ومما تضمنته أن روبيل بن يعقوب وطىء سرية أبيه وعرف أبوه . ومما تضمنته أن أولاد يعقوب من أمته كانوا يزنون مع نساء أبيهم ، وجاء يوسف وعرف أباه بنجر إخوته القبيح . ومما تضمنته أن راحيل أخت ليا ، وكان الأختان المذكورتان قد جمع بينهما يعقوب في عقد نكاحه ، وكان ذلك حلالاً في ذلك الزمان ، قال فأسرت راحيل من أختها وضرتها ليا ، مبيت ابن ليا ، وهو روبيل عند راحيل ليطأها بنوبتها من يعقوب ، لمبيت عند ليا . وتضمنت من ذلك كثيراً أضربنا عنه .

قال الشهرستاني : واليهود تدعي أن الشريعة لا تكون إلا واحدة ، وهي ابتدئت بموسى وتمت به ، وأما ما كان قبل موسى فإنما كانت حدوداً عقلية ، وأحكاماً مصلحية ، ولم يجيزوا النسخ أصلاً ، فلم يجيزوا بعده شريعة أخرى ، قالوا : والنسخ في الأوامر بداء ، ولا يجوز البداء على الله تعالى .

قلت : وكل هذا مردود بالأدلة المفروغ منها في أصول الفقه والدين ، فلا يغتر به من يقف عليه ، ولولا التطويل لذكرت أجوبته . والله أعلم .

وافترقت اليهود فرقا كثيرة (فالربانية) منهم كالمعتزلة فينا ، و (القراءون) كالمجبرة والمشبهة فينا . ومن فرق اليهود (العانانية) نسبوا الى رجل منهم اسمه عانان بن داود ، وكان رأس جالوت (١) .

فمن مذهب العانانية المذكورين أنهم يصدقون المسيح في مواعظه وإشاراته ، ويقولون انه لم يخالف التوراة البتة ، بل قررها ودعا الناس إليها ، وهو من أنبياء بني إسرائيل المتعبدين بالتوراة ، إلا أنهم لا يقولون بنبوته ، ومنهم من يدعي أن عيسى لم يدع انه نبي مرسل ، ولا أنه صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى ، بل هو من أولياء الله تعالى المخلصين ، وأن الإنجيل ليس كتاباً منزلاً عليه وحياً من الله ، بل هو جميع أحواله ، جمعه أربعة من أصحابه ، وأن اليهود ظلموه أولاً حيث كذبوه ، ولم يعرفوا بعد دعواه وقتلوه آخرأ ، ولم يعلموا محله ومغزاه . وقد ورد في التوراة ذكر المسيحان في مواضع كثيرة ، وهو المسيح .

وأما (السامرة) فمنهم الدستانية وتسمى أيضاً الغانية ، ومنهم الكوشانية . والدستانية يقولون إنما الثواب والعقاب في الدنيا ، والكوشانية يقرون الآخرة وثوابها وعقابها .

أعياد اليهود :

ولليهود أعياد منها : (الفصح) خامس عشر من نيسانهم ، عيد كبير أول أيام الفطير السبعة ، يحرمون فيها الخمر وآخرها الحادي والعشرون من الشهر

(١) ورأس الجالوت هو اسم الحاكم على اليهود بعد خراب بيت المقدس ثانياً ، وتقدم ذكر هردوس واليهيم من جهة الفرس ثم من جهة اليونان ثم من جهة أغسطس ومن بعده من ملوك الروم ، ثم بعد الخراب الثاني تفرقت اليهود في البلاد ولم تعد لهم رئاسة يعتد بها ، وصار منهم بالعراق وتلك النواحي جماعة ولهم كبير منهم يرجعون اليه اسمه رأس الجالوت .

المذكور ، والفصح يدور من ثاني عشر آذار الى خامس عشر نيسان ، وسببه أن بني إسرائيل لما تخلصوا من فرعون ، وحصلوا في التيه ، اتفق ذلك ليلة الخامس عشر من نيسان اليهود ، والقمر تام الضوء والزمان ربيع ، فأمروا بحفظ هذا اليوم ، وفي آخر هذه الأيام غرق فرعون في بحر الشعب وهو القلزم .

ولهم (عيد العنصرة) بعد الفطير بخمسين يوماً ، في السادس من شيون ، فيه حضر مشايخ بني إسرائيل الى طور سيناء مع موسى ، فسمعوا كلام الله تعالى من الوعد والوعيد ، فاتخذوه عيداً .

ومنها عيد (الحنكة) معناه التنظيف ، وهو ثمانية أيام ، أولها الخامس والعشرون من بسليو ، ويسرجون في الليلة الأولى سراجاً ، وفي الثانية اثنين ، وكذا في الثامنة ثمانية سرج ، وذلك تذكراً أصغر ثمانية إخوة ، قتل بعض ملوك اليونان ، فانهم كان قد تغلب عليهم ملك من اليونان ببيت المقدس ، كان يفترع البنات قبل الإهداء الى أزواجهن ، وله سرداب قد أخرج منه حبلين عليهما جلعلان ، فان احتاج الى امرأة حرك الأيمن فتدخل عليه ، فاذا فرغ منها حرك الأيسر فيخلى سبيلها . وكان في بني إسرائيل رجل له ثمانية بنين وبنت واحدة ، تزوجها إسرائيلي وطلبها ، فقال أبوها : إن أهديتها افترعها الملعون ، ودعا بنيه لذلك فأنفوا ، ووثب الصغير منهم فلبس ثياب النساء وخبأ خنجراً وأتى باب الملك على أنه أخته فحرك الجرم فأدخل عليه ، فحين خلا به قتله ، وأخذ رأسه ، وحرك الحبل الأيسر وخرج فخلى سبيله ، فأفرح ذلك بني إسرائيل ، واتخذوه عيداً تذكراً بالإخوة الثمانية .

ومنها (المظال) سبعة أيام أولها خامس عشر تشرين الأول ، يستظلون فيها بالخلاف والقصب وغيره ، فريضة على المقيم ، تذكراً لإظلالهم بالغمام في التيه ، وآخرها وهو حادي عشري تشرين يسمى (عرابا) تفسيره شجر الخلاف ، وعرعراب وهو الثاني والعشرون من تشرين يسمى (التبريك) تبطل فيه

الأعمال ، ويتبركون فيه بالتوراة ، وفيه استتم نزولها بزعمهم . وليس في صومهم فرض غير (صوم الكبور) عاشر تشرينهم ، وابتداء الصوم من التاسع قبل الغروب بنصف ساعة ، الى بعد غروب العشاء من العاشر بنصف ساعة ، تمام خمس وعشرين ساعة ، وكذلك صياماتهم النوافل والسنن .

أمة النصارى

أمة المسيح ، وللنصارى في تجسد الكلمة مذاهب ، منهم من قال أشرفت على الجسد إشراق النور على الجسم المشف ، ومنهم من قال انطبعت فيه انطباع النقش في الشمعة ، ومنهم من قال تدرع اللاهوت بالناسوت ، ومنهم من قال مازجت الكلمة جسد المسيح بمازجة اللبن الماء ، واتفقت النصارى على أن المسيح قتله اليهود وصلبوه ، ويقولون أن المسيح بعد أن قتل وصلب ومات ، عاش فرأى شخصه شمعون الصفا ، وكلمه وأوصى إليه ، ثم فارق الدنيا وصعد السماء .

قال الشهرستاني في (الملل والنحل) : اختلفت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وكبارهم ثلاث فرق : الملكانية والنسطورية واليعقوبية .

أما (الملكانية) فأصحاب ملكا ظهر بالروم واستولى عليها ، فغالبا الروم ملكانية مصرحون بالتثليث . قال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) .

ويصرحون أن المسيح ناسوت كلي قديم أزلي من قديم أزلي ، وقد ولدت مريم إلهاً أزلياً ، والقتل والصلب وقعا على الناسوت واللاهوت معاً ، وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله تعالى وتقدس ، وعلى المسيح حقيقة ، وذلك لما وجدوا في الإنجيل : أنك أنت الابن الوحيد ، ولما رووا عن المسيح أنه قال حين كان يصلب : أذهب الى أبي وأبيكم .

وحرّموا أربوس لما قال : القديم هو الله تعالى والمسيح مخلوق ، واجتمعت البطارقة والمطارنة والأساقفة بالقسطنطينية بمحضر من قسطنطين ملكهم ، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، واتفقوا على هذه الكلمة اعتقاداً ودعوة ، وذلك قولهم نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء ، وصانع ما يرى وما لا يرى ، وبالابن الوحيد يسوع المسيح ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها ، وليس بمصنوع ، إله خلق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده اتقنت العوالم ، وكل شيء الذي من أجلنا وأجل خلاصنا ، نزل من السماء وتجسد من روح القدس ، وولد من مريم البتول ، وصُلب ودفن ثم قام في اليوم الثالث ، وصعد إلى السماء ، وجلس عن يمين أبيه ، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى ، للقضاء بين الأموات والأحياء ، ونؤمن بروح القدس الواحد ، وروح الحق الذي يخرج من أبيه ، وبعمودية واحدة لغفران الخطايا ، وبجماعة واحدة قدسية مسيحية حاثليقية ، وبقيام أبداننا وبالحياة الدائمة أبد الآبدين .

هذا هو الاتفاق الأول على هذه الكلمات ، ووضعوا شرائع النصارى . واسم الشريعة عندهم الهبانوت ، تعالى الله وتقدس عن كفرهم .

وأما (النسطورية) فأصحاب نسطورس هم عندهم كالمعتزلة عندنا خالفوا الملكانية في اتحاد الكلمة ، فلم يقولوا بالامتزاج ، بل إن الكلمة أشرقت على جسد المسيح ، كإشراق الشمس على كوة أو على بلور . وقالوا : وقع القتل على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ، خلافاً للملكانية .

وأما (اليعقوبية) فأصحاب يعقوب البردعاني راهب بالقسطنطينية . قالوا انقلبت الكلمة لحمًا ودمًا فصار الإله هو المسيح . قال ابن حزم : واليعقوبية يقولون إن المسيح هو الله ، قُتل وصُلب ومات ، وإن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر ، قال الله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) . ومن كتاب ابن سعيد : (البطارقة) للنصارى بمنزلة الأئمة أصحاب المذاهب

لنا ، و (المطارنة) كالقضاة ، (الأساقفة) كالمفتين ، و (القسيسون) كالقراء ، و (الجاثليق) كإمام الصلاة ، و (الشمامسة) كالمؤذنين وقوممة المساجد .
وصلوات النصارى سبع : عند الفجر والضحى والظهر والعصر والمغرب والعشاء
ونصف الليل ، يقرؤون فيها بالزبور المنزل على داود ، تبعاً لليهود في ذلك ،
والسجود في صلاتهم غير محدود ، وقد يسجدون في الركعة الواحدة خمسين
سجدة ، ينكرون الوضوء علينا ، وعلى اليهود ، ويقولون الأصل طهارة القلب .

ومن كتاب « نهاية الإدراك في دراية الأفلاك » للشيرازي :

في الهيئة أن للنصارى أعياداً وصيامات ، فمنها : (صومهم الكبير) تسعة
وأربعون يوماً ، أولها يوم الاثنين أقرب اثنين الى الاجتماع الكائن فيما بين اليوم
الثاني من شباط الى الثامن من آذار ، فأى اثنين كان أقرب إليه ما قبل الاجتماع ،
وأما بعده فهو رأس صومهم .

ولصومهم ضابط أصح من هذا وهو أن ينظر الى الذبح ، وهو سادس كانون
الثاني في أي شهر هو من الشهور العربية ، ثم ينتقل الى سابع عشري الشهر
العربي الذي يليه ، من حين رؤية الهلال ، فإن كان يوم الاثنين فهو رأس صومهم ،
وإلا فأى اثنين كان أقرب إليه قبله أو بعده فهو رأس صومهم . وفطرم أبدأ
يكون يوم الأحد الخمسين من هذا الصوم ، وسبب تخصيصهم هذا الوقت بالصوم
أنهم يعتقدون أن البعث والقيامة تكون في مثل يوم الفصح ، وهو اليوم الذي
قام فيه المسيح من قبره بزعمهم .

أعياد النصارى :

ومن أعيادهم (الشعانين) الكبير وهو يوم الأحد الثاني والأربعون من
الصوم ، وتفسير الشعانين التسبيح ، لأن المسيح دخل يوم الشعانين المذكور الى
القدس ، راكب أتان يتبعها جحش ، فاستقبلته الرجال والنساء والصبيان
بأيديهم ورق الزيتون ، وقرأوا بين يديه التوراة الى أن دخل بيت المقدس ،

واختفى عن اليهود الاثني عشر والثلاثاء والاربعاء ، وغسل في يوم الاربعاء أيدي أصحابه الحواريين وأرجلهم ، ومسحها في ثيابه ، وكذلك يفعله القسيسون بأصحابهم هذا اليوم .

ثم أفصح في يوم الخميس بالخبز والخمر ، وصار الى منزل واحد من أصحابه ، ثم خرج المسيح ليلة الجمعة الى الجبل ، فسعى به يهوذا أحد تلامذته وارتمى عليه ثلاثين درهماً ودلهم عليه ، وألتي شبهه عليه ، فوضعوا على رأسه إكليل شوك وعذبوه ليلة الجمعة الى الصبح ، فصلبوا شبهه على ثلاث ساعات من يوم الجمعة ، على قول متى ومرقوس ولوقا .

وزعم يوحنا أنه صلب على مضي ست ساعات من النهار المذكور ، ويسمى (جمعة الصلبوت) وصلب معه لسان على جبل يقال له الجلجلة ، واسمه بالعبرانية كاكلة ، وماتوا في الساعة التاسعة ، واستوهبه يوسف النجار من قائد اليهود وهريدوس ، فدفنه في قبر أعدّه لنفسه . وزعمت النصارى أنه مكث في القبر ليلة السبت ونهار الأحد ، ثم قام صبيحة يوم الأحد ينظرون فيه ، ويسمون ليلة السبت بشارة الموتى بقدم المسيح .

ولهم (الأحد الجديد) أول أحد بعد الفطر ، يجعلونه مبدأ للأعمال وتاريخاً للشروط والقبالات .

ولهم (عيد السلاقا) يوم الخميس بعد الفطر بأربعين يوماً ، وفيه تسلق المسيح السماء من طور سيناء . ولهم (عيد القبطي قسطي) يوم الأحد بعد السلاقا بعشرة أيام ، واسمه مشتق من الخمسين بلسانهم ، وفيه تجلى المسيح لتلامذته وهم السليحيون ، ثم تفرقت ألسنتهم وتوجهت كل فرقة الى موضع لفتها .

ولهم (الذبح) سادس كانون الثاني يوم غمس يحيى للمسيح في نهر الأردن . ولهم (عيد الصليب) مشهور . ولهم (الميلاد) يصومون قبله أربعين يوماً ،

أولها سادس عشر تشرين الآخر ، وكان ميلاد المسيح بقريّة بيت لحم ، في الرابع والعشرين من كانون الأول .

وأما (الإنجيل) فهو كتاب يتضمن أخبار المسيح من ولادته الى خروجه من هذا العالم ، كتبه أربعة من أصحابه هم : (متى) كتبه بفلسطين بالعبرانية ، و (مرقوس) كتبه ببلاد الروم باللغة الرومية ، و (لوقا) كتبه بالاسكندرية باليونانية ، و (يوحنا) كتبه باليونانية أيضاً .

ولهم (صوم السليحين) ستة وأربعون يوماً ، أولها يوم الاثنين ثاني القبطي قسطي بعد الفطر الكبير بخمسين يوماً ، ولهم فيه خلاف . ولهم (صوم نينوى) ثلاثة أيام أولها يوم الاثنين قبل الصوم الكبير باثنين وعشرين يوماً . ولهم (صوم العذارى) ثلاثة أيام أولها يوم الاثنين تلو الذبح وفطره الخميس .

أمم دخلت في النصرانية

منها (الروم) على عظم ممالكهم واتساع بلادهم ، نجموا من بني العيص بن اسحاق ، أول ظهورهم سنة ست وسبعين وثلثمائة لوفاة موسى عليه السلام ، وساروا الى بلادهم وسكنوها^(١) . ومن أمم النصارى (الأرمن) كانوا بأرمينية وقاعدة مملكتها خلاط ، ولما ملكناها صاروا فيها رعية ، ثم تغلبوا وملكوا مناظر سوس والمصيصة وبلاد سيس^(٢) .

(١) من كتاب ابن سعيد : الروم بنو الأصفر ، والأصفر هو روم بن العيص بن اسحاق على أحد الأقوال . ومن الكامل وغيره : أن الروم كانت صابئة ذوي أصنام حتى تنصر قسطنطين فتنصروا .

(٢) سيس مدينة بقلعة حصينة هي كرسي ملكهم في زماننا هذا . (المؤلف)

ومنها (الكرج) بلادهم مجاورة لبلاد خلاط الى الخليج القسطنطيني وإلى نحو الشمال ، ولهم جبال منيعة وقلاع حصينة ، والغالب عليهم النصرانية ، يلي ملكهم الرجال والنساء بالوراثة ، وهم خلق كثير في صلح التتار اليوم .

ومنها (الجركس) على شرقي بحر نيطش ، في شطف من العيش غالبهم نصارى . ومنها (الروس) لهم جزائر في بحر نيطش بحر القسطنطينية ، ولهم بلاد شمالي البحر . ومنها (البلغار) نسبة الى مدينة يسكنونها شمالي بحر نيطش ، كان غالبهم نصارى فأسلم بعضهم .

ومنها (الألمان) أكبر أمم النصارى غربي القسطنطينية الى الشمال ، جنودهم كثيرة ، قصد ملكهم في مائة ألف مقاتلة صلاح الدين بن أيوب ، فهلك هو وغالب عسكره في الطريق ، وسند كرهه في أخبار صلاح الدين .

ومنها (البرجان) أمة بل أمم طاغية مثلثون ، بلادهم متوغلة في الشمال ، سيرهم منقطعة لبعدهم عنا وجفاء طباعهم .

ومنها (الفرنج) أمم أصل بلادهم فرنجة ، ويقال فرسنة ، جوار جزيرة الأندلس شماليها ، يقال لملكهم الفرنسيس ، قصد ديار مصر وأخذ دمياط ثم أسره المسلمون ، واستنقذوا دمياط منه ، ومنوا عليه بالإطلاق بعد موت الملك الصالح أيوب بن الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب ، وقد غلب الفرنج على معظم الأندلس ، ولهم في بحر الروم جزائر مشهورة ، مثل صقلية وقبرس واقريطش .

ومنهم (الجنوبية) نسبة الى جنوه مدينة عظيمة ، وبلادهم كبيرة غربي القسطنطينية على بحر الروم .

ومنهم (البنادقة) مدينتهم البندقية على خليج من بحر الروم تمتد نحو سبعمائة ميل في جهة الشمال والغرب ، وهي قريبة من جنوه في البر بينها ثمانية أيام ، وبينها في البحر أمد بعيد فوق شهرين لأنهم يخرجون الى بحر الروم شرقاً ، ثم

غرباً الى جنوه ، ورومية عظيمة غربي جنوه والبندقية ، وخليفتهم البابا بها ،
وهي شمال الأندلس بشرق .

ومن أمم النصرى (الجلالقة) جهة جفاة أشد من الفرنج ، يتركون ثيابهم
بلا غسل الى أن تبلى ، ويدخل أحدهم دار الآخر بلا استئذان ، وهم كالبهائم ،
بلادهم كثيرة شمالي الأندلس .

ومنها (الباشقرد) عالم بين الالمان وافرنجة ، غالبهم نصرى وفيهم مسلمون
لهم شراسة أخلاق .

أمم الهند

فرق منهم (الباسويه) زعموا أن لهم رسولاً ملكاً روحانياً ، نزل بصورة
البشر ، أمرهم بتعظيم النار ، والتقرب إليها بالطيب والذبايح ، ونهاهم عن القتل
والذبح لغير النار ، وسنّ لهم أن يتوشحوا بنحيط ، يعقدونه من مناكبهم الأيمن
الى تحت شمائلهم ، وأباح الزنى وعظم البقر وأمر بالسجود لها حيث رأوها .

ومنها (اليهودية) يقولون الأشياء كلها صنع الخالق ، فلا يعافون شيئاً ،
ويتقلدون بعظام الناس ، ويمسحون رؤوسهم وأجسادهم بالرماد ، ويحرمون
الذبايح والنكاح وجمع المال .

ومنها (عبدة الشمس) ومنها (عبدة القمر) ومنها (عبدة الأصنام) وهم
معظمهم لكل طائفة صنم ، وأشكال الأصنام مختلفة . ومنها (عباد الماء)
الجلهكينية ، يزعمون أن الماء ملك وهو أصل كل شيء ، إذا أراد الرجل عبادة
الماء تجرد وستر عورته ودخل الماء الى وسطه ، ويقيم ساعتين أو أكثر ومعه
رياحين يقطعها صفاراً ويلقيها فيه ، وهو يسبح ويقرأ ، وإذا أراد الانصراف
حرك الماء بيده ، ثم نقط منه على رأسه ووجهه وسجد وانصرف .

ومنهم (عباد النار) الاكنواطرية ، عبادتهم أن يحفروا أخدوداً مربعاً ، ويؤججوا به النار ، ثم لا يدعون طعاماً لذيذاً ، ولا ثوباً فاخراً ، ولا شراباً لطيفاً ، ولا عطراً فائحاً ، ولا جوهرأ نفيساً إلا طرحوه في تلك النار تقرباً إليها ، وحرّموا إلقاء النفوس فيها ، خلافاً لطائفة أخرى .

ومنهم (البراهمة) أصحاب فكرة وعلم بالفلك والنجوم ، تخالف طريقتهم منجمي الروم والعجم ، لأن أكثر أحكامهم باتصالات الثوابت دون السيارات ، يعظمون أمر الفكر ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول ، ويحتشدون في صرف الفكر عن المحسوسات ليتجرد الفكر عن هذا العالم ، ويتجلى له ذلك العالم ، فربما يخبر عن المغيبات ، وربما يوقع الوهم على حي فيقتله ، وإنما يصرفون الفكر عن المحسوسات بالرياضة البليغة المجهدة ، وبتغميض أعينهم أياماً ، والبراهمة لا يقولون بالنبوءات ولهم على ذلك شبه ، والهنود لا يرون إرسال الريح من بطونهم قبيحاً ، والسعال أقبح عندهم من إرسال الريح والجشاء . و (منهم) من يحرق نفسه ، فيأتي الى باب الملك يستأذنه في ذلك ، ويلبس أنواع الحرير المنقوش ويتكلل بالريحان ، وتضرب الطبول والصنوج بين يديه ، ويدور كذلك في الأسواق وحوله أهله وأقاربه ، ثم يدنو من النار المؤججة له ، ويأخذ خنجراً يشق به جوفه ، ثم يهوي بنفسه في النار . والزنا فيهم مباح ، ويعظمون نهر كيبك ، وهو نهر عظيم في حدود الهند من الشرق الى الغرب ، ومنه نهر إلى بلاد سجستان ، وهو حاد الانصباب ، ويرغبون في إغراق نفوسهم به ، ويقتلون نفوسهم على شطه ، ويتهادون ماءه كما نتهادى نحن ماء زمزم .

ممالك الهند :

وللهند ممالك منها : (مملكة المايكين) من أعظم ممالكهم على بحر اللان وعليه السند ، ولا يدرك قعره ، هو أول بحارهم من جهة الغرب ، وهي أقرب ممالكهم إلينا . وأكثر محمود بن سبكتكين غزو هذه وفتح كثيراً منها ، ومن

مدنها العظام لهاور ، على جانبي نهر عظيم مثل بغداد . وبلي المايكين (مملكة القنوج) بلادها الجبال ، منقطعة عن البحر ، من ملكها سمي بوده ونهر مهران وهو نهر السند أصله من بلاد القنوج ، ولها أصنام يتوارثون عبادتها ، ويزعمون أن لها مائتي ألف سنة . وتجاورها (مملكة قمار) على البحر ، ينسب إليها العود ، وهم يحرمون الزنا من بين الهند ، من ملكها سمي زهم ، ويحاذيه من جهة البحر المهرج ، ملك الخزر .

وآخر ممالك الهند من جهة الشرق (مملكة بيارس) تلي الصين ، طويلة عرضها عشرة أيام . وجزائر بحر الهند في غاية الكثرة ، وهي في البحر قبالة هذه الممالك .

أمة السند

غربي الهند وبلادهم قسمان : الأول - على جانب البحر وهو اللان ، ومن مدنه : المنصورة ، والمولتان ، والدبيل . والمسلمون غالبون عليه . والثاني - في البر الى جانب الجبل وعر ، وتسمى بلاده القشيمير ، يقال لمن ملكهم زنيل وهم أهل أوثان .

أهم السودان

هم من ولد حام ، ومنهم مجوس ، ومنهم عابدو الحيات ، ومنهم أصحاب أوثان . وعن جالينوس ، اختصاصهم بعشر خصال : تفلقل الشعور ، وخفة اللحي ، وانتشار المنخرين ، وغلظ الشفتين ، وتحدد الأسنان ، ونثن الجلد ، وسواد اللون ، وتشقق اليدين والرجلين ، وطول الذكر ، وكثرة الطرب .

فمن أعظم أمهم (الحبش) بلادهم مقابلة الحجاز ، بينها البحر ، طويلة عريضة ، في جنوب النوبة وشرقيها ، ملكوا اليمن قبل الإسلام كما تقدم ، والخصيان منهم أفخر الخصيان ، ويجاورهم من الجنوب (الزيلع) ، غالبهم مسلمون . ومن أمم السودان (النوبة) يجوار الحبشة من الشمال والغرب ، والنوبة في جنوب حدود مصر ، والمصريون يغزونهم كثيراً . ويقال أن لقمان من النوبة ، ولد بأيلة . ومنهم ذو النون المصري ، وبلال بن حمارة .

ومن أمهم (البجاوة) شديدو السواد عراة ، أهل أوثان ، وفي بلادهم الذهب ، وأمن وحسن مرافقة للتجار ، وهم فوق الحبشة الى جهة الجنوب على النيل .

ومن أمهم (الدمام) على النيل فوق الزنج ، والدمام تتر السودان ، خرجوا عليهم وقتلوا ، ولهم أوثان وأوضاع مختلفة ، وعندهم الزرافات ، وهناك يفترق النيل الى مصر والى الزنج .

ومن أمهم (الزنج) أشدهم سواداً ، أهل بأس وقساوة ، يحاربون راكبين للبقر ، ولهم أوثان . والنيل ينقسم في بلادهم عند جبل المقسم .

ومن أمهم (التكرور) على غربي النيل ، بلادهم جنوبية غربية ، وبلادهم يكون الذهب ، كفار مهملون ، ومنهم مسلمون .

ومن أمهم (الكانم) أكثرهم مسلمون مالكية ، مساكنهم على النيل ، وأما عانة فمن أعظم مدن السودان ، في أقصى جنوب المغرب ، يسافر التجار من سجلماسة الى عانة (١) ويحملون في سفرهم الماء في مفازة اثني عشر يوماً ، ويحلبون إليها التين والملح والنحاس والودع ، ولا يحلبون منها إلا الذهب العين .

(١) سجلماسة مدينة بالمغرب الأقصى بعيدة عن البحر .

أمة الصين

طول بلادهم من المشرق الى المغرب شهران ، وعرضها من بحر الصين في الجنوب الى سد ياجوج وماجوج في الشمال ، قيل عرضها أكثر من طولها ، يشتمل عرضها على الأقاليم السبعة ، وأهل الصين أحسن الناس سياسة ، وأكثرهم عدلاً ، وأحذقهم في الصناعات ، قصار القدود عظام الرؤوس . مذاهبهم مختلفة ، مجوس وأهل أوثان وأهل نيران ، ومدينتهم الكبرى جمدان يشقها نهرها الأعظم ، وهم حذاق بالنقش والتصوير ، يعمل الصبي منهم ما يعجز أهل الأرض ، والأقصى صين الصين ، نهاية العمارة من جهة الشرق ، وليس وراءهم غير البحر المحيط ، ومدينتهم العظمى السبلي ، وأخبارهم منقطعة عنا .

بنو كنعان :

هم أهل الشام ، سكنة سام^(١) وكنعان بن ماريح بن حام بن نوح ، وهو من جملة المتفقين على بناء الصرح ، فلما بلبل الله ألسنتهم في أواخر سنة ستائة وسبعين للطوفان وتفرقوا نزل كنعان الشام في جهة فلسطين وتوارثها بنوه ، وكل ملك من كنعان لقب جالوت الى أن قتل داود جالوت آخر ملوكهم ، واسمه كلباد « عن البيروني » فتفرق بنو كنعان وسكن منهم طائفة المغرب ، وهم البربر . وقد اختلف في البربر ، ف قيل هم من ولد فاروق بن يبصر بن حام ، وهم يزعمون أنه من قيس عيلان ، وصنهاجة من البربر تزعم أنها من ولد افريقش بن صيفي الحميري ، وزناتة منهم تزعم أنها من لحم ، والأصح أنهم من ولد كنعان .

والبربر كثير جداً ، منهم (كتامة) بالجبال من المغرب الأوسط ، هم أقاموا دولة الفاطميين مع أبي عبيد الله الشيعي . ومنهم (صنهاجة) ومنهم ملوك

(١) واسمه في العبرانية بالشين المعجمة فسمي به ، وقيل تشاءمت به بنو كنعان .

أفريقية بنو بلكين بن زمري . ومن البربر (زناتة) وكان منهم ملوك فاس وتلمسان وسجلماسة ، ولهم شجاعة . ومن البربر (المصامدة) يجبال درن ، وقاموا بنصر المهدي بن تومرت ، وبهم ملك عبد المؤمن وبنوه المغرب ، وانفرد من المصامدة قبيلة (هنتاته) وملك منهم افريقية والمغرب الأوسط أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص ، ثم خطب لولده أبي عبيد الله محمد بالخلافة ، واستمر الحال الى سنة اثنتين وخمسين وستائة . ومن البربر (برغواطية) بتامسنا وجهات سلا على المحيط ، والبربر مثل العرب في الصحاري ، ولهم لسان غير العربي ترجع لغاتهم الى أصول واحدة وتختلف فروعها حتى لا يفهم بعضهم من بعض .

عاد : وهم من ولد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ، عظام الأجساد جبابرة ، نزل عاد بحضرموت لما تبلبلت الألسن ، ونبههم هود عليه السلام . قال لهم هود : أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، وإذا بطشتم بطشتم جبارين . وتسمى بلادهم الأحقاف متصلة باليمن وعمان . أول من ملك منهم (شداد) بن عاد ، ثم من بنيه جماعة ، وأخبارهم مضطربة .

العمالقة : من ولد عمليق بن سام نزلوا لما تبلبلت الألسن بصنعاء ، ثم بالحرم ، وأهلكوا من قاتلهم من الأمم ، وكان منهم جماعة بالشام قاتلهم موسى ثم يوشع عليها السلام فأفناهم ، ومنهم فراعنة بمصر ، ومنهم من ملك خيبر ويثرب وغيرها من الحجاز ، وأمر موسى جيشاً بقتل العمالقة ، فلم يستبق منهم سوى ابن ملكهم ، فرجع به الجيش الى الشام ، وقد مات موسى . فقال لهم بنو إسرائيل : قد عصيتم وخالفتم فلا نأويكم ، فرجعوا الى يثرب وخيبر وغيرها من البلاد التي غلبوا عليها ، واستمروا حتى نزلت عليهم الأوس والخزرج لما تفرقوا من اليمن بسبب سيل العرم . وقيل إنما سكن اليهود الحجاز لما غزاهم بخت نصر .

أمم العرب وأحوالهم قبل الإسلام

العرب الجاهلية أصناف : صنف أنكروا الخالق والبعث ، وقالوا بالطبع المحيي ، والدهر المفني . قال تعالى : (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) وقال تعالى حكاية عنهم : (وما يُهلكنا إلا الدهر) . وصنف اعترفوا بالخالق وأنكروا البعث . قال تعالى : (أفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) . وصنف عبدوا الأصنام كل صنم لقبيلة ود بدومة الجندل لكلب ، وسواع لهذيل ، ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن ، ونسر لذي الكلاع بأرض حمير ، ويعوق لهمدان ، واللات لثقيف بالطائف ، والعزى لقريش ، وهي كنانة ، ومناة للأوس والخزرج ، وهبل أعظمها على ظهر الكعبة ، وأساف ونائلة على الصفا والمروة .

ومنهم من هاد ومنهم من تنصر ، ومنهم صابئة تعتقد في أنواء المنازل ، اعتقاد المنجمين في السيارات ، حتى لا تتحرك إلا بنوء من الأنواء ، وتقول مطرنا بنوء كذا ، ومنهم عابدو الملائكة ، وعابدو الجن ، وعلومهم الأنساب والأنواء والتواريخ والتعبير ، ولأبي بكر الصديق فيها يد طولى . ووافقت الجاهلية الإسلام في أشياء ، فكانوا لا ينكحون الأمهات والبنات ، وأقبح ما صنعوا الجمع بين الأختين ، وعابوا المتزوج بامرأة الأب ، وسموه الضيزن . وحجوا البيت واعتمروا ، وطافوا وسعوا ، ووقفوا بكل المواقع ، ورموا الجمار ، وكانوا يكبسون في كل ثلاثة أعوام شهراً ، ويفتسلون من الجنابة ، وداوموا المضمضة والاستنشاق ، وفرق الرأس والسواك والاستنجاء ، وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، والحتان ، وقطعوا يد السارق اليمنى .

أحياء العرب وقبائلهم

العرب ثلاثة أقسام : بائدة وعاربة ومستعربة ، فالبائدة ذهب عنا تفاصيل أخبارهم لتقدم عهدهم ، كعاد وثمود وجرهم الأولى . وأما جرهم الثانية فمن ولد قحطان ، واتصل بهم اسماعيل . والعاربة عرب اليمن ، من ولد قحطان . والمستعربة من ولد اسماعيل عليه السلام . ومن أحياء البائدة على قلتها (طسم وجديس) سكننا اليمامة ، وكان الملك عليهم في طسم أبرهة ، ثم انتهى الملك من طسم الى ظلوم غشوم ، سن أن لا تهدي بكر من جديس الى بعلا حتى يفتزعها ، فأنفوا ودفنوا سيوفهم بالرمل ، ودعوه الى طعام ، فلما حضر في خواصه من طسم ، عمدوا الى سيوفهم وقتلوه ، وقتلوا غالب طسم ، فهرب من طسم رجل وشكا الى تبع قتل حسان بن أسعد واستنصر به ، فسار تبع من اليمن إليهم وأفناهم ، فلم يبق لطسم وجديس ذكر .

و (العرب العاربة) بنو قحطان بن عامر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، فمنهم : بنو جرهم بن قحطان ، سكنوا الحجاز واتصلوا باسماعيل ، وتزوج منهم ، وصارت من ولده المستعربة لأن أصله عبراني ، فقبيل لولده المستعربة . وتقدم ذكر جرهم .

ومن العاربة (بنو سبأ)^(١) ، ولسبأ أولاد منهم : حمير وكهلان وعمران وأشعر وعاملة وقبائل عرب اليمن ، وملكوها التبابعة من ولد سبأ ، وجميع تبابعة اليمن من ولد حمير بن سبأ ، خلا عمران وأخيه مزيقيا ، فإنهما ابنا عامر ابن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد من ولد كهلان بن سبأ ؛ وفي ذلك خلاف والتبابعة قد ذكروا من قبل . وهنا نذكر أحياء عرب اليمن وقبائلهم المنسوبين الى سبأ ، ونبدأ بذكر بني حمير بن سبأ ، ثم كهلان بن سبأ ، وكذلك حتى نأتي على ذكر بني سبأ .

(١) سبأ اسمه عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

بنو حمير بن سبأ

منهم التبابعة ملوك اليمن المذكورون ، ومنهم (قضاة) وهو قضاة بن مالك بن حمير بن سبأ ،^(١) كان قضاة مالك بلاد الشحر وقبره في جبل الشحر . ومنهم (كلب) وهم بنو كلب بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحارث ابن قضاة ، نزل بنو كلب في الجاهلية الجندل وتبوك وأطراف الشام . ومن مشاهير كلب (زهير) بن جناب الكلبي ، ومنهم (زهير بن شريك) الكلبي القائل :

ألا أصبحت أسماء في الخمر تعذل وتزعم أني بالسفاه موكل
فقلت لها كفى عتابك نصطح وإلا فيني فالتعزب أمثل

ومنهم (حارثة) الكلبي بن زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أصاب زيد أسباء في الجاهلية ، فصار الى خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فوهبته رضي الله عنها من النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن شعر حارثة يبكي زيدا لما فقده :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل أحيي يرجى أم أتى دونه الأجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها وتعرض ذكره إذا قارب الطفل
وإن هبت الأرواح هيئجن ذكره فيا طول ما حزني عليه ويا وجل

ثم اجتمع بزيد أبوه ، عند رسول الله ﷺ ، فخيره صلى الله عليه وسلم ، فاختره على أبيه وأهله .

ومن قضاة (بهرا) ومن قضاة (جهينة) قبيلة عظيمة ، وبطون بأطراف الحجاز الشمالي من جهة بحر جدة ، ومن قضاة (بلي) ، ومن قضاة (تنوخ) ، وبينهم وبين اللخمين ملوك الحيرة حروب . ومن قضاة (بنو سليح) كان لهم بادية بالشام فأبادتهم غسان ، ومن قضاة (بنو نهد) من مشاهيرهم الصقعب بن عمرو النهدي أبو خالد رئيس في الإسلام .

(١) قيل قضاة بن مالك بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ .

ومن قضاة (بنو عذرة) منهم عروة بن حرام ، وجميل صاحب بثينة ،
قلت: وقتل كثيراً منهم الهوى ، حتى قيل الهوى العذري . والله أعلم .

ومن بطون حمير (شعبان) منهم الشعبي الفقيه اسمه عامر . وأما (بنو كهلان)
فأحياء كثيرة ، مشهورها سبعة : الأزد وطيء ومذحج وهمدان وكندة
ومراد وأنمار .

ف (الأزد) من ولد الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن
كهلان بن سبأ . ومن الأزد (الفساسنة) بنو عمر بن مازن بن الأزد . ومن
الأزد (الأوس والخزرج) أهل يثرب ، والمسلمون منهم هم الأنصار رضي الله
عنهم ، ومن الأزد خزاعة وبارق ودوس والعتيك وغافق .

أما (خزاعة) فلما انخرعت عن غيرها من قبائل اليمن الذين تفرقوا
أيدي سبأ من سيل العرم ، ونزلت بطن مرة قرب مكة سميت خزاعة ،
وحصلت لهم سداة البيت والرياسة ، ولما صالح رسول الله ﷺ قريشاً عام
الحديبية ، دخلت خزاعة في عقده وعهده ، والأكثر أن خزاعة يمانية ، وقيل
معدية . وتنتسب خزاعة الى كعب بن عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن مزيقيا
ابن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . ولم تزل
السداة في خزاعة حتى انتهت الى أبي غبشان منهم في زمن قصي بن كلاب ،
فاجتمع مع قصي في الطائف على شرب ، فأسكره قصي وخدعه ، واشترى منه
مفاتيح الكعبة بزق خمر ، وأشهد عليه ، وتسلم قصي المفاتيح ، وأرسل ابنه
عبد الدار الى مكة ، فلما وصلها رفع صوته وقال : معاشر قريش ، هذه مفاتيح
بيت أبيكم اسماعيل ، قد ردها الله تعالى عليكم من غير عار ولا ظلم . وصحبا
أبو غبشان وندم حيث لا ينفعه الندم ، فقيل أخس من بني غبشان حتى قيل :

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت بزق خمر فبئست صفقة البادي
باعت سداتها بالزور وانصرفت عن المقام وظل البيت والنادي

وجمع قصي أشتات قريش ، وظهر على خزاعة ، وأخرجها عن مكة الى
بطن مرو .

ومن خزاعة (بنو المصطلق) الذين غزاهم رسول الله ﷺ ، وأما (بارق)
فمن ولد عمرو بن مزريقيا الأزدي ، نزلوا جبلاً بجانب اليمن اسمه بارق ، فسُموا
به ، ومن مشاهيرهم معقر بن حماد البارقي وله القصيدة التي منها :

وألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرَّ عينا بالإياب المسافر

وأما (دوس) فابن عربان بن عبد الله بن وهران بن كعب بن الحارث بن
كعب بن مالك بن نصر بن الأزدي ، سكنت بنو دوس إحدى السروات المطلة
على تهامة ، وكانت لهم دولة بأطراف العراق ، وأول من ملك منهم مالك بن
فهم بن غنم بن دوس .

ومن الدوس (أبو هريرة) والأكثر أن اسمه عمير بن عامر . وأما (العتيك
وغافق) فقبيلتان مشهورتان في الإسلام ، من ولد الأزدي .

ومن الأزدي (بنو الجلندي) ملوك عمان (١) ، وكان ملك عمان قد انتهى في
الإسلام الى جيفر وعبد ابني الجلندي ، وأسلموا مع أهل عمان على يد عمرو
ابن العاص .

الحي الثاني من بني كهلان وهم قبائل طي

تفرقت اليمن بسيل العرم ، فنزلت طيء بنجد الحجاز في جبلي أجأ وسلمى
فعرفا يجبلي طيء ؛ وطيء هو ابن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ومن بطون
طيء جذيلة ونبهان وبولان وسلامان وهني وسُدوس ، وأما سَدوس التي في
قبائل ربيعة بن نزار فغيرها ، ومن سلامان بنو بختر .

(١) والجلندي لقب لكل من ملك منهم عمان .

ومن هني (اياس) بن قبيصة ملك بعد النعمان ، ومن طيء (عمرو بن المشيح) من بني ثعل الطائي ، وكان عمرو أرمى الناس ، وفيه يقول امرؤ القيس :

رب رام من بني ثعل مخرج كفيه من ستره

ومن بني ثعل الطائي زيد الخيل ، سماه النبي صلى الله عليه وسلم زيد الخير ، ومن طيء (حاتم) المشهور بالكرم .

الحي الثالث من بني كهلان بنو مذحج

واسم مذحج مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ومذحج بطون منها خولان وحبيب . ومن حبيب (معاوية الخير) الحبيبي ، صاحب لواء مذحج في حرب بني وائل ، وكان مع تغلب . ومن مذحج أود قبيلة الأفوه الأودي الشاعر . ومن مذحج (بنو سعد العشيرة) سمي بذلك لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلاثمائة رجل ، وإذا سئل عنهم قال : هؤلاء عشيرتي ، دفعاً للعين ، ومن بطون سعد العشيرة جعفر وزبيد قبيلة (عمرو بن معدي كرب) ومن بطون مذحج النخع .

ومنهم (الأشتر النخعي) واسمه مالك بن الحارث صاحب رسول الله صلى عليه وسلم . ومن النخع (سنان) بن أنس قاتل الحسين . ومنهم القاضي (شريك) . ومن مذحج (عنس) قبيلة (الأسود الكذاب) ادعى النبوة باليمن ، وعنس أيضاً رهط عمار بن ياسر ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الحي الرابع من بني كهلان همدان

من ولد ربيعة بن حيان بن مالك بن زيد بن كهلان ، ولهم صيت في الجاهلية والإسلام .

الحي الخامس من بني كهلان كندة

وهم بنو ثور ، وثور هو كندة بن عفير بن الحارث بن الحارث من ولد زيد ابن كهلان ، كند أباه ، أي كفر نعمته ، وبلاد كندة باليمن تلي حضرموت ، ومن كندة حجر بن عدي صاحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قتله معاوية صبرا . ومنهم القاضي (شريح) . ومن بطون كندة السكاسك ، والسكون بنو أشوس بن كندة ، فمن السكون معاوية بن خديج قاتل محمد بن أبي بكر ، ومنهم حصين بن نير السكوني الذي صار صاحب جيش يزيد بن معاوية بعد مسلم بن عقبة في وقعة الحرة بظاهر المدينة .

الحي السادس من بني كهلان بنو مراد

بلادهم الى جانب زبيد من جبال اليمن ، إليه ينسب كل مرادي من عرب اليمن .

الحي السابع من بني كهلان بنو أنمار

بنو أنمار بن كهلان ، ولأنمار فرعان بجيلة وخثعم ، وبجيلة رهط جرير بن عبد الله البجلي ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيل له يوسف الأمة لحسنه ، وفيه قيل :

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفقى وبثست القبيلة

انتهى الكلام في بني كهلان .

ذكر عمرو بن سبأ

القبائل المنتسبة الى عمرو بن سبأ ، منهم لحم بن عدي بن عمرو بن سبأ . ومن لحم (بنو الدار) رهط تميم الداري الصحابي . ومن لحم المناذرة ملوك الحيرة ، بنو عمرو بن عدي بن نصر اللخمي ، ومن القبائل المنتسبة الى عمرو بن

سبأ (جذام) أخو لحم ، وجميع جذام من ابنيه (حزام وجشم) ابني جذام .
كان في بني حزام العدد والشرف ، ومن بطون جشم بن جذام عتيت بن أسلم .
وأما (بنو الأشعر) بن سبأ فيقال لهم الأشعريون ، رهط أبي موسى الأشعري ،
عبد الله بن قيس .

وأما (بنو عاملة) فمن القبائل اليمانية التي خرجت الى الشام من سبيل العرم ،
نزلوا قرب دمشق في جبلهم ، فمن عاملة (عدي بن الرقاع) الشاعر .
انتهى ذكر أولاد سبأ .

ذكر العرب المستعربة

هم من ولد إسماعيل ، كان عمر إسماعيل لما أنزله ابراهيم مع أمه هاجر بمكة
موضع الحجر ، نحو أربع عشرة سنة ، وذلك لمضي مائة سنة من عمر ابراهيم
عليها السلام ، فمن سكنى إسماعيل مكة الى الهجرة ألفان وسبعمائة وثلاث
وتسعون سنة ، وتزوج إسماعيل من جرهم امرأة ولدت له اثني عشر ذكراً ،
(منهم : قيذار) . ودفنت هاجر بالحجر وابنها اسماعيل معها ايضاً ، واختلف
المؤرخون في أمر الملك على الحجاز ، بين جرهم وبين إسماعيل ، فمن قائل :
كان الملك في جرهم ومفتاح الكعبة وسدانتها مع بني إسماعيل . ومن قائل :
أن قيذار توجهت أخواله جرهم ، وملكوه عليهم بالحجاز ، وسدانة البيت الحرام
ومفاتيحه كانت في بني إسماعيل بلا خلاف ، حتى انتهى ذلك الى ثابت من ولد
إسماعيل ، وصارت السدانة بعدهم لجرهم بدليل قول عامر بن الحارث الجرهمي :

وكنا ولاة البيت من بعد ثابت نطوف بذاك البيت والأمر ظاهر
ومنها :

كان لم يكن بين الجحون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواتر

ثم ولد لقيدار (حمل) ثم لحمل (نبت) ويقال نابت ، وقيل نبت بن اسماعيل ،
ولنبت (سلامان) ولسلامان (الهميسع) وللهميسع (اليسع) ولليسع (أدد)
ولأدد (أد) ولأد (عدنان). وقيل عدنان بن أد. ولعدنان (معد) ولمعد (نزار)
ولنزار أربعة : منهم (نضر) على عمود النسب النبوي وثلاثة خارجون عن عمود
النسب ، أولهم اباد أكبر من مضر ، وإلى اباد المذكور يرجع كل ابادي من
المعديين ، وفارق اباد الحجاز وسار بأهله الى أطراف العراق ، فمن بني اباد
كعب بن مامة الإيادي ضرب يحوده المثل . قلت : قال الشاعر :

فما كعب بن مامة وابن سعدى بأكرم منك يا عمرو الجوادا

والله أعلم .

ومنهم (قس بن ساعدة) ضرب بفصاحته المثل . والثاني من نزار ربعة
الفرس بن نزار ورث الخيل من مال أبيه ، ولربعة أسد وضبيعة ، وولد لأسد
جديلة وعنزة ، ومن جديلة وائل ، ومن وائل بكر وتغلب ابنا وائل ، فمن
تغلب ملك بني وائل كليب الذي قتله جساس ، فهاجت به حرب البسوس .
ومن بكر بن وائل بنو شيبان ، ومن رجالهم مرة وابنه جساس قاتل كليب ،
و (طرفه) بن العبد الشاعر . ومن بكر (المرقشان) الأكبر والأصغر . ومن
بكر بن وائل بنو حنيفة ومنهم (مسيلة الكذاب) .

وأما عنزة بن أسد بن ربعة فمنه بنو ربعة وهم أهل خيبر . ومن بني
عنزة (القارظان) . وأما ضبيعة بن ربعة فمن ولده المتلمس الشاعر . ومن
قبائل ربعة النمر وسحيم والعجل ، وبنو عبد القيس وهم من ولد أسد بن
ربعة ، ومن ولد ربعة سدوس واللهازم . والثالث (انمار) بن نزار ومضى
الى اليمن ، فتناسل بنوه ثم حسبوا من العرب اليمنية ، ثم ولد لمضر المذكور

(الياس) على عمود النسب ، وولد له خارجاً عنه (قيس عيلان) ويقال قيس ابن مضر ، وعيلان بالعين المهملة ، وقيل ان عيلان فرسه ، وقيل كلبه ، وقيل بل عيلان أخو الياس ، واسمه عيلان الياس بن مضر . وجعل الله لقيس المذكور من الكثرة أمراً عظيماً ، فمن ولده (قبائل هوازن) ومن هوازن بنو سعد بن بكر ابن هوازن ، الذين كان فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيعاً ، ومن قبائل قيس (بنو كلاب) وصار منهم أصحاب حلب ، أولهم صالح بن مرداس ، ومن قيس قبائل (عقيل) منهم ملوك الموصل المقلد وقرواش وغيرهما ، ومن ولد قيس بنو عامر وصعصعة وخفاجة ، وما زالت لخفاجة إمرة العراق وإلى الآن . ومن هوازن بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان .

ومن هوازن (جشم) بن معاوية بن بكر بن هوازن ، ومن جشم دريد بن الصمه . ومن قيس بكر وبنو هلال وثقيف ، واسم ثقيف عمرو بن منه بن بكر بن هوازن ، وقيل أن ثقيفاً من إياد ، وقيل من بقايا ثمود ، وهم أهل الطائف . ومن قيس بنو غير وباهلة ومازن وغطفان ، وهو ابن سعد بن قيس عيلان ، ومن قيس بنو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ، وبين عبس وذبيان حروب داحس . ومن بني عبس (عنزة العبسي) ادعاه أبوه شداد بعد أن كبر ، ومن قيس أشجع وهم أيضاً من ولد غطفان ، ومن قيس (قبائل سليم) وبنو ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ، ومن ذبيان المذكورين بنو فزارة ، فمنهم حصن بن حذيفة بن بدر الذي يمدحه زهير بقوله :

تراه إذا ما جثته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وأسلم حصن ثم نافق ، وحرب داحس بين بني ذبيان وبين عبس تقدمت ، ومن ذبيان النابغة الذبياني الشاعر . ومن قبائل قيس بنو عدوان بن عمرو بن قيس عيلان ، نزلوا الطائف قبل ثقيف ، ومنهم ذو الأصبع العدواني الشاعر .

عدنا الى ذكر الياس بن مضر ، ولد لالياس مدركة على عمود النسب ، وله خارجاً عنه طابخة بن الياس ، وبعضهم ينسب مدركة وطابخة الى أمها خندف ، واسمها ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وجميع ولد الياس من خندف ، وإليها ينسبون دون أبيهم ، فيقولون بنو خندف ولا يذكرون الياس ابن مضر . وصار من طابخة الخارج عن عمود النسب قبائل منهم : بنو تميم بن طابخة والرباب ، وبنو ضبة وبنو مزينة وهم بنو عمرو بن أد بن طابخة ، نسبوا الى أمهم مزينة بنت كلب بن وبرة ، ثم ولد لمدركة بن الياس خزيمة ، على عمود النسب ، وولد لمدركة خارجاً عنه هذيل بن مدركة ، ومن هذيل جميع قبائل الهذليين ، فمنهم عبدالله بن مسعود الصحابي ، وأبو ذؤيب الهذلي الشاعر . ثم ولد لخزيمة كنانة على عمود النسب ، وله خارجاً عنه الهون وأسد ، فمن الهون عضل قبيلة أبوم عضل بن الهون بن خزيمة ، ومنه الديش بن الهون وهو أخو عضل . ويقال لقبيلتي عضل والديش القارة . وأما أسد بن خزيمة فمنه الكاهلية ودودان ، وإليه يرجع كل أسدي ، ثم ولد لكنانة النضر على عمود النسب ، وللنضر عدة إخوة ليسوا على عمود النسب ، وهم ملكان وعبد مناة وعمرو وعامر ومالك ، أولاد كنانة ، فصار مع ملكان بنو ملكان ، ومن عبد مناة بطون هم بنو غفار رهط أبي ذر وبنو بكر ، ومن بني بكر الديل ، رهط أبي الأسود الدؤلي ، ومن بطون عبد مناة بنو ليث وبنو الحارث ، وبنو مدالج وبنو ضمرة ، وصار من عمرو بن كنانة العمريون ، ومن أخيه عامر العامريون ، ومن مالك بن كنانة بنو فراس ، ومن بطون كنانة الأحابيش . وكانت الحليس بن عمرو رئيس الأحابيش ، نوبة أحد ، ومن لم يقف على ذلك إذا سمع ذكر الأحابيش في نوبة أحد ، ظن أنهم من الحبشة ، وليس كذلك ، بل هم عرب من بني كنانة فهؤلاء إخوة النضر بن كنانة وولدهم .

والنضر قيل أنه قریش ، والصحيح أن قریشاً هم بنو فهر ، وولد للنضر مالك على عمود النسب ولم يشتهر له ولد غيره ، ثم ولد لمالك فهر على عمود النسب ،

وفهر هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي ، قيل سمي قريشاً لشدة ، تشبيهاً
 بالقرش ، دابة من البحر تأكل دواب البحر وتقهرهم . وقيل قصي بن كلاب
 استولى على البيت ، وجمع أشتات بني فهر ، فسمي قريشاً لأنه قرش بني فهر ،
 أي جمعهم حول الحرم ، فعلى هذا قريش بنو فهر لا فهر نفسه ، ولم يولد لمالك
 غير فهر على عمود النسب . وولد لفهر غالب على عمود النسب ، وخارجاً عنه
 محارب والحارث ، فمن محارب بنو محارب ، ومن الحارث بنو الحليج ، ومنهم أبو
 عبيدة بن الجراح أحد العشرة رضي الله عنهم ، ثم ولد لغالب لؤي على عمود
 النسب ، وخارجاً عنه تيم الأدرم ، والأدرم الناقص الذقن ، ومن تيم بنو الأدرم .
 ثم ولد للؤي ستة هم كعب على عمود النسب ، وخارجاً عنه إخوته الخمسة ، وهم
 سعد وخزيمة والحارث وعامر وأسامة ، أولاد لؤي بن غالب ، ولكل منهم
 ولد ينتسبون إليه ، خلا الحارث منهم ، ومن ولد عامر بن لؤي عمرو بن عبدود
 فارس العرب ، قتله علي رضي الله عنه . ثم ولد لكعب مرة على عمود النسب ،
 وخارجاً عنه هصيص وعدي ، فمن هصيص بنو جمع ، ومن مشاهيرهم أمية بن
 خلف ، عدو رسول الله ﷺ ، وأخوه أبي بن خلف مثله ، ومن هصيص سهم ،
 ومن سهم عمرو بن العاص . ومن عدي بن كعب بنو عدي ، ومنهم عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه ، وسعيد بن زيد من العشرة رضي الله عنهم . ثم ولد
 لمرة على عمود النسب كلاب ، وخارجاً عنه تيم ويقظة ، فمن تيم بنو تيم ، ومنهم
 أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وطلحة من العشرة . ومن يقظة بنو مخزوم ،
 نسب خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وأبي جهل بن هشام ، واسمه عمرو بن
 هشام المخزومي ، ثم ولد لكلاب قصي على عمود النسب ، وخارجاً عنه زهرة
 ابن كلاب ، ومنهم بنو زهرة نسب أمينة أم رسول الله ﷺ ، ونسب سعد
 ابن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف من العشرة . كان قصي عظيماً في قريش ،
 ارتجع مفاتيح الكعبة كما مر وأثل مجدهم . ثم ولد لقصي عبد مناف على
 عمود النسب ، وخارجاً عنه عبد الدار وعبد العزى ، فمن عبد الدار بنو شيبة
 الحجابة ، ومن ولد عبد الدار النضر بن الحارث شديد العداوة لرسول الله صلى

الله عليه وسلم ، وقتله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، ومن ولد عبد العزى خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن قصي ، وولد لعبد مناف هاشم على عمود النسب ، وخارجاً عنه عبد شمس ، والمطلب ونوفل أولاد عبد مناف . فمن عبد شمس أمية ومنه بنو أمية ، منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، ومعاوية ابن أبي سفيان بن حرب بن أمية ، وسعيد بن العاص بن أمية ، وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية ، وعقبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وبنت عقبة المذكور هند أم معاوية ، وقتل النبي صلى الله عليه وسلم عقبة صبراً يوم بدر ، ومن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبيون ، ومنهم الإمام الشافعي ، ومن نوفل النوفليون .

ثم ولد لهاشم عبد المطلب على عمود النسب ، ولم يعلم لهاشم ولد غيره ، وولد لعبد المطلب (عبد الله) على عمود النسب ، وخارجاً عنه جميع أعمام النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم حمزة والعباس وأبو طالب وأبو لهب والغيداق ، وقيل هو حجل وسيد كر . والحارث وحجل والمقوم وضرار والزبير ، وقثم مات صغيراً ، وعبد الكعبة ، وقيل عبد الكعبة هو المقوم ، ثم ولد لعبد الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في عام الفيل .

قصة الفيل

اعلم أنه لما صار الملك الى أبرهة باليمن ، بنى كنيسة عظيمة ، وقصد حج العرب إليها دون الكعبة ، فجاء شخص وأحدث في الكنيسة ففضب أبرهة وسار بجيشه وبالفيل ، وقيل بثلاثة عشر فيلاً لهدم الكعبة ، ووصل الطائف ، فبعث الأسود بن مقصود الى مكة فساق أموال أهلها لأبرهة ، وأرسل أبرهة الى قريش يقول لست أقصد الحرب ، بل جئت لأهدم الكعبة ، فقال عبد المطلب :

« والله ما تريد حربته ، هذا بيت الله فإن منع عنه فهو بيته وحرمة ، وإن خلى بينه وبينه فوالله ما عندنا من دفع » ثم انطلق عبد المطلب مع رسول أبرهة إليه ، فقبل له : هذا سيد قريش ، فأذن له أبرهة وأكرمه ونزل عن سريره وجلس معه ، وسأله عن حاجته ، فذكر عبد المطلب أباعره التي أخذت له ، فقال أبرهة : إني كنت أظن أنك تطلب مني أن لا أخرب الكعبة التي هي دينك . فقال عبد المطلب : أنا رب الأباعره فأطلبها ، وللبيت رب يمنع . فأمر أبرهة برد أباعره عليه ، فانصرف بها الى قريش . ولما قارب أبرهة مكة وتها لها صار كلما قبل الفيل مكة ، وكان اسمه محموداً ، ينسام ويرمي بنفسه الى الأرض ولم يسر ، فإذا قبّله غير مكة قام يهرول ، وبيناهم كذلك إذ أرسل الله تعالى عليهم طيراً أبابيل ، أمثال الخطاطيف ، مع كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه ، يقذفهم بها وهي مثل الحمص والعدس ، فلم تصب أحداً منهم إلا هلك ، وليس كلهم أصابت . ثم أرسل الله تعالى سيلاً فألقاهم في البحر ، والذي سلم منهم ولى هارباً مع أبرهة الى اليمن يبتدر الطريق ، وتساقطوا بكل منهل وأصيب أبرهة في جسده ، وسقطت أعضاؤه ووصل الى صنعاء كذلك ومات ، فخرجت قريش الى منازلهم وغنموا شيئاً كثيراً . وملك بعد أبرهة ابنه مكسوم ، ثم أخوه مسروق بن أبرهة ومنه أخذ العجم اليمن . ومن هنا نشرع في التواريخ الإسلامية .

مولد النبي صلى الله عليه وسلم

وشرف نسبه الطاهر

ولد عبد الله بن عبد المطلب قبل الفيل بخمس وعشرين سنة ، وكان أبوه يحبه لأنه كان أحسن أولاده وأعفهم ، بعثه أبوه يمتار له ، فمر بيثرب فمات بها ، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم شهران ، وقيل كان حملاً ، ودفن في دار الحارث ابن إبراهيم بن سراقه العدوي ، وهم أخوال عبد المطلب ، وقيل في دار النابغة

ببني النجار، وتركته خمسة أجمال وجارية حبشية اسمها بركة وكنيتها أم أيمن ،
وهي حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما أم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب
ابن لؤي بن غالب بن فهر وهو قريش .

قلت : تقدم الخلاف في قريش ، ففي جزمه هنا بأنه فهر ما فيه ، وقد
يقال قطع هنا بأنه الأصح والله أعلم ، فخطب عبد المطلب من وهب سيد بني
زهرة ابنته آمنة لعبد الله ، فزوجها فولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول من عام الفيل ، وكان قدوم الفيل في
منتصف المحرم منها ، وهي الثانية والأربعون من ملك كسرى أنوشروان ،
وهي سنة إحدى وثمانين وثمانمائة لغلبة الإسكندر على دارا ، وهي سنة ألف
وثلاثمائة وست عشرة لبخت نصر . وفي السابع من ولادته ذبح جده عبد المطلب
عنه ، ودعا له قريشاً ، فلما أكلوا قالوا : يا عبد المطلب أرأيت ابنك هذا الذي
أكرمتنا على وجهه ما سميت به ؟ قال : سميت به محمداً . قالوا : فم رغبت به عن
أسماء أهل بيته . قال : أردت أن يحمده الله في السماء وخلقه في الأرض .

وروى البيهقي باسناده المتصل بالعباس رضي الله عنه قال : ولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم مختوناً مسروراً ، فأعجب جده عبد المطلب وحظي عنده ،
وقال ليكون لابني هذا شأن . وباسناده المنتهي الى مخزوم بن هانيء المخزومي ،
عن أبيه قال : لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرافة ، وخذت نار فارس ،
ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغاصت بحيرة ساوة ، ورأى الموبذان قاضي
الفرس في منامه إبلاً صعاباً تقود خيلاً عرباً قد قطعت دجلة وانتشرت في
بلادها ، فلما أصبح كسرى أفزع ذلك واجتمع بموبذان فقص عليه موبذان
أيضاً ما رأى ، فقال كسرى : أي شيء يكون هذا ؟ فقال الموبذان - وكان

عالمًا - : يكون حدث من جهة العرب . فكتب كسرى الى النعمان
ابن المنذر :

أما بعد فوجه إلي برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه ، فوجه إليه بعبد المسيح
ابن عمرو بن حنان الفسائي ، فأخبره كسرى بما كان من ارتجاس الإيوان وغيره .
فقال : علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح . قال
كسرى : فاذهب إليه وسله واثني بتأويل ما عنده . فسار عبد المسيح حتى قدم
على سطيح ، وقد أشفى على الموت ، فسلم عليه وحياه ، ولم يجر جواباً . فأنشد
عبد المسيح :

أصم أم يسمع غطريف اليمن أم فاز فاض أم به شأو العنن
يا فاصل الخطبة أعت من ومن وكاشف الكربة عن وجه الغضن
أناك شيخ الحي من آل سنن وأمه من آل ذئب بن حجن
رسول قبل المعجم يسري بالوسن لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
تجوب بي الأرض علنداة الشجن ترفعني وجناً وتهوي في وجن
قلت : وتمته :

حتى أتى عاري الجأجي والقطن بلغه في اللوح بوغاء الدمن
كأنما حثت من حصني سكن
والله أعلم .

فرفع سطيح رأسه وقال : عبد المسيح على جمل مشيح يهوي الى سطيح ،
وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك ساسان لارتجاس الإيوان وخبود النيران ،
ورؤيا الموبدان ، وذكرها يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات ، وكل
ما هو آت آت . ثم قضى سطيح مكانه . ثم قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره
بقول سطيح ، فقال إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً تكون أمور . هلك منهم
عشرة في أربع سنين . وفي العقد : أن سطيحاً على زمن نزار بن معد بن عدنان ،
وهو الذي قسم الميراث على بني نزار وإخوته .

قلت : الارتجاس الاضطراب ، وقد يكون من الصوت ، وغاصت أي
 نضبت ، وفاذ وفاض إذا مات ، يا فاصل أي يا قاطع ، والخطبة الأمر الشديد ،
 أعيت من أي لم يدر ما جهتها ، والغضن الكثير الغضون ، وتجوب تقطع ،
 والعلنداة الشديدة الصلبة ، يعني الناقة ، والوجن والوجس الغليظ من الأرض ،
 والجآجي جمع جؤجؤ وهو عظم الصدر ، والقطن مأوى العجز من الظهر ، واللوح
 شدة الحر والعطش ، والبوغاء التراب . والله أعلم .

شرفه وشرف بيته صلى الله عليه وسلم

روى البيهقي بإسناده رفعه الى العباس قال : قلت يا رسول الله إن قريشاً
 إذا التقوا لقي بعضهم بعضاً بالبشاشة وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ، فغضب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك غضباً شديداً ثم قال : والذي نفس محمد
 بيده ، لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم الله ورسوله .

وذكر في موضع آخر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إنا لقعود بفناء
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ مرت به امرأة فقال بعض القوم : هذه بنت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو سفيان : مثل محمد في بني هاشم ، مثل
 الريحانة في وسط التبن . فانطلقت المرأة فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء
 النبي صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال : « ما بال أقوال تبلغني عن
 أقوام ، إن الله عز وجل خلق السموات سبعا فاختار العلى منها فأسكنها من
 شاء من خلقه ، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم واختار من بني آدم
 العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر قريشاً ، واختار من قريش
 بني هاشم ، واختارني من بني هاشم . » وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل : قلبت الأرض مشارقها ومغاربها ،
 فلم أجد أحداً أفضل من محمد ، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني
 أب أفضل من بني هاشم .

نسبه صلى الله عليه وسلم

تقدم ذكر بنى إسماعيل على عمود النسب ، وأما نسب نبينا صلى الله عليه وسلم سرداً ، فهو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان ، ونسبه صلى الله عليه وسلم الى عدنان متفق عليه ، وعدنان من ولد إسماعيل بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم بلا خلاف ، إنما الخلاف في عدة الآباء الذين بين عدنان واسماعيل ، فعدّ بعضهم بينهما نحو أربعين رجلاً ، وبعضهم عدّ دون ذلك .

وعن أم سلمة زوجته صلى الله عليه وسلم عنه صلى الله عليه وسلم قال : عدنان ابن أدد بن زيد بن يرا بن اعراق الثرى . فقالت أم سلمة : زيد هميسع ويرا نبت وإسماعيل اعراق الثرى . وقال البيهقي : عدنان بن أدد بن المقوم بن ناحور بن تارخ بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم . وفي شجرة النسب للجواني النسابة ، وهو المختار عدنان بن أد بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيذار بن اسماعيل عليه السلام .

رضاعه صلى الله عليه وسلم

أول من أرضعه بعد أمه ، ثويبة مولاة عمه أبي لهب مع ابنها مسروح بلبنه ، وحمزة عمه ، وأبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، فهما أخواه صلى الله عليه وسلم من الرضاع . وكانت المراضع يقدمن مكة من البادية يطلبن أن يرضعن الأطفال ، فقدمن في سنة شهباء ، وأخذت كل واحدة طفلاً ، ولم تجد حليلة طفلاً غيره ، وكان يتيماً مات أبوه عبد الله ، فلم يرغب فيه لأن المعروف يرجى من أبي الصبي .

قلت : ومن معالم الإسلام قالت حليلة بنت أبي ذؤيب بن الحارث السعدية :

فذهبت فاحتلمته الى رحلي ، فلما وضعت في حجري أقبل على ثدياي بما شاء ، فشرب حتى روي وشرب أخوه حتى روي ثم ناما - وما كان أي أخوه ينام قبل ذلك - وقام زوجي الى شارقنا ، وكانت ما تبض بقطرة ، فنظر إليها فإذا انها لحافل ، فحلب منها حتى شرب وشربت ، وبتنا بخير ليلة . وقال لي صاحبي : أخذت نسمة مباركة ، قلت : أرجو ذلك ، ثم خرجنا وركبت أتانني ، وكانت عجفاء قمراء ، وحملتها عليها معي ، والله لقطعت بالركب حتى أن صواحي ليقلن لي : ويحك يا بنت أبي ذؤيب أربعي علينا ، والله إن لها لشأناً . ثم مروا بعراف فقالت النسوة : سلي هذا . فجاءت حليلة إليه وأخبرته خبره ، وما قالت فيه أمه من رؤياها ، فصاح يا آل هذيل : «اقتلوه وآلهته ليهلكن الأرض ، وإنه لينتظر أمراً من السماء» . قالت وقد منا على عشرة أعز ما يرمن البيت هزالاً ، وإن كنا لنريح الإبل وإنها لحفل ؛ فنحلب ونشرب ، ونحلب شارقنا عبوقاً وصبوحاً ، وجعل أهل الحاضرة يقولون لرعاتهم : ابلغوا حيث تبلغ غنم حليلة ، فيبلغون ، فلا تأتي مواشيمهم إلا كما كانت قبل ذلك ، وتروح غنم حليلة يخاف عليها الحبط . والله أعلم .

ثم قدمت به مكة - وهي أحرص الناس على مكثه عندها - فقالت لأمه آمنة : لو تركت بني عندي حتى يغلظ فإني أخشى عليه وباء مكة ، ولم تزل بها حتى تركته معها ، فعادت به الى بلاد بني سعد ، وكان رسول الله ﷺ في بعض الأيام مع أخيه من الرضاع ، خارجاً عن البيوت إذ أتى ابن حليلة أمه يشتد ، وقال لها ولأبيه : ذاك أخي القرشي ، قد جاءه رجلان عليها ثياب بياض ، فأضجعا وشقا بطنه ، وهما يسوطانه . فخرجت حليلة وزوجها نحو فوجداه قائماً فقالا : مالك يا بني ؟ قال : جاءني رجلان بطست من ذهب مملوء ثلجاً ، فأضجعاني وشقا بطني . قلت : وتتمته : ثم استخرجوا قلبي فشقاه ، فاستخرجوا منه علقة سوداء ، ثم غسلوا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى أنقياه ، ويروى : وختما عليه بخاتم من نور . والله أعلم .

فقال زوج حليلة لها : قد خشيت ان هذا الغلام قد أصيب ، فألحقه بأهله .
 فقدمت به على أمه آمنة فقالت : ما أقدمك به و كنت حريصة عليه . فقالت
 حليلة : تخوّفت عليه الشيطان . قالت أمه : كلا ، والله ما للشيطان عليه من
 سبيل ، إن لابني شأنًا .

وإخوته صلى الله عليه وسلم من الرضاع عبدالله وآسية وجدامة ، وهي السماء غلب ذلك
 على اسمها ، وأمهم حليلة وأبوهما الحارث بن عبد العزى السعدي . قدمت حليلة
 عليه صلى الله عليه وسلم ، بعد أن تزوج خديجة ، وشكت الجذب فكلم لها خديجة رضي الله
 عنها ، فأعطتها أربعين شاة ، ثم قدمت حليلة وزوجها الحارث عليه بعد النبوة ،
 فأسلما . وبقي مع أمه آمنة ، فلما بلغ ست سنين توفيت أمه بالأبواء بين مكة
 والمدينة ، وكانت قد قدمت به على أخواله بني عدي بن النجار تزيره إياهم ، فهانت
 وهي راجعة الى مكة ، وكفله جده عبد المطلب ، فلما بلغ ثمان سنين توفي جده
 عبد المطلب ، ثم قام بكفالاته عمه أبو طالب بن عبد المطلب وأبو طالب شقيق
 عبد الله .

ثم خرج به أبو طالب في تجارة له الى الشام . قلت : وأوصى عبد المطلب
 قبل وفاته أبا طالب به وقال فيما أوصاه به :

أوصي أبا طالب بعدي بندي رحم محمد وهو في ذا الناس محمود
 هذا الذي تزعم الأخبار ان له أمراً سيظهره نصر وتأييد
 في كتب موسى وعيسى منه بينة كما يحدثني القوم العباييد
 فاحذر عليه شرار الناس كلهم والحاسدين فإن الخير محسود
 والله أعلم .

فلما وصل مع عمه الى بصرى ، وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ، رآه بحيراً
 الراهب ، فرأى الغمامة تظله ، فقال لأبي طالب : إرجع به واحذر عليه اليهود .
 فخرج به أبو طالب بعد فراغه من تجارته ، حتى أقدمه مكة . قلت : ورآه

إذن رجال من اليهود ، فعرفوا صفته ، وأرادوا أن يفتالوه ، وهم زريير ودريس
 وتمام ، فذهبوا الى بحيرا فذاكروه ذلك ، ويظنون أن بحيرا سيتابعهم على رأيهم ،
 فنهاهم أشد النهي ، وقال أتجدون صفته قالوا نعم ؛ قال فما لكم إليه سبيل .
 وقال أبو طالب في ذلك :

إن ابن آمنة الأمين محمداً عندي بمثل منازل الأولاد
 لما تعلق بالزمام رحمة والعيس قد قلصن بالأرواد
 ومنها :

راعت فيه قرابة موصولة وذكرت فيه وصية الأجداد
 وأمرته بالسير بين عمومة بيض الوجوه مصالت أنجاد
 حتى إذا ما القوم بصرى عابنوا لاقوا على شرك من المرصاد
 حبراً فأخبرنا حديثاً صادقاً عنه ورد معاشر الحساد
 قوم يهود قد رأوا ما قد رأى ظل الغمامة وغر الأكباد
 ثاروا لقتل محمد فنهاهم عنه وأجهد أحسن الإجهاد
 والله أعلم .

وشب رسول الله ﷺ حتى بلغ ، فكان أعظم الناس مروءة وحلماً ،
 وأحسنهم جواباً ، وأصدقهم حديثاً ، وأبعدهم عن الفحش ، حتى سماه قومه
 الأمين . وحضر مع عمومته حرب الفجار ، وعمره أربع عشرة سنة ، وهي
 حرب بين قريش وبين هوازن ، انتهكت فيها هوازن حرمة الحرم ، فسميت
 بالفجار ، كانت الكرة فيها أولاً على قريش وكنانة ، ثم انتصرت قريش .

زواجه من خديجة :

وبلغ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب صدقه
 وأماته ﷺ ، فعرضت خديجة عليه سفره في تجارة لها الى الشام مع غلامها
 ميسرة ، فأجاب وخرج ومعه ميسرة حتى قدم الشام وباع واشترى ورجع
 قافلاً الى مكة بمال خديجة ، فحدثها ميسرة بما شاهد منه ، وأن ملكين كانا

يظللانه وقت الحر ، فمرضت خديجة نفسها عليه ، فتزوجها ﷺ أيما ، وهي بنت أربعين سنة وأصدقها عشرين بكرة ، وآمنت به وهي أول أزواجه ، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت رضي الله عنها ، وعاشت معه بعد مبعثه عشر سنين ، وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين .

تجديد قريش عمارة الكعبة

كانت الكعبة قصيرة البناء فهدمتها قريش ، ثم بنوها حتى بلغ البنيان الحجر الأسود فاختصموا فيه ، وأرادت كل قبيلة رفعه الى موضعه ، ثم اتفقوا على تحكيم أول داخل من باب الحرم ، فكان ﷺ أول داخل ، فقالوا هذا الأمين ، وعمره إذ ذاك خمس وثلاثون سنة ، فحكوه فأمرهم بوضع الحجر الأسود في وسط عباءة ، ثم أمر كل قبيلة يأخذوا بطرف من العباءة ، حتى انتهوا به الى موضع الركن ، فأخذه ﷺ ووضع في موضعه ، ثم أتموا بناء الكعبة ، وكانت تكسى القباطي ، ثم كسيت البرود ، وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف .

ولما بلغ النبي ﷺ أربعين سنة ، بعثه الله الى الأسود والأحمر ، رسولا ناسخاً بشريعته الشرائع الماضية ، فأول ما ابتدئ به من النبوة الرؤيا الصادقة ، وحبب الله إليه الخلوة ، وكان يجاور في جبل حراء من كل سنة شهراً ، ففي سنة مبعثه خرج بأهله في رمضان الى حراء للمجاورة فيه ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله تعالى فيها ، جاءه جبريل فقال له : اقرأ . قال له : فما أقرأ ؟ قال : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، الى قوله تعالى علم الإنسان ما لم يعلم . فقرأها ، ثم خرج الى وسط الجبل ، فسمع صوتاً من جهة السماء : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ، فبقي واقفاً في موضعه يشاهد جبريل حتى انصرف جبريل . ثم انصرف النبي ﷺ ، فحكى لخديجة ما رأى فقالت : أبشر فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة . ثم أتت خديجة ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وكان شيخاً كبيراً . قلت : وكان ورقة قد عمي وتنصر في الجاهلية ، وكتب من التوراة والإنجيل . والله أعلم .

فلما ذكرت خديجة لورقة أمر جبريل وما رأى ميسرة ، فقال ورقة : إنه ليأتيه الناموس الأكبر . قلت : وأخبره أيضاً رسول الله ﷺ ، فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ، يا ليتني أكون فيها جذعاً حين يخرجك قومك ، فقال ﷺ : أوخرجني هم ؟ فقال ورقة : نعم ، لم يأت قط بمثل ما جئت به أحد إلا عودي وأوذني ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، وقال ورقة في ذلك أبياتاً منها :

فقد طال انتظاري يا خديجا
من الرهبان يكره أن يصوجا
ويخصم من يكون له حجيجا
يقيم به البرية أن تموجا
شهدت وكنت أولهم ولوجا
ولو عجت بمنكبتها عجيجا

ووصف من خديجة بعد وصف
بما أخبرته من قول قس
بأن محمداً سيسود يوماً
ويظهر في البلاد ضياء نور
ألا يا ليتني إن كنت ذاكم
ولوجاً في الذي كرهت قریش

وقال أيضاً :

وما لشيء قضاه الله من غير
أمرأ أراه سيأتي الناس عن أثر
فيما مضى من قديم الناس والعصر
جبريل انك مبعوث الى البشر
لك الإله فرجي الخير وانتظري
عن أمره ما يرى في النوم والسهر
يقف منه أعالي الجلد والشعر
في صورة كملت في أهيب الصور
مما يسلم ما حولي من الشجر

يا للرجال لصرف الهم والقدر
حتى خديجة تدعوني لأخبرها
فخبرتني بأمر قد سمعت به
بأن أحمد يأتيه فيخبره
فقلت إن الذي ترجين ينجزه
وارسله إلينا كي نسائله
فقال حين أتانا منطلقاً عجيباً
إني رأيت أمين الله واجهني
ثم استمر وكاد الخوف يدعرنني

والله أعلم .

ولما قضى ﷺ جواره انصرف وطاف بالبيت أسبوعاً، ثم تواتر إليه الوحي، وفي الحديث الصحيح « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع آسية زوجة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ».

أول من أسلم

خديجة، وقيل علي وهو ابن تسع، وقيل عشر وقيل إحدى عشرة، وكان قبل الإسلام في حجر رسول الله ﷺ: أصابت قريشاً أزمة، وكان أبو طالب كثير العيال، فقال رسول الله ﷺ لعمة العباس: إن أخاك أبا طالب كثير العيال، فانطلق بنا لناخذ من بنيها ما نخفف عنه به، فأتياه لذلك فقال أبو طالب: أتركك لي عقيلاً واصنع ما شئت. فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرأ، فلم يزل علي معه ﷺ حتى بعثه الله فصدقه، ولم يزل جعفر مع العباس حتى أسلم، ومن شعر علي في سبقه:

سبقتكم الى الإسلام طراً
غلاماً ما بلغت أوان حلمي

وفي السيرة أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، أسلم بعد علي، اشتراه وأعتقه. ثم أسلم بعد زيد أبو بكر ثم عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبد الله، دعاهم أبو بكر الى الإسلام، وجاء بهم الى النبي ﷺ فأسلموا، ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، وعبيدة بن الحارث وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، وهو ابن عم عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعمار ابن ياسر.

قلت: وردت أحاديث في أول من أسلم، فقيل أبو بكر، وقيل علي، وقيل خديجة، وقيل زيد بن حارثة، وأما أحسن ما جمع بعضهم بين الأحاديث، وهو الأليق، فإن الجمع ولو بوجه أولى فقال: أول من أسلم من الرجال أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان علي، ومن الموالى زيد بن حارثة. والله أعلم.

وكانت دعوته ﷺ سرّاً ثلاث سنين ، ثم أمر باظهار الدعوة ، ولما نزل (وأندِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) دعا علياً فقال : إصنع لنا صاعاً من طعام ، واجعل لنا عليه رجل شاة واملاً لنا عساً من لبن ، واجمع لي بني المطلب ، حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به ، ففعل ودعاهم وهم أربعون رجلاً ، يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس ، وأحضر علي الطعام فأكلوا حتى شبعوا ، قال علي : لقد كان الرجل الواحد منهم ليأكل جميع ما شبعوا كلهم منه ، فلما فرغوا من الأكل ، وأراد النبي ﷺ أن يتكلم ، بدره أبو هب الى الكلام فقال : أشدّ ما سحركم صاحبكم . فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ ، ثم قال : يا علي قد رأيت كيف سبقني هذا الرجل الى الكلام ، فاصنع لنا في غد كما صنعت اليوم واجمعهم ثانياً .

فصنع علي في الغد كذلك ، فلما أكلوا وشربوا اللبن ، قال لهم ﷺ : ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتم به ، قد جئتم بخيري الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه ، فإنكم توارزونني على هذا الأمر . فأحجم القوم جميعاً ، قال علي : فقلت وإني لأحدثهم سناً ، وأرمصهم عيناً ، وأعظمهم بطناً ، وأحمشهم ساقاً ، أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليهم .

وذكر الحديث : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد سرّك أن نسمع لابنك ونطيع . واستمر ﷺ على ما أمره الله تعالى لم يبعد عنه قومه ، ولم يردوا عليه ، حتى عاب آلهتهم ، ونسب قومه وآباءهم الى الكفر والضلال ، فأجمعوا على عداوته إلا من عصمه الله بالإسلام . وذب عنه عمه أبو طالب ، فجاء أبا طالب رجال من أشراف قريش ، منهم عتبة وشيبة ، ابنا ربيعة بن عبد مناف ، وأبو سفيان بن أمية بن عبد شمس ، وأبو البحتري بن هشام بن الحارث ابن أسد ، والأسود بن الأسود بن المطلب بن أسد ، وأبو جهل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان ، والعاصي بن وائل السهمي وهو أبو عمرو بن العاصي ، فقالوا :

يا أبا طالب ان ابن أخيك قد عاب ديننا ، وسفه أعلامنا ، وضلل آباءنا ، فانه
عنا أو خلّ بيننا وبينه ، فردم أبو طالب رداً حسناً .

واستمر صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ، فعظم عليهم وأتوا أبا طالب ثانياً وقالوا :
إن لم تنه وإلا نازلناك وإياه ، حتى يهلك أحد الفريقين ، فعظم عليه وقال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخي إن قومك قالوا لي كذا وكذا ، فظن صلى الله عليه وسلم أن عمه
خاذله ، فقال : « يا عم ، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ، ما تركت
هذا الأمر » ، ثم استعبر فبكى ، وقام صلى الله عليه وسلم ، فناداه أبو طالب : أقبل يا ابن أخي
وقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً . فأخذت كل قبيلة تعذب كل من
أسلم منها ، ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب .

اسلام حمزة

كان النبي صلى الله عليه وسلم عند الصفا ، فمر به أبو جهل بن هشام ، فشم النبي صلى الله عليه وسلم ،
فلم يكلمه ، وكان حمزة في القنص ، فلما حضر أنباته مولاة لعبد الله بن جدعان
بشم أبي جهل لابن أخيه صلى الله عليه وسلم ، فغضب حمزة . وقصد البيت ليطوف به ، وهو
متوشح قوسه ، فوجد ابن هشام قاعداً مع جماعة ، فضربه حمزة بالقوس فشجّه ،
ثم قال : أتشم محمداً وأنا على دينه ! فقامت رجال من بني نخزوم لينصروا أبا جهل ،
فقال أبو جهل : دعوه فإني سببت ابن أخيه سباً قبيحاً . ودام حمزة على إسلامه ،
وعلمت قريش أن النبي صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع بإسلام حمزة .

اسلام عمر بن الخطاب

كان عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى شديد البأس والعداوة للنبي ،
فقال صلى الله عليه وسلم : اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب ، أو بأبي الحكم بن هشام
— وهو أبو جهل — قلت : وفيه قيل سماه معشره أبا حكم ، والله سماه أبا جهل ،
والله أعلم .

فهدى الله تعالى عمر رضي الله عنه ، وكان قد أخذ سيفه وقصد قتل النبي

ﷺ فلقية نعيم بن عبد الله النحام ، فقال ما تريد يا عمر؟ فأخبره . فقال له نعيم :
لئن فعلت ذلك لم يتركك بنو عبد مناف تمشي على الأرض ، ولكن اردع أختك
وابن عمك سعيد بن زيد وخبابا ، فانهم قد أسلموا ، فقصدهم عمر وهم يتلون
سورة طه من صحيفة ، فسمع شيئاً منها ، وعلموا به فأخفوا الصحيفة ، فسألهم
عما سمعه فأنكروه ، فضرب أخته فشجها وقال : أريني ما كنتم تقرأونه - وكان
عمر قارئاً كاتباً - فخافت على الصحيفة ، فعاهدها على ردها إليها ، فدفعتها
إليه فقراها وقال : ما أحسن هذا وأكرمه ، فطمعت في إسلامه ، فخرج إليه
خباب - وكان قد استخفى منه - فسألها عمر عن موضع رسول الله ﷺ .
فقالوا : هو بدار عند الصفا ، وكان عنده نحو أربعين نفساً ما بين رجال ونساء ،
منهم حمزة وأبو بكر وعلي رضي الله عنهم ، فقصدهم عمر متوشحاً سيفه ، فأذن
له رسول الله ﷺ ، فلما دخل نهض ﷺ وأخذ بمجمع رداءه وجبذه جبذة
شديدة وقال : ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ أو ما تزال حتى تنزل بك قارعة ؟
فقال عمر : يا رسول الله جئت لأومن بالله ورسوله . فكبر رسول الله ﷺ ، وتم
إسلام عمر .

أول المهاجرين :

ولما اشتد أذى قريش لأصحابه ﷺ ، أذن لمن ليس له عشيرة تحميه في
الهجرة إلى أرض الحبشة ، فأول من خرج اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة ، منهم
عثمان ومعه زوجته رقية ، بنت النبي ﷺ ، والزبير وعثمان بن مظعون ، وعبد
الله بن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ، وركبوا البحر إلى النجاشي ،
فأقاموا عنده .

ثم هاجر جعفر بن أبي طالب ، وتتابع المسلمون ، وجميع من هاجر من
المسلمين إلى الحبشة ثلاثة وثمانون رجلاً سوى الصغار ومن ولد ، فأرسلت قريش
في طلبهم عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وأرسلوا معها هدية من
الأدم للنجاشي ، فوصلا وطلبا من النجاشي المهاجرين ، فلم يجبهما ورد هديتهما ،
فقال عمرو بن العاص : سلهم ما يقولون في عيسى . فسألهم ، فقالوا ما قاله الله

تعالى : من أنه كلمة الله ألقاها الى مريم العذراء ، فلم ينكر النجاشي ذلك ، وأقاموا في جواره آمنين ، ورجعا خائبين .

ورأت قريش ذلك ، وجعل الإسلام يفسو في القبائل ، فتعاهدوا على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ، وكتبوا بذلك صحيفة وتركوها في جوف الكعبة توكيداً . وانحاز بنو هاشم كافرهم ومسلمهم الى أبي طالب ودخلوا معه في شعبه . وخرج من بني هاشم أبو لهب بن عبد العزى بن عبد المطلب الى قريش مظاهراً لهم ، وكانت امرأته أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان على رأيه في عداوة رسول الله ﷺ ، كانت تحمل الشوك فتضعه في طريقه ﷺ ، فسامها الله تعالى حمالة الحطب . وأقام بنو هاشم في الشعب ، ومعهم رسول الله ﷺ نحو ثلاث سنين .

قلت : فكان بنو هاشم محصورين في الشعب ، لا يخرجون إلا من موسم الى موسم ، وشلت يد كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة العبدى ، حتى يبست . والله أعلم .

وبلغ المهاجرين بالحبشة أن أهل مكة أسلموا ، فقدم منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً ، فلما قربوا من مكة لم يجدوا ذلك صحيحاً ، فدخلوها مستخفين ، ومن القادمين عثمان والزبير وعثمان بن مظعون ، ثم ان النبي ﷺ قال لأبي طالب : يا عم إن ربي سلط الأرض على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها غير أسماء الله ، ونفت منها الظلم والقطيعة . فأعلم أبو طالب قريشاً بذلك وقال : إن كان صحيحاً فانتهوا عن قطيعتنا ، وإن كان كذباً دفعت إليكم ابن أخي ، فرضوا بذلك ، فإذا الأمر كما قال ﷺ .

وزادهم ذلك شراً ، فاتفق جماعة من قريش ونقضوا ما تعاهدوا عليه في الصحيفة من قطيعة بني المطلب ، وأسري به ﷺ لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان ، في السنة الثالثة عشر من النبوة ، وقيل في ربيع الأول ، وقيل في رجب ، وهل كان الإسراء يجسده أم كان رؤيا صادقة ، الجمهور على أنه يجسده ،

وقالت عائشة ومعاوية : أسرى بروحه ، وقيل الإسراء الى بيت المقدس
جسداني ، ومنه الى السموات السبع وسدرة المنتهى ، روحاني .

وتوفي أبو طالب في شوال سنة عشر من النبوة ، قال له ﷺ في اشتداد
مرضه : يا عم قلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة ، فقال أبو طالب : يا ابن
أخي لولا مخافة السبة ، وأن تظن قريش إنما قتلها جزعاً من الموت ، لقلتها .
والمشهور أنه مات كافراً ، وقيل انه جعل يحرك شفتيه ، فأصغى إليه العباس
بأذنه ، وقال : والله يا ابن أخي لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقول . فقال
رسول الله : الحمد لله الذي هداك يا عم .

قلت : وقيل أحيا الله له ﷺ ، أبويه وعمه فأمنوا به ، ثم ماتوا . والله
أعلم . ومن شعر أبي طالب :

ودعوتني وعلمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
والله لن يصلوا إليك يجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

وعاش أبو طالب بضعا وثمانين سنة . ثم توفيت خديجة رضي الله عنها ، بعد
أبي طالب . وموتها قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ، ونالت قريش منه ﷺ
بموتها ، خصوصا أبو لهب ، والحكم بن العاص ، وعقبة بن أبي معيط بن أمية ،
فإنهم كانوا جيران النبي ﷺ ، ويؤذونه في بيته بما يلقون عليه وقت صلاته
وفي طعامه من الأذى ، واشتد به ذلك حتى سافر الى الطائف يلتمس من ثقيف
النصرة ، ورجاء أن يقبلوا ما جاء به من الله ، فوصل الى الطائف وعمد الى
جماعة من أشرف ثقيف ، مثل مسعود وحبيب ابني عمرو ، فجلس إليهم
ودعاهم الى الله ، فقال له واحد منهم : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك ! وقال
الآخر : والله لا أكلمك أبداً ، ولئن كنت رسولا من الله كما تقول ، لأنت أعظم
خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ، فما ينبغي لي
أن أكلمك .

فقام ﷺ وقد يش من خير ثقيف ، وأغروا به سفاهم وعبيدهم يسبوناه ،
ويصبحون به ، حتى اجتمع عليه الناس وأجأوه الى حائط ، ورجع عنه
سفاهم فقال ﷺ :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم
الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ، إن لم تكن
علي غضباً فلا أبالي . »

ثم قدم مكة وقومه أشد عليه مما كانوا ، وكان يعرض نفسه على القبائل في
مواسم الحج ، يدعوهم الى الله فيقول : يا بني فلان إني رسول الله إليكم ، بأمركم
أن تعبدوا الله ولا تشرکوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما يعبد من دونه ، وأن
تؤمنوا بي وتصدقوني .

وعنه أبو لهب ينادي : إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم ،
الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه . وكان أبو لهب أحول له غدیرقان ،
فبينما هو عند العقبة إذ لقي نفرأ من الخزرج من يثرب ، وأهلها قبيلتان : الأوس
والخزرج ، ثمانون يجمعهم أب واحد ، وبين القبيلتين حروب ، وهم حلف قبيلتين
من اليهود يقال لهما : قريظة والنضير ، من نسل هارون بن عمران ، فعرض ﷺ
الإسلام عليهم ، وتلا عليهم القرآن وهم ستة ، فأمنوا به وصدقوه .

انتشار الاسلام في يثرب

ثم انصرفوا وذكروا ذلك لقومهم بيثرب ، ودعوهم الى الإسلام حتى فشا
فيهم ، فلم يبق دار إلا وفيها ذكر لرسول الله ﷺ .
ولما كان العام المقبل وافى الموسم اثنا عشر من الأنصار ، فبايعوه بيعة النساء ،
قبل أن يفرض عليهم الحرب ، وبيعة النساء هي أن لا يشرکوا بالله ولا يسرقوا
ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ، فبعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف
ابن عبد الدار ، ليعلمهم شرائع الإسلام والقرآن ، ولما قدم المدينة دخل به أسعد
ابن زرارة - أحد الستة الذين بايعوا رسول الله في العقبة - حائطاً لبني ظفر ،

وكان سعد بن معاذ سيد الأوس ابن خالة أسعد بن زرارة ، وكان أسيد بن حضير أيضاً سيداً ، فأخذ أسيد حربته ووقف على مصعب وأسعد فقال : ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا ، اعتزلا إن كان لكما بأنفسكما حاجة . فقال له مصعب : أوتجلس فتسمع ، فجلس أسيد وأسمعه مصعب القرآن ، وعرفه بالإسلام ، فقال أسيد : ما أحسن هذا ! كيف تصنعون إذا أردتم الدخول في هذا الدين ؟ فعلمته مصعب ، فأسلم وقال : ورائي رجل ان اتبعكما لم يتخلف عنه أحد ، وسأرسله إليكما - يعني سعد بن معاذ - .

ثم أخذ أسيد حربته وانصرف الى سعد بن معاذ ، وبعث به الى مصعب وأسعد ، فلما أقبل قال أسعد لمصعب : جاءك والله سيد من وراءه . فلما وقف عليها سعد بن معاذ ، تهدد أسعد وقال : لولا قرابتك مني ما صبرت على أن تغشانا في دارنا بما نكره . فقال له مصعب : أو ما تسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته وإلا عزلنا عنك ما تكره ، فقال : أنصفت ، فعرض مصعب عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قال فعرّفنا والله في وجه الإسلام قبل أن يتكلم . ثم قال كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم فعرّفناه ذلك ، فأسلم وانصرف الى النادي حتى وقف عليه ومعه أسيد بن حضير ، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع سعد بغير الوجه الذي ذهب به ، فقال يا بني عبد الأشهل : كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا سيدنا وأفضلنا ، قال فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . فما أمسى في دار بني عبد الأشهل أحد حتى أسلم ، ونزل سعد بن معاذ ومصعب في دار أسعد بن زرارة يدعوان الى الإسلام ، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وبها مسلمون ، إلا دار بني أمية بن زيد .

بيعة العقبة الثانية

ثم ان مصعب بن عمير عاد الى مكة ومعه من الذين أسلموا ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان ، بعضهم من الأوس وبعضهم من الخزرج مع كفار من قومهم ، وهم مستخفون من الكفار ، فوصلوا مكة وواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليجتمعوا به ليلاً في أواسط أيام التشريق (بالعقبة) وجاءهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، ومعه العباس مشركاً متوثقاً منهم لابن أخيه ، فقال العباس : « يا معشر الخزرج إن محمداً منا حيث علمتم ، وقد منعناه من قومنا وهو في عز ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم تقفون عند ما دعوتموه إليه وتمنعونه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه فمن الآن فدعوه » . فقالوا : قد سمعنا . فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما أحببت . فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا القرآن ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأولادكم . ودار الكلام بينهم واستوثق كل فريق من الآخر ، ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ان قتلنا دونك ما لنا ؟ قال الجنة . قالوا فابسط يدك ، فبسط يده فبايعوه .

ثم انصرفوا راجعين الى المدينة وأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة الى المدينة ، فخرجوا أرسالاً ، وأقام ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة ، وبقي معه أبو بكر الصديق وعلي رضي الله عنهما . وبيعة العقبة الثانية وهي هذه كانت في سنة ثلاث عشرة من المبعث .

ذكر الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

لفظ التاريخ محدث في لغة العرب ^(١) لأنه معرب من ماه روز ، وبذلك جاءت الرواية ، روى ابن سليمان عن ميمون بن مهران ، أن الأموال كثرت في زمن عمر وصار ما يقسم منها غير مؤقت ، فتعرف ذلك من رسوم الفرس ،

(١) قال في « شفاء الغليل » : التاريخ قيل هو عربي من الأرخ بفتح الهمزة وكسرهما وهو ولد البقرة الوحشية كأنه شيء حدث كما يحدث الولد . وقيل الارخ الوقت والتاريخ التوقيت ، وقيل هو معرب ماه روز وقع تعريبه ووضعه في عهد عمر ا هـ . ولو قيل التاريخ معرب تاريخ لكان أقرب للقبول ، انظر ص ٣٧٢ من الجزء الأول للأوقيانوس .

فاستحضر الهرمزان فسأله فقال : لنا حساب نسميه ماه روز - ومعناه حساب الشهور - فعرّبوا الكلمة الى مؤرخ ، ثم جعلوا اسمه التاريخ ، ثم اتفقوا على أن يكون مبدأ تاريخ دولة الإسلام سنة الهجرة من مكة الى المدينة .

وقد تصرّم من شهور هذه السنة وأيامها : المحرم وصفر وثمانية أيام من ربيع الأول ، فلما عزموا على تأسيس الهجرة رجعوا القهقري ثمانية وستين يوماً ، وأرخوا من أول المحرم ، ثم أحصوا من أول يوم من المحرم ، الى آخر يوم من عمره صلى الله عليه وسلم ، فكان عشر سنين وشهرين ، وإذا حسب عمره من الهجرة حقيقة ، فيكون تسع سنين وأحد عشر شهراً ، واثنين وعشرين يوماً .

وهذا جدول يتضمن ما بين الهجرة وبين التواريخ القديمة المشهورة من السنين ، فإذا أردت أن تعرف ما بين أي تاريخين شئت منها ، فانظر الى ما بينها وبين الهجرة وانقص أقلها من أكثرهما ، ومهما بقي فهو ما بينها . مثاله : إذا أردت أن تعرف ما بين مولد المسيح ومولد رسول الله صلوات الله وسلامه عليها ، نقصت ما بين مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الهجرة ، وهو ثلاث وخمسون سنة وشهران وثمانية أيام ، من ستائة وإحدى وثلاثين سنة ، يبقى خمسمائة وثمان وسبعون سنة ، تنقص شهرين وثمانية أيام هي جملة ما بين المولدين المذكورين ، وكذلك أي تاريخين أردت من هذا الجدول :

| سنة | |
|------|---|
| ٦٢١٦ | بين الهجرة وبين آدم على مقتضى التوراة اليونانية ، واختيار المؤرخين . |
| ٥٩٦٧ | بين الهجرة وبين آدم على مقتضى التوراة اليونانية ، واختيار المنجمين حسبما أثبتوه في الزيجات . |
| ٤٧٦١ | بين الهجرة وبين آدم على مقتضى التوراة العبرانية ، واختيار المؤرخين وينقص عند المنجمين ٢٤٩ سنة . |

| | سنة |
|--|------|
| بين الهجرة وبين آدم على مقتضى السامرية واختيار المؤرخين، وينقص عند المنجمين مسا ذكر ، وهذا جار في جميع التواريخ التي قبل بخت نصر . | ٥١٣٧ |
| بين الهجرة وبين الطوفان ، وكان لستمائة مضت من عمر نوح ، وعاش بعده ٣٥٠ سنة ، ويحيى في تاريخ الطوفان المذهبان . | ٣٩٧٤ |
| بين الهجرة وبين الطوفان ، على اختيار المنجمين ، حسبما قيده أبو معشر و كوشيار وغيرهما ، في الزيجات والتقاويم . | ٣٧٢٥ |
| بين الهجرة وبين تبلبل الألسنة ، على اختيار المؤرخين ، وينقص عند المنجمين ٢٤٩ سنة ، حسبما تقدم ذكره . | ٣٣٦٤ |
| بين الهجرة وبين مولد إبراهيم ، على اختيار المؤرخين ، وأما على اختيار المنجمين فينقص ٢٤٩ سنة . | ٢٨٩٣ |
| بين الهجرة وبناء إبراهيم واسماعيل الكعبة ، وذلك لمضي ١٠٠ سنة من عمر ابراهيم عليه السلام بالتقريب . | ٢٧٩٣ |
| بين الهجرة ووفاة موسى عليه السلام ، وفيه المذهبان ، والمذكور هو اختيار المؤرخين . | ٢٣٤٨ |
| بين الهجرة وعمارة بيت المقدس ، وفرغ لمضي إحدى عشرة سنة من ملك سليمان ، ولمضي ٥٤٦ سنة لوفاة موسى عليه السلام ، وفيه المذهبان . | ١٨٦٠ |
| وأيام ١١٧ بين الهجرة وابتداء ملك بخت نصر ، وليس فيه خلاف . | ١٣٦٩ |
| بين الهجرة وخراب بيت المقدس ، وكان لمضي ١٩ سنة من ملك | ١٣٥٠ |

| | سنة |
|---|-----|
| بخت نصر ، وبقي خراباً ٧٠ سنة ، ثم عمر وتراجعت إليه بنو إسرائيل . | |
| بين الهجرة وفيلبس ، قبل الاسكندر باثني عشرة سنة ، وبين فيلبس وأغسطس ٢٩٤ ، ذكره بطليموس في المجسطي ، وقد أرخ به غالب أرساده . | ٩٤٦ |
| بين الهجرة وغلبة الاسكندر على الفرس وقتل دارا ، وهو تاريخ ابتداء ملوك الطوائف ، ومات الاسكندر بعد غلبته بنحو ٧ سنين ، فبين موته والهجرة تسعمائة ونحو ٢٨ سنة . | ٩٣٤ |
| بين الهجرة وغلبة أغسطس على مصر وقتل قلوبطرا ، ملك اليونان ، وكان لمضي اثني عشرة سنة من ملك أغسطس ، وهو أيضاً تاريخ انقراض اليونان . | ٦٥٢ |
| بين الهجرة ومولد المسيح ، وعاش الى أن رفع ثلاثاً وثلاثين سنة ، فبين رفعه والهجرة ٥٩٨ سنة . | ٦٣١ |
| بين الهجرة وبين خراب القدس الثاني ، وكان لمضي ٤٠ سنة من رفع المسيح وهو تاريخ تشتت اليهود الى الأبد . | ٥٥٨ |
| بين الهجرة وأول ملك أرديانوس . | ٥٠٧ |
| بين الهجرة وملك ازدشير بن بابك أبي الأكاسرة ، وهو أيضاً تاريخ انقراض ملوك الطوائف . | ٤٢٢ |
| بين الهجرة وأول ملك دقلطيانوس ، وهو آخر عبدة الأصنام من الملوك . | ٣٣٩ |
| وشهران و ٨ أيام بين الهجرة وبين مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم . | ٥٣ |

| سنة | |
|-----|---|
| ١٣ | سنة وشهران و ٨ أيام بين الهجرة ومبعثه صلى الله عليه وسلم . |
| ٩ | سنين و ١١ شهراً و ٢٢ يوماً بين الهجرة ووفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . |

بقية خبر الهجرة

ولما علمت قريش أنه قد صار له صلى الله عليه وسلم أنصار ، وأن أصحابه بمكة قد لحقوا بهم ، خافوا من خروجه الى المدينة ، فاتفقوا أن يأخذوا من كل قبيلة رجلاً ليضربوه بسيوفهم ضربة واحدة ، فيضيع دمه بين القبائل . وبلغه صلى الله عليه وسلم ذلك فأمر علياً أن ينام على فراشه ، وأن يتشع ببرده الأخضر وأن يتخلف عنه ليؤدي ما كان عنده صلى الله عليه وسلم من الودائع الى أربابها ، وكان الكفار قد اجتمعوا على بابه يرصدونه ليثبوا عليه ، فأخذ صلى الله عليه وسلم حفنة تراب وتلا أول يس وجعل ذلك التراب على رؤوس الكفار فلم يروه ، فأقام آتٍ وقال : إن محمداً خرج ووضع على رؤوسكم التراب ، وجعلوا ينظرون فيرون علياً عليه برد النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقولون محمد نائم . وكذا حتى أصبحوا ، فقام عليٌّ فعرّفوه ، وأقام عليٌّ بمكة حتى أدى الودائع ، وقصد النبي إذ خرج من داره دار أبي بكر ، فأعلمه بأن الله قد أذن بالهجرة ، فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله . قال : الصحبة . فبكى أبو بكر فرحاً ، واستأجرا عبد الله بن أريقط - وكان مشركاً - ليدلها على الطريق ، ومضيا الى غار بشور ، وهو جبل أسفل مكة ، فأقاما به .

ثم خرجا من الغار بعد ثلاثة أيام وتوجها الى المدينة ومعهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر وعبد الله بن أريقط الدليل . وجدت قريش في طلبه وتبعه سراقة بن جعشم المدلجيّ على فرس له ، فقال أبو بكر : هذا الطلب لحقنا . فقال صلى الله عليه وسلم لصاحبه أبي بكر : لا تحزن إن الله معنا .

فلما دنا سراقه ساخت به قوائم فرسه الى ركبتيه في أرض صلبة ، فنادى سراقه : يا محمد ادع الله أن يخلصني ولك عليّ لأعين علي من ورائي . فدعا له فخلص . ثم أخبره سراقه بما ضمنه له قومه عند ظفروه به ، وسأل موادعته فوادعه ، وكتب له به كتاباً ، فأثاه عام الفتح وأسلم . وقال له كيف بك يا سراقه إذا سوّرت بسواري كسرى برويز ؟ قلت : فلبسها في زمن عمر رضي الله عنه . وبلغ ذلك أبا جهل فقال :

بني مدلج إني أخال سفيهم
عليكم به أن لا يفرق جمعكم
سراقه يستغوي لنصر محمد
فنصبح شقي بعد عز وسؤدد

فقال له سراقه :

أبا حكم والله لو كنت شاهداً
علمت ولم تشكك بأن محمداً
لأمر جوادى حيث ساخت قوائمه
رسول وبرهان فمن ذا يكاتمته

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

وقد زاد نفسي واطمأنت وآمنت
سراقه إذ يبغي علينا بكيده
فقال رسول الله يا رب اغنمه
فساخت به في الأرض حتى تغيبت
فأغناه رب العرش عنا وردّه
به اليوم ما لاقى جواد ابن مدلج
على أعوجي كالهراوة مدمج
فمهما تشا من مفضع الأمر تفرج
حوافره في بطن واد مفعج
ولولا دفاع الله لم يتمرج

ومروا على خيمتي أم معبد الخزاعية ، فسألوها تماًرأ ولحماً يشترونه ، فلم يصيبوا عندها من ذلك شيئاً ، فنظر صلوات الله عليه الى شاة في كسر الخيمة فقال : ما هذه ؟ قالت شاة خلفها الجهد عن الفتم ، قال : هل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك . فاستأذن أم معبد ودعا بالشاة ومسح بيده ضرعها وسمى الله ودعا لها في شاتها ، فتفاجت عليه ودرت واجتوت ، ودعا باناء يربض الرهط ، فحلب ثم

سقاها حتى رويت ، ثم سقى أصحابه حتى رووا ، ثم شرب آخرهم ، ثم حلب
ثانياً حتى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها وباعها وارتحلوا ، وأصبح صوت بمكة عال
لا يدرون من صاحبه يقول :

جزى الله رب العرش خير جزائه
ها نزلا بالهدى واهتديا به
فما حملت من ناقة فوق رحلها
فيال قصي ما زوى الله عنكم
ليهن بني كعب مكان فتاتهم
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها
دعاها بشاة حائل فتحلبت
فغادرها رهناً لديها لحالب

فأجابه حسان :

لقد خاب قوم زال عنهم نبينهم
ترحل عن قوم فضلت عقولهم
هداهم به بعد الضلالة ربهم
وقد نزلت منه على أهل يثرب
نبي يرى ما لا يرى الناس حولهم
وإن قال في يوم مقالة غائب
ليهن أبا بكر سعادة جده

والله أعلم .

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول
سنة إحدى يوم الاثنين الظهر ، فنزل قباء على كلثوم بن الهدم ، وأقام بقباء
الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وأسس مسجد قباء الذي نزل فيه (لمسجد

أسس على التقوى) . وخرج من قباء يوم الجمعة ، فها مر على دار من دور الأنصار إلا قالوا : هلم يا رسول الله الى العدد والعدة ، ويعترضون ناقته ، فيقول : خلوا سبيلها فانها مأمورة ، حتى انتهت الى موضع مسجده ، وكان مر يد السهل وسهيل ابني عمرو يتيمين في حجر معاذ بن عفراء ، فبركت هناك ووضعت جرانها ، فنزل عنها صلى الله عليه وسلم واحتمل أبو أيوب الانصاري رحلها الى بيته . وأقام صلى الله عليه وسلم عند أبي أيوب الانصاري حتى بنى مسجده ومساكنه . وقيل : بل كان موضع المسجد لبني النجار ، وفيه نخل وخراب وقبور المشركين .

وتزوج عائشة رضي الله عنها قبل الهجرة ، بعد وفاة خديجة ، ودخل بها بعد الهجرة بثمانية أشهر ، وهي بنت تسع ، وتوفي عنها وهي بنت ثمانين عشرة سنة .

وأخى بين المسلمين فاتخذ صلى الله عليه وسلم علياً أخاً ، وأخى بين أبي بكر وخارجة بن زيد الانصاري ، وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ الانصاري ، وبين عمر وعتبان بن مالك الانصاري ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الانصاري ، وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت الانصاري ، وبين طلحة ابن عبيد الله وكعب بن مالك الانصاري ، وبين سعيد بن زيد وأبي بن كعب الانصاري . وأول مولود للمهاجرين بعد الهجرة عبد الله بن الزبير ، وأول مولود للانصار النعمان بن بشير .

تحويل القبلة

ثم دخلت سنة اثنتين من الهجرة . وفيها حولت الصلاة الى الكعبة ، كانت الصلاة بمكة وبعد مقدمه الى المدينة بثمانية عشر شهراً الى بيت المقدس ، وذلك يوم الثلاثاء منتصف شعبان فاستقبل الكعبة في صلاة الظهر ، وبلغ أهل قباء ذلك ، فتحولوا الى جهة الكعبة وهم في الصلاة .

قلت : كان صلى الله عليه وسلم في أصحابه في منازل بني سلمة ، فصلى بهم ركعتين من الظهر في مسجد القبليتين الى القدس ، ثم أمر في الصلاة باستقبال الكعبة وهو راكع في الركعة الثانية ، فاستدار واستدارت الصفوف خلفه ، فاتم الصلاة فسمي مسجد القبليتين ، والله أعلم .

وفي شعبان منها فرض صوم رمضان . قلت : وفيها فرضت صدقة الفطر ، وفي شوال منها تزوج عائشة ، وفيها تزوج علي فاطمة رضي الله عنهما . والله أعلم .
وفيها أري عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصاري صورة الأذان في النوم ، وورد الوحي به . قلت : قال الشيخ محيي الدين النواوي في الروضة : ان السنة الأولى فيها شرع الأذان وأسلم عبد الله بن سلام ، فاعتمد ذلك . والله أعلم .

وفي سنة اثنتين بعث صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش في ثمانية أنفس الى نخلة بين مكة والطائف ليتعرفوا أخبار قريش ، فمر بهم غير لقريش فغنموها وأسروا اثنين وحضروا بذلك إليه صلى الله عليه وسلم ، وهي أول غنيمة غنمها المسلمون .

غزوة بدر الكبرى

وفي سنة اثنتين أيضاً في رمضان غزوة بدر الكبرى التي أظهر الله بها الدين ، وذلك أنه قدم لقريش قفل من الشام مع أبي سفيان بن حرب ومعه ثلاثون رجلاً ، فندب صلى الله عليه وسلم إليهم فبلغ أبا سفيان ، فبعث وأعلم قريشاً بمكة بذلك ، فخرج الناس من مكة سراغاً ولم يتخلف من الأشراف غير أبي لهب ، وبعث مكانه العاص بن هشام ، وكانت عدتهم تسعمائة وخمسين رجلاً فيهم مائة فرس ، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة لثلاث خلون من رمضان منها ، ومعه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، منهم سبعة وسبعون من المهاجرين والباقيون أنصار ، وما فيهم سوى فارسين المقداد بن عمرو الكندي والزبير بن العوام ، وقيل غير الزبير . وكانت الإبل سبعين يتعاقبون عليها ، فنزل الصفراء وجاءته الأخبار

بأن العير قاربت بدرأ ، وأن المشركين خرجوا ليمنعوا عنها ، ثم ارتحل ونزل في بدر على أدنى ماء من القوم ، وأشار سعد بن معاذ فبنى له صلى الله عليه وسلم عريشاً ، فجلس عليه ومعه أبو بكر ، وأقبلت قريش فلما رآهم قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني . وتقاربوا وبرز من المشركين عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فأمر صلى الله عليه وسلم أن يبارز عبيدة بن الحارث بن المطلب عتبة ، وحمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم وشيبة ، وعلي رضي الله عنه الوليد ، وضرب كل واحد من عبيدة وعتبة صاحبه وكرّ عليّ وحمزة على عتبة فقتلاه ، واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله ثم مات . وتزاحف القوم ورسول الله ومعه أبو بكر على العريش وهو يدعو ويقول : اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض ، اللهم أنجز لي ما وعدتني . ولم يزل كذلك حتى سقط رداؤه فوضع أبو بكر عليه ، وخفق رسول الله ثم انتبه فقال : أبشر يا أبا بكر فقد أتى نصر الله .

ثم خرج من العريش يحرض الناس على القتال ، وأخذ حفنة من الحصباء ورمى بها قريشاً وقال : شامت الوجوه ، وقال لأصحابه : شدوا عليهم . فكانت الهزيمة ، وكانت الواقعة صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان ، وحمل عبد الله بن مسعود رأس أبي جهل إليه ، فسجد النبي ﷺ وشكر الله تعالى ، وقتل أبو جهل وهو ابن سبعين سنة ، وقتل أخوه العاص بن هشام . ونصر الله نبيه بالملائكة . قال الله تعالى : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة) .

وبلغ أبا لهب بمكة مصاب بدر ، فمات كمدأ بعد سبع ليال . وعدة قتلى بدر المشركين سبعون رجلاً والأسرى كذلك ، ومن القتلى أيضاً هشام ، قتله المجدّر ابن زياد . ونوفل بن خويلد أخو خديجة ، وكان من شياطين قريش ، وهو الذي قرن أبا بكر وطلحة بن خويلد لما أسلما في حبل ، قتله علي رضي الله عنه . وعمير ابن عثمان بن عمرو التميمي قتله علي أيضاً ، ومسعود بن أبي أمية المخزومي قتله

حمزة ، وعبد الله بن المنذر المخزومي قتله علي ، ومنبه بن الحجاج السهمي قتله أبو بشر الانصاري ، وابنه العاص بن منبه قتله علي ، وأخوه نبيه بن الحجاج اشترك فيه حمزة وسعد بن أبي وقاص ، وأبو العاص بن قيس السهمي قتله علي ، وكان من جملة الأسرى العباس وابنا أخيه عقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث ابن عبد المطلب .

وبعد انقضاء القتال أمر رسول الله بسحب القتلى الى القليب ، وكانوا أربعة وعشرين من صناديد قريش ، وأقام بعرضة بدر ثلاث ليال . واستشهد من المسلمين أربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية أنصار ، ولما وصل الى الصفراء راجعاً من بدر أمر علياً فضرب عنق النضر بن الحارث ، وكان من عداوته إذا تلا النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول لقريش : ما يأتيكم محمد إلا بأساطير الأولين . قلت : ولما قتل النضر ثم أنشدته ابنته :

ما كان ضرك لو مننت وربما من الفقى وهو المغيظ المحنق

فقال صلى الله عليه وسلم : لو سمعته ما قتلته . والله أعلم .

ثم أمر بضرب عنق عقبة بن أبي معيط بن أمية . وكان عثمان رضي الله عنه قد تخلف بالمدينة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بسبب مرض زوجته رقية ، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وماتت رقية في غيبة رسول الله ، ومدة الغيبة تسعة عشر يوماً .

غزوة بني قينقاع

ثم كانت غزوة بني قينقاع ، هم نقضوا ما كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم من العهد ، فخرج إليهم منتصف شوال منها ، فتحصنوا فحاصرهم خمس عشرة ليلة ، ونزلوا على حكمة صلى الله عليه وسلم ، فكتفوا وهو يريد قتلهم ، فكله عبد الله بن أبي ابن سلول الخزرجي المنافق ، وكان هؤلاء حلفاء

الخزرج ، فأعرض عنه فأعاد السؤال فأعرض عنه ، فأدخل يده في جيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله أحسن ، فقال : ويحك أرسلني ، فقال : لا والله حتى تحسن ، فقال صلى الله عليه وسلم : هم لك . ثم أجلاهم وغنم المسلمون أموالهم .

غزوة السويق

ثم كانت غزوة السويق ، وذلك أن أبا سفيان حلف لا يمس الطيب والنساء حتى يغزو محمداً صلى الله عليه وسلم بسبب قتلى بدر ، فخرج في مائتي راكب ، وبعث قدّامه رجالاً الى المدينة ، فوصلوا إلى العريض وقتلوا رجالاً من الأنصار ، وبلغ ذلك رسول الله فركب في طلبه ، وهرب أبو سفيان وأصحابه وجعلوا يلقون جرب السويق تخفيفاً ، فسميت غزوة السويق .

غزوة قرقرة الكدر

ثم كانت غزوة قرقرة الكدر ، وقيل كانت سنة ثلاث ، وهي مما يلي جادة العراق الى مكة ، بلغه صلى الله عليه وسلم أن يهبطوا لهذا الموضع جمعاً من سليم وغطفان ، فخرج لقتالهم فلم يجد أحداً فاستاق ما وجد من النعم ، ورجع الى المدينة .

وفي سنة اثنتين مات عثمان بن مظعون رضي الله عنه .

وفيها الواقعة بذي قار بين بكر بن وائل ، وبين جيش كسرى برويز ، وغلبة الهرمزان ، وانهزمت الفرس ، وقتل الهرمزان .

وفيها هلك أمية بن أبي الصلت من رؤساء الكفار ، قرأ الكتب واطلع على البعثة فكفر حسداً ، لأنه رجس أن يكون هو المبعوث ، سافر الى الشام ورجع عقيب وقعة بدر ، فمر بالقليب ، وفيه قتلى بدر ، ومنهم عتبة وشيبة ابنا خال أمية ، فجدع أذني ناقته وقال قصيدة منها :

ألا بكيت على الكرام بني الكرام أولي المهادح
كبكا الحمام على فروع الأيك في الغصن الجوانح
يبكين حزني مستكينات يرحن مع الروائح
أمثالهن الباكيات المعولات من النوائح
ماذا ببدر والعقيل من مرازبة ججاجح
شمط وشبات بهاليل مفاوير دجاجح
ان قد تغير بطن مكة فهي موحشة الأباطح

واسم أبي الصلت عبد الله بن ربيعة .

سنة ثلاث للهجرة :

فيها في رمضان ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما .

وفيهما قتل محمد بن مسلمة الأنصاري كعب بن الأشرف اليهودي .

قلت وفيها تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم ، حفصة بنت عمر رضي الله
عنها ، وتزوج عثمان أم كلثوم ، والله أعلم .

غزوة أحد

وكانت غزوة أحد ، وذلك أنه اجتمع قريش ثلاثة آلاف ، فيهم سبعمائة
دارع ومائتا فارس قائدهم أبو سفيان بن حرب ، ومعه زوجته هند بنت عتبة ،
وأربع عشرة امرأة ، يضربن بالدفوف ويبكين قتلى بدر ، وساروا من مكة
حتى نزلوا ذا الحليفة قبالة المدينة ، يوم الأربعاء لأربع مضي من شوال سنة
ثلاث ، ورأى النبي صلى الله عليه وسلم المقام بالمدينة وقتالهم بها ، وكذا رأى
عبد الله بن أبيّ ابن سلول المنافق ، وباقي الصحابة رأوا الخروج لقتالهم ، فخرج
صلى الله عليه وسلم في ألف من الصحابة ، وصار بين المدينة وأحد ، فأنخذل
عنه ابن أبيّ ابن سلول في ثلث الناس وقال : أطاعهم وعصاني ، علام نقتل
أنفسنا هنا ؟ ورجع بمن تبعه من أهل النفاق ، ونزل صلى الله عليه وسلم الشعب من
أحد ، وجعل ظهره الى أحد . ثم كانت الواقعة يوم السبت لسبع مضي من

شوال ، وعدة أصحابه سبعمائة فيهم مائة دارع وفرسان ، فرس لرسول الله ،
وفرس لأبي بردة ، ولواء رسول الله ﷺ مع مصعب بن عمير من بني عبدالدار
وجعل ﷺ الرماة وهم خمسون وراهه ، ولما التقوا قامت هند في النسوة معها ،
وضربن بالدفوف خلف الرجال وهي تقول :

ويها بني عبد الدار ويها حماة الأدبار ضرباً بكل بتار

وقاتل حمزة قتالاً شديداً ، وقتل أرطاة حامل لواء المشركين ، ومربيه
سباع بن عبد العزى ، وكانت أمه ختانة مكة ، فقال حمزة : هلم يا ابن مقطعة
البظور ، وضربه فكأنما أخطأ رأسه ، فبينما هو مشتغل بسباع إذ ضربه وحشي
الحبشي عبد جبير بن مطعم بحربة فقتله . قلت : وفي ذلك يقول حسان :

ما لشهيد بين أرماحكم شلت يدا وحشي من قاتل

والله أعلم .

وقتل ابن قنثة الليثي مصعب بن عمير حامل لواء رسول الله ﷺ ، فأعطى
النبي الراية علياً رضي الله عنه ، وانهمز المشركون فطمعت الرماة في الغنيمة ،
وفارقوا مكانهم الذي أمرهم النبي به ، فأتى خالد مع خيل المشركين من خلف .
ووقع الصارخ أن محمداً قتل ، وانكشف المسلمون ، فقتل من المسلمين سبعون ،
ومن المشركين إثنان وعشرون ، وأصاب حجارة المشركين رسول الله ﷺ ،
حتى وقع وأصيبت رباعيته ، وشج وجهه وكلمت شفته ، والذي أصابه عتبة بن
أبي وقاص أخو سعد ، وسال الدم على وجهه وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا
وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ، فنزل قوله تعالى : (ليس لك من الأمر
شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون) . ودخلت حلقتان من المغفر
في وجه رسول الله ﷺ من الشجرة ، ونزع أبو عبيدة بن الجراح إحدى الحلقتين
من وجهه ﷺ ، فسقطت ثنية أبي عبيدة الواحدة ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته

الأخرى ، ومص سنان أبو أبي سعيد الخدري الدم من وجهه وازدرده ، فقال
ﷺ : من مس دمي دمه لم تصبه النار .

وأصابت طلحة يومئذ ضربة فشلت يده وهو يدافع عن رسول الله ﷺ ،
وظاهر ﷺ يومئذ بين درعين . ومثلت هند وصواحبها بالقتلى من المسلمين ،
فجدعن الآذان والأنوف واتخذن منها قلائد ، وبقرت هند عن كبد حمزة
ولاكتها فلم تسفها ، وضرب زوجها أبو سفيان برمح شدة حمزة ، وصعد الجبل
وصرخ بأعلى صوته : الحرب سجال يوم بيوم بدر ، أعل هبل . ولما انصرف أبو
سفيان ومن معه نادى : ان موعدكم العام القابل . فقال النبي ﷺ لواحد :
قل هو بيننا وبينك .

ثم سار المشركون الى مكة فالتمس ﷺ حمزة ، فوجده وقد بقر بطنه
وجدع أنفه وأذناه ، فقال : لئن أظهرني الله على قريش لأمثلن بثلاثين منهم .
ثم قال : جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع ،
حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله . ثم أمر بحمزة فسجى ببرده ، ثم
صلى عليه فكبر سبعا ، ثم أتى بالقتلى يوضعون الى حمزة فيصلي عليهم وعليه
معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة . قال المؤلف رحمه الله : وهذا دليل
لأبي حنيفة في الصلاة على الشهيد خلافاً للشافعي .

قلت : تمسك الشافعي بما روى جابر وأنس ، أنه قتل من الصحابة يوم أحد
اثنان وسبعون قتيلاً ، فأمرهم النبي ﷺ أن تنزع عنهم الجلود والفراء والحديد ،
وأن يدفنوا بشياهم ودمائهم ، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم . والله أعلم .
ثم أمر بحمزة فدفن رضي الله عنه ، واحتمل ناس من المسلمين قتلاهم الى
المدينة فدفنهم بها . ثم نهى عن مثله وقال ادفنهم حيث صرعوا .

سنة أربع للهجرة :

فيها في صفر قدم عليه ﷺ قوم من عضل والقارة ، وطلبوا منه
أن يبعث معهم من يفقه قومهم في الدين ، فبعث معهم ستة هم :

ثابت بن أبي الأفلح ، وخبيب بن عدي ، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وخالد ابن البكير الليثي ، وزيد بن الدثنة ، وعبد الله بن طارق ، وقدّم عليهم مرثد ابن أبي مرثد . فلما وصلوا الى الرجيع - ماء لهذيل على أربعة عشر ميلاً من عسفان - غدروا بهم وقتلواهم ، فقتل ثلاثة وأسر ثلاثة وهم : زيد وخبيب وعبد الله فأخذوهم الى مكة ، فهرب طارق في الطريق ، وقاتل الى أن قتلوه بالحجارة ، وباعوا زيدا وخبيباً بمكة من قريش ، فقتلوهما صبراً .

وفيها في صفر قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة عليه صلّى الله عليه وآله ، ولم يسلم ولم يبعد من الإسلام وقال له : لو بعثت رجالاً من أصحابك الى أهل نجد يدعونهم ، رجوت أن يستجيبوا لك . فقال : أخاف على أصحابي . فقال أبو براء : أنا لهم جار . فبعث صلّى الله عليه وآله المنذر بن عمير الأنصاري في أربعين من خيار المسلمين ، فيهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، فنزلوا بشر معونة على أربع مراحل من المدينة ، وبعثوا بكتابه صلّى الله عليه وآله الى عدو الله عامر بن الطفيل ، فقتل الذي أحضر الكتاب وجمع الجموع وقصد المذكورين ، فتقاتلوا وقتلهم عن آخرهم إلا كعب بن زيد ، فبقي فيه رمق وتواري بالقتلى ، ثم لحق بالنبي صلّى الله عليه وآله ، واستشهد يوم الخندق ، وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجل من الأنصار فرأيا الطير تحوم حول المعسكر ، فقصد المعسكر فوجد القوم مقتولين ، فقاتل الأنصاري وقتل وأسر عمرو ، وأعتقه عامر بن الطفيل لكونه من مضر ، ولحق عمرو برسول الله وأخبره فشق عليه .

غزوة بني النضير

وفيها غزوة بني النضير من اليهود ، سار صلّى الله عليه وآله إليهم وحاصرهم في ربيع الأول ونزل تحريم الخمر ، وهو محاصر لهم . قلت : قال في الروضة : إن غزوة بني النضير سنة ثلاث ، وإن تحريم الخمر بعد غزوة أحد . والله أعلم .

ولما مضى عليهم ست ليال ، سأله صلّى الله عليه وآله أن يجلبهم ، على أن لهم ثلث ما

حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح ، فأجابهم إليه . فخرجوا ومعهم الدفوف والمزامير تجلداً ، وكانت أموالهم فيئاً يقسمها حيث شاء ، فقسمها على المهاجرين دون الأنصار إلا سهل بن حنيف ، وأبا دجاجة فذكرا فقراً ، فأعطاهما منه شيئاً ، ومضى من بني النضير الى خيبر ناس وإلى الشام ناس . قلت : وفي سنة أربع قصرت الصلاة ونزل التيمم ، وتزوج أم سلمة . والله أعلم .

غزوة ذات الرقاع

وفيها غزوة ذات الرقاع في جمادى الأولى . قلت : في الروضة : إن غزوة ذات الرقاع في سنة خمس في المحرم ، والله أعلم . سميت بذلك لأنهم رقعوا فيها راياتهم ، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب . وفي هذه الغزوة جاء رجل من غطفان إليه صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد أريد أن أنظر الى سيفك هذا . وكان محلي بفضة . فدفعه إليه فاستله وهم به فكبته الله . ثم قال : يا محمد ما تخافني ؟ فقال له : لا ، ما أخاف منك . ثم ردَّ سيفه إليه ، فأنزل الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قومٌ أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفَّ أيديهم عنكم) .

غزوة بدر الثانية

وفي سنة أربع في شعبان غزوة بدر الثانية ، خرج صلى الله عليه وسلم لميعاد أبي سفيان ، وأتى بدرأ ينتظر أبا سفيان ، فرجع أبو سفيان الى مكة من أثناء الطريق ، فلما لم يأت انصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، وفيها ولد الحسين رضي الله عنه .

سنة خمس للهجرة :

غزوة الخندق

ثم دخلت سنة خمس ، وفيها في شوال غزوة الخندق . قلت : في الروضة : انها في سنة أربع على الأصح ، والله أعلم . وهي غزوة الأحزاب ، بلغه تحزب قبائل العرب ، فحفر الخندق حول المدينة . قيل أشار به سلمان الفارسي ، وهو

أول مشهد شهده مع رسول الله ﷺ ، وظهرت للنبي في حفر الخندق معجزات :
منها : أن كدية - أي صخرة - اشتدت عليهم ، فدعا بماء وتفل فيه
ونضحه عليها ، فانهاالت تحت المساحي .

ومنها : ان أخت النعمان بن بشير الأنصاري ، بعثتها أمها بقليل تمر الى أبيها
وخالها عبد الله بن رواحة ، فمرت برسول الله ﷺ فدعاها وقال : هاتي ما
معك يا بنية ، فصبتة في كفيه فما امتلأتا ، ثم دعا بثوب وبدد ذلك التمر عليه ،
ثم قال لإنسان : اصرخ في أهل الخندق ، وأن هلموا الى الغداء ، فجعلوا يأكلون
منه ، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه ، وانه يسقط من أطراف الثوب .

ومنها : ما رواه جابر قال : كانت عندي شوية غير سمينة ، فأمرت امرأتي
أن تحبز قرص شعير وأن تشوي تلك الشاة لرسول الله ﷺ ، وكنا نعمل في
الخندق نهاراً وننصرف إذا أمسينا ، فلما انصرفنا من الخندق قلت : يا رسول
الله صنعت لك شوية ومعها شيء من خبز الشعير ، وأنا أحب أن تنصرف الى
منزلي ، فأمر رسول الله ﷺ من يصرخ في الناس معه الى بيت جابر ، وأقبل
رسول الله والناس معه ، فقدم له ذلك فبرك وسمى الله ، ثم أكل وتواردها
الناس كلما صدر قوم جاء قوم ، حتى صدر أهل الخندق عنها .

وقال سلمان الفارسي : كنت قريباً من رسول الله ﷺ وأنا أعمل في الخندق ،
فتغلظ عليّ الموضع الذي كنت أعمل فيه ، فلما رأى رسول الله شدة المكان
أخذ المعول وضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ؛ ثم ضرب أخرى فلمعت
برقة أخرى ، ثم ضرب أخرى فلمعت برقة أخرى ، قال فقلت : بأبي أنت
وأمي ما هذا الذي يلمع تحت المعول ؟ فقال : رأيت ذلك يا سلمان ؟ فقلت :
نعم . فقال : أما الأولى فإن الله فتح عليّ بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح
بها عليّ الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح عليّ المشرق .

وفرغ رسول الله ﷺ من الخندق ، وأقبلت قريش في أحابيشها ، ومن تبعها

من كنانة في عشرة آلاف ، وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد ، وكان
بنو قريظة وكبيرهم كعب بن أسد قد عاهدوه صلى الله عليه وسلم ، فما زال عليهم أصحابهم
من اليهود حتى نقضوا العهد وصاروا مع الأحزاب . فعظم الخطب حتى ظنَّ
المؤمنون كل الظن ، ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير : كان محمد يعدنا أن
نأكل كتوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى
الغائط .

وأقام المشركون بضعاً وعشرين ليلة ورسول الله مقابلهم ، وليس بينهم قتال
غير المراماة بالنبل ، ثم خرج عمرو بن عبدود من ولد لؤي بن غالب ، يريد
المبارزة ، فبرز إليه علي رضي الله عنه ، فقال عمرو : يا ابن أخي والله ما أحب
أن أقتلك ، فقال علي : لكنني والله أحب أن أقتلك . فحمي عمرو ونزل عن
فرسه فعقره وأقبل إلى علي فتقاتلا ، وتجاولا فعلاهما غيرة ، وسمع المسلمون
التكبير فعلموا أن علياً قتله ، وانكشفت الغيرة وإذا عليٌّ على صدره يذبجه ، ثم
أهب الله ريح الصبا كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم إذ جاءكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها) وكان ذلك
في أيام شامية ، فكفأت قدورهم ، وطرحت أبنيتهم أي هدمت خيامهم ، ووقع
بينهم الاختلاف ، فرحلت قريش مع أبي سفيان ، ورحلت غطفان .

غزوة بني قريظة

وأصبح صلى الله عليه وسلم فانصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة ، ووضع المسلمون
السلاح ، فأناه جبريل الظهر يأمره بالمسير إلى بني قريظة ، فأمر منادياً ينادي :
« من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلي العصر إلا ببني قريظة » ، وقدّم علياً رضي الله
عنه برايته إلى بني قريظة ، ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم على بئر من آبارهم ، وتلاحق الناس ،
وأتى قوم بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلوا العصر لقوله صلى الله عليه وسلم : لا يصل أحد
العصر إلا ببني قريظة ، فلم ينكر عليهم ذلك ، وحاصر بني قريظة خمساً

وعشرين ليلة ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فنزلوا على حكمه ﷺ وكانوا حلفاء الأوس ، فسأله الأوس فيهم ، كما أطلق بني قينقاع حلفاء الخزرج ، بسؤال عبدالله بن أبي بن سلول فقال : ألا ترضون أن يحكم فيهم سعد بن معاذ وهو سيد الأوس ، قالوا بلى ، ظناً منهم أنه يحكم بإطلاقهم . فأمر بإحضار سعد وكان به جرح في أكحله من الخندق ، فحملت الأوس سعداً على حمار وطؤوا له عليه بوسادة ، وكان جسيماً .

ثم أقبلوا به الى رسول الله ﷺ وهم يقولون لسعد : يا أبا عمرو أحسن الى مواليك ، فقال ﷺ : قوموا الى سيدكم . والمهاجرون يقولون : إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار . والأنصار يقولون : قد عم بها المسلمين . فقاموا إليه وقالوا : إن رسول الله قد حكمك في مواليك . فقال سعد : أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذراري والنساء .

فقال ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ، ثم رجع ﷺ الى المدينة ، وحبس بني قريظة في بعض دور الأنصار ، وأمر فحفر لهم خنادق ، ثم بعث بهم فضربت أعناقهم فيها ، وكانوا نحو سبعمائة رجل ، ثم قسم سبايا بني قريظة فأخرج الخمس ، واصطفى لنفسه ريحانة بنت عمرو ، فكانت في ملكه حتى مات . ثم انفجر جرح سعد بن معاذ ، فمات رضي الله عنه .

واستشهد في حرب الخندق ستة ، منهم سعد ، وكان سعد قد سأل الله لما جرح على الخندق أن لا يميته حتى يغزو بني قريظة لغدرهم بالعهد ، فاستجيب له . وغزوة بني قريظة في ذي القعدة منها .

قلت : وفي سنة خمس صلى صلاة الخوف ، والله أعلم . وأقام بالمدينة حتى خرجت السنة .

سنة ست للهجرة :

وفيهما في جمادى الأولى ، خرج الى بني لحيان طلباً بثأر أهل الرجيع ، فتحصنوا برؤوس الجبال ، فنزل عسفان تخويفاً لأهل مكة ، ثم عاد .

غزوة ذي قرد

ثم أقام بالمدينة أياماً ، فأغار عيينة بن حصن الفزاري على لقاح رسول الله ﷺ وهي بالغابة ، فخرج النبي يوم الأربعاء حتى وصل الى ذي قرد لأربع خلون من ربيع الأول ، فاستنقذ بعضها وعاد الى المدينة ، وكانت غيبته خمس ليال - وذو قرد موضع على ليلتين من المدينة على طريق خيبر - .

غزوة بني المصطلق

كانت في شعبان من هذه السنة ، وقيل سنة خمس . قلت : وفي سنة ست كسفت الشمس ونزل الظهار . والله أعلم .

كان قائد بني المصطلق الحارث بن أبي ضرار ، ولقيهم رسول الله ﷺ على ماء لهم يقال له المريسي . واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق ، فقتل وسبى وغنم ، ووقعت جويرية بنت قائد الحارث في سهم ثابت بن قيس ، فكاتبتة على نفسها ، فأدى عنها رسول الله ﷺ كتابتها وتزوجها . فقال الناس : أصهار رسول الله ، فأعتق بتزويجه إياها مائة من أهل بيت بني المصطلق ، فكانت عزيمة البركة على قومها . وفي هذه الغزاة قتل رجل من الأنصار رجلاً من المسلمين خطأ ، يظنه كافراً ، والقتيل هشام بن بني ليث بن بكر ، وكان أخوه مقيس مشركاً فقدم المدينة وأظهر الإسلام طالباً دية أخيه ، فأمر له رسول الله ﷺ بها ، وأقام قليلاً ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج الى مكة مرتداً . ومن قوله لعنه الله :

حلت به وتري وأدركت ثورتى وكنت الى الأوثان أول راجع

وهو ممن أهدر النبي دمه يوم فتح مكة . وفي هذه الغزوة ازدحم جهجاه الغفاري أجير عمر رضي الله عنه ، وسنان الجهني حليف الأنصار على الماء ، وتقاتلا فصرخ الغفاري : يا معشر المهاجرين . وصرخ الجهني : يا معشر الأنصار . فغضب عبد الله بن أبيّ بن سلول المنافق ، وعنده رهط من قومه فيه زيد بن أرقم ، فقال أبيّ بن سلول : أوّقد فعلوها ، قد كثرونا في بلادنا ، أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .

ثم قال لمن حضر من قومه : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم على أموالكم ، لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا عنكم . فأخبر زيد ابن أرقم النبي ﷺ بذلك ، وعنده عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله مر به عبد الله بن بشير فليقتله ، فقال ﷺ : كيف يتحدث الناس إذن أن محمداً يقتل أصحابه .

ثم أمر بالرحيل في وقت لم يكن ليرحل فيه ، ليقطع ما الناس فيه ، فلقبه أسيد بن حضير وقال : يا رسول الله ، رحت في ساعة لم تكن لتروح فيها . فقال : أو ما بلغك ما قال عبد الله بن أبيّ بن سلول ؟ فقال : وماذا قال ؟ فأخبره بما قاله . فقال أسيد : أنت والله تخرجه إن شئت ، أنت العزيز وهو الدليل . وبلغ ابن عبد الله بن أبيّ بن سلول واسمه أيضاً عبد الله ، وكان حسن الإسلام مقالة أبيه ، فقال : يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي ، فإن كنت فاعلا فمرني فأنا أحمل إليك رأسه . فقال رسول الله ﷺ : بل ترفق به وتحسن صحبته .

حديث الافك :

ولما رجع النبي من هذه الغزوة ، وكان ببعض الطريق قال أهل الافك ما قالوا . وهم مسطح بن اثاثة بن عباد بن عبد المطلب وهو ابن خالة أبي بكر ، وحسان بن ثابت ، وعبد الله بن أبيّ بن سلول المنافق ، وأم حمزة بنت جحش ،

فرموا عائشة بالإفك مع صفوان بن المعطل صاحب الناقة ، فلما أنزل الله برأيتها جلدتم صلواته ثمانين ثمانين ، إلا عبد الله بن أبي بن سلول فلم يجلده .

وفي هذه الغزاة - أعني غزاة بني المصطلق - نزل التيمم .

قلت : قال في الروضة : ان التيمم نزل في سنة أربع كما قدمت . والله أعلم .

عمرة الحديبية

ثم خرج صلواته في ذي القعدة منها معتمراً ، لا يريد حرباً بالمهاجرين والأنصار ، في ألف وأربعمائة ، وساق الهدى ، وأحرم بالعمرة ، وسار حتى وصل ثنية المرار ، مهبط الحديبية أسفل مكة ، وأمر بالنزول . فقالوا : نزل على غير ماء ! فأعطى رجلاً سهماً من كنانته وغرزه في جوف القلب ، فجاش حتى صدر الناس عنه ، فبعثت قريش عروة بن مسعود الثقفي سيد أهل الطائف إليه ، وقال : إن قريشاً لبسوا جلود النمر ، وعاهدوا الله أن لا تدخل عليهم مكة عنوة أبداً .

ثم جعل عروة يتناول حية رسول الله صلواته وهو يكلمه ، والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ، فجعل يقرع يده ويقول : كف يدك عن وجه رسول الله قبل أن لا ترجع إليك ، فقال عروة : ما أفضك وأغلظك . فتبسم صلواته ثم قام عروة من عنده ، وهو يرى ما يصنع أصحابه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يبصق إلا ابتدروا بصاقه ، ولا سقط من شعره شيء إلا أخذوه . فرجع إلى قريش وقال لهم : إني جئت كسرى وقبصر في ملكها ، فوالله ما رأيت ملكاً في قومه مثل محمد في أصحابه .

ثم دعا صلواته عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه إلى قريش يعلمهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائراً ومعظماً لهذا البيت ، فخافهم عمر لغلظته عليهم وعداوتهم لهم ، فبعث صلواته عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أبي سفيان وأشراف

قريش فعرفهم ذلك ، فقالوا : إن أحببت أنك تطوف بالبيت فطف ، فقال : ما كنت لأفعله حتى يطوف رسول الله ﷺ ، فحبسوه . وبلغ رسول الله أن عثمان قتل ، فقال : لا نبرح حتى نناجز القوم .

بيعة الرضوان :

ودعا ﷺ الى بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان يقال : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت . وكان جابر يقول : لم يبايعنا إلا على أننا لا نفر ولا يتخلف أحد من المسلمين . إلا الجد بن قيس استتر بناقته . وبايع ﷺ لعثمان في غيبته ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى .

ثم إن قريشاً بعثوا سهيل بن عمرو في الصلح ، فأجاب ﷺ ، فقال عمر : يا رسول الله ألسنت برسول الله ولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى ، قال : فعلام نعطى الدنية في ديننا ؟ فقال : أنا عبد الله ورسوله ، ولن أخالف أمره ، ولن يضيعني . ثم دعا علياً رضي الله عنه فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال ﷺ : اكتب باسمك اللهم ، ثم قال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب باسمك واسم أبيك . فقال ﷺ : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، سهيل بن عمرو ، على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، وانه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

وأشهد على الكتاب رجالاً من المسلمين والمشركين ، وكان الصحابة خرجوا من المدينة لا يشكون في فتح مكة ، لرؤيا رآها النبي ﷺ . فدخل الناس من الصلح أمر عظيم حتى كادوا يهلكون .

ولما فرغ ﷺ من ذلك نحر هديه وحلق رأسه ، فنحروا وحلقوا ، ويومئذ

قال : يرحم الله الملقين ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله ، قال : يرحم الله الملقين ، حتى أعادوا وأعاد ذلك ثلاثاً ، ثم قال والمقصرين . ثم قفل الى المدينة وأقام حتى خرجت السنة .

سنة سبع للهجرة :

قلت : فيها تزوج أم حبيبة وميمونة وصفية وجاءته مارية وبغلته دلدل ، وقدم جعفر وأصحابه من الحبشة ، وأسلم أبو هريرة . والله أعلم .

غزوة خيبر

خرج في منتصف المحرم منها الى خيبر ، وحصرهم وفتحها حصناً حصناً ، حصن ناعم ، ثم حصن القموص ، وأصاب منها سبايا منهن صفية بنت كبيرهم حبيبي بن اخطب ، فتزوجها وجعل عتقها صداقها ، وهو من خواصه . ثم حصن المصعب أكثرها طعاماً وودكاً ، ثم الوطيح والسلام آخر حصون خيبر افتتاحتها ، وربما كانت تأخذه صلى الله عليه وسلم الشقيقة ، فلبث اليوم واليومين لا يخرج ، فلما نزل خيبر أخذته ، فأخذ أبو بكر الراية فقاتل قتالاً شديداً .

ثم عمر فقاتل شديداً ، وقال صلى الله عليه وسلم : أم والله لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، كرّار غير فرار ، يأخذها عنوة . فتطاول المهاجرون والأنصار إليها ، وكان عليّ أرمداً فتفل في عينيه فزال وجمعها ، ثم أعطاه الراية وعليه حلة حمراء ، وخرج مرحب صاحب الحصن وهو يقول :

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

فقال علي رضي الله عنه :

أنا الذي سمتني أمي حيدر أكيلهم بالسيف كيل السندره^(١)

(١) السندرة : مكبال .

فاختلفا بضربتين، فقدت ضربة عليّ المغفر ورأس مرحب وسقط، وفتحت على يد عليّ بعد حصار بضع عشرة ليلة. وحكى أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: «أن يهودياً ضرب علياً فطرح ترسه من يده، فتناول باباً فتتس به، وقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه، فلقد رأيتني في سبعة نفر أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب فيما نقلبه» وفتحت في صفر وساقاهم النبي ﷺ على النصف من ثمارهم، ويخرجهم متى شاء، وكذلك ساقى أهل فدك، فكانت خيبر للمسلمين، وفدك خالصة له لأنها فتحت بغير إيجاب، ولم يزل يهود خيبر كذلك إلى أن أجلاهم عمر رضي الله عنه. وانصرف ﷺ من خيبر إلى وادي القرى، فحاصره وافتتحه عنوة، ولما وصل المدينة قال: ما أدري بأيها أسر، بفتح خيبر أم بقدم جعفر.

زواجه ﷺ بأم حبيبة:

وخلاصة تزوجه بأم حبيبة أنها كانت قد هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر عبيد الله، فكتب ﷺ إلى النجاشي يطلب المهاجرين ويخطبها، فزوجه منه ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بالحبشة، وأصدقها النجاشي عنه ﷺ أربعمئة دينار. وبلغ أباهما أبا سفيان فقال: ذلك الفحل الذي لا يقرع أنفه. وكلم رسول الله المسلمين أن يدخلوا الذين حضروا من الحبشة في سهامهم من مغم خيبر، ففعلوا. وفي خيبر سمته اليهودية في الشاة، فلاك منها قطعة، فأخبرته الشاة أنها مسمومة، فلفظها وقال في مرض موته: إن أكلة خيبر لم تزل تعاودني، وهذا زمان انقطاع أهري.

ارسال الرسل إلى الملوك:

وفيهما بعث رسله إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، فأرسل إلى كسرى برويز^(١)

(١) كسرى برويز: معرب خسرو برويز، انظر ص ١٩٤ من شفاء الغليل.

عبدالله بن حذافة ، فمزق كتابه ، فقال : مزق الله ملكه . ثم بعث كسرى الى باذان عامله باليمن ، أن ابعث إلي هذا الرجل الذي في الحجاز ، فبعث باذان الى النبي ﷺ رجلين ، إسم أحدهما خرخرة ، وكتب معها يأمر النبي ﷺ بالمسير الى كسرى ، فدخل عليه وقد حلقا لحاهما ، فكره النبي النظر إليهما وقال : ويلكما من أمركما بهذا ؟ قالوا : ربنا ! - يعنيان كسرى - . فقال : لكن ربي أمرني أن أعفي عن لحيتي وأقص شاربتي . فأعلماه بما قدما له وقالوا : إن فعلت كتب فيك باذان الى كسرى ، وإن أبيت فهو مهلكك .

وأخر ﷺ الجواب الى الغد ، وأتى الخبر من السماء إليه إن الله سلط على كسرى ابنه شيرويه (١) فقتله ، فأخبرها رسول الله بذلك ، وقال إن ديني وسلطاني سيبغ ملك كسرى ، فقولا لباذان أسلم .

فرجعا الى باذان وأخبراه بذلك ، وورد كتاب شيرويه الى باذان بقتل أبيه كسرى ، وأن لا يتعرض الى النبي ﷺ . فأسلم باذان هو وناس من فارس .

وأرسل دحية بن خليفة الكلبي الى قيصر ملك الروم فأكرمه ، ووضع كتاب النبي ﷺ على فخذه ، ورد دحية رداً جميلاً .

وأرسل حاطب بن أبي بلتعة الى ملك مصر المقوقس جريج بن متي ، فأكرمه وأهدى للنبي ﷺ أربع جوار ، وقيل ثنتين ، الواحدة مارية أم ابنه ابراهيم ، وأهدى أيضاً له البغلة دلدا ، وحماره يعفور .

وكان قد أرسل الى النجاشي عمرو بن أمية ، فقبل كتابه ، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب في الهجرة إليه .

وأرسل شجاع بن وهب الأسدي الى الحارث بن أبي شمر الغساني ، فلما قرأ كتابه قال : ها أنا سائر إليه . فقال ﷺ : باد ملكه .

(١) لم يعش شيرويه بعد قتل أبيه الا ستة أشهر كما في تاريخ الدول .

وأرسل سليط بن عمرو الى هوزة بن علي ملك اليمامة النصراني ، فقال : إن اجعل الأمر لي بعده ، سرت إليه وأسلمت ونصرته ، وإلا قصدت حربيه . فقال صلى الله عليه وسلم : لا ولا كرامة ، اللهم اكفنيه . فمات بعد ذلك ، وكان قد أرسل هوزة الرحال^(١) بالحاء وقيل بالجيم ، الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وقرأ البقرة ، ورجع الى اليمامة وارتد . وشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم أشرك معه مسيلة الكذاب في النبوة^(٢) .

وأرسل العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوي ملك البحرين من قبل الفرس ، فأسلم وجميع العرب بالبحرين .

عمرة القضاء

وفيهما في ذي القعدة خرج معتمراً عمرة القضاء ، وساق معه سبعين بدنة ، ولما قرب خرجت له قريش عنها وتحدثوا أن محمداً في عسر وجهه ، فاصطفوا له عند دار الندوة ، فلما دخل المسجد اضطبع ، بأن جعل وسط رداءه تحت عضده الأيمن ، وطرفيه على عاتقه الأيسر ، ثم قال : رحم الله امرءاً أراه اليوم قوة ، ورميل في أربعة أشواط من الطواف ، ثم سعى بين الصفا والمروة . وتزوج في سفره هذا ميمونة بنت الحارث ، زوجه بها العباس في الإحرام ، وهو من خواصه ، ثم عاد الى المدينة .

سنة ثمان للهجرة :

ففيها قدم خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعثمان بن طلحة بن عبد الدار فأسلموا .

(١) رجال كشداد ابن عتقوة ، وروم من ضبطه بالحاء ا. هـ . من تاج العروس .

(٢) مؤذن مسيلة يسمى حجيراً ، أنظر ص ٢٩ من شفاء الغليل .

غزوة مؤتة (١)

وفيها في جمادى الأولى غزوة مؤتة أول الغزوات في الروم ، بعث ثلاثة آلاف وأمر عليهم زيد بن حارثة مولاه ، وقال : إن أصيب فجعفر بن أبي طالب ، وإن أصيب فعمد الله بن رواحة . فقال أبو بكر : حسبك يا رسول الله فإني أتخوف أن لا تعدّ أحداً إلا قتل .

قلت : وجلس صلى الله عليه وسلم على المنبر ، وكشف له معتركهم فقال : أخذ الراية زيد ابن حارثة حتى استشهد ، فصلى عليه وقال : استغفروا له ، ثم قال : أخذ الراية جعفر حتى استشهد فصلى عليه ، ثم قال استغفروا لأخيكم جعفر ، ثم قال أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد ، ثم دخل الجنة . فأخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بقتلهم في الساعة التي قتلوا فيها . والله أعلم .

ولما قتل هؤلاء رضي الله عنهم اتفق المسلمون على خالد ، فأخذ الراية ، وكانت الروم والعرب المنتصرة في نحو مائة ألف ، ورجع خالد بالناس الى المدينة .

نقض الصلح وفتح مكة

وذلك أن بني بكر كانوا في عقد قريش وخزاعة في عقد النبي صلى الله عليه وسلم ، فلقني في هذه السنة بنو بكر خزاعة ، فقتلوا منهم باعانة بعض قريش ، فانتقض عهدهم ، وندمت قريش ، فقدم أبو سفيان ليجدد العهد ، ودخل على أم حبيبة ، فطوت عنه فراش النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : يا بنية أرغبت به عني أم رغبت بي عنه ؟

(١) مؤتة دون دمشق بأدنى البلقاء ، وسبب هذه الغزاة أنه أرسل الحارث بن عمير الى ملك بصرى بكتابه ، فعرض له بمؤتة عمرو بن شرحبيل السعدي فقتله ، ولم يقتل له صلى الله عليه وسلم رسول غيره .

فقلت : هو فراش رسول الله ، وأنت مشرك نجس . فقال : لقد أصابك بعدي شر . ثم أتاه فكلمه فلم يرد شيئاً ، وأتى كبار الصحابة مثل أبي بكر وعلي ، فما أجاباه ، فعاد وأخبر قريشاً .

وتجهز رسول الله ﷺ ، وقصد أن يبعث قريشاً بمكة ، من قبل أن يعلموا به . فكتب حاطب بن أبي بلتعة إليهم مع سارة مولاة بني هاشم يعلمهم بذلك ، فاطلع رسول الله على ذلك وأرسل علياً والزبير ، وأخذاً منها الكتاب ، فقال لحاطب : ما حملك على هذا ؟ فقال : والله إني مؤمن ما بدلت ولا غيرت ، ولكن لي بين أظهرهم أهل وولد ، وليس لي عشيرة فصانعتهم . فقال عمر : دعني أضرب عنقه فإنه منافق . فقال ﷺ : « لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

ثم خرج من المدينة لعشر من رمضان ومعه المهاجرون والأنصار وطوائف من العرب ، وكان جيشه عشرة آلاف ، حتى قارب مكة فركب العباس بغلة النبي ﷺ ، لعله يجد رجلاً يعلم قريشاً لياتوا رسول الله ويستأمنوه ، وإلا هلكوا . قال : فسمعت صوت أبي سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل ابن ورقاء الخزاعي ، خرجوا متجسسين ، فقلت أبا حنظلة - يعني أبا سفيان - فقال : أبا الفضل ، قلت : نعم . قال : لبيك فداك أبي وأمي ما وراءك ؟ قلت : قد أتاكم رسول الله ﷺ في عشرة آلاف . فقال : ما تأمرني به . قلت : تركب لأستأمن لك رسول الله ، وإلا تضرب عنقك . فردفني وجئت به إلى رسول الله ﷺ ، وجاءت طريقي على عمر بن الخطاب ، فقال عمر : أبا سفيان ، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد . ثم اشتد نحو رسول الله وأدركته ، فقال : يا رسول الله دعني أضرب عنقه . وسأله العباس فيه . فقال ﷺ : قد أمناه ، وأحضره يا عباس بالغداة . فرجع به العباس إلى منزله وجاءه به بالغداة . فقال له رسول الله ﷺ : يا أبا سفيان أما آن أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ قال : بلى . قال : ويحك ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ فقال : بأبي وأمي أما

هذه ففي النفس منها شيء . فقال له العباس : ويحك تشهد قبل أن يضرب عنقك فتشهد . وأسلم معه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء .

ثم أمر العباس أن يذهب بأبي سفيان الى مضيق الوادي ليشاهد جنود الله . فقال : يا رسول الله ، إنه يحب الفخر فاجعل له شيئاً يكون في قومه . فقال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن . قال العباس : فخرجت به كما أمرني رسول الله ﷺ ، فمرت عليه القبائل وهو يسأل عن قبيلة قبيلة ، وأنا أعلمه ، حتى مر رسول الله في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار ، فقال : لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً . فقلت : ويحك ، إنها النبوة . فقال : نعم .

ثم أمر ﷺ أن يدخل الزبير ببعض الناس من كداء ، وسعد بن عباد سيد الخزرج ببعض الناس من ثنية كداء ، وأمر علياً أن يأخذ الراية منه فيدخل بها لما بلغه من قول سعد ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة . وأمر خالداً أن يدخل من أسفل مكة في بعض الناس ، وكلهم لم يقاتلوا ، نهاهم ﷺ عن القتال ، إلا أن خالداً لقيه جماعة من قريش فرموه بالنبل ومنعوه الدخول ، فقاتلهم وقتل ثمانية وعشرين مشركاً ، فقال ﷺ : ألم أنه عن القتال ! فقالوا : إن خالداً قاتل فقاتل . وقتل اثنان من المسلمين ، وفتحت مكة يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان عنوة بالسيف . وهو مذهب الشافعي . وقال أبو حنيفة : فتحت صلحاً . ولما أمكنه الله من رقاب قريش قال : ما تروني فاعلاً بكم ؟ قالوا له : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم . قال : فاذهبوا فأنتم الطلقاء .

ولما اطمأن الناس خرج الى الطواف ، فطاف سبعمائة على راحلته واستلم الركن بمحجن كان في يده ودخل الكعبة ، ورأى فيها الشخصوس على صور الملائكة ، وصورة إبراهيم وفي يده الأزام يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام . ثم أمر بتلك الصور فطمست ، وصلى في البيت .

قلت : وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً قد أوثقت الى جداره بالرصاص ، فجعل صلى الله عليه وسلم كلما مر بصنم منها أشار إليه بقضيب في يده ، ويقول : جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً . فيقع الصنم لوجهه من غير أن يمسه شيء . وفي ذلك يقول فضالة الليثي :

لو ما رأيت محمداً وجنوده بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت نور الله أصبح بيننا والشرك يغشى وجهه الاظلام
والله أعلم .

وأهدر دم ستة رجال ، وأربع نسوة ، أحدهم : عكرمة بن أبي جهل ، ثم استأمنت له زوجته أم حكيم فأمنه ، وأسلم . والثاني هبار بن الأسود . والثالث عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، أخو عثمان بن عفان من الرضاعة ، فأناه به عثمان وسأله فيه فصمت طويلاً ثم أمنه ، فأسلم . وقال صلى الله عليه وسلم : إنما صممت ليقوم أحدكم فيقتله . فقالوا : هلا أومات إلينا . فقال : إن الأنبياء لا تكون لهم خائنة الأعين . وكان هذا قد أسلم قبل الفتح وكتب الوحي ، فكان يبدل القرآن ثم ارتدّ وعاش الى خلافة عثمان ، وولاه مصر . والرابع ابن صبابه لقتله الأنصاري الذي قتل أخاه خطأ وارتد . والخامس عبد الله بن هلال كان قد أسلم ثم قتل مسلماً وارتد . والسادس الحويرث بن نفيل كان يؤذي رسول الله ويهجوّه ، فقتله علي رضي الله عنه .

وأما النساء : فأحدهن هند زوج أبي سفيان ، تنكرت مع نساء قريش وبايعته ، فلما عرفها قالت : أنا هند فاعف عما سلف ، فعفا صلى الله عليه وسلم . وأذن بلال الظهر على الكعبة ، فقالت جويرية بنت أبي جهل : لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال على ظهر الكعبة . وقال الحارث بن هشام : ليتني مت قبل هذا . وقال خالد بن أسيد : لقد أكرم الله أبي فلم ير هذا اليوم . فخرج عليهم

ﷺ ثم ذكر لهم ما قالوه ، فقال الحارث : أشهد أنك رسول الله ، وما اطلع على هذا أحد فنقول أخبرك !

ومن المهدرات سارة حاملة كتاب حاطب .

غزوة خالد بنى جذيمة

وبعد فتح مكة بعث ﷺ السرايا حولها الى الناس يدعوهم الى الإسلام ، ولم يأمرهم بقتال ، وكانت بنو خزيمه قد قتلوا في الجاهلية عوفاً أبا عبد الرحمن ، وعم خالد ، كانا أقبلوا من اليمن ، وأخذوا ما معها . وكان من السرايا التي بعثها ﷺ تدعو الى الإسلام سرية مع خالد بن الوليد ، فنزل على ماء لبني خزيمه ، فأقبلوا بالسلاح ، فقال لهم خالد : ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا فوضعوه ، وأمر بهم خالد فكتفوا ، ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم . وبلغ النبي ذلك فرفع يديه الى السماء حتى بان بياض إبطيه وقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد . ثم أمر علياً رضي الله عنه أن يؤدي لهم الدماء والأموال ، ففعل ، وكان قد فضل مع علي قليل مال فدفعه إليهم تطييباً لقلوبهم ، فأعجب النبي ذلك . وأنكر عبد الرحمن بن عوف على خالد فعله ، فقال خالد : تأرت أباك ، فقال عبد الرحمن : بل تأرت عمك الفاكه ، وفعلت فعل الجاهلية في الإسلام . وبلغ رسول الله ﷺ خصامها فقال : يا خالد دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أحد ذهباً ، ثم أنفقته في سبيل الله تعالى ، ما أدركت غدوة أحدهم ولا روحته .

غزوة حنين (١)

ولما فتحت مكة تجمعت هوازن لحربه ﷺ ، ومقدمهم مسالك بن عوف النضري ، وانضمت إليهم ثقيف أهل الطائف ، وبنو سعد بن بكر الذي رضع

(١) واد بينه وبين مكة ثلاث ليال .

فيهم ﷺ ، وحضر بنو جشم وفيهم دريد بن الصمة ، وقد جاوز المائة لرأيه ،
وقال رجلاً :

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج من مكة لست من شوال وكان يقصر
الصلاة بمكة ، من يوم فتحها الى خروجه ، هذا وخرج معه اثنا عشر ألفاً ،
ألفان من مكة وعشرة آلاف كانت معه ، ومعه صفوان بن أمية لم يسلم بعد ،
بل استمهل بالإسلام شهرين ، وأعاره مائة درع ومعه أيضاً جمع من المشركين ،
وانتهى رسول الله ﷺ الى حنين ، والمشركون بأوطاس . فقال دريد عن
اوطاس : نعم مجال الخيل لا حزن ضرر ولا سهل دهم . وركب بغلته الدلدل .
وقال رجل من المسلمين عن جيشه ﷺ : لن يغلب هؤلاء من قلة . وفي ذلك
نزل : (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً) . والتقوا
فانكشف المسلمون ، وانحاز ﷺ ذات اليمين في نفر من المهاجرين والأنصار ،
وأهل بيوتهم ، وحينئذ ظهر حقد أهل مكة ، فقال أبو سفيان : لا تنتهي
هزيمتهم دون البحر . وكانت الأزلام معه في كنياته ، وصرخ كلدة : الآن
بطل السحر (١) .

واستمر ﷺ ثابتاً . قلت : ولما انهزم الصحابة يوم حنين ، قال ﷺ للعباس :
ناد بهم . فقال : يا رسول الله كيف يبلغهم صوتي ، أو متى يسمعون ندائي .
فقال : عليك النداء وعلى الله البلاغ . فناداهم العباس ، وأقبلوا يؤمون الصوت ،
كأنهم ابل حنت الى أولادها . والله أعلم .

وتراجعوا واقتتلوا شديداً ، فقال صلى الله عليه وسلم لبغلته الدلدل : البدي
البدي . فوضعت بطنها على الأرض ، وأخذ حفنة من تراب فرمى بها في وجه

(١) كلدة أخو صفوان بن أمية ، وكان صفوان حينئذ مشركاً ، فقال له صفوان : اسكت
فض الله فاك ، والله لئن يربنى رجل من قريش أحب الي من أن يربنى رجل من هوازن .

المشركين فهزموا ، وأتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، وكان في السبي الشياء
السعدية أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فأرته علامة عضته في ظهرها فعرفها ، وبسط
لها رداءه وزودها وردّها الى قومها حسبما سألت .

حصار الطائف :

ولما انهزمت ثقيف من حنين إلى الطائف ، سار صلى الله عليه وسلم وحاصروهم
بالطائف نيفاً وعشرين يوماً حتى بالمنجنيق وأمر بقطع أعناقهم .

ثم رحل عنهم ونزل الجعرانة ، وبها غنائم هوازن ، وأتاه بعض هوازن
وسألوه ، فردّ عليهم نصيبه ونصيب بني عبد المطلب ، وردّ الناس أبناءهم
ونسأهم . ثم لحق مالك بن عوف مقدمهم به صلى الله عليه وسلم فأسلم ، واستعمله
على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل ، وعدة السبي الذي أطلقه ستة آلاف ،
ثم قسم الأموال ، وعدة الإبل أربعة وعشرون ألفاً ، والغنم أكثر من أربعين
ألفاً ، والفضة أربعة آلاف أوقية ، وأعطى المؤلفه قلوبهم ، مثل أبي سفيان
ثم حسن إسلامه . والله أعلم . ومثّل سهل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل ،
والحارث بن هشام ، وصفوان بن أمية ، وهؤلاء من قريش . وأعطى الأقرع بن
حارس التميمي ، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الذبياني ، ومالك بن عوف
مقدم هوازن ، أعطى كل واحد من الأشراف مائة من الإبل ، والآخرين أربعين
أربعين ، وأعطى العباس بن مرداس أباعر لم يرضها ، وقال في ذلك :

| | |
|-----------------------|-----------------------|
| أجعل نهي ونهب العبيد | بين عيينة والأقرع |
| وما كان حصن ولا حابس | يفوقان مرداس في مجمع |
| وما كنت دون امرئ منها | ومن تضع اليوم لا يرفع |

فقال اقطعوا عني لسانه ، فأعطي حتى رضي . ولم يعط الأنصار من ذلك
شيئاً ، فوجدوا في أنفسهم ، فدعاهم وقال : أوجدتم يا معشر الأنصار في لعاعة
من الدنيا ألفت بها قوماً ليسلوا ؛ ووكلتم الى إسلامكم ، أما ترضون أن يذهب

الناس بالبعير والشاء، وترجعون برسول الله الى رحالكم؟ أما والذي نفسي بيده
لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً لسلكت شعب
الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.

ويومئذ قال ذو الخويصرة من تميم: لم تعدل هذه القسمة ولا أريد بها وجه
الله. فقال ﷺ: سيخرج من ضئضىء هذا الرجل قوم يخرجون من الدين، كما
يخرج السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم تراقيهم. فخرج منه حرقوص بن زهير
البجلي المعروف بذي الثدية، أول من بويع من الخوارج بالإمامة، وأول مارق
من الدين.

عودة الرسول الى المدينة

ثم اعتمر وعاد الى المدينة واستخلف على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص
ابن أمية، وهو شاب لم يبلغ عشرين سنة، وترك معه معاذ بن جبل يفقه الناس،
وحج بالناس هذه السنة عتاب على ما كانت العرب تحج.

وفيهما ولد إبراهيم بن النبي ﷺ. وفيها مات حاتم بن عبد الله بن الحشرج
من ولد طي بن أدد، ويكنى بأبي سفانة، بنته التي أتت النبي بعد البعثة
وشكت حالها، وكان شاعراً مجيداً ويضرب بجوده المثل.

قلت: وفيها توفيت زينب. وفيها غلا السعر فقالوا سعر لنا. والله أعلم.

سنة تسع للهجرة:

ودخلت وهو ﷺ بالمدينة، وتتابعت الوفود، ودخل الناس في دين الله
أفواجا، وورد عليه عروة بن مسعود الثقفي سيد ثقيف، وكان غائباً عن حصار
الطائف، فأسلم وحسن إسلامه. فقال: أمضي الى قومي وأدعوهم. فقال له
ﷺ: إنهم قاتلوك. فكان كما قال. ووفد كعب بن زهير بن أبي سلمى بعد أن

أهدر دمه ، ومدح النبي ﷺ بقصيدته المشهورة ، وهي : (بانت سعاد فقلبي
اليوم متبول) فأعطاه بردته . واشتراها معاوية رضي الله عنه في خلافته من
أهل كعب بأربعين ألف درهم ، ثم توارثها الخلفاء حتى أخذها التتر .

وفيها في رجب أعلم الناس بالتجهز لغزو الروم ، وكان إذا أراد غزاة ورى
بغيرها ، إلا في هذه لقوة العدو وبعد الطريق والجذب والحر والناس في عسرة .

فسمي جيش العسرة ، وكانت الثمار قد طابت فتجهزوا على كره ، وأمر ﷺ
المسلمين بالنفقة ، فأنفق أبو بكر جميع ماله ، وأنفق عثمان ثلثمائة بغير طعاماً ،
وألف دينار . فقال ﷺ : لا يضر عثمان ما صنع بعد اليوم . وتخلف عبد الله بن
أبي المنافق ، وتخلف ثلاثة من الأنصار وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع
وهلال بن أمية . واستخلف ﷺ على أهله علياً ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا
ما خلفه إلا استثقلاً ، فأخذ سلاحه ولحق به فأخبره بما قاله المنافقون ، فقال :
كذبوا ، إنما خلفتك لما ورائي فارجع فإخلفني في أهلي ، أما ترضى أن تكون
مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي .

وكان مع النبي ﷺ ثلاثون ألفاً ، فكانت الخيل عشرة آلاف ، ولقوا في
الطريق حرأ وعطشا ، ووصلوا الحجر أرض ثمود ، فنهاهم عن مائه . ووصلوا
تبوك فأقام بها عشرين ليلة ، وقدم عليه بها يوحنا صاحب أيسلة ، فصالحه على
الجزية ، فبلغت جزيتهم ثلثمائة دينار ، وصالح أهل اذرح على مائة دينار في
كل رجب ، وأرسل خالداً إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل
الكندي النصراني ، فقتل أخاه وقدم بأكيدر عليه ﷺ فصالحه على الجزية .
ثم قدم ﷺ المدينة في رمضان ، فاعتذر إليه الثلاثة الذين خلفوا فنهى عن
كلامهم واعتزلوا ، وضاعت عليهم الأرض بما رحبت ، ثم نزلت توبتهم بعد
خمسین ليلة .

ولما دخل المدينة قدم عليه وفد الطائف في ثقيف وأسلموا ، وسألوه أن يدع

اللات التي كانوا يعبدونها لا يهدمها الى ثلاث سنين فأبى ، فنزلوا الى شهر فابى ،
وسأله أن يعفيهم من الصلاة فقال : لا خير في دين لا صلاة فيه ، فأجابوا .
وأرسل معهم المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب فهدهما اللات ، وخرج نساء
ثقيف حسرى يبكين عليها .

وفيها بعث أبا بكر ليحج بالناس ومعه عشرون بدنة لرسول الله ﷺ ،
وثلاثمائة رجل ، فلما كان بندي الحليفة أرسل علياً رضي الله عنه في أثره ، وأمره
بقراءة آيات من أول سورة البقرة على الناس ، وأن ينادي أن لا يطوف بالبيت
بعد السنة عريان ، ولا يحج مشرك . فعاد أبو بكر وقال : يا رسول الله أنزل
في شيء . قال : لا ، ولكن لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني ، ألا ترضى
يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار ، وصاحبي على الحوض ؟ قال : بلى . فسار
أبو بكر أميراً على الموسم ، وعلي يؤذن ببراءة يوم الأضحى ، وأن لا يحج مشرك
ولا يطوف عريان .

وفيها في ذي القعدة مات عبد الله بن أبي بن سلول المنافق . قلت : وفيها
توفيت أم كلثوم والنجاشي . والله أعلم .

سنة عشر للهجرة :

دخلت وهو بالمدينة ، وجاءته وفود العرب قاطبة ، وأسلم أهل اليمن
وملوك حمير . وبعث علياً رضي الله عنه الى اليمن ، فقرأ كتابه عليهم فأسلمت
همدان كلها في يوم واحد ، ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام . وكتب إليه ﷺ
بذلك ، فسجد شكراً لله تعالى ، ثم أمر علياً بأخذ صدقات نجران وجزيتهم
ففعل ، وعاد فلقى رسول الله ﷺ في حجة الوداع .

حجة الوداع

خرج ﷺ حاجاً لخمس بقين من ذي القعدة ، واختلف في حجته هل كان قراناً أو تمتعاً أو إفراداً ، والأظهر القران . حج ﷺ ولقي علياً رضي الله عنه محرماً ، فقال : حل كما حل أصحابك . فقال : إني أهملت بما أهل به رسول الله ﷺ . فبقي على إحرامه ، ونحر رسول الله ﷺ الهدى عنه .

وعلم ﷺ الناس مناسك الحج والسنن ، ونزلت (اليومَ يَئِسَ الذين كفروا من دينِكُم فلا تخشوم واخشون ، اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نِعمتي ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً) فبكى أبو بكر رضي الله عنه لما سمعها ، كأنه استشعر أن ليس بعد الكمال إلا النقصان ، وانه قد نعت إليه ﷺ نفسه ، وخطب النبي الناس بعرفة خطبة بين فيها الأحكام ، منها : يا أيها الناس ، إنما النسيء زيادة في الكفر ، وان الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً . وتم حجه ، وسميت حجة الوداع لأنه لم يحج بعدها .

سنة احدى عشرة :

وفاته صلى الله عليه وسلم

أقام ﷺ بالمدينة بعد قدومه من حجة الوداع ، حتى خرجت سنة عشر والمحرم ومعظم صفر من سنة إحدى عشرة ، وابتدأ به مرضه في أواخر صفر قبل الليلتين بقيتا منه ، وهو في بيت زينب بنت جحش ، وكان يدور على نسائه ، حتى اشتد مرضه في بيت ميمونة بنت الحارث ، فجمع نساءه واستأذنه أن يمرض في بيت إحداهن ، فأذن له أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها ، فانتقل إليها ، وكان قد جهز جيشاً مع مولاه أسامة بن زيد ، وأكد في مسيره في مرضه .

وعن عائشة قالت: جاء رسول الله ﷺ وبني صداع ، وأنا أقول وارأساه ، قال : بل أنا يا عائشة أقول وارأساه ، ثم قال : ما ضرك لو مت قبلي ، فقمتم عليك وكففتك وصليت عليك ودفنتك ، فقلت : كأني بك ، والله لو فعلت ذلك ، ورجعت الى بيتي تعزيت ببعض نسائك . فتبسم رسول الله ﷺ .

وفي أثناء مرضه وهو في بيت عائشة ، خرج بين الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما حتى جلس على المنبر ، فحمد الله ثم قال : يا أيها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد مني ، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه ، ومن أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخشى الشحناء من قبلي ، فإنها ليست من شأني . ثم نزل وصلى الظهر ، ثم رجع الى المنبر فعاد الى مقالته ، فادعى عليه رجل ثلاثة دراهم ، فأعطاه عوضها . ثم قال : ألا ان فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة . ثم صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم ، ثم قال : إن عبداً خيّر الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده . فبكى أبو بكر وقال : فدينك بأنفسنا . ثم أوصى بالأنصار .

ولما اشتد به وجعه قال : ائتوني بدواة بيضاء أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي أبداً . فتنازعوا ، فقال : لا ينبغي عند نبي تنازع . فقالوا : إن رسول الله ﷺ يهجر . فذهبوا يعيدون عليه ، فقال : دعوني ، فما أنا فيه خير مما تدعوني إليه .

وكان في أيام مرضه يصلي بالناس ، وإنما انقطع ثلاثة أيام ، فلما أذن بالصلاة أول ما انقطع قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . قلت : وسارت فاطمة رضي الله عنها في مرضه ، فبكت ثم سارتها فضحكت . فلما مات أخبرت بأنه قال لي في الأولى إني ميت من وجمي هذا ، فبكيت . وقال في الثانية : إنك أول أهلي لحوقاً بي ، فضحكت . فكان كما قال ، والله أعلم .

وتزايد به مرضه حتى توفي يوم الاثنين ضحوة النهار ، وقيل نصفه ، قالت

عائشة : رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت ، وعنده قدح فيه ماء ، يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ، ثم يقول اللهم أعنني على سكرات الموت . قالت وثقل في حجري ، فذهبت أنظر في وجهه وإذا بصره قد شخص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى . فلما قبض وضعت رأسه على وسادة . ووفاته ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، فعلى هذه الرواية ، يوم وفاته موافق ليوم مولده (١) . وتولى غسله عليّ والعباس ، والفضل وقثم ابنا العباس ، وأسامة بن زيد ، وشقران مولى النبي ﷺ ، فكان العباس وابناء يلقبونه ، وأسامة وشقران يصبان الماء ، وعليّ يغسله وعليه قميصه ، وهو يقول بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً ، ولم ير منه ما يرى من الميت . وكفن في ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وبرد حبرة أدرج فيها أدراجاً ، ودفن تحت فراشه الذي مات عليه ، وحفر له أبو طلحة الأنصاري ، ونزل في قبره علي والفضل وقثم .

قلت : وصلوا عليه أفذاذاً (٢) والله أعلم .

ودفن : قيل يوم الثلاثاء ثاني يوم وفاته وقيل ليلة الأربعاء ، وهو الأصح ، وقيل بقي ثلاثاً لم يدفن .

قلت : وسمعوا صوتاً من السماء بعد موته ﷺ ينادي ، واحمداه وهذه مصيبة اصبها المسلمون لم يصابوا قط بمثلها ، كل مصيبة تهون عندها . والله أعلم .

(١) ولما مات ارتد اكثر العرب إلا أهل المدينة ومكة والطائف ، فلم يدخلها ردة ، وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة ، عتاب ابن أسيد ، فاستخفي خوفاً على نفسه ، فارتجت مكة وكاد أهلها يرتدون ، فقام سهيل بن عمرو على باب الكعبة ، وصاح بقريش وغيرهم ، فاجتمعوا اليه فقال : يا أهل مكة ، كنتم آخر من أسلم ، فلا تكونوا أول من ارتد ، والله ليتمن الله هذا الأمر ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فامتنع أهل مكة من الردة . (٢) أفذاذاً : أفراداً. انظر ص ١٧٥ من الصحاح .

صفته صلى الله عليه وسلم

وصفه علي رضي الله عنه فقال : ليس بالطويل ولا بالقصير ضخم الرأس
كث اللحية شثن^(١) الكفين والقدمين ، ضخم الكراديس^(٢) مشرباً وجهه
بجمرة ، وقيل كان أدعج العينين ، سبط الشعر ، سهل الخدين ، كان
عنقه ابريق فضة ، وقال أنس لم يشنه الله بالشيب ، كان في مقدم لحيته عشرون
شعرة بيضاء ، وفي مفرق رأسه شعرات بيض ، وروي أنه كان يخضب بالحناء
والكتم ، وكان بين كتفيه خاتم النبوة ، وهو بضعة ناشزة حولها شعر ، مثل
بيضة الحمامة ، تشبه جسده ، وقيل كان لونها أحمر .

خلقه صلى الله عليه وسلم

كان أرجح الناس عقلاً ، وأفضلهم رأياً ، يكثر الذكر ، ويقبل اللغو ،
دائم البشر ، مطيل الصمت ، لين الجانب ، سهل الخلق ، وكان عنده القريب
والبعيد والقوي والضعيف في الحق سواء ، يحب المساكين ، ولا يحقر
فقيراً لفقره ، ولا يهاب ملكاً للملك ، يألف قلوب أهل الشرف ويؤلف
أصحابه ولا ينفهم ، يصابر من جالس حتى يكون الرجل هو المنصرف ، وما
صافحه أحد فترك يده ، حتى يكون ذلك هو الذي يترك يده ، يتفقد
أصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس ، يجلب العنز ويجلس على الأرض ،
ويخصف النعل ، ويرقع الثوب . خرج من الدنيا ولم يشبع من الخبز الشعير ،
يأتي على آل محمد الشهر والشهران لا يوقد في بيت من بيوته نار ، إن هو إلا
التمر والماء ، وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع .

اولاده صلى الله عليه وسلم

وأولاده كلهم من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية ، ولد في سنة ثمان في ذي

(١) شثن : بسكون الثاء المثلثة كما في ص ٣٨٤ من الصحاح .

(٢) كرادوس : بالضم مفرد كراديس انظر ص ٤٧٣ منه .

الحجة ، وتوفي في ستة عشر . قال المسعودي : عاش سنة وعشر أشهر ، وأولاده الذكور من خديجة : القاسم وبه يكنى ، والطيب والطاهر ، وعبدالله ، وماتوا صغاراً (والاناث) أربع : فاطمة زوج علي وزينب زوج أبي العاص ، وفرق بينهما ﷺ بالاسلام ، ثم ردها اليه بالنكاح الأول لما أسلم ، ورقية وأم كلثوم تزوج بها عثمان مرتبا .

قلت : وتوفي جميع أولاده في حياته غير فاطمة رضي الله عنهم . والله أعلم .

زوجاته صلى الله عليه وسلم

وزوجاته خمس عشرة دخل بثلاث عشرة ، وجمع بين إحدى عشرة ، وقيل دخل باحدى عشرة ، وتوفي عن تسع ، غير سرية مارية ، وهن عائشة بنت أبي بكر ، وحفصة بنت عمر ، وسودة بنت زمعة ، وزينب بنت جحش ، وميمونة وصفية وجويرية وأم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهن .

كتابه صلى الله عليه وسلم

أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأبي بن كعب وهو أول من كتب له ، وزيد ابن ثابت ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وزيد بن ثابت ، وكتب له عبدالله بن سعيد بن أبي سرح ، وارتد ثم أسلم يوم الفتح .

قلت وعماته ست : أم حكيم وهي البيضاء وبرّة وعاتكة وصفية وأروى وأميمة .

وسرايه : مارية وريحانة بنت زيد وجارية وهبتها له زوجته زينب وأخرى أصابها في السبي .

ومواليه : ستة وخمسون : أسلم ويكنى أبا رافع ، وأحمر ويكنى أبا عسيب ، وأسامة بن زيد ، وأفلح وانسه ويكنى أبا سرح ، وأيمن بن أم أيمن وثوبان ويكنى أبا عبدالله ، وذكوان وقيل هو مهران وقيل هو طهمان ، ورافع

ورباح الاسود الاذن عليه ، وزيد بن حارثة ، وزيد بن بولا ، وسابق وسالم
وسلمان الفارسي أعانه النبي في كتابته ، وسليم ويكنى أبا كبشة ، وسعد
وأبو كندر وشقران ، واسمه صالح ، وضميرة بن أبي ضميرة ، وعبيد الله بن أسلم
وعبيد بن عبد الغفار ، وفضالة اليماني ، وكيسان ومهران ، وأبو عبد الرحمن
وهو سفينة ، ومدعم ونافع ونفيع وكنيته أبو بكرة ، ونبية وواقد
ووردان وهشام ويسار وأبو أثيلة وأبو الحمراء ، وأبو رافع ووالد البهي ، وأبو
ضميرة وأبو عبيد واسمه سعد ، وأبو مريهة ، وأبو واقد وكركره ومابور وأبو
لبابة ، وأبو لقيط وأبو هند .

ومولياته : أم أيمن واسمها بركة وأميمة وحيضرة ورضوى وريحانة وسلمى
ومارية وميمونة بنت سعد وميمونة بنت أبي عسيب وأم ضميرة وأم عياش .
ومراكبه : السكب أول خيله ، والمرتجز اشتراه من الأعرابي وشهد فيه
خزيمة ، واللزاز أهداه المقوقس ، والظرب والورد والنحيف ، كان سرجه من لبد
ويقال : اللحيف واليمسوب ، وكانت له الناقة العضبساء ، وهي القصواء وهي
الجدعاء ولم يكن بها غضب ولا جدع ، وحمار يقال له عفير . والله أعلم .

وسلحه : سيفه ذو الفقار غنمه ببدر من منبه بن الحجاج السهمي ، وقيل
من غيره . والفقار الحفر . وثلاثة أسياف غنمها من بني قينقاع ، وقدم معه الى المدينة
لما هاجر سيفان ، شهد بأحدهما بدرا ، ورماح وثلاث قسي ودرعان وترس ،
كان فيه تمثال فأصبح وقد أذهب الله .

وغزواته : سبع وعشرون ، وقيل أقل ، قاتل صلى الله عليه وسلم منها في تسع : بدر
وأحد والمريسيع والحنديق وقريظة وخيبر والفتح وحنين والطائف ، وروي
أنه قاتل في بني النضير ، وفي غزاة وادي القرى منصرفه من خيبر وفي الغابة .
وسراياه : ست وخمسون سرية . وهذه الأعداد هي المعتمدة من الكتب
المعتمدة .

ومؤذنوه : بلال بن رباح أولهم وعمرو بن أم مكتوم الأعمى ، وأبو محذورة

الجمحي . وكان يضرب الرقاب بين يديه علي وابن الزبير ومحمد بن سلمة
والمقداد وعاصم بن أبي الأفلح .

وحرسه : إلى ان عصمه الله من الناس سعد بن أبي وقاص وسعد بن معاذ
وعباد بن بشر وأبو أيوب الأنصاري ، وذكوان بن عبد قيس ، ومحمد بن مسلمة
وبلال . والله أعلم .

ذكر أصحابه

الأكثر على أن الصحابي كل من أسلم ورأى النبي ﷺ وصحبه وإن لم
يرو وإن لم تطل صحبته ، وقيل ان طالت الصحبة فهو صحابي ، وقيل ان
اجتمع الأمران ، وأما عددهم على القول الأكثر ، فروي أنه سار عام فتح
مكة في عشرة آلاف مسلم ، وفي حنين في اثني عشر ألفاً ، وفي حجة الوداع في
أربعين ألفاً ، وكانوا عند وفاته مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً (١) . ومنهم
(أهل الصفة) فقراء لا منازل لهم ولا عشائر ، ينامون في المسجد ويظلمون
فيه ، وصفة المسجد مثوام فنسبوا اليها ، كان يعيش معه بعضهم ويفرق
بعضهم على الصحابة يعيشونهم ، ومن مشاهيرهم أبو هريرة وائل بن الأسقع وأبو
ذر رضي الله عنهم .

مقتل الأسود العنسي : وفي مدة مرضه ﷺ قتل الأسود العنسي عبهلة
ابن كعب ، ويقال له ذو الخمار (٢) لأنه كان يقول يأتيني ذو خمار شبيذ ، وأرى
الجهال الأعاجيب ، وسبى بمنطقه وتنبأ كذباً ، وكاتبه أهل نجران وأخرجوا

(١) قال أبو زرعة : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مائة الف وأربعة عشر
الفاً من الصحابة ، ممن روى عنه وسمع منه (وأفضلهم العشرة) أبو بكر وعمر وعثمان وعلي
وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن
زيد وأبو عبيدة بن الجراح ، والمهاجرون أفضل من الأنصار على الاجمال ، وأما على التفصيل
فسباق الأنصار أفضل من متأخري المهاجرين .

(٢) ذو الخمار بكسر الخاء المعجمة .

عمرو بن حزم ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وسلموها الى الأسود ، ثم ملك صنعاء ، وصفا له ملك اليمن ، واستفحل أمره ، وكان خليفته في مذحج عمرو ابن معدي كرب . فلما بلغ النبي ﷺ ذلك ، بعث رسولا إلى الأنبار وأمرهم أن يخاذلوا الأسود ، إما غيلة ^(١) وإما مصادمة ، وأن يستنجدوا رجلا من حمير وهمدان ، وكان الأسود قد تغير على قيس بن عبد يغوث ، فاجتمع به جماعة ممن كاتبهم النبي ﷺ ، وتحدثوا في قتل الأسود فوافقهم ، واجتمعوا بامرأة الأسود ، وكان الأسود قد قتل أباهما . فقالت : والله إنه أبغض الناس إلي ولكن الحرس محيطون بقصره ، فانقبوا عليه البيت ، فواعدوها على ذلك ، ونقبوا البيت ، ودخل عليه شخص اسمه فيروز الديلمي ، فقتل الأسود واحتز رأسه ، فخار خوار الثور فابتدر الحرس ، فقالت زوجته هذا النبي يوحى اليه . فلما طلع الفجر أمروا المؤذن فقال : أشهد ان محمدا رسول الله وان عبه كذاب ، وكتب أصحاب النبي ﷺ بذلك ، فورد الخبر من السماء الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأعلم أصحابه بقتل الأسود ، ووصل الكتاب بقتل الأسود في خلافة أبي بكر ، كما قال صلى الله عليه وسلم .

وروى عبد الله بن أبي بكر أن النبي ﷺ قال : أيها الناس ، إني قد رأيت ليلة القدر ، ثم انتزعت مني ، ورأيت في يدي سوارين من ذهب فكرهتهما ، فنفختها فطارا فأولتها هذين الكذابين ، صاحب اليمامة وصاحب صنعاء ، ولن تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا ، كلهم يزعم أنه نبي . وقتل الأسود قبل وفاته ﷺ بيوم وليلة ، وأول خروجه إلى أن قتل أربعة أشهر ، وسيأتي ذكر مسيامة صاحب اليمامة .

خلافة أبي بكر رضي الله عنه

لما قبض الله نبيه ﷺ قال عمر : من قال ان رسول الله ﷺ مات ،

(١) الغيلة بالكسر الخديمة . انظر ص ٢٢٤ من الصحاح .

علوت رأسه بسيفي هذا ، وإنما ارتفع إلى السماء . فقرأ أبو بكر (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) فرجع القوم إلى قوله . وبادروا (سقيفة بني ساعدة) فبايع عمر أبو بكر واثالث الناس يبايعونه في العشر الأوسط من ربيع الأول ، سنة إحدى عشرة خلا جماعة من بني هاشم ، والزبير وعتبة بن أبي لهب ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والمقداد بن عمرو ، وسلمان الفارسي ، وأبي ذر وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب وأبي بن كعب ، وأبو سفيان من بني أمية ، ومالوا مع علي رضي الله عنهم ، ^(١) وقال في ذلك عتبة بن أبي لهب :

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| ما كنت أحسب أن الأمر منصرف | عن هاشم ثم منهم عن أبي حسن |
| عن أول الناس إيماناً وسابقة | وأعلم الناس بالقرآن والسنن |
| وآخر الناس عهداً بالنبى ومن | جبريل عون له في الغسل والكفن |
| من فيه ما فيهم لا يمترون به | وليس في القوم ما فيه من الحسن |

ولما استخلف أبو بكر كان أسامة بن زيد مبرزاً ، وكان عمر من جملة جيش أسامة على ما عينه رسول الله ﷺ ، ثم خرج أبو بكر إلى معسكر أسامة واستحضرهم وشيعهم وهو ماش وأسامه راكب ، فقال أسامة : يا خليفة رسول الله ، والله لتركن أو لأنزلن ، فقال أبو بكر : والله لا تنزلن ولا ركبت ، وما عليّ أن أغتبر قدمي ساعة في سبيل الله . ولما أراد الرجوع ، قال أبو بكر لأسامة إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل ، فأذن أسامة لعمر في المقام ، وفي أيام أبي بكر رضي الله عنه : ادعت سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية

(١) روى الزهري عن عائشة أن علياً لم يبايع حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها ، بعد ستة أشهر لموت أبيها ، صلى الله عليه وسلم ، فأرسل علي إلى أبي بكر فأثاه في منزله فبايعه ، وقال علي : ما نفسنا عليك ما ساقه الله إليك من فضل وخير ، ولكننا نرى أن لنا في هذا الأمر شيئاً ، فاستبددت به دوننا ، وما ننكر فضلك .

النبوة ، واتبعها بنو تميم ، وأخوالها من تغلب وغيرهم من بني ربيعة ، وقصدت مسيلة الكذاب ، ولما وصلت اليه قصدت الاجتماع به فقال لها : أبعدني أصحابك ففعلت ، فضرب لها قبة مبخرة فقالت له : ماذا أوحى اليك ؟ وقال لها ماذا أوحى اليك ؟ فكل منها أبدى منطقاً ركيكاً سمجاً بارداً ، وانشدها شعراً (١) .

فأقامت عنده ثلاثاً ثم انصرفت ، ولم تزل في أخوالها من تغلب ، حتى نقام معاوية عام بويج ، فأسلمت سجاح وماتت بالبصرة .

مقتل مسيلة الكذاب : وفي أيامه أيضاً قتل مسيلة الكذاب . أرسل أبو بكر خالداً بجيش فقاتل مسيلة وهزم مسيلة ومن معه ، وقتله وحشي بالحربة التي قتل بها حمزة بشركة رجل من الأنصار (٢) .

وكان مقام مسيلة باليمامة وقدم على النبي ﷺ في وفد بني حنيفة فأسلم ثم ارتدت وادعى النبوة استقلالاً ثم مشاركة مع النبي ﷺ ، وقتل في قتاله جماعة من القرءاء من المهاجرين والأنصار ، فلذلك أمر أبو بكر باتفاق من علي بن أبي طالب وسائر الصحابة رضي الله عنهم ، يجمع القرآن في مصحف واحد ، وترك عند حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

جمع القرآن الكريم : قلت : قال الشيخ محيي الدين النواوي في كتاب التبيان في آداب حملة القرآن ان القرآن العزيز كان مؤلفاً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم على ما هو في المصاحف اليوم ، ولكن لم يكن مجموعاً في مصحف

(١) حذف ما قاله وحذفت الشعر لقبجه ، وصنت عنه هذا الكتاب . والله أعلم . - المؤلف
(٢) لما عزى رسول الله بحمزة ، حين قتله وحشي بأحد ، قال بعضهم : ويل لو حشي من النار ، فقال صلى الله عليه وسلم : أما حمزة فأجله قد انقضى ، وأما وحشي فسوف يدرك الشرف من بعده ، فقالوا كيف يا رسول الله ؟ قال : هو يقتل مسيلة الكذاب ، فكانت كما قال صلى الله عليه وسلم .

واحد ، بل كان محفوظاً في صدور الرجال ، فكان طوائف من الصحابة يحفظونه كله ، وطوائف يحفظون أبعاضاً منه ، فلما كان زمن أبي بكر الصديق ، وقتل كثير من حملة القرآن ، كتبه في مصحف وجمعه في بيت حفصة . والله أعلم .

ولما كان زمن عثمان رضي الله عنه ورأى اختلاف الناس في القراءات ، كتب من ذلك المكتوب الذي عند حفصة الذي أجمعت الصحابة عليه مصاحف وأرسلها إلى الأمصار ، وأبطل ما سواها . وذلك باتفاق منه ومن علي بن أبي طالب وسائر الصحابة رضي الله عنهم .

قتال المرتدين

وفي أيام أبي بكر منعت بنو يربوع الزكاة ، وكبيرهم مالك بن نويرة ، فارس شاعر ، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم فولاه صدقة قومته ، فلما منع الزكاة أرسل أبو بكر إليه خالدًا في معنى الزكاة ، فقال مالك : أنا آتي بالصلاة دون الزكاة ، فقال خالد : أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً لا تقبل واحدة دون الأخرى ، فقال مالك : قد كان صاحبكم يقول ذلك ، قال خالد وما تراه لك صاحباً : والله لقد هممت أن اضرب عنقك ، ثم تجاولا في الكلام ، فقال خالد إني قاتلك ، قال : أو بذلك أمرك صاحبك؟ قال : وهذه بعد تلك . وكان عبد الله بن عمر ، وأبو قتادة الأنصاري حاضرين ، فكلم خالدًا في أمره فكره كلامها ، فقال مالك : يا خالد ابعثنا إلى أبي بكر ، فيكون هو الذي يحكم بيننا ، فقال خالد لا أقالني الله إن أقتلك ، وتقدم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه ، فالتفت مالك إلى زوجته وقال لخالد : هذه التي قتلتني . وكانت في غاية الجمال ، فقال خالد بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام ، فقال مالك : أنا على الإسلام ، فقال خالد : يا ضرار اضرب عنقه فضرب عنقه ، وجعل

(١) فلذا يسمى مصحف عثمان رضي الله عنه إماماً . انظر ص ٣٣ من شفاء الغليل .

رأسه أثفية لقدر ، وقبض خالد امرأته ، قيل اشتراها من الفيء ، وقيل اعتدت بثلاث حيز وتزوجها ، وقال لابن عمر ولأبي قتادة احضرا النكاح فأبيا ، وفي ذلك يقول الشاعر :

ألا قل لحي أوطؤوا بالسنايبك تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغيها عليه بعمرسه وكان له فيها هوى قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف عنان الهوى عنها ولا متالك
فأصبح ذا أهل وأصبح مالك إلى غير أهل هالك في الهوالك

وقبح عمر عند أبي بكر فعل خالد ، فقال أبو بكر : ان خالداً تأوّل فأخطأ : فقال : اعزله . قال : ما كنت أعمد سيفاً سله الله عليهم . وندب متمم ابن نويرة أخاه مالكاً بالأشعار فمن ذلك قصيده منها :

وكنا كندماني جذيمة حقة من الدهر حق قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا أصاب المنايا رهط كسرى وتبعنا
فلما تفرقنا كأني ومالك لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
وفي أيام أبي بكر ، فتحت الحيرة بالأمان عن الجزية .

سنة اثنتي عشرة وسنة ثلاث عشرة :

وفيها وقعت اليرموك: التي كانت سبب فتوح الشام، وكانت سنة ثلاث عشرة ، وبلغ هرقل وكان بمحص هزيمة الروم باليرموك ، فرحل وجعل حمص بينه وبين المسلمين ، ولما فرغ خالد وأبو عبيدة من اليرموك ، قصدوا دمشق ، فجمع صاحب بصرى الجموع ، ثم ان الروم طلبوا الصلح ، فصولحوا على كل رأس بدينار وجريب حنطة .

وفاة أبي بكر : واختلف في وفاة أبي بكر رضي الله عنه ، فقيل سببها أن اليهودية سمته في أرز ، وقيل في حسو^(١) فأكل هو والحارث بن كلدة ،

(١) حسو . كعدو انظر ص ٤٦١ من الصحاح .

فقال الحارث : أكلنا طعاماً مسموماً سم سنة ، فماتاً بعد سنة . وعن عائشة أنه اغتسل ، وكان يوماً بارداً فحم خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة وأمر عمر أن يصلي بالناس ، وعهد بالخلافة إلى عمر ، ثم توفي مساء ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء ، لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ، بخلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليال وعمره ثلاث وستون ، وغسلته زوجته أسماء بنت عميس ، وحمل على السرير الذي حمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم . وصلى عليه عمر في مسجد رسول الله بين القبر والمنبر ، وأوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله ، فحفر له وجعل رأسه عند كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رضي الله عنه حسن القامة ، خفيف العارضين ، معروق الوجه ، غائر العينين ناتيء الجبهة ، أجنى عاري الأشاجع ، يخضب بالحناء والكم .

خلافة عمر بن الخطاب

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى رضي الله عنه ، بويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر ، وقال في أوّل خطبته : يا أيها الناس ، والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه . ثم أوّل شيء أمر به عزل خالد بن الوليد رضي الله عنه عن إمرة الجيش ، وولى أبا عبيدة رضي الله عنه على الجيش والشام ، وهو أوّل من سمي أمير المؤمنين ، ثم نازل أبو عبيدة دمشق من جهة باب الجابية وخالد من جهة باب قوما وباب شرقي ، وعمرو بن العاص من جهة أخرى وحاصروها سبعين ليلة ، وفتح خالد ما يليه بالسيف ، فخرج أهل دمشق من الجانب الآخر وبذلوا الصلح لأبي عبيدة ، وفتحوا له الباب فأمتنهم ، فالتقى مع خالد في وسط البلد . وفي أيام عمر . فتح العراق .

سنة اربع عشر :

وفيها في المحرم أمر عمر ببناء البصرة ، وقيل سنة خمس عشرة . قلت : وكان صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنها تكون مصر أمن الأمصار ، فكان كما قال والله اعلم ، وفيها توفي

أبو قحافة أبو أبي بكر الصديق ، وعمره سبع وتسعون سنة ، بعد وفاة ابنه أبي بكر رضي الله عنها .

سنة خمس عشرة :

وفيها فتحت حمص بعد دمشق ، صالحهم أبو عبيدة بعد حصار طويل على ما صالح عليه أهل دمشق ، ثم سار إلى حماة وكانت عظيمة زمن سليمان ابن داود عليها السلام ، وذكرت في أخبار داود وسليمان ، وكذلك كانت زمن اليونان ، وفي الفتوح وقبله صغرت هي وشيزر ، وكانتا من عمل حمص وكانت حمص كرسي هذه البلاد ، وصالح أهل حماة أبا عبيدة على الجزية والخراج ، وجعل كنيستهم العظمى جامعاً وهو بالسوق الأعلى ، ثم جدّد في خلافة المهدي من بني العباس ، وكان مكتوباً على لوح منه انه جدّد من خراج حمص . ثم صالح أبو عبيدة أهل (شيزر والمعرة) على صلح أهل حماة ، وكان يقال لها معرة ^(١) حمص ، ثم قيل معرة النعمان بن بشير الأنصاري ، كانت مضافة إليه مع حمص في خلافة معاوية . ثم فتح أبو عبيدة (اللاذقية) عنوة وجبله وانطرسوس ثم نازل (قنسرين) وكانت كرسي مملكته حلب ، واليوم حلب من أعمالها ، وبها جمع عظيم من الروم ، فتقاتلوا فانتصر المسلمون ثم صالحوه على صلح حمص على ان يخربوا المدينة فخربت ، ثم فتح حلب وانطاكية ومنبج ودلوك وسرمين ويبرين وعزاز والشام من هذه الناحية .

ثم فتح خالد مرعش وأجلام وخرتبا ، وفتح حصن الحدث . كل ذلك سنة خمس عشرة ، وقيل ست عشرة ، فأيس هرقل من الشام وسار إلى قسطنطينية من الرها والتفت إلى الشام عند مسيره وهو على نشز وقال :

« السلام عليك يا سوريا لا اجتماع بعده ولا يعود اليك رومي بعدها الا خائفاً حتى يولد الولد المشثوم وليته لم يولد فما أجل فعله وأمر فتنته على الروم . »
ثم فتحت قيسارية وصبصية وبها قبر يحيى بن زكريا ، وتابلس ولد ويافا وتلك

(١) قال ابن خلدكان في تاريخه ان النعمان بن بشير تدبر المعرة فنسبت اليه .

البلاد . وطال حصار بيت المقدس واعتاص عليهم . قلت : وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال لعمر رضي الله عنه انك ستفتح بيت المقدس بلا قتال . فسار عمر الى الشام وفتحها بلا سيف كما قال صلى الله عليه وسلم بعد ان استخاف عمر على المدينة عليا رضي الله عنها . والله أعلم .

وفيها أي سنة خمس عشرة وضع عمر الدواوين وفرض العطاء للمسلمين وقيل سنة عشرين فليل له ابدأ بنفسك فامتنع وبدأ بالعباس فرض له خمسة وعشرين الفاً ثم بدأ بالاقرب فالاقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرض لاهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ، وفرض لمن بعدهم الى الحديدية وبيعة الرضوان أربعة آلاف أربعة آلاف ، ثم لمن بعدهم ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ، ثم لاهل القادسية واهل الشام الفين الفين ، ولمن بعد القادسية واليرموك الفا الفا ولروادفهم خمسمائة خمسمائة ثم ثلثمائة ثلثمائة ثم مائتين وخمسين مائتين وخمسين .
وقعة القادسية :

وفيها كانت وقعة القادسية تولى حرب الاعاجم فيها سعد بن أبي وقاص ومقدم العجم رستم ودام القتال الشديد أياما ، اليوم الاول (يوم اعواث) ، ثم يوم (عماس) ، ثم (ليلة الهريز) تركوا فيه الكلام وهربوا هريرا حتى أصبحوا ثم الظهر هبت ريح عاصف فمال الغبار على الكفار ، وانتهى القعقاع وأصحابه إلى سرير رستم وقد قام رستم عنه واستظل ببغال عليها مال وصلت من كسرى للنفقة ، فشدوا على رستم فهرب ولحقه هلال بن علقمة فأخذ برجله وقتله وجاء به وطرحه بين أرجل البغال وصعد السرير ونادى قتلت رستم ورب الكعبة ، وتمت الهزيمة على العجم وقتل منهم ما لا يحصى ، ثم نزل سعد غربي دجلة على نهر شير قبالة مدائن كسرى ولما شاهدوا ايوان كسرى كبروا وقالوا هذا كسرى هذا ما وعد الله ورسوله .
سنة ست عشرة :

واقام سعد على نهر شير الى أيام من صفر ثم عبروا دجلة وهرب الفرس من المدائن نحو حلوان وكان كسرى يزدرج قد قدم عياله إلى حلوان وخرج هو ومن معه بما قدروا عليه ، فدخل المسلمون المدائن وقتلوا كل

من وجدوه ، ونزل سعد بالقصر الابيض واتخذ ايوان كسرى مصلى واحتاط على امرال تخرج عن الاحصاء ، وأدر كوا بغلا وقع في الماء عليه تاج كسرى ومنطقته ودرعه وغير ذلك مكللا بالجواهر ، واستوهب سعد ما يخص اصحابه من بساط كسرى وكان على هيئة روضة صورت فيه الزهور بالجواهر على قضبان الذهب وبعث به الى عمر فقطعه عمر وقسمه بين المسلمين ، فأصاب عيسا رضي الله عنه قطعة منه فباعها بعشرين الف درهم . واقام سعد بالمدائن وبعث جيشاً إلى جلولاء وكان قد اجتمع بها الفرس فجرت وقعة (جلولاء) وقتل من الفرس ما لا يحصى ، فسار كسرى يزدجرد عن حلوان ، وقصدها المسلمون واستولوا عليها ثم فتحوا تكريت والموصل ثم قرقيسا وماسبذان عنوة .

وفيها قدم جبلة بن الأيهم على عمر فتلقاه المسلمون ودخل في زي حسن وبين يديه جنائب ولبس أصحابه الديباج .

وفيها حج عمر فحج معه جبلة فوطىء رجلاً من فزارة إزاره في الطوف فلطمه جبلة فهشم انفه ، فشكاه الفزاري إلى عمر ، فقال « اما أن ترضيه وإما أقدمته منك » قال أتقيده مني وأنا ملك وهو سوقة ؟ قال : يا جبلة انه قد جمعك واياه الاسلام فما تفضله الا بالعافية . قال : والله لقد رجوت ان أكون في الاسلام أعز مني في الجاهلية . قال عمر هو ذاك . قال اذا أتتصر . قال ان تنصرت ضربت عنقك . قال أخرني إلى غد . قال ذلك لك . فهرب هو وأصحابه إلى القسطنطينية إلى هرقل فتنصروا واكرمهم هرقل وأقطع له ، ثم ندم جبلة على فعله ذلك . ومضى رسول عمر إلى هرقل وشاهد ما فيه جبلة من النعمة .

قلت : ولما اجتمع رسول عمر بجبلة لآمه على الردة . فقال ان كنت تضمن لي أن يزوجني ابنته ويولينني الامر بعده رجعت . فضمن الرسول التزويج ولم يضمن الثانية . ثم نصب موائد الذهب وصحاف الفضة فامتنع الرسول منها وأكل في الخلنج . وجيء بطاس الفضة وأباريق الذهب فامتنع الرسول وغسل يديه في الصفر ، ثم وضعت عشرة كراسي مرصعة عن يمينه وعشرة عن شماله

وجلس عليها جوارى حسان عليهن الحلي ثم طيب بواسطة طائر عجيب
الخلقة ، فقال للجواري اللاتي عن يمينه بالله أضحكنا فقلن وخفقت عيدانهن :

لله در عصابة نادمتهم يسقون من ورد البريض عليهم
أولاد جفنة حول قبر ابيهم يغشون حتى ما تهر كلابهم
شم الأنوف كريمة أحسابهم يوما يجلق في الزمان الأوّل
راحا تصفق بالرحيق السلسل قبر ابن مارية الكرم المفضل
لا يسألون عن السواد المقبل بيض الوجوه من الطراز الأوّل

فقال جبلة : هذا لحسان ثم التفت إلى اللواتي عن يساره وقال بالله أبكيننا
فقلن :

لمن الدار أقفرت بعمان بين أعلى اليرموك فالخمان
ذاك معنى لآل جفنة في الدهر محلا لحادث الازمان
قد أراني هناك دهرأ مكينا عند ذي التاج مقعدي ومكاني
ودنا الفصح فالولائد ينظمن سراعاً أكلة المرجان

وقال : هذا لحسان ثم انشأ :

تنصرت للاتراف من أجل لطفة تكنفني منها لجاج ونخوة
فيا ليت أمي لم تسلدني وليتني ويا ليتني أرعى الخاض بقفرة
وما كان فيها نو سمحت بها ضرر وبعث لها العين الصحيحة بالعمور
رجعت الى القول الذي قال لي عمر وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر

ثم ان الرسول أخبر عمر رضي الله عنه بذلك كله وبعث معه جبلة
خمسة دینار لحسان بن ثابت فقال حسان :

إن ابن جفنة من بقية معشر لم يغرم آباؤهم باللسوم
لم ينسني بالشام إذ هو ربها كلا ولا متنصراً بالروم

ولام عمر الرسول هلا ضمن له الامرين فإن جبلة كفؤ لبنته وأما ولاية الأمر فهي بيد الله يورثها من يشاء من عباده ، قال الرسول : فعدت من عند عمر إلى جبلة لأضمن له ما اشترط فوجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت ان الشقاء قد غلب عليه في أم الكتاب .

سنة سبع عشرة :

وفيها : اختطت الكوفة وتحول سعد اليها . وفيها اعتمر عمر رضي الله عنه وأقام بمكة عشرين ليلة ووسع المسجد الحرام وهدم منازل قوم أبوا بيعها وجعل اثمانها في بيت المال ، وتزوج أم كلثوم بنت علي وأما فاطمة رضي الله عنهم .

وفيها : وقعة المغيرة بن شعبة : ولاء عمر البصرة ، وكان قبالة علية المغيرة علية فيها أربعة وهم أبو بكر مولى النبي ﷺ وأخوه لأمه زياد بن أبيه ، ونافع بن كلدة ، وشبل بن معبد ، فرفعت الريح الكوفة عن علية فاذا المغيرة علي أم جميل بنت الارقم بن عامر بن صعصعة فكتبوا إلى عمر بذلك فعزله ، واستقدمه مع الشهود ، وولى البصرة أبا موسى الأشعري ، فلما قدم إلى عمر شهد أبو بكر ونافع وشبل عليه بالزنا ولم يفصح زياد ، وقال عمر قبل ان يشهد أرى رجلا أرجو أن لا يفضح الله به رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال زياد رأيت جالسا بين رجلين امرأة ورأيت رجلين مرفوعتين كأذني حمار ونفساً يعلو وإستا ينبو عن ذكر ولا أعرف ما وراء ذلك . فقال عمر هل رأيت الميل في المكحلة ؟ قال لا . قال : هل تعرف المرأة قال لا ولكن أشبهها . فجلد الثلاثة حداً القذف . وزياد اخو أبي بكر لأمه فلم يكلمه أبو بكر بعدها .

وفيها : فتح المسلمون الاهواز من يد الهرمزان من عطاء الفرس وفتحوا رامهرمز وتستر ثم نزل الهرمزان من القلعة على حكم عمر ، فأرسل مع وفد منهم انس بن مالك والاحنف بن قيس فوصلوا به المدينة وقد البسوه الديباج المذهب وعلى رأسه تاجه مكللا بالياقوت ، فوجدوا عمر نائما بالمسجد وليس

له حرس ولا حجاب ، فاستيقظ للجلبة وقال : « الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا وأشباهه » ونزع ما عليه وألبس ثوباً صفيقاً ثم قال له : « كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة أمر الله ؟ » فقال الهرمزان : « نحن وإياكم في الجاهلية لما خلى الله بيني وبينكم غلبناكم ، ولما كان الله الآن معكم غلبتمونا » .

وطلب ماء فأتي به وقال : أخاف أن يقتلني وأنا أشرب . فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشرب . فرمى الإناء فانكسر ، فقصد عمر قتله فقالت الصحابة : إنك أمنت به بقولك لا بأس عليك إلى أن تشرب . ولم يشرب ذلك الماء ، ثم أسلم وفرض له ألفين .

سنة ثمان عشرة :

فيها أحل الحجاز فاستعان عمر الأمصار ، فكان ممن قدم عليه أبو عبيدة بأربعة آلاف راحلة زاداً ، فقسم عمر ذلك حتى أرخصت المدينة . ولما اشتد القحط استسقى بالعباس فسقوا ، وأقبل الناس يتمسحون بأذيال العباس رضي الله عنه .

وفيها كان طاعون عمواس بالشام مات به أبو عبيدة رضي الله عنه ، واستخلف أبو عبيدة معاذ بن جبل فمات بالطاعون ، فاستخلف عمرو بن العاص ، ومات في هذا الطاعون خمسة وعشرون ألفاً ومكث شهراً وطمع العدو ، وكان بالبصرة مثله .

وفيها سار عمر إلى الشام فقسم موارث الموتى به ثم رجع إلى المدينة في ذي القعدة .

سنة تسع عشرة وسنة عشرين :

فيها فتحت مصر والإسكندرية على يد عمرو بن العاص والزبير ، فنازلا عين شمس بقرب المطرية ففتحها ، وبعث عمرو بن العاص أبرهة بن الصباح إلى

الفرما ، وضرب عمر فسطاطه موضع جامعهم بمصر الآن ، واختطت مصر وبني الجامع ، ثم فتح الإسكندرية عنوة بعد قتال شديد .

وفيها توفي بلال بن رباح مؤذن النبي ﷺ ، وهو مولى أبي بكر الصديق واسم أمه حمامة وهو من مولدي الحبشة أسلم بعد إسلام أبي بكر ، ولم يؤذن بعد النبي ﷺ بل طلب من أبي بكر أن يرسله في الجهاد ، فسأله أبو بكر أن يقيم معه فأقام . ثم ولي عمر فسأله ذلك فأبى وسار الى دمشق ، وبها مات ودفن بباب الصغير .

سنة احدى وعشرين :

فيها وقعة نهاوند مع الأعاجم ومقدمهم الفرزان جمع مائة وخمسين ألفاً ، وجرت بينهم حروب كثيرة آخرها كسرة الأعاجم وفناؤهم ، وهرب الفرزان ووصل الى ثنية همدان فوجد بغالاً عملة عسلاً عوقته ، فنزل عن فرسه هارباً في الجبل فتبعه القعقاع راجلاً وقتله ، ف قيل ان لله جنداً من عسل . وفيها فتحت الدينور والصيمرة وهمدان وأصفهان . وفيها توفي خالد بن الوليد ، وقبره قيل بالمدينة وقيل بجمص رضي الله عنه .

سنة اثنتين وعشرين :

فيها فتحت أذربيجان والري وجرجان وقزوين وزنجان وطبرستان وفيها صالح عمرو بن العاص أهل برقة على الجزية ، ثم حاصر طرابلس الغرب وفتحها عنوة . وفيها غزا الأحنف بن قيس خراسان ، وحارب يزدجرد وافتتح هراة عنوة ثم سار الى مرو ، وكتب يزدجرد الى ملك الترك يستمده والى ملك السغد والى ملك الصين ، وانهم يزدجرد الى بلخ ثم هزموه ، فمهر نهر جيحون وأبى صلح المسلمين فطرده عسكريه وصالحوا المسلمين ، وبقوا بأماكنهم وسار يزدجرد مع ملك الترك في حاشيته وأقام بفرغانة زمن عمر كسره . وفيها توفي أبي بن

كعب بن قيس من ولد مالك بن النجار ويكنى أبا المنذر، وأمر الله نبيه أن يقرأ عليه القرآن وقال : أقرأ أمي أبي بعدي . وقيل توفي سنة ثلاثين في خلافة عمر رضي الله عنهما .

سنة ثلاث وعشرين :

فيها طعن أبو لؤلؤة فيروز عبد المفيرة بن شعبة عمر رضي الله عنه ، وهو في الصلاة بخنجر في خاصرته وتحت سرتة لست بقين من ذي الحجة . قلت : وكان أبو لؤلؤة نصرانياً .

وفاة عمر :

وتوفي عمر يوم السبت سلخ ذي الحجة ودفن يوم الأحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين ، ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام ، ودفن عند النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنهما .

قلت : مر يوماً عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ، فقال عليه السلام : « لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما دام هذا بين أظهركم فإذا فارقكم انفتح ذلك الباب » . فكان كما قال عليه السلام لأن الفتنة كلها نجمت بعد مقتله . وناحت الجن عليه قبل مقتله بثلاث ، فقالت :

أبعد قتيل بالمدينة أصبحت له الأرض تهتز العضاء بأسوق
جزا الله خيراً من أمير وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق
فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ليدرك ما قدّمته اليوم يسبق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائق في أكمامها لم تفتق
وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفي شقيّ أزرق العين مطرق

ونسب بعضهم هذه الأبيات الى مزرد بن ضرار . والله أعلم .

الخلافة بعد وفاة عمر :

وعهد بالخلافة الى النفر الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وهم علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد ، بعد أن عرضها علي عبد الرحمن بن عوف فأبى . وكان عمر طويل القامة أبيض أصلع أشيب وعمره ثلاث وستون وقيل ستون وقيل خمس وخمسون وفضله وعدله وزهده مشهور ؛ حرس بنفسه ليلة قفلا نزلوا بناحية السوق هو وعبد الرحمن بن عوف ، وهو أول من كتب التاريخ وأول من عس بالليل وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد ، وأول من جمع على صلاة الجنازة بأربع تكبيرات ، وكانوا من قبل يكبرون أربعاً وخمساً وستاً . وأول من جمع على إمام يصلي التراويح ، وأول من ضرب بالدرة ودون الدواوين . وخطب مرة وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة ، ومر في بعض حجاته بضجنان فقال : لا إله إلا الله المعطي من شاء ما شاء كنت أرعى إبل الخطاب في هذا الوادي وكان فظاً يرعيني إذا عملت ويضربني إذا قصرت ، وقد أصبحت وليس بيني وبين الله أحد ، وفضائله رضي الله عنه أكثر من أن تحصر .

سنة أربع وعشرون :

ثم فيها عقب موت عمر اجتمع أهل الشورى وهم علي وعثمان وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم ، وشرط عمر أن يكون ابنه عبد الله شريكاً في الرأي ولا يكون له حظ في الخلافة ، وجعل المدة ثلاثة أيام ، وقال : لا يمضي اليوم الرابع إلا ولكم أمير ، وإن اختلفتم فكونوا مع الذين معهم عبد الرحمن .

خلافة عثمان رضي الله عنه

بويع عثمان بالخلافة لثلاث مضي من المحرم منها ، وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمه أروى بنت كرز بن ربيعة .

وأقرّ عثمان ولاية عمر سنة لأنه أوصى بذلك ، ثم عزل المغيرة بن شعبه عن الكوفة وولاها سعد بن أبي وقاص ، ثم عزله وولاها الوليد بن عقبة بن أبي معيط كان أخا عثمان من أمه .

سنة خمس وعشرين :

وفيهما توفي أبو ذر الغفاري واسمه جندب بن جنادة بالربذة ، وقيل : توفي سنة إحدى وثلاثين بها .

قلت : حكى شيخنا صدر الدين بن الوكيل رحمه الله : ان رجلاً سأل بعض السلف بأن قال : أعمر أخرج أبا ذر ؟ فقال له : كذبوك ، وتصحيف ذلك : أعثان أخرج أبا ذر . والله أعلم .

سنة ست وعشرين :

وفيهما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولاها عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري أخا عثمان من الرضاة ، وكان النبي ﷺ قد أهدر دم سعد المذكور يوم الفتح فشفع فيه عثمان فأطلقه . وفي خلافته رضي الله عنه فتحت افريقية بتولي ابن أبي سرح المذكور وبعث بالخمس الى عثمان ، ولما فتحت أمر عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين أن يسير الى جهة الأندلس ، فغزا تلك الجهة وعاد الى افريقية وأقام بها من قبل عثمان ، ورجع عبد الله بن سعد الى مصر .

سنة سبع وعشرين وسنة ثمان وعشرين :

وفيهما استأذنه معاوية في غزو البحر فأذن له ، فجهز معاوية الى قبرس جيشاً ، وسار إليها أيضاً عبد الله بن سعد من مصر فقاتلوا جميعاً أهلها ، ثم صلحوا على جزية سبعة آلاف دينار في كل سنة بعد قتل وسبي كثير في قبرس .

سنة تسع وعشرين :

وفيهما عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة وولاها ابن خاله عبد الله ابن عامر بن كريز، ثم عزل الوليد بن عقبة عن الكوفة لكونه شرب الخمر وصلى بالمسلمين الفجر أربعاً وهو سكران ، ثم التفت الى الناس وقال : هل أزيدكم ؟ فقال ابن مسعود : ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم . وفي ذلك يقول الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ان الوليد أحق بالعدر
نادى وقد فرغت صلاتهم أزيدكم سكرأ وما يدري
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا لقرنت بين الشفع والوتر

سنة ثلاثين :

وفيهما بلغ عثمان ما وقع في أمر القرآن ، وان أهل العراق يقولون : قراءتنا أصح لأننا قرأنا على أبي موسى . وأهل الشام يقولون : قراءتنا أصح لأننا قرأنا على المقداد ، وكذلك غيرهم . فحمل الناس باتفاق الصحابة على المصحف الذي كتب زمن أبي بكر وأودع عند حفصة رضي الله عنها . ونسخ منه مصاحف للأمصار قولى نسخها بأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام المخزومي . وقال عثمان : إذا اختلفتم في كلمة فاكتبوها بلسان قريش فإنما نزل القرآن بلسانهم .

وفيهما سقط من عثمان خاتم النبي ﷺ ، وكان من فضة فيه ثلاثة أسطر محمد رسول الله ، كان يتختم به ويختم به الكتب الى الملوك ، ثم تختم به أبو بكر ، ثم عثمان الى أن سقط في بشر اريس (١) .

(١) قلت : قالوا : وكان أمره صافياً الى سقوط الخاتم المذكور ، والله أعلم .

سنة احدى وثلاثين :

وفيه هلك كسرى يزدجرد آخر ملوكهم . وقيل : قتله أهل مرو وقتل
بنيه الترك وقتل أصحابه فهرب هو الى بيت رجل ينقل الأرحاء فقتله ثم قتل .
وفيه عصت خراسان ففتحها المسلمون ثانياً . وفيها مات أبو سفيان بن حرب .

سنة اثنتين وثلاثين :

وفيه توفي عبد الله بن مسعود بن عاقل بن حبيب بن شمع من ولد مدركة بن
الياس بن مضر ، وفي مدركة يجتمع مع النبي ﷺ ، هو أحد القراء ، عظيم في
الصحابة وعدّه بعضهم في العشرة المقطوع لهم بالجنة بدل أبي عبيدة رضي
الله عنهم .

سنة ثلاث وثلاثين :

وفيه تكلم جماعة بأن عثمان ولي جماعة من أهل بيته لا يصلحون للولاية ،
فكتب سعيد بن العاص والي الكوفة إليه بذلك ، فأمره عثمان أن يسير الذين
تكلموا بذلك الى معاوية بالشام ، فأرسلهم وفيهم الحارث بن مالك الأشتر
النخعي وثابت بن قيس النخعي وجميل بن زياد وزيد بن صوحان العبدي وأخوه
صعصعة وأخوه جندب بن زهير وعروة بن الجعد وعمرو بن الحمق ، فقدموا على
معاوية وجرى بينهم كلام كثير وحذرهم الفتنة ، فوثبوا وأخذوا بلحية معاوية
ورأسه فكتب بذلك الى عثمان ، فكتب إليه عثمان أن يردهم الى سعيد بن العاص
فردهم الى سعيد ، فأطلقوا ألسنتهم في عثمان رضي الله عنه ، واجتمع إليهم
أهل الكوفة .

سنة أربع وثلاثين :

وفيه قدم سعيد الى عثمان وأخبره بما فعله أهل الكوفة وانهم يختارون
أبا موسى ، فولى عثمان أبا موسى الكوفة ، فخطبهم أبو موسى وأمرهم بطاعة

عثمان فأجابوا . وتكاتب نفر من الصحابة أن أقدموا فالجهاد عندنا ، ونال الناس من عثمان وليس أحد من الصحابة ينهى عن ذلك ولا يذنب إلا نفر منهم : زيد بن ثابت وأبو أسيد الساعدي و كعب بن مالك وحسان بن ثابت . ومما نقموا عليه رد الحكم بن العاص طريد رسول الله وطريد أبي بكر وعمر ، وإعطاؤه مروان ابن الحكم خمس غنائم افريقية وهو مال عظيم ، وفي ذلك يقول عبدالرحمن الكندي :

| | |
|-------------------------|-----------------------|
| سأحلف بالله جهد اليمين | ما ترك الله أمراً سدى |
| ولكن خلقت لنا فتنة | لكي نبتلي بك أو نبتلى |
| دعوت اللعين فأدنيته | خلفاً لسنة من قد مضى |
| وأعطيت مروان خمس العباد | ظلماً لهم وحميت الحمى |

وأقطع مروان فدك وهي صدقة رسول الله ﷺ التي طلبتها فاطمة (رض) من أبي بكر (رض) ، ولم يكن بلغها قوله ﷺ : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » . ولم تزل فدك في يد مروان حتى انتزعها عمر بن عبد العزيز وردھا صدقة . وفيها توفي المقداد بن عمرو بن ثعلبة ، تبناه الأسود بن عبد يغوث في الجاهلية فعرف به . ولما نزل قوله تعالى : (ادعوهم لآبائهم) . قيل : المقداد ابن عمر . وما كان يوم بدر صاحب فرس في المسلمين غير المقداد في قول ، وشهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها ، وعمر نحو سبعين سنة .

سنة خمس وثلاثين :

وفيها قدمت جموع من مصر والكوفة والبصرة ، وكان هوى المصريين مع علي (رض) ، وهوى الكوفيين مع الزبير ، وهوى البصريين مع طلحة ، فدخلوا المدينة وثاروا على عثمان يوم الجمعة وهو على المنبر ، وقاتل جماعة من المدينة عنه منهم : سعد بن أبي وقاص والحسن بن علي وزيد بن ثابت وأبو هريرة ، فأرسل عثمان يعزم عليهم بالانصراف فانصرفوا .

حصار عثمان في بيته :

وصلى عثمان بعد ما نزلت الجموع في المسجد ثلاثين يوماً ، ثم منعوه الصلاة فصلى بالناس الغافقي أمير جمع مصر ، ولزم أهل المدينة بيوتهم وعثمان محصور في داره أربعين يوماً وقيل خمسين . ثم اتفق علي مع عثمان على ما طلبه الناس منه من عزل مروان عن كتابته وعبد الله بن أبي سرح عن مصر فأجاب ، وفرق علي الناس عنه . ثم اجتمع مروان بعثمان فردّه عن ذلك ، لكن عزل ابن أبي سرح عن مصر وولاهما محمد بن أبي بكر . وتوجه مع محمد بن أبي بكر مهاجرون وأنصار ، فبيناهم في الطريق وإذا عبد علي هجين يجهد ، فقالوا له : الى أين ؟ قال : الى العامل بمصر ، قالوا : هذا عامل مصر - يعنون محمد بن أبي بكر - ، قال : بل العامل الآخر - يعني ابن أبي سرح - ، ففتشوه فوجدوا معه كتاباً مختوماً بختم عثمان يقول : إذا جاءك محمد بن أبي بكر ومن معه بأنك معزول فلا تقبل واحتل لقتلهم وأبطل كتبهم وقرّ في عمك . فرجع محمد ومن معه وجمعوا الصحابة بالمدينة على الكتاب ، وسألوا عثمان عنه فاعترف بالخطم وخط كاتبه وحلف بالله أنه لم يأمر بذلك ، فطلبوا منه مروان ليسلمه إليهم بسبب ذلك فامتنع ، فحنقوا وجدوا في قتاله ، فأقام علي ابنه الحسن يذب عنه ، وأقام الزبير ابنه عبد الله ، وطلحة ابنه محمداً ، بحيث جرح الحسن رضي الله عنه وانصبغ بالدم .

مقتل عثمان :

ثم تسوروا على عثمان من دار يجنب داره ، ونزل عليه جماعة منهم : محمد بن أبي بكر فقتلوه صائماً يتلو في المصحف لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، ومدة خلافته رضي الله عنه اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً ، وعمره سبعون . وقيل : اثنتان وثمانون ، وقيل : تسعون . ومكث ثلاثة أيام لم يدفن منع محاربوه من دفنه ، ثم أمر علي (رض) بدفنه .

وكان معتدل القامة ، حسن الوجه ، بوجهه أثر جدري ، عظيم اللحية ، أسمر اللون ، أصلع ، يصفر لحيته ، تزوج بنتي رسول الله ﷺ فسمي ذا النورين ، كاتبه مروان بن الحكم ، وقاضيه زيد بن ثابت ، جهز جيش العسرة من مساله ، وأصاب الناس مجاعة في غزاة تبوك فاشترى طعاماً يصلح العسكر وجهز به عيراً ، فلما وصل ذلك الى النبي ﷺ رفع يده الى السماء قال : اللهم اني قد رضيت عن عثمان فارض عنه . ودخل يوماً على النبي ﷺ فجعل ثوبه عليه وقال : كيف لا أستحي ممن تستحي منه الملائكة (١) .

الفتنة : ثم وقع الناس بعده من الفتن والقتل في محذورين ، وأقبلت عليهم سحب أهواء مظلمة بقتل ذي النورين ، واستقبحت العقلاء فقد صورته المستحسنة على هذه الصورة ، واستهجنتم الفصحاء صرف عثمان قتيلاً من غير تناسب ولا ضرورة ، وما أحسن قول كعب بن مالك فيه :

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| وكف يديه ثم أغلق بابيه | وأيقن أن الله ليس بغافل |
| وقال لأهل الدار لا تقتلوهم | عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل |
| فكيف رأيت الله صب عليهم العدا | وة والبغضاء بعد التواصل |
| وكيف رأيت الخير أدبر بعده | عن الناس ادبار الرياح الحوافل |

والله أعلم .

(١) وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عثمان ان الله عسى أن يلبسك قميصاً فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني يوم القيامة . وقال له يوماً وقد دخل عليه : كيف أنت يا عثمان اذا لقيتني يوم القيامة وأوداجك تشخب دماً فأقول من فعل بك هذا فتقول بين خاذل وقاتل وأمر .

أخبار علي بن أبي طالب^(١) رضي الله عنه

بويع بالخلافة يوم قتل عثمان رضي الله عنه ، ولما سأله البيعة قال : لا حاجة لي في أمركم من اخترتم رضيت به وأكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً . فأبوا إلا مبايعته ، فأتى المسجد فبايعوه ، وقيل : بويع في بيته .

أول من بايعه طلحة وكانت يده مشلولة من أحد ، فقال حبيب بن ذؤيب : إنا لله أول من بدأ بالبيعة يد سلاء لا يتم هذا الأمر . وبايعه الزبير ، قال علي لهما : إن أحببنا أن تبايعا بايعا ، وإن أحببنا بايعتكما . فقالا : بل نبايعك . وقال علي لسعد بن أبي وقاص : بايع . فقال : حتى يبايع الناس والله ما عليك مني بأس . فخلى سبيله . وتأخر أيضاً عبد الله بن عمر . وبايعته الأنصار إلا نفرأ قليلاً ، منهم : حسان وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد الخدري والنعمان بن بشير ومحمد بن مسلمة وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة وزيد بن ثابت ، كان هؤلاء قد ولاهم عثمان على الصدقات وغيرها . ولم يبايعه أيضاً سعيد بن زيد وعبد الله بن سلام وصهيب وأسامة بن زيد وقدامة بن مضعون والمغيرة بن شعبة وسماوا لذلك المعترضة . وسار النعمان بن بشير بثوب عثمان ملطخاً بالدم إلى الشام ، فكان معاوية يعلق قميص عثمان على المنبر تحريضاً على قتال علي رضي الله عنه .

وقيل : بقيت المدينة بعد عثمان خمساً ، والغافقي ومن معه يلتمسون من يقوم بالأمر ، وطلحة في حائط له ، وسعد والزبير قد خرجا من المدينة ، وبنو أمية قد هربوا ، وباعد على المصريين ، والزبير الكوفيين ، وطلحة البصريين ، ومع اجتماعهم على قتل عثمان كانوا مختلفين في من يلي غيره حتى أتوا علياً وشكوا ما ابتلوا به وما نزل بالإسلام . ثم يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس

(١) واسم أبي طالب : عبد مناف بن عبد المطلب ، وأم علي فاطمة بنت أسد بن هاشم ، فهو ابن هاشميين .

وثلاثين صعد المنبر واستعفى فلم يعفوه ، فبايعه أولاً طلحة ، ثم لحق طلحة والزبير بعائشة بمكة .

وكان ابن عباس بمكة لما قتل عثمان ، ثم قدم المدينة بعد البيعة لعلي فوجده مستخلياً بالمغيرة بن شعبة ، قال : فسألته ما قال له ، فقال : علي أشار علي بإقرار معاوية وغيره من عمال عثمان الى أن يباعوا ويستقر الأمر فأبيت ، ثم أتاني الآن وقال : الرأي ما رأيته ، فقال ابن عباس : انه فصحك في المرة الأولى وغشك في الثانية وإني أخشى أن ينتقض عليك الشام وأمره بإقرار معاوية ، فقال علي : والله لا أعطيه إلا السيف ، ثم تمثل :

وما مية إن متها غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غولها

قال : فقلت : يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع ولست صاحب رأي ، فقال علي : إذا عصيتك فأطعني . فقلت : أيسر ما لك عندي الطاعة . وخرج المغيرة ولحق بمكة .

سنة ست وثلاثين :

وفيهما أرسل علي عماله الى البلاد ، فبعث الى الكوفة عمارة بن شهاب من المهاجرين ، والى البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري ، والى اليمن عبيد الله بن عباس المشهور بالجود ، والى مصر قيس بن سعد بن عبادة ، والى الشام سهل بن حنيف الأنصاري ثم رجع هذا من تبوك الى علي بإشارة من نصحه .

واعترلت عن قيس بمصر فرقة عثمانية وقالوا : حتى يقتل قاتل عثمان ، واعترلت عن عثمان بن حنيف بالبصرة فرقة . ولقي طلحة بن خويلد الأسدي الذي كان ادعى النبوة عمارة فقال له : إن أهل الكوفة لا يستبدلون بأمرهم ، فرجع الى علي . ومضى عبيد الله الى اليمن ، فخرج يعلى بن منبه عامل عثمان عليها ، وأخذ الحواصل ولحق بمكة وصار مع عائشة وطلحة والزبير وسلم إليهم

المال . وطلب بدم عثمان عائشة وطلحة والزبير وعبد الله بن عامر وجماعة من بني أمية ، وساروا في جمع عظيم للاستيلاء على البصرة واكتفوا بمعاوية في أمر الشام وأبي عبد الله بن عمر عن المسير معهم . وأعطى يعلى بن منبه عائشة الجمال المسمى بـ (عسكر) اشتراه بمائة دينار ، وقيل بثمانين ، فركبته . ومروا بمكان اسمه الحوآب فنبحتهم كلابه ، فقالت عائشة : أي ماء هذا ؟ قيل : هذا ماء الحوآب . فصرخت وقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه : ليت شعري أيتكن ينبحها كلاب الحوآب ؟! ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته وقالت : ردوني ! فأناخوا يوماً وليلة . وقال لها عبد الله بن الزبير : إنه كذب - يعني ليس هذا ماء الحوآب - . ولم يزل بها وهي تمتنع ، فقال : النجا النجا فقد أدرككم علي بن أبي طالب . فارتحلوا نحو البصرة واستولوا عليها بعد قتال مع عثمان بن حنيف ، وقتل من أصحاب عثمان بن حنيف أربعون رجلاً ، وأمسك فنتفت لحيته وحاجباه وسجن ثم أطلق .

وسار علي إلى البصرة حين بلغه ذلك في أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم أربعمئة ممن بايع تحت الشجرة وثمانمئة من الأنصار ، ورايته مع ابنه محمد بن الحنفية وعلي ميمينته الحسن ، وعلي ميسرته الحسين ، وعلي الخيل عمار بن ياسر ، وعلي الرجالة محمد بن أبي بكر ، وعلي مقدمته عبد الله بن العباس ، ومسيره في ربيع الآخر منها . ووصل إلى ذي قار فأثاه ابن حنيف وقال : يا أمير المؤمنين بعثني ذا لحية وجئتك أمرد ، فقال : أصبت أجراً وخيراً .

وقعة الجمال

واجتمع إلى علي من الكوفة جمع ، وإلى عائشة وطلحة والزبير جمع ، وسار بعضهم إلى بعض والتقوا بمكان يقال له الخريبة في منتصف جمادى الآخرة منها . ودعا علي الزبير وقال : أتذكر يوماً مررت مع رسول الله في بني غنم فنظر إلي

فضحكت وضحك إلي فقلت : لا يدع ابن أبي طالب زهوه . فقال لك رسول الله ﷺ : إنه ليس بنزه ولتقاتلنه وأنت ظالم له . فقال الزبير : اللهم نعم ، ولو ذكرته ما سرت مسيري هذا .

وانصرف الزبير طالباً المدينة ، فمر بماء لبني تميم وبه الأحنف بن قيس فقبل للأحنف - وكان اعتزل القتال - : هذا الزبير قد أقبل . فقال : قد جمع بين هذين العارين - يعني العسكرين - . وتركهم وأقبل وفي مجلسه عمرو بن جرموز المجاشعي ، فأتبع الزبير حتى وجده نائماً بوادي السباع فقتله ثم أقبل برأسه إلى علي ، فقال علي : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بشروا قاتل الزبير بالنار . فقال عمرو بن جرموز :

| | |
|-------------------------|----------------------|
| أتيت علياً برأس الزبير | وقد كنت أحسبها زلفة |
| فبشّر بالنار قبل العيان | فبشس البشارة والتحفة |
| وسيان عندي قتل الزبير | وضرطة غير بذى الجحفة |

واقبتلوا وعائشة راكبة الجمل المسمى عسكرياً في هودج قد صار كالقنفذ من النشاب ، وتمت الهزيمة على أصحاب عائشة ، ورمى مروان بن الحكم طلحة بسهم فقتله وكلاهما كانا مع عائشة . قيل : أخذاً بثأر عثمان لأنه نسبه إلى الإعانة عليه . وقطعت على خطام الجمل أيد كثيرة وقتل بينهم خلق كثير ، قيل : عشرة آلاف .

ولما كثر القتل على خطام الجمل ، قال علي : اعقروا الجمل ، فضربه رجل فسقط فبقيت عائشة في هودجها إلى الليل ، وأدخلها أخوها محمد بن أبي بكر البصرة إلى دار عبد الله خلف . وطاف علي فصلى على أصحاب الجمل ودفنهم ، ولما رأى طلحة قتيلاً قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى ، أنت والله كما قال الشاعر :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وصلى عليه ، ولم ينقل أنه صلى على قتلى الشام بصفين .

ثم أمر علي عائشة بالرجوع الى المدينة ، فسارت مستهل رجب منها وشيخها الناس ، وجهازها علي رضي الله عنه بما احتاجت إليه وسير معها أولاده مسيرة يوم ، وتوجهت الى مكة فأقامت للحج تلك السنة ، ثم رجعت الى المدينة .

واستعمل علي البصرة عبد الله بن عباس ثم نزل الكوفة ، وانتظم له الأمر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وفارس وخراسان ، هذا ومعوية بالشام وأهل الشام مطيعون له ، فأرسل إليه علي جرير بن عبد الله البجلي ليأخذ البيعة عليه ، فباطله معاوية حتى قدم عمرو بن العاص من فلسطين فوجد أهل الشام يحضون على الطلب بدم عثمان ، فقال لهم عمرو : وأنتم على الحق ، واتفق مع معاوية إذا ظفر أن يوليه مصر .

وأراد معاوية استمالة قيس بن سعد بن عبادة عامل مصر من جهة علي ، وكتب إليه بذلك فأبى ، وكان قيس من دهاة العرب مدهناً لأهل مصر لئلا ينضموا الى معاوية ، فكتب معاوية كتاباً على لسان قيس وقرأه على الناس موهاً أن قيساً معه ، ولذلك لم يقاتل المعتزلين عنه بمصر بقرية خربتا . وبلغ ذلك علياً فمزق قيساً عن مصر وولى محمد بن أبي بكر . ولحق قيس بالمدينة ثم وصل الى علي فعلم جلية أمره وقاتل معه بصفين ، ثم سار مع الحسن الى أن سلم الأمر الى معاوية . ولما وصل محمد بن أبي بكر الى مصر والياً وصاه قيس أن لا يتعرض الى العثمانية المعتزلين بخربتا . فلم يقبل محمد ذلك فبعث إليهم أن يدخلوا في بيعة علي (رض) فأبوا .

رقعة صفين

ولما اتفق عمرو مع معاوية على حرب علي قدم جرير بن عبد الله البجلي على علي رضي الله عنه فأعلمه بذلك ، فسار علي من الكوفة الى جهة معاوية ،

وقدم عليه عبد الله بن عباس ومن معه من أهل البصرة ، فقال علي :

لأصبحنّ العاص وابن العاصي سبعين ألفاً عاقدي النواصي
مجنبيين الخيل بالقلاص مستحقين حلق الدلاص

وحدا بعلي نابغة جعد فقال :

قد علم المصران والعراق أن علياً فعلها العتاق
أبيض ججاج له رواق ان الأولى جاءوك لا أفاقوا
لكم سباق ولهم سباق قد علمت ذلك الرفاق

وسار عمرو ومعاوية من دمشق بأهل الشام الى جهة علي ، وتأنى معاوية في مسيره حتى اجتمعت الجموع بصفين ، وخرجت سنة ست وثلاثين والأمر على ذلك .

سنة سبع وثلاثين :

ومضى المحرم والجيشان بصفين يتراسلون بما يطول ذكره بلا قتال ، وفي صفر جرت بينهم وقعات بصفين . قيل : تسعون وقعة ، ومدة المقام بها مائة وعشرة أيام ، وقتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ، ومن العراق خمسة وعشرون ألفاً منهم ستة وعشرون رجلاً من أهل بدر . وتقدم علي رضي الله عنه الى أصحابه أن لا يبدؤوهم بقتال ولا يقتلوا مدبراً ولا يأخذوا شيئاً من أموالهم ولا يكشفوا عورة . قال معاوية : أردت الانهزام بصفين فتذكرت قول ابن الاطنابة فثبت وكان جاهلياً ، والاطنابة امرأة . وهو قوله :

أبت لي همتي وحياء نفسي وإقدامي على البطل المشيح
وإعطائي على المكروه مالي وأخذني الحمد بالثمن الربيح
وقولي كلما جشأت وجاشت رويدك تحمدي أو تستريحي

وقاتل عمار بن ياسر مع علي وقد نيف على تسعين سنة والحربة في يده

ويده ترعد وقال : هذه راية قاتلت بها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة ، ودعا بماء ليشرب فجاءته امرأة بقدر من لبن ، فشرب منه ثم قال : صدق الله ورسوله :

اليوم ألقى الأحبه محمداً وحزبه

قال رسول الله ﷺ : إن آخر رزقي من الدنيا صبيخة لبن - والصبيخ اللبن الرقيق الممزوج - وارتجز :

نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله وينذهل الخليل عن خليله

وقاتل حتى استشهد رضي الله عنهم أجمعين . وفي الصحيح : ان رسول الله ﷺ قال : تقتل عماراً الفئدة الباغية . قيل : قتله أبو عادية برمح ، واحتز آخر رأسه وأقبلا يختصمان الى عمرو ومعاوية كل منهما يقول : أنا قتلته . فقال عمرو : إنكما في النار . فلما انصرفا قال معاوية لعمرو : ما رأيت مثلما صرفت قوماً بذلوا أنفسهم دوننا . فقال عمرو : هو والله ذلك ، والله إنك لتعلمه ولوددت اني كنت مت قبل هذا بعشرين سنة . وبعد قتل عمار انتدب علي رضي الله عنه عشرين ألفاً وحمل بهم ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض وعلي يقول :

أقتلهم ولا أرى معاوية الجاحظ العين العظيم الخاوية

ثم نادى : يا معاوية علام تقتل الناس ما بيننا ، هلم أحاكمك الى الله فأينما قتل صاحبه استقامت له الأمور . فقال عمرو : أنصفك ابن عمك . فقال معاوية : ما أنصف ، انك تعلم أنه لم يبرز إليه أحد إلا قتله . فقال عمرو : وما يحسن بك ترك مبارزته . فقال معاوية : طمعت في الأمر بعدي ؟ ثم تقاتلوا ليلة الهريز ، شبت بليلة القادسية وكانت ليلة الجمعة واستمر القتال الى الصبح . قيل : كبر علي تلك الليلة أربعمائة تكبيرة وكان عادته كلما قتل كبر ، ودام الى ضحى

الجمعة . وقاتل الأشتر قتالاً عظيماً حتى انتهى الى معسكرهم . وأمدّه علي رضي
الله عنه بالرجال .

عمرو يشير بطلب التحكيم :

ولما رأى عمرو ذلك قال : هلم نرفع المصاحف على الرماح ونقول : هذا
كتاب الله بيننا وبينكم . ففعلوا ذلك ، فقال اهل العراق لعلي : ألا تجيب إلى
كتاب الله ؟ فقال رضي الله عنه : امضوا على حكمكم وصدقكم في قتال عدوكم
فان عمراً ومعاوية وابن أبي معيط وابن أبي سرح والضحّاك بن قيس ليسوا
بأصحاب دين ولا قرآن ، وأنا أعرف بهم منكم ويحكم الله ، والله ما رفعوها إلا
خدعة ومكيدة ، فقالوا : لا تمنعنا ان ندعى إلى كتاب الله فتأبى ، فقال علي :
اني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم كتاب الله فانهم قد عصوا الله فيما أمرهم ، فقال له
مسعود بن فدك التميمي وزبيد بن حصين الطائي في عصابة من الذين صاروا
خوارج : يا علي أجب إلى كتاب الله اذا دعيت اليه ، وإلا دفعناك برمتك إلى
القوم ونفعل بك ما فعلنا بعمان بن عفان ، فقال علي رضي الله عنه : إن تطيعوني
فقاتلوا وإن تعصوني فافعلوا ما بدا لكم ، قالوا : وابعث إلى الأشتر فليأتك ،
فبعث اليه يدعوه فقال الأشتر للرسول : ليس هذه الساعة التي ينبغي لك ان
تزيلني عن موقعي ، فرجع الرسول واخبره بالخبر وارتفعت الأصوات وكثر
الرهج من جهة الأشتر ، فقالوا لعلي : ما نراك أمرته إلا بالقتال ، فقال : هل رأيتموني
ساررت الرسول اليه اليس كلمته وانتم تسمعون ؟ قالوا : فابعث اليه لياتك وإلا
اعتزلناك ، فرجع اليه الرسول وأعلمه فقال : قد علمت والله أن رفع المصاحف
يوقع اختلافاً وانها مشورة ابن العاهرة ، ورجع الأشتر إلى علي وقال خدعتم
فانخدعتم ، وكان غالب من نهى عن القتال قرأه .

ولما كفوا عن القتال سألو معاوية لأي شيء رفعت المصاحف ؟ قال :
لتنصبوا حكماً منكم وحكماً منا ونأخذ عليها أن يعملوا بما في كتاب الله ثم

نتبع ما اتفقا عليه ، فأجاب الفريقان إلى ذلك ، فقال الأشعث بن قيس وهو من أكبر الخوارج : إنا قد رضينا بأبي موسى الأشعري ، فقال علي : قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن لا أرى ان أولي أبا موسى ، فقالوا : لا نرضى إلا به ، فقال علي رضي الله عنه : انه قد فارقني وخذل عني الناس ثم هرب مني حين أمنت به بعد أشهر ولكن ابن عباس أولى منه ، فقالوا : ابن عباس ابن عمك ولا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ، قال علي : فالأشتر ، فأبوا وقالوا : وهل أسعرها إلا الأشتر .

فاضطرب علي رضي الله عنه إلى اجابتهم واخرج ابا موسى ، واخرج معاوية عمرو بن العاص ، واجتمع الحكيمان عند علي وكتب بحضوره : هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي ، فقال عمرو : وهو أميركم وأما أميرنا فلا ؟ فقال الأحنف : لا تمحووا اسم أمير المؤمنين ، فقال الأشعث بن قيس : امح هذا الاسم ، فأجاب علي ومجاه وقال : الله اكبر سنة بسنة والله اني لسكاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية فكتبت محمد رسول الله فقالوا : لست برسول الله ولكن اكتب باسمك واسم ابيك فأمرني رسول الله بمحوه فقلت : لا استطيع . قال : فأرني فأريته فمجاه بيده ثم قال : انك ستدعى إلى مثلها فتجيب .

فقال عمرو : سبحان الله أتشبهنا بالكفار ونحن مؤمنون ؟ فقال علي : يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين ولياً وللمؤمنين عدواً ؟ فقال عمرو : والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم ، فقال علي رضي الله عنه : اني لأرجو ان يظهر الله مجلسي منك ومن أشباهك . وكتب الكتاب فمعه :

هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن ابي سفيان قاضى علي على أهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية على أهل الشام ومن معهم انا ننزل عند حكم الله وكتابه ، نحیی ما احیا، ونمیت ما أمات ، فها وجد الحكيمان في كتاب الله وهما أبا موسى الأشعري عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص ، عملا به وما لم

يجدا في كتاب الله فالسنة العادلة ، واخذ الحكيمان من علي ومعاوية ومن الجندين الموائيق انها أمينان على انفسهما واهلهما والامة لهما انصار على الذي يتقاضيان عليه وأجلا القضاء إلى رمضان من هذه السنة وإن احبا ان يؤخرا ذلك أخراه ، وكتب في يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين على ان يوافي علي ومعاوية موضع الحكيم بدومة الجندل في رمضان فان لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح .

ثم سار علي رضي الله عنه إلى العراق إلى الكوفة ولم يدخلها الخوارج معه بل اعتزلوا عنه ثم في هذه السنة بعث علي للبعاد اربعمائة رجل فيهم أبو موسى وعبدالله بن عباس ليصلي بهم ولم يحضر علي ، وبعث معاوية عمرو بن العاص في اربعمائة ثم جاء معاوية واجتمعوا بأذرح ، وشهد معهم عبدالله بن عمر وعبد الله ابن الزبير والمغيرة بن شعبة ، والتقى الحكيمان فدعا عمرو أبا موسى ان يجعل الأمر إلى معاوية ، فأبى وقال : لم أكن لأوليه وأدع المهاجرين الأولين . ودعا أبو موسى عمراً إلى ان يجعل الأمر إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فأبى عمرو . ثم قال عمرو : ما ترى أنت ؟ فقال : أرى ان تخلع علياً ومعاوية ونجعل الأمر شورى بين المسلمين ، فأظهر له عمرو أن هذا هو الرأي .

خداع عمرو بن العاص :

ثم أقبلوا إلى الناس وقد اجتمعوا فقال أبو موسى : ان رأينا قد اتفق على أمر نرجوه صلاح هذه الأمة ، فقال عمرو : صدق ، تقدم فتكلم يا أبا موسى . فلما تقدم لحقه ابن عباس وقال له : ويحك اني أظن انه خدعك إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدتمته قبلك فاني لا آمن ان يخالفك ، فقال أبو موسى إنا قد اتفقنا . فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس إنا لم نر أصلح لأمر هذه الامة من أمر قد أجمع عليه رأيي ورأي عمرو وهو ان نخلع علياً ومعاوية وتستقبل هذه الامة هذا الأمر فيولوا منهم من أحبوا واني قد خلعت علياً ومعاوية

فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً. ثم تنحى وأقبل عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبتُ صاحبي فإنه ولي عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه ، فقال له أبو موسى الأشعري : مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت ، وركب أبو موسى ولحق بمكة حياً ، وانصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة . ومنها أخذ أمر علي يضعف وأمر معاوية في القوة .

فتنة الخوارج :

ولما اعتزلت الخوارج علياً رضي الله عنه دعاهم إلى الحق ، فامتنعوا وقتلوا رسله وكانوا أربعة آلاف ، ووعظهم ونهاهم عن القتال فتفرقت منهم جماعة وبقي مع عبدالله بن وهب جماعة على ضلالتهم ، وقاتلوه فقتلوا عن آخرهم ، وقتل من أصحاب علي سبعة أولهم يزيد بن نيرة شهد أحداً ، ورجع علي إلى الكوفة وحض الناس على قتال معاوية فتقاعدوا وقالوا : نستريح ونصلح عدتنا ، فدخل لذلك الكوفة .

سنة ثمان وثلاثين :

وفيهما جهز معاوية عمراً بعسكر إلى مصر وكتب محمد بن أبي بكر يستنجد علياً ، فأرسل اليه الأشتر فسقي في القلزم عسلاً مسموماً فمات ، فقال معاوية : ان لله جنداً من عسل . ووصل عمرو مصر وقاتله أصحاب محمد بن أبي بكر فهزموهم عمرو وتفرق عن محمد أصحابه فمشى محمد حتى انتهى إلى خربة فقبض عليه وأتوا به معاوية بن خديج فقتله في هذه السنة وألقاه في جيفة حمار وأحرقه بالنار ، ودخل عمرو مصر وبايع أهلها لمعاوية . وقننت عائشة في دبر كل صلاة تدعو على معاوية وعمرو بسبب قتل أخيها محمد ، وجزع علي لمقتله وقال : عند الله نحتسبه .

ثم بث معاوية سراياه على عمال علي . فبعث النعمان بن بشير إلى عين النهر فنهب وهزم من بها من اصحاب علي ، وبعث سفيان بن عوف إلى هيت والأنبار فنهب ورجع بما بها من المال إلى معاوية ، وسير عبد الله بن سعد الفزاري إلى الحجاز فجهز علي رضي الله عنه اليه خيلاً فالتقوه بتيه (١) فانهزم أصحاب معاوية ولحقوا بالشام . كل هذا وعلي يخطب الخطب البليغة ويجتهد على الخروج لقتال معاوية وعسكره يتقاعد عنه .

سنة تسع وثلاثين :

ودخلت والأمر على ما هو عليه . وفيها : بعث عبد الله بن عباس وهو عامل البصرة زياداً إلى فارس ، فأصلح ما اختل منها بسبب قتال علي ومعاوية وضبطها حتى قالت الفرس : ما رأينا مثل سياسة انوشروان إلا سياسة هذا العربي .

سنة اربعين :

دخلت وكل واحد من علي ومعاوية يقنت ويدعو على الآخر واصحابه . وفيها بعث معاوية بسر بن ارطاة في عسكره إلى الحجاز ، فهرب ابو ايوب الأنصاري عامل علي على المدينة ولحق بعلي ، وسفك بسر بها الدماء واستكره الناس على بيعة معاوية ، ثم سار إلى اليمن وقتل الوفاً ، فهرب منه عبيد الله بن العباس عامل علي باليمن ، فوجد لعبيد الله ابنين صبيين فذبحهما وأتى بعظيمة فقالت امهما عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان تبكيهما :

| | |
|---------------------------|---------------------------------|
| ها من أحسن ابني الذين هما | كالدرتين تشظى عنها الصدف |
| ها من أحسن ابني الذين هما | قلبي وسمعي فقلبي اليوم يختطف |
| من دلّ والهة حرّتي مدلهمة | على صبيين ذلاً إذ غدا السلف |
| خبرت بسرأوما صدقت مازعموا | من افكته ومن القول الذي اقترفوا |

(١) تيه انظر ص ٢٦٧ من الثاني للصحاح .

مقتل علي رضي الله عنه

قيل : اجتمع ثلاثة من الخوارج وهم : عبد الرحمن بن ملجم المرادي وعمرو ابن بكير التميمي والبرك بن عبد الله التميمي وقيل : اسمه الحجاج ، فذكروا اخوانهم من المارقة المقتولين بالنهروان فقالوا : لو قتلنا أئمة الضلالة أرحنا منهم العباد ، فقال ابن ملجم : أنا اكفيكم علياً ، وقال البرك : أنا اكفيكم معاوية ، وقال عمرو بن بكير : أنا اكفيكم عمرو بن العاص . وتعاهدوا أن لا فرار وسحبوا سيوفاً مسمومة ، وتواعدوا لسبع عشرة تمضي من رمضان منها .

واتفق مع ابن ملجم وردان من تيم الرباب ، وشبيب من اشجع ، ووثبوا على علي رضي الله عنه وقد خرج إلى صلاة الغداة ، فضربه شبيب فوق سيفه في الطاق فهرب شبيب ونجا ، وضرب ابن ملجم في جبهته ، وهرب وردان فأمسك ابن ملجم واحضر مكتوفاً بين يدي علي رضي الله عنه .

ودعا الحسن والحسين وقال : أوصيكما بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا ، ولا تبكيا على شيء زوي عنكما منها ، ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض (١) .
وأما البرك فوثب على معاوية تلك الليلة وضربه بالسيف فوقع في إليه

(١) قال الاسفراييني في معالم الاسلام : روى عمار ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى علياً قائماً في بعض الغزوات على التراب فقال : مالك يا ابا تراب ، ثم قال : ألا حدثتكم بأشقى الناس ؟ رجلين ، قلنا بلى ، قال : اجثم ثمود والذي يضربك بأعلى هذه - فوضع يده على قرنه - حتى تبطل منك هذه واخذ بلحيته ، وفي رواية انه قال لعلي : انك لا تموت حتى تؤمر فإذا امرت خضبت هذه من هذه ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : يقتلك أشقى مراد .

ويروى : ان علياً رضي الله عنه كان اذا رأى ابن ملجم يقول له : يا أشقاها متى تخضب هذه من هذه ثم ينشد :

اريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

والله أعلم - المؤلف -

فأمسكوه ، فقال معاوية : اني ابشرك فلا تقتلني ، فقال : بماذا ؟ قال : ان رفيقي قتل علياً هذه الليلة ، فقال معاوية : لعله لم يقدر عليه ، قال : بلى ان علياً ليس معه من يحرسه ، فقتله معاوية .

وأما عمرو بن بكير فجلس تلك الليلة لابن العاص فلم يخرج للصلاة ، وأمر خارجة بن أبي حبيبة صاحب شرطته أن يصلي بالناس فخرج ، فشدّ عليه عمرو بن بكير فقتله وهو يظنه ابن العاص ، فأخذوه إلى عمرو فقال : من هذا؟ قالوا : عمرو ، أنا من قتلت ؟ قالوا : خارجة ، فقال : اردت عمراً واراد الله خارجة .

ولما مات علي رضي الله عنه أخرج ابن ملجم من الحبس ، فقطع عبد الله بن جعفر يده ثم رجله ، وكجحت عيناه بمسار محمى وقطع لسانه وأحرق . ولعمران ابن حطان الخارجي كاذباً مخزياً :

يا ضربة من ولي ما أراد بها
اني لأذكره يوماً فأحسبه
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
أوفى البرية عند الله ميزانا

قلت : ولأبي الطبري صادقاً مهدياً :

يا ضربة من شقي ما اراد بها
اني لأذكره يوماً فألعنه
إلا ليهدم للاسلام أركاننا
لذاك ألعن عمران بن حطانا

ولبعضهم :

وليتها إذ فدت عمراً بخارجة
فدت علياً بمن شامت من البشر

وعمر علي رضي الله عنه قيل : ثلاث وستون ، وقيل : خمس وستون ، وقيل : تسع وخمسون . وخلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر . وقبره قيل : فيما يلي قبلة المسجد بالكوفة ، وقيل : عند قصر الامارة ، وقيل : حوله الحسن

إلى المدينة إلى البقيع عند فاطمة رضي الله عنهم . قال المؤلف رحمه الله :
والأصح الذي ارتضاه ابن الأثير وغيره : انه بالنجف .

صفته رضي الله عنه :

كان شديد الادمة عظيم العينين بطيناً أصلع عظيم اللحية كثير شعر الصدر
ماثلاً إلى القصر حسن الوجه لا يغير شيبه ، كثير التبسم ، كان حاجبه مولاه قنبر
وصاحب شرطته نفيل بن قيس الرباحي ، وقاضيه شريحاً ، استقضاه عمر
بالكوفة واشتهر بها إلى أيام الحجاج .

وأول أزواج علي رضي الله عنه فاطمة لم يتزوج عليها في حياتها وولدت له
الحسن والحسين ومحسناً مات صغيراً وزينب وأم كلثوم زوجة عمر بن الخطاب .
وبعد وفاة فاطمة تزوج أم البنين بنت حزام الكلابية فولدت له العباس ، وجعفرأ
وعبدالله وعثمان ، قتل الأربعة مع الحسين ولم يعقب منهم غير العباس ، وتزوج
ليلي بنت مسعود بن خالد النهشلي التميمي وولدت له عبدالله وأبا بكر قتلا مع
الحسين أيضاً ، وتزوج أسماء بنت عميس وولدت له محمداً الأصغر ويحيى ولا
عقب لهما ، وولد له من الصهباء بنت ربيعة الثعلبية من سبي خالد بعين النهر عمر
ورقية ، وعاش عمر المذكور خمساً وثمانين سنة وحاز نصف ميراث أبيه ومات
بينبع وله عقب . وتزوج علي أيضاً أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد
شمس بن عبد مناف وأما زينب بنت رسول الله ﷺ وولدت له محمد الأوسط
ولا عقب له . وولد له من خوله بنت جعفر الحنفية محمد الأكبر بن الحنفية
وله عقب .

وكان له بنات من أمهات شقي منهن أم حسن ورملة الكبرى من أم سعيد
بنت عروة ، ومن بناته أم هانئ وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى
وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأميمة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر
وجمانة ونفيسة فبنوه الذكور كلهم أربعة عشر لم يعقب منهم إلا خمسة الحسن
والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس وعمر .

شيء من فضائله رضي الله عنه :

من ذلك : مشاهدته مع رسول الله ، وأخوة رسول الله له ، وسبق إسلامه وقوله ﷺ يوم خيبر : لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله الحديث وقوله : من كنت مولاه فعلي مولاه ، وقوله ﷺ : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ وقوله ﷺ : أقضاكم علي .

وحاكم نصرانياً في درع إلى شريح ، فقال شريح لعلي : ألك بينة ؟ قال : لا وهو يضحك ، فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيراً ، ثم عاد وقال : أشهد أن هذه احكام الأنبياء ، ثم أسلم واعترف بسقوط الدرع من علي ، ففرح بإسلامه . ووهبه الدرع وفرساً وشهد معه الخوارج فقتل وحمل سلعته في يده .

وكان يقسم ما في بيت المال كل جمعة ، ودخل مرة بيت المال فوجد الذهب والفضة فقال : يا صفراً اصفرّي ويا بيضاً ابيضّي وغري غيري لا حاجة لي فيك . وقصده أخوه لأبيه وأمه عقيل يسترفده فلم يجد عنده ما يطلب فلحق بمعوية وكان مع معاوية يوم صفين فقال له معاوية يمازحه : يا أبا يزيد أنت اليوم معنا ، قال : ويوم بدر كنت ايضاً معكم ، وكان عقيل يوم بدر مع المشركين هو والعباس .

بيعة الحسن رضي الله عنه :

وبعد وفاة علي ﷺ بويع الحسن ابنه ، فكتب إليه عبد الله بن عباس من مكة يحضه على جهاد عدوه ، وكان ابن عباس قد أخذ من البصرة مالاً ولحق بمكة قبل مقتل علي ، وأول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة فقال : ابسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله وقتال المخالفين ، فقال الحسن : على كتاب الله وسنة رسوله فانها ثابتان ، وبايعه الناس . وكان الحسن يشترط انهم سامعون مطيعون تسالمون من سالمات وتحاربون من حاربت ، فارتابوا من ذلك فقالوا : ما هذا لكم بصاحب وما يريد القتال .

سنة احدى واربعين :

قيل : ان علياً تجهز قبل موته لقتال معاوية وبايع أربعين ألفاً على الموت فاتفق قتله ، فلما بويغ الحسن بلغه مسير أهل الشام مع معاوية لقتاله ، فتجهز الحسن في ذلك الجيش وسار عن الكوفة في لقاء معاوية ووصل المدائن ، وجعل على مقدمته قيس بن سعد في اثني عشر ألفاً وقيل : بل عبيد الله بن عباس ، وجرى في عسكره فتنة قيل : نازعوا الحسن بساطاً تحته فدخل المقصورة البيضاء بالمدائن ونفر قلبه من ذلك العسكر ، فكتب إلى معاوية واشترط شروطاً إن أجابه إليها سمع وأطاع ، فأجابه معاوية إليها . والشروط : أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة ، وخراج دار ابجراد من فارس ، وأن لا يسب علياً . فلم يجب إلى الكف عن السب ، فطلب أن لا يسب وهو يسمع ، فأجابه وما وفي به ، وقيل : أنه وصله بأربعمائة ألف درهم ولم يصله شيء من خراج دار ابجراد .

ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس ، وجرت بين قيس بن سعد بن عبادة وعبيد الله بن عباس وبين معاوية مراسلات آخرها المبايعة بمن معها وشرطاً أن لا يطالب بالمال ولا دم ، ووفي لها معاوية ، ولحق الحسن بالمدينة واهل بيته .

وقيل : سلم الأمر إلى معاوية في ربيع الأول سنة احدى واربعين ، وقيل : في ربيع الآخر ، وقيل : في جمادى الاولى . وعلى هذا فخلافته^(١) على القبول الأول خمسة أشهر ونحو نصف شهر وعلى الثاني ستة أشهر وكسر .

وأقام الحسن بالمدينة إلى أن توفي بها في ربيع الأول سنة تسع واربعين^(٢) ، ومولده بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة ، وهو أكبر من الحسين بسنة وكان مطلقاً

(١) روى سفينة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضواً . وكان آخر الثلاثين يوم خلع الحسن نفسه من الخلافة .

(٢) وقيل أن زوجته جمعة بنت الأشعث سمته ، قيل : بأمر معاوية وقيل : بأمر يزيد أطمعها بالتزوج بها ولم يف .

وله خمسة عشر ولداً ذكر أو ثمانى بنات ، كان يشبه ﷺ من رأسه الى سرتة ،
والحسين (١) يشبه النبي ﷺ من سرتة الى قدمه .

وأوصى الحسن أن يدفن عند جده ، فمنع مروان بن الحكم والى المدينة من
ذلك وكادت تكون فتنة بين الأمويين والهاشميين ، فدفن بالبقيع . وبلغ معاوية
موت الحسن فسجد ، فقال بعضهم :

أصبح اليوم ابن هند شامتاً ظاهراً النخوة إذ مات الحسن
يا ابن هند إن تذق كأس الردى تك في الدهر كشيء لم يكن
لست بالباقي فلا تشمت به كل حي للمنايا مرتين

قلت : سئل الشيخ الزاهد محيي الدين النواوي عن قوله ﷺ : الحسن
والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، ما معناه؟ فأجاب بجواب منه معنى الحديث :
أن الحسن والحسين وإن ماتا شيخين فهما سيدا كل من مات شاباً ودخل الجنة
وكل أهل الجنة يكونون في سن أبناء ثلاث وثلاثين ولا يلزم كون السيد في سن
من يسودهم والله أعلم . وقال ﷺ عن الحسن وقد أخذ بيده : ان ابني هذا سيد
وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين . وروى : أنه مر بالحسن والحسين
(رض) وهما يلعبان فطاطاً لها عنقه وحملها وقال : نيم المطية مطيتها ونعم
الراكبان هما .

خلفاء بني أمية

أربعة عشر (١) أولهم معاوية وآخرهم مروان الجعدي ، ملكوا نيفاً وتسعين
سنة ألف شهر تقريباً . قال ابن الأثير : لما سار الحسن رضي الله عنه من الكوفة
عرض له رجل وقال : يا مسود وجوه المؤمنين ، فقال الحسن : لا تعذلني فان

(١) في الصحيح : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : الحسن والحسين سيدا شباب أهل
الجنة وأبوهما خير منها .

رسول الله ﷺ رأى في منامه أن بني أمية ينزون على منبره رجلاً فساءه ذلك ،
فأنزل الله : (إنا أعطيناك الكوثر) و (إنا أنزلناه في ليلة القدر * ليلة القدر
خير من ألف شهر) يملكها بنو أمية .

أخبار معاوية

وهو ابن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف
ابن قصي ، وأمه هند ، ويكنى أبا عبد الرحمن ، بويبع يوم الحكمين وقيل :
ببيت المقدس بعد قتل علي رضي الله عنه ، وبويبع ثانياً البيعة الثانية يوم خلع
الحسن نفسه واستمر .

سنة اثنتين وأربعين وسنة ثلاث وأربعين :

وفيهما توفي عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سعيد بن سهم
بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي كان في الجاهلية من الثلاثة
الهاجين لرسول الله ﷺ وهم عمر والمذكور وأبو سفيان بن حرب وعبد الله بن
الزبير وكان يجيبهم ثلاثة حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن
مالك وكانت مصر طعمة لعمرو بعد رزق جندها حسب شرطه الذي تقدم
وفي ذلك يقول عمرو :

معاوي لا اعطيك ديني ولم أنل به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصرأ فتربح بصفقة اخذت بها شيخاً يضر وينفع
وولي معاوية مصر بعد موت عمرو ابنه عبد الله ثم عزله .

سنة أربع وأربعين :

وفيهما استلحق معاوية زياد بن سمية أمة الحارث بن كلدة الثقفي زوجها
بعبد رومي له اسمه عبيد فولدت زياداً على فراشه وكان ابو سفيان في الجاهلية
قد وقع عليها بالطائف ووضعت زياداً سنة الهجرة ونشأ فصيحاً حضر به حضر
جمع من الصحابة في خلافة عمر فقال عمرو بن العاص لو كان هذا الغلام من قريش

لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان لعلي رضي الله عنه اني لأعرف من وضعه
في رحم أمه فقال علي ومن هو يا أبا سفيان ؟ فقال أنا فقال مهلاً يا أبا سفيان .
قلت : فقال أبو سفيان شعراً :

أما والله لولا خوف شخص يراني يا علي من الأعداي
لاظهر سره صخر بن حرب ولم تكن المقالة عن زياد
وقد طالت مجاملي ثقيفاً وتركى فيهم ثمر الفؤاد

ولما لم يصرح زياد بشهادة الزنا على المغيرة كما تقدم صارت له عنده يد يعظمه
بها ثم استعمل علي زيادا على فارس ولما سلم الحسن الامر الى معاوية منع
زياد بفارس الطاعة فأهم معاوية أمره خوفاً أن يدعو إلى أحد من بني هاشم
فيعيد الحرب وقدم المغيرة عامل معاوية بالكوفة على معاوية سنة اثنتين وأربعين
فشكى إليه امتناع زياد بفارس فتوجه المغيرة بامانه إلى زياد فاحضره وبايع
معاوية وفي سنة أربع وأربعين استلحق معاوية زياداً وأعظم الناس ذلك
خصوصاً بنو أمية حتى قال عبد الرحمن أخو مروان بن الحكم في ذلك (١) :

ألا بلغ معاوية بن حرب مغلغلة عن الرجل اليماني
أتغضب ان يقال ابوك عف وترضى أن يقال أبوك زاني
وأشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الاتان

ثم ولى معاوية زياداً البصرة مع خراسان وسجستان ثم الهند والبحرين .
وفيهما توفيت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ .

سنة خمس وأربعين :

وفيهما قدم زياد إلى البصرة فأكد الملك لمعاوية وتوفي المغيرة سنة خمسين
فاضاف معاوية الكوفة إلى زياد ايضاً وهو أول من سير بين يديه بالحرايب

(١) في تاريخ ابن خلكان أن الأبيات ليزيد بن مفرع .

والعمد واتخذ الحرس خمسمائة وسب زياد علياً كما كانت عاداتهم فقام حجر بن عدي واثنى على علي فأوثقه وجهزه إلى معاوية^(١) .

وفيها توفي عبدالرحمن بن خالد بن الوليد مال أهل الشام اليه فقبل أن معاوية دس إليه سمّاً مع نصراني يقال له اثال .

سنة ست وأربعين وسنة سبع وأربعين :

وفيها توفي قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر وفد على النبي في بني تميم فأسلم وكان قيس موصوفاً بكمارم الأخلاق .

سنة ثمان وأربعين :

وفيها بعث معاوية جيشاً مع سفيان بن عوف فحاصروا القسطنطينية ومن الجيش ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري وتوفي هذا ودفن قريباً من سورها شهد أحداً وبدراً ومع علي صفين وغيرها .

سنة تسع وأربعين وسنة خمسين :

وفيها بنيت القيروان وكملت سنة خمس وخمسين كانت أجمة مشتبكة فبناها عقبه بن نافع الصحابي عامل معاوية على أفريقية وفيها توفي دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي من كلب بن وبرة أسلم قديماً ولم يشهد بدراً قال صلى الله عليه وسلم أشبه من رأيت يجربل دحية الكلبي .

سنة إحدى وخمسين :

وفيها توفي سعيد بن زيد من العشرة المشهود لهم بالجنة .

(١) روى ابن الجوزي بإسناده عن الحسن البصري ما معناه انه استفزع من معاوية اخذه الخلافة بلا مشاورة واستخلافه يزيد واستلحاقه زياداً وقتله حجر بن عدي وأصحابه وكان حجر من أعظم الناس ديناً قتل بعدد ظاهراً دمشق .

سنة اثنتين وخمسين وثلاث وخمسين :

وفيهما ملك زياد بن أبيه في رمضان من آكلة في أصبعه ومولده سنة الهجرة .

سنة أربع وخمسين وخمس وخمسين وست وخمسين :

وفيهما : ولي معاوية سعيد بن عثمان بن عفان خراسان فقطع جيحون إلى سمرقند والصفد وهزم الكفار وفتح ترمذ صلحاً وقتل معه قثم بن العباس ودفن بسمرقند ومات أخوه عبد الله بن العباس بالطائف والفضل بالشام ومعبداً بفريقية فيقال لم ير قبور أخوة أبعد من قبور هؤلاء .

وفيهما بايع معاوية الناس ليزيد بولاية عهده وبايعه أهل الشام والعراق وأراد مروان بن الحكم عامه بالمدينة البيعة له فامتنع الحسين منها وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير وامتنع الناس لامتناعهم ثم قدم معاوية الحجاز بألف فارس وبايع ليزيد أهل الحجاز إلا المذكورين وقال معاوية ليزيد إني مهدت لك الأمور ولم يبق أحد لم يبايعك غير هؤلاء الأربعة فأما عبد الرحمن فرجل كبير مماته اليوم أوغداً وأما ابن عمر فإنه رجل قد غلب عليه الورع وأما الحسين فله قرابة فان ظفرت به فاصفح عنه وأما ابن الزبير فان ظفرت به فقطعه إرباً إرباً .

سنة سبع وسنة ثمان وخمسين :

وفيهما توفيت أم المؤمنين عائشة زوج النبي ﷺ وأخوها عبد الرحمن .

سنة تسع وخمسين :

وفيهما توفي سعيد بن العاص ولد عام الهجرة والعاص قتل كافراً ببدر وكان سعيد جواداً . وفيها مات الخطيئة جرول بن مالك لقب بالخطيئة لقصره أسلم ثم ارتد ثم أسلم وفيها توفي أبو هريرة . قلت واسمه عبد الرحمن بن صخر على الأصح من نحو ثلاثين قولاً كنى بهريرة كانت له وكان مكثراً غير متهم .

سنة ستين :

فيها توفي معاوية في رجب وخلافته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرون يوماً من مبايعة الحسن وعمره خمس وسبعون سنة وقيل سبعون وانشد وقد تجلد للعائدين :

وتجلدي للعائدين اريهم أني لريب الدهر لا أتضع

فأنشد رجل :

وإذا المنية انشبت اظفارها ألفت كل تيمة لا تنفع
خرج الضحاك بن قيس فصعد المنبر واثني عليه ثم صلى عليه ثم حضر يزيد
من قرية حوارين من عمل حمص فصلى على قبره .

أخبار معاوية

أسلم مع أبيه عام الفتح واستكتبه النبي ﷺ واستعمله عمر على الشام أربع سنين من خلافته وأقره عثمان مدة خلافته نحو اثنتي عشرة سنة وتغلب على الشام محارب علي أربع سنين فكان اميراً وملكاً على الشام نحو أربعين سنة وكانت حلماً ذا هيبه يقهر حلمه غضبه ويغلب جوده منعه حتى روي أن أروي بنت الحارث ابن عبد المطلب دخلت عليه وهي عجوز كبيرة فقال مرحباً بك ياخاله كيف أنت فقالت بخير يا ابن اخت لقد كفرت النعمة وأسأت لابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقلك وكنا أهل البيت أعظم الناس في هذا الدين بلاء حتى قبض الله نبيه مشكوراً سعيه مرفوعاً منزلة فوثبت علينا بعده تيم وعدي وأميه فابتزونا حقنا ووليتم علينا فكنا فيكم بمنزلة بني اسرائيل في آل فرعون وكان علي بن أبي طالب بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى فقال لها عمرو بن العاص كفي أيتها العجوز الضالة وأقصري عن قولك مع ذهاب عقلك فقالت: وأنت يا ابن النابغة تتكلم وذكركه وأمه بشين فقال لها معاوية عفا الله عما سلف هاتي حاجتك فقالت أريد الفي دينار لاشتري بها عينا فواره في أرض

حراره تكون لفقراء بني الحارث بن عبد المطلب وألفي دينار أخرى أزوج
بها فقراء بني الحارث وألفي دينار أخرى أستعين بها على شدة الزمان فأمر لها
بسته آلاف دينار وانصرفت .

وهو أول من بايع لولده وأول من وضع البريد وأول من عمل المقصورة في
المسجد وأول من خطب جالساً في قول بعضهم وأنكر على عبد الله بن جعفر بن
أبي طالب سماع الأوتار والغناء وهو رأي أهل المدينة فدخل إلى معاوية
ببديح^(١) فغنى بشعر يحبه معاوية وهو :

يا لبينى أوقدي النارا ان من تهوين قد حارا
رب نار بت أرمقها تقضم الهندي والغارا
ولها ظبي يؤججها عاقد في الخصر زنارا

فطرب معاوية وضرب برجه فقال ابن جعفر مه يا أمير المؤمنين فقال معاوية
ان الكريم طروب .

أخبار يزيد بن معاوية :

ثاني خلفائهم . أمه ميسون بنت بجدل الكلبيه ، بويع بالخلافة لما مات أبوه
في رجب سنة ستين وأرسل إلى عامله بالمدينة بالزام الحسين وعبد الله بن الزبير
وابن عمر بالبيعة فأما ابن عمر فقال ان أجمع الناس على بيعته بايعته وأما الحسين
وابن الزبير فلحقا بمكة ولم يبايعا وأرسل عامل المدينة جيشاً مع عمرو بن الزبير
وكان شديد العداوة لأخيه عبد الله بن الزبير ليقاتله فانتصر عبد الله وهزم الجمع
وحبس أخاه عمراً حتى مات في حبسه .

أهل الكوفة يدعون الحسين :

وورد على الحسين مكاتبات أهل الكوفة بالمسير إليهم ليبايعوه وكان عاملها
النعمان بن بشير فارس الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل ليأخذ البيعة عليهم

(١) اسم مفعول مشهور .

فقيل بايعه بها ثلاثون ألفاً وقيل ثمانية وعشرون ألفاً ، وبلغ يزيد عن النعمان بن بشير كلام لا يرضيه فولى الكوفة عبيد الله بن زياد والى البصرة ، فقدم الكوفة ورأى ما الناس عليه فخطب وحث على طاعة يزيد . ثم اجتمع الى مسلم بن عقيل من كان بايعه للحسين وحصروا عبيد الله بن زياد بقصره ومعه ثلاثون رجلاً فأمرهم أن يشرفوا من القصر ويمنعوا أهل الطاعة ويخذلوا أهل المعصية ، فكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها فتقول : انصرف ان الناس يكفونك . فتفرق الناس عن مسلم وبقي معه ثلاثون رجلاً فاستتر ونادى منادي عبيد الله بن زياد : من أتى مسلم بن عقيل فله ديبته . فأمسك مسلم وأحضر إليه فشتمه وشتم الحسين وعلياً ، وضرب عنقه تلك الساعة لثمان مضيئ من ذي الحجة منها ، ورميت جثته من القصر .

ثم جهز برأسه ورأس صاحبه هانيء بن عروة الى يزيد وأخذ الحسين في التوجه من مكة الى العراق ، فقال عبد الله بن عباس : يا ابن العم إني أخاف عليك أهل العراق فإنهم قوم غدر ، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز وإن أبيت إلا أن تخرج فسر الى اليمن فإن بها شيعة لأبيك وبها حصون وشعاب . فقال : يا ابن العم أعلم والله أنك ناصح مشفق ، ولقد أزمعت وأجمعت .

خروج الحسين (رض) الى الكوفة ومقتله :

خرج الحسين من مكة يوم التروية سنة ستين في جمائع ، وبلغه مقتل مسلم بن عقيل فأعلم من معه بذلك وقال : من أحب أن ينصرف فلينصرف . فتفرقوا عنه يميناً وشمالاً . ولما وصل الحسين الى مكان اسمه شراف وصل إليه الحر صاحب شرطة عبيد الله بن زياد في ألفي فارس ، وقاتلوا الحسين في حر الظهيرة . فقال له الحسين : ما أتيت إلا بكتبكم فإن رجعت رجعت من هنا . فقال له : إنا أمرنا أن لا نفارقك حتى نوصلك الكوفة بين يدي عبيد الله . فقال الحسين : الموت أهون من ذلك . وما زالوا حتى سار مع صاحب شرطة ابن زياد .

سنة احدى وستين :

وفيهما قتل الحسين رضي الله عنه ، ورد كتاب ابن زياد يأمر الحر أن ينزل الحسين ومن معه على غير ماء فأنزلهم بكر بلا يوم الخميس ثاني المحرم منها وفي الغد قدم من الكوفة عمرو بن سعد بن أبي وقاص بأربعة آلاف فارس ، أرسله ابن زياد لحرب الحسين ، فسأله الحسين أن يمكن إما من العود من حيث أتى وإما أن يجهز الى يزيد بن معاوية وإما أن يمكن أن يلحق بالثغور ، فكتب عمرو الى ابن زياد يسأل أن يجاب الحسين الى أحد هذه الأمور . فقال ابن زياد : لا ولا كرامة وأرسل مع شمر بن ذي الجوشن الى عمرو بن سعد : إما أن تقاتل الحسين وتقتله وتوطىء الخيل جثته وإما أن تعزل ويكون على الجيش شمر . فقال عمرو بن سعد : بل أقاتله .

ونفض عشية الخميس تاسع المحرم منها والحسين أمام بيته بعد صلاة العصر ، فلما قرب الجيش منه سأهم مع أخيه العباس أن يمهلوه الى الغد وانه يجيبهم الى ما يختارونه فأجابوه . فقال الحسين لأصحابه : إني قد أذنت لكم فانطلقوا في هذا الليل وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم . فقال أخوه العباس : لا تفعل ذلك لنبقى بعدك ، لا أرانا الله ذلك أبداً . ثم تكلم إخوته وبنو أخيه وبنو عبد الله ابن جعفر نحو ذلك . وبات الحسين وأصحابه يصلون الليل كله ويدعون .

فلما أصبحوا ركب عمرو بن سعد في أصحابه ، وذلك يوم عاشوراء منها ، وعسى الحسين أصحابه وهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً .

ثم حملوا على الحسين وأصحابه واستمر القتال الى وقت الظهر ، فصلى الحسين وأصحابه صلاة الخوف واشتد بالحسين العطش فتقدم ليشرب فرمي بسهم فوقه في فمه ، ونادى شمر : ويحكم ! ما تنتظرون بالرجل اقتلوه . فضربه زرعة بن شريك على كتفه ، وضربه آخر على عاتقه وطعنه سنان بن انس النخعي بالرمح فوقه فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه . وقيل : بل شمر احتز رأسه وجاء به الى

عمرو بن سعد ، فأمر عمرو جماعة فوطئوا صدر الحسين وظهره بخيولهم ثم بعث بالرووس والنساء والأطفال الى عبيد الله بن زياد ، فجعل ابن زياد يقرع فم الحسين بقضيب . فقال له زيد بن أرقم : إرفع هذا القضيب ، فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين . ثم بكى .

وروي أنه قتل مع الحسين من أولاد علي أربعة هم العباس وجعفر ومحمد وأبو بكر ، ومن أولاد الحسين أربعة ، وقتل عدة من أولاد عبد الله بن جعفر ومن أولاد عقيل . ثم بعث ابن زياد بالرووس والنساء والأطفال الى يزيد بن معاوية فوضع يزيد رأس الحسين بين يديه واستحضر النساء والأطفال .

ثم أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم وأن يبعث معهم أمينا ويوصلهم الى المدينة (١) ، ولما وصلوا المدينة لقيهم نساء بني هاشم حاسرات وفيهن ابنة عقيل بن أبي طالب وهي تبكي وتقول :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
منهم أسارى وصرعى ضرجوا بدم
أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

قلت : وما قلت في ذلك مضمناً عجز بيت من الحماسة .

أرأس السبط ينقل والسبايا
وما لي غير هذا السبي ذخري
يطاف بها وفوق الأرض رأس
والله أعلم .

والصحيح : أن عمره رضي الله عنه وعنا بهم خمس وخمسون سنة وأشهر ،

(١) قيل ان رأس الحسين جهز الى المدينة ودفن عند أمه ، وقيل : بباب الفراديس . وقيل : ان خلفاء مصر نقلوا من عسقلان رأساً الى القاهرة ودفنوه بها وبنوا له مشهد الحسين .

قيل : انه حج خمسا وعشرين حجة ماشياً ، وكان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة .

قلت : قال صاحب معالم الإسلام : روي عن أنس بن الحارث أن النبي ﷺ قال : ان ابني هذا - يعني الحسين - يقتل بأرض يقال لها كربلا ، فمن شهد ذلك منكم فلينصره . فخرج أنس بن الحارث الى كربلا فقتل مع الحسين (رض)

سنة اثنتين وستين وثلاث وستين :

وفيهما اتفق أهل المدينة على خلع يزيد ، وأخرجوا نائبه عثمان بن محمد بن أبي سفيان منها ، فجهز يزيد جيشاً مع مسلم بن عقبة وأمره بقتال أهل المدينة ، فإذا ظفر بها أباحها للجند ثلاثة أيام يسفكون فيها الدماء ويأخذون الأموال ، وأن يبايعهم على أنهم خول وعبيد ليزيد ، وإذا فرغ يسير الى مكة . فسار مسلم ونزل المدينة من جهة الحرة في عشرة آلاف فارس من أهل الشام . وأصر أهل المدينة من المهاجرين والأنصار وغيرهم على قتاله ، وعملوا خندقاً واقتتلوا ، فقتل الفضل بن العباس وربيعه بن الحارث بن عبد المطلب وجماعة من الأشراف والأنصار ، ثم انهزم أهل المدينة ، واستباح مسلم المدينة حسب وصية يزيد^(١) .

وكانت الواقعة لثلاث بقين من ذي الحجة منها ، ثم بايع من بقي من الناس على أنهم خول وعبيد ليزيد . وسار الى مكة وكان مريضاً فمات قبل وصوله ، واستتاب في الجيش الحصين بن نمير السكوني في المحرم سنة أربع وستين ، فقدم الحصين مكة وحاصر عبد الله بن الزبير أربعين يوماً حتى جاءهم الخبر بموت يزيد بعد رمي البيت الحرام بالمنجنيق وإحراقه بالنار . ولما علم الحصين بموت يزيد قال لابن الزبير : من الرأي أن ندع دماء القتلى بيننا واقبل لأبايعك واقدم الى

(١) عن الزهري : ان قتلى الحرة كانوا سبعمائة من وجوه الناس من قريش والمهاجرين والأنصار ، وعشرة آلاف من وجوه الموالي ممن لا يعرف .

الشام . فامتنع ابن الزبير من ذلك ، فارتحل الحصين راجعاً الى الشام ، ثم قدم ابن الزبير على عدم الموافقة ، وسار مع الحصين من كان بالمدينة من بني أمية الى الشام .

وفيها - أي سنة أربع وستين - توفي يزيد بجوارين (من عمل حمص) لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، وخلافته ثلاث سنين وستة أشهر ، كان آدم جعداً أحور العين بوجهه أثر جدري ، حسن اللحية خفيفها طويلاً ، له عدة بنين وبنات ، أقام يزيد مع أمه ميسون بين أهلها في البادية ، وتفصح وشعر ببادية بني كلب وسبب ذلك أن معاوية سمعها تنشد :

| | |
|------------------------|-----------------------|
| للبس عباءة وتقر عيني | أحب إلي من لبس الشفوف |
| وبيت تخفق الأرواح فيه | أحب إلي من قصر منيف |
| وبكر يتبع الأظمان صعب | أحب إلي من بغل زفوف |
| وكلب ينبح الأضياف دوني | أحب إلي من هر ألوف |
| وخرق من بني عمي فقير | أحب إلي من عالج عنيف |

فقال : ما رضيتيني يا ابنة بجدل حتى جعلتيني عجباً عنيفاً الحقى بأهلك ، فمضت إليهم ويزيد معها .

أخبار معاوية بن يزيد :

ولما توفي يزيد ببيع ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ثالث خلفائهم في رابع عشر ربيع الأول منها ، كان شاباً ديتناً ، ولي ثلاثة أشهر ، وقيل أربعين يوماً ، ومات وعمره إحدى وعشرون سنة بعد أن جمع الناس وقال : قد ضعفت عن أمركم ولم أجد لكم مثل عمر بن الخطاب لأستخلفه ولا مثل أهل الشورى ، فأنتم أولى بأمركم فاختراروا من أحببتهم . ثم دخل منزله وتغيب فيه حتى مات . وقيل : أوصى أن يصلي الضحاك بن قيس حتى يقوم لهم خليفة .

أخبار ابن الزبير :

ولما مات يزيد بن معاوية بويع ابن الزبير بمكة ، فقصد مروان بن الحكم المسير إليه من المدينة لمبايعته ، ثم توجه الى الشام مع بني أمية . وقيل : كتب ابن الزبير الى عامله بالمدينة أن لا يترك بها أحداً من بني أمية ، وهرب عبيد الله ابن زياد من البصرة الى الشام . وبايع أهل البصرة ابن الزبير واجتمعت له العراق والحجاز واليمن ، وبايعه أهل مصر ، وبايع له في الشام سرّاً الضحاک بن قيس ، والنعمان بن بشير بجمص ، وزفر بن الحارث الكلابي بقنسرین ، وكاد يتم له الأمر بالكلية ، وكان شجاعاً عابداً لكن مع بخل وضعف رأي .

وأقام مروان بن الحكم بالشام في أيام ابن الزبير ، واجتمعت بنو أمية وصار الناس بالشام فرقتين : اليمانية مع مروان والقيسية مع الضحاک بن قيس مبايعين لابن الزبير . وآخر ذلك : ان الفريقين اقتتلوا بمرج راهط في الغوطة - إحدى المنتزهات الأربعة - وانهمز الضحاک والقيسية وقتل الضحاک وجمع كثير من فرسان قيس . ونادى منادي مروان : ان لا يتبع أحد منهمزماً . ودخل مروان دمشق ونزل بدار معاوية بن أبي سفيان واجتمع عليه الناس ، وتزوج أم خالد ابن يزيد بن معاوية لخوفه من خالد . وبلغ النعمان بن بشير بجمص هزيمة القيسية ، فخرج هارباً بامرأته وأهله ، فقتلوه ورجعوا برأسه وأهله الى حمص . وبلغ زفر ابن الحارث بقنسرین فخرج منها وأتى قرقيسيا فغلب عليها . واستوثق الشام لمروان ، وسار فملك مصر ورجع الى دمشق . وفيها مالت حيطان الكعبة زاد الله شرفها من ضرب المنجنيق ، فهدمها عبد الله بن الزبير وحفر أساسها وأدخل الحجر فيها وأعادها كما كانت أولاً .

سنة خمس وستين :

وفيها خنقت أم خالد بن يزيد زوجها مروان بن الحكم وصاحت مات مروان فجأة ، لثلاث خلون من رمضان ، ودفن بدمشق وعمره ثلاث وستون سنة ،

وخلافته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً . ولما مات مروان بويع عبد الملك ابنه خامس خلفائهم في ثالث رمضان منها عقب موت أبيه ، وتم أمره بالشام ومصر وأتته الخلافة وهو قاعد يقرأ في المصحف في حجرة ، فأطبقه وقال : هذا آخر العهد بك .

سنة ست وستين :

فيها خرج المختار بن عبيد الله الثقفي بالكوفة طالباً بدم الحسين (رض) في جمع كثير واستولى عليها ، وبايعوه بها على كتاب الله وسنة رسوله والطلب بدم أهل البيت ، وتجرد المختار لقتل قتلة الحسين وظفر بشمر فقتله ، واحتاط بدار خولي الأصبحي صاحب رأس الحسين وقتله وأحرقه ، وقتل عمرو بن سعد بن أبي وقاص صاحب الجيش ، وسعد بن عمرو المذكور وبعث برأسيهما إلى محمد بن الحنفية بالحجاز في ذي الحجة منها . ثم اتخذ المختار كرسيًا وادعى أن فيه سرًا وأنه لهم مثل التابوت لبني إسرائيل . ولما أرسل المختار بالجنود لقتال عبيد الله ابن زياد خرج بالكرسي على بغل يحمه في القتال .

سنة سبع وستين :

وفيها استولى المختار على الموصل وقدم على الجيش ابراهيم بن الأشتر النخعي فقاتلوا جيش عبيد الله بن زياد ، فقتل عبيد الله بن زياد وانهمزم أصحابه وغرق كثير منهم في الزاب ، قتله ابن الأشتر في المعركة وأحرق جثته وبعث برأسه وعدة من رؤوس أصحابه إلى المختار ، وانتقم الله للحسين (١) بالمختار وإن لم تكن نية المختار .

وفيها ولي ابن الزبير أخاه مصعباً البصرة ، ثم سار مصعب من البصرة بعد

(١) في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله قتل بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً وروعدني أن يقتل بابني هذا - يعني الحسين - سبعين ألفاً ، وكان كما قال . والله أعلم (المؤلف).

أن جاء له المهلب بن أبي صفرة من خراسان بمال وعسكر كثير ، فساروا جميعاً الى قتال المختار بالكوفة ، فالتقاهما المختار بمجموعة فهزم المختار وأصحابه بعد قتال شديد ، وحصر المختار في قصر الامارة بالكوفة ، ودخلها مصعب وحاصر المختار ، فقاتل المختار حتى قتل في رمضان منها وعمره سبع وستون ، ثم نزل أصحابه على حكم مصعب فقتل الكل وكانوا سبعة آلاف .

وفيها - وقيل سنة إحدى وسبعين ، وقيل : تسع وستين ، وقيل : ثمان وستين - توفي بالكوفة الأحنف أبو بحر الضحاك ابن قيس بن معاوية بن حصين ابن عبادة يضرب المثل بحلمه ، سيد قومه ، موصوف بالعقل والعلم والدهاء والذكاء ، أدرك النبي ﷺ ولم يصحبه ، ووفد على عمر فكان من كبار التابعين ، وشهد مع علي صفين ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين ، كان أحنف الرجل يطاءً على جانبها الوحشي ، حضر الأحنف عند معاوية فقام شامياً خطيباً ولعن علياً رضي الله عنه في آخر كلامه ، فقال الأحنف : يا أمير المؤمنين إن هذا القائل لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم ، فاتق الله ودع عنك علياً فقد لقي ربه وأفرد في قبره ، وكان والله الميمونة ثقيبته ، العظيمة مصيبته . فقال معاوية : يا أحنف لقد أغضيت العين على القذى فأيم الله لتصعدن المنبر ولتلعننه طوعاً أو كرها . فقال الأحنف : أوتعفيني فهو خير لك . فألح عليه معاوية ، فقال الأحنف : أما والله لأنصفنك في القول . قال : وما أنت قائل ؟ قال : أحمد الله بما هو أهله وأصلي على رسوله وأقول : يا أيها الناس إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن علياً ، ألا وان علياً ومعاوية اختلفا فاقتتلا وادعى كل منهما أنه مبغي عليه فإذا دعوت فأمتنوا ، ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكتك ورسلك وجميع خلقك الباغي منها على صاحبه والعن الفئة الباغية اللهم العنهم لعناً كثيراً ، أمتنوا رحمكم الله ، يا معاوية أقوله ولو كان فيه ذهب روهي ، فأعفاه معاوية من ذلك .

سنة ثمان وستين :

فيها توفي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بالطائف فصلى عليه محمد بن الحنفية ، كان ابن الحنفية مقيماً بالطائف الى أن قدم الحجاج بن يوسف الحجاز . ومولد ابن عباس قبل الهجرة بثلاث سنين ، دعا له النبي ﷺ : اللهم فقهِه في الدين وعلمه الكتاب والتأويل . وكان عمر رضي الله عنه بسميه قارة البحر ، وقارة الخبر ، لعلومه .

سنة تسع وستين وما بعدها الى سنة احدى وسبعين :

وفيها تجهز عبد الملك الى العراق ، وتجهز مصعب بن الزبير لملته ، وأقبل الجمعان فتخلى العراقيون عن مصعب وكانوا قد كاتبوا عبد الملك ، فقاتل مصعب حتى قتل هو وولده بدير الجائليق عند نهر دجيل في جمادى الآخرة منها وعمره ست وثلاثون سنة ، كان صديق عبد الملك قبل خلافته ، وتزوج مصعب سكينه بنت الحسين وعائشة بنت طلحة معاً . ثم دخل عبد الملك الكوفة وبويع واستوثق له ملك العراق .

سنة اثنتين وسبعين :

وفيها جهز عبد الملك الحجاج بن يوسف في جيش الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير ، فسار في جمادى الأولى منها ونزل الطائف ، وجرت بينه وبين أنصار ابن الزبير حروب وكانت الكفرة على أصحاب ابن الزبير ، وآخر ذلك أنه حصر ابن الزبير بمكة ورمى البيت بالمنجنيق ودام الحصار حتى خرجت السنة .

سنة ثلاث وسبعين :

دخلت وابن الزبير محصور ، وقاتل حتى قتل في جمادى الآخرة منها بعد قتال سبعة أشهر ، وعمره نحو ثلاث وسبعين سنة ، وهو أول مولود للمهاجرين

بعد الهجرة ، وخلافته تسع سنين ، وكان كثير العبادة ، مكث أربعين سنة لم ينزع ثوبه عن ظهره . وفيها بعد قتله ببيع لعبد الملك بالحجاز واليمن . وفيها توفي عبد الله بن عمر بن الخطاب بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر وعمره سبع وثمانون .

سنة أربع وسبعين :

وفيها هدم الحجاج الكعبة وأخرج الحجر عن البيت ، وبني البيت على ما كان عليه في زمن النبي ﷺ وهو على ذلك الى الآن .

سنة خمس وسبعين :

وفيها ولي عبد الملك الحجاج العراق ، فسار من المدينة الى الكوفة ، وخرج في أيامه بالعراق شبيب الخارجي وله مع الحجاج حروب كثيرة آخرها أن جموع شبيب تفرقت وتردى به فرسه من فوق جسر ففرق شبيب . وكذلك خرج عبد الرحمن بن الأشعث واستولى على خراسان ، ثم قصد الحجاج وغلب على الكوفة وقويت شوكته ، وفي ذلك يقول بعض أصحابه :

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| شطت نوى من داره بالإيوان | إيوان كسرى ذي القوى والريحان |
| من عاشق أضحى بزابلستان | ان ثقيفاً منهم الكذابان |
| كذابها الماضي وكذاب ثان | إنا سمونا للكفور الفتان |
| حتى طغى في الكفر بعد الإيمان | بالسيد الفطريف عبد الرحمن |
| سار يجمع كالدبى من قحطان | يحفل جم شديد الاركان |
| فقل لحجاج ولي الشيطان | يثبت لجمعي مذبح وهمدان |
| فإنهم ساقوه كأس الدينغان | وملحقوه بقرى ابن مروان |

ثم أمده عبد الملك الحجاج بالجيوش من الشام ، وآخر الأمر : أن جموع عبد الرحمن تفرقت وانهمزم الى ملك الترك ، ثم تهدد الحجاج ملك الترك بالفتو

وطلبه منه ، فقبض عليه ملك الترك وعلى أربعين من أصحابه وبعث بهم الى الحجاج ، فألقى عبد الرحمن في الطريق نفسه من سطح فمات .

سنة ست وسبعين الى احدى وثمانين :

وفيهما توفي أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب بن الحنفية رضي الله عنهما .

سنة اثنتين وثمانين :

وفيهما توفي المهلب بن أبي صفرة الأزدي من الأجواد ، كان الحجاج قد ولاه خراسان ، ومات المهلب بمروروذ واستخلف بعده ابنه يزيد ، أحضر قبل وفاته لأولاده سهاماً وقال : أتكسرونها مجتمعة ؟ قالوا : لا . قال : أتكسرونها متفرقة ؟ قالوا : نعم . قال : هكذا أنتم . وفيها توفي خالد بن يزيد بن معاوية من أسخياء بني أمية وعقلائهم وفصحائهم .

سنة ثلاث وثمانين : وفيها بنى الحجاج واسط .

سنة أربع وسنة خمس وثمانين : فيها توفي عبد العزيز بن مروان بمصر .

سنة ست وثمانين :

وفي نصف شوال منها توفي عبد الملك بن مروان وعمره ستون ، وخلافته منذ قتل ابن الزبير ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر تنقص سبع ليال ، لقب بأبي الذباب لشدة البخر ، ولقب لبخله برشح الحجر . كان حازماً عاقلاً عالماً دينياً حتى تولى ، وفيه يقول الحسن البصري : ما أقول في رجل الحجاج سيئة من سيئاته .

أخبار الوليد بن عبد الملك

ولما توفي عبد الملك ببيع الوليد في منتصف شوال منها بعهد من أبيه إليه

وأغري بالبناء ، وفي أيامه فتوحات كثيرة من الأندلس ومما وراء النهر ، وولى الحجاج خراسان مع العراقيين فتغلغل في بلاد الترك ، وتغلغل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الروم ففتح وسبى ، وفتح محمد بن القاسم الثقفي بلاد الهند . وفيها ولي الوليد بن عمر بن عبد العزيز المدينة ، فقدمها ونزل في دار جده مروان ، ودعا عشرة من فقهاءها وهم : عروة بن الزبير وعبيد الله بن عتبة بن مسعود وأبو بكر بن عبد الرحمن وأبو بكر بن سليمان وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد ابن أبي بكر وسالم بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب وعبيد الله بن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد ، فقال لهم عمر : أريد أن لا أقطع أمراً إلا برأيكم ، فما علمتموه من تعدي عامل أو من ظلامة فعرفوني به فجزوه خيراً .

سنة سبع وثمانين وثمان وثمانين :

وفيها كتب الوليد الى عمر بن عبدالعزيز يأمره بهدم مسجد رسول الله ﷺ وهدم بيوت أزواجه رضي الله عنهن وان يدخل البيوت في المسجد بحيث تصير مساحة المسجد مائتي ذراع في مائتي ذراع وأن يضع أثمان البيوت في بيت المال ، فأجاب أهل المدينة الى ذلك وقدمت الفعلة والصناع من عند الوليد لعمارة المسجد ، وتجرد لذلك عمر بن عبد العزيز . وفيها أمر الوليد ببناء جامع دمشق بأموال تجل عن الوصف .

سنة تسع وثمانين حتى سنة ثلاث وتسعين :

وفيها عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة .

سنة أربع وتسعين :

فيها قتل الحجاج سعيد بن جبير (رض) لكونه خلع الحجاج وصار مع عبد الرحمن بن الأشعث ، أرسل سعيد الى الحجاج من مكة فضرب عنقه ، وكان

اعلام التابعين ، أخذ عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ، وعنه روى القرآن أبو عمرو . وقال الإمام أحمد : قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر الى علمه . وفيها توفي سعيد بن المسيب من كبار التابعين وفقهائهم . وفيها - وقيل سنة خمس وتسعين - : توفي علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب المعروف بزین العابدين ، سلم من القتل إذ قتل أبوه لأنه كان مريضاً على الفراش وكان كثير العبادة ولهذا سمي زين العابدين ، وتوفي بالمدينة ودفن بالبقيع وعمره ثمان وخمسون سنة .

سنة خمس وتسعين .

وفيها توفي الحجاج بن يوسف وعمره أربع وخمسون ، ومدة ولايته العراق نحو عشرين سنة (١) ، كان أخفش رقيق الصوت فصيحاً ، قيل : أحصيت قتلاه فكانوا مائة ألف وعشرين ألفاً .

سنة ست وتسعين :

وفيها في جهادى الآخرة توفي الوليد بن عبد الملك بدير مروان ودفن بدمشق خارج الباب الصغير ، وخلافته تسع سنين وسبعة أشهر ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز بن عمه ، وعمره اثنتان وأربعون وستة أشهر ، كان سائل الأنف جداً وله ثمانية عشر ابناً ، جاءته الصناعات لعمارة جامع دمشق من بلاد الروم وسائر بلاد الإسلام ، وأدخل كنيسة مار يوحنا في جملة الجامع كانت قد سلمت للروم بسبب وقوعها في النصف الذي أخذ صلحاً . وكان لحاناً شكاً اعرابي صهره إليه فقال : ما شأنك بفتح النون ؟ فقال الاعرابي : أعوذ بالله من الشين . فقال سليمان بن عبد الملك : أمير المؤمنين يقول ما شأنك بالضم . فقال الاعرابي :

(١) قال عمر بن عبد العزيز (رض) : لو جاءت كل أمة بمنافقيها وجئنا بالحجاج لفضلناهم . وسيرته وجراسته على الدماء مشهورة .

ختني ظلمي . فقال الوليد : من ختنك ؟ فقال الاعرابي : إنما ختني الحجام
ولست أريد ذا . فقال سليمان : أمير المؤمنين يقول من ختنك بالضم . فقال :
هذا ، وأشار الى خصمه .

وكان عبد الملك فصيحاً وعرف لحن ابنه فقال : أنك يا بني لا تصلح للولاية
على العرب وأنت تلحن ، ووكل به من يعلمه ، فخرج أجهل مما دخل .

سليمان بن عبد الملك :

ولما مات الوليد بويع أخوه سليمان بن عبد الملك سابعهم ، كان بالرملة لمات
الوليد وبلغه الخبر بعد سبعة أيام ، فقدم وأحسن السيرة ورد المظالم^(١) . وفيها
غزا مسلمة بن عبد الملك الروم .

سنة سبع وسنة ثمان وتسعين :

فيها : خرج سليمان بالجيوش ونزل بمرج دابق ، وبعث أخاه مسلمة إلى
قسطنطينية وقال : أقم عليها حتى تفتحها فشتى عليها وزرع الناس بها الزرع
وأكلوه ، وأقام مسلمة قاهراً لهم حتى جاءه الخبر بموت أخيه سليمان . وفيها :
فتح يزيد بن المهلب بن أبي صفرة عامل سليمان على خراسان جرجان وطبرستان .

سنة تسع وتسعين :

فيها : في صفر توفي سليمان بن عبد الملك بدابق من أرض قنسرين مرابطاً
وأخوه مسلمة منازل قسطنطينية ، كان سليمان اسمر طويلاً جميلاً به عرج حسن
السيرة مغرم بالنساء والأكل ، قيل : أكل مرة سبعين رمانة وجدياً وست
دجاجات وكثيراً من الزبيب ثم نام وانتبه فأتوه بالفداء فأكل على عادته .

(١) واعتق سليمان سبعين ألفاً بين مملوك ومملوكة وكساحم ، قال محمد ابن سليمان . واتخذ
ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيراً .

وقيل : أن سبب موته ان نصرانياً اتاه بدابق بزنبيلين مملوءين تيناً وبيضاً فأكل بيضة وتينة وكذا حتى فرغاً ، ثم اتوه بمسح وسكر فاتخم فمات . وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وكان غيوراً أمر بخصي الخنثين بالمدينة ، فخصاهم عاملاً أبو بكر بن محمد بن عمر الانصاري . ولما اشتد مرض سليمان بدابق أوصى بالخلافة لعمر بن عبد العزيز بن مروان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ثامن خلفائهم وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .

أخبار عمر بن عبد العزيز :

وبويع عمر بن عبد العزيز بالخلافة أوائل سنة تسع وتسعين ، فأبطل سب علي رضي الله عنه على المنابر وكتب إلى نوابه بإبطاله ، ولما خطب يوم الجمعة أبدل السب في الخطبة بقوله تعالى : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) ، فاستمر الخطباء على قراءتها . ومدحه كثير بن عبد الرحمن الخزاعي فقال :

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف بريا ولم تتبع سجية مجرم
وقلت فصدقت الذي قلت بالذي فعلت فأضحى راضياً كل مسلم

سنة احدى ومائة :

فيها توفي عمر بن عبد العزيز لخمس بقين من رجب بخصاصة ودفن بدير سمعان ، وقيل : توفي بدير سمعان ودفن به . قال القاضي جمال الدين بن واصل : الظاهر عندي ان دير سمعان هو المعروف الآن بدير النقيرة من عمل معرة النعمان وان قبره هو هذا المشهور .

قلت : وبه أقول ، فاني رأيت كتاب تاريخ لابن المهذب المعري من جياة أبي العلاء يذكر فيه : ان هذا الدير المذكور اسمه دير سمعان ولقد رأيت كثيراً من أهل المعرة يحكي عنه ما شاهد من كراماته في النوم أو اليقظة حتى لقد حكى لي من أثق به من أصحابي وأقاربي انهم زاروا قبره مرة ثم حصل من

بعضهم على بعض بحضرته سوء أدب وتلاعب فغشيم ما كادوا يهلكون به حتى أيقنوا بالموت ولكنهم بادروا الى الاستغفار والبكاء والندامة حتى سري عنهم ذلك . وزرت أنا قبره بالدير مراراً فرأيت عنده كتاباً كبيراً يشتمل على أخباره الحسنة وسيرته الجميلة وفضله وعدله رحمة الله عليه . ومما يتعجب منه : ان الشريف الرضي رثى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز^(١) بقوله :

دير سمعان لا عدتك الفوادي خير ميت من آل مروان ميتك
يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من أمية لبكيتك
انت طهرتنا من السب والشتم فلو أمكن الجزاء جزيتك
ولعمري لقد زكوت وقد طبت وإن لم يطب ولم يذك بيتك
ورثى أبا اسحاق الصابي الكافر بقصيدة طنانة أولها :

أعلمت من حملوا على الأعواد رأيت كيف خبا ضياء الوادي
فلا جرم قلت أنا :

أقسمت ما قول الرضي^٢ بمرتضى في الموضعين وقد يزل العاقل
أبثل ذا يرثى كفور صابىء وبمثل ذا يرثى الامام العادل
وولد بمصر سنة احدى وستين ، وخلافته سنتان وخمسة اشهر ، وعمره
اربعون سنة واشهر ، رحمته دابة وهو غلام فشجت وجهه فدعي بالأشج ، وكان
متحرباً سنة الخلفاء الراشدين .

أخبار يزيد بن عبد الملك

ولما مات عمر بن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك بن مروان بالخلافة
وهو تاسعهم ، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن ابي سفيان ، عهد إليه

(١) قيل : ان بني امية خافوا ان امتدت أيامه ان يخرج الأمر عنهم الى من يصلح فسموه .

سليمان بن عبد الملك بعد عمر . وفي أيام يزيد هذا خرج يزيد بن المهلب بن أبي
صفرة يجمع ، فأرسل يزيد بن عبد الملك اخاه مسلمة فقاتله ، وقتل ابن المهلب
وجميع آل المهلب المشهورين بالكرم والشجاعة ، وفيهم يقول الشاعر :

نزلت على آل المهلب شاتياً غريباً عن الأوطان في زمن المحل
فما زال بي احسانهم وافتقادم وبرهم حتى حسبتهم أهلي

سنة اثنتين ومائة :

وفيها توفي عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود احد الفقهاء السبعة
بالمدينة ، وعبيد الله هذا ابن أخي عبد الله بن مسعود الصحابي ، وهؤلاء الفقهاء
السبعة هم الذين انتشر عنهم العلم والفتيا ، حتى قيل فيهم :

ألا كل من لا يقتدي بأئمة فقسمة ضيزى عن الحق خارجه
فخدم عبيد الله عروة قاسم سعيد سليمان أبو بكر خارجه

فعبيد الله المذكور من الأعلام التابعين ولقي كثيراً من الصحابة . وعروة هو :
ابن الزبير بن العوام بن خويلد ، وأم عروة أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين ،
توفي عروة سنة ثلاث وتسعين ، وقيل : أربع وتسعين ، ومولده سنة اثنتين
وعشرين . وقاسم : هو ابن محمد بن أبي بكر الصديق من أفضل أهل زمانه .
وسعيد : هو ابن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي ، جمع بين الحديث والفقه
والزهد ، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ، وتوفي سنة إحدى ، وقيل : اثنتين
وقيل أربع ، وقيل : خمس وتسعين . وسليمان : هو ابن يسار مولى ميمونة زوج
النبي ﷺ روى عن ابن عباس وأبي هريرة وأم سلمة ، وتوفي سنة سبع ومائة ،
وقيل : غير ذلك ، وعمره ثلاث وسبعون . وأبو بكر : هو ابن عبد الرحمن بن
الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، كنيته اسمه ، سمي راهب قريش ،
وأبوه أخو أبي جهل ، وتوفي سنة أربع وتسعين ، وولد في خلافة عمر . وخارجة :
هو ابن زيد بن ثابت الأنصاري ، قال ﷺ في أبيه : أفرضكم زيد ، توفي خارجة

سنة تسع وتسعين ، وقيل : سنة مائة بالمدينة ، وأدرك زمن عثمان . وفي زمنهم من هو مثلهم وفي طبقتهم ولم يذكر معهم مثل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وغيره ، توفي سالم سنة ست ومائة .

سنة ثلاث وسنة أربع وسنة خمس ومائة :

وفيهما خمس بقين من شعبان توفي يزيد بن عبد الملك وعمره أربعون ، وخلافته أربع سنين وشهر ، عهد بالخلافة إلى أخيه هشام ثم إلى ابنه الوليد بن يزيد ، وكان يزيد صاحب لهو وهو صاحب حيابة وسلامة القس^(١) ، وماتت حيابة فمات بعدها بسبعة عشر يوماً .

أخبار هشام بن عبد الملك

ولما مات يزيد بن عبد الملك ولي هشام بن عبد الملك وهو ابن أربع وثلاثين وأشهر وهو عاشرهم ، كان بالرصافة فجاءته الخلافة على البريد فسار إلى دمشق .

سنة ست ومائة حتى سنة عشر ومائة :

ففيها توفي الحسن البصري بن أبي الحسن من أكابر التابعين ، مولده في خلافة عمر . وفيها توفي محمد بن سيرين ، أبوه سيرين من سبي خالد ، كاتبه أنس بن مالك سيده على مال فحمله اليه وعتق ، لقي ابن سيرين جماعة من الصحابة وروى عنهم مثل : أبي هريرة وعبد الله بن الزبير ، وهو من كبار التابعين ، وله اليد الطولى في تعبير الرؤيا .

(١) وسميت سلامة القس : لأن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمار سمي القس لعبادته وفقهه ، فمر بمنزل استاذ سلامة فسمع غناءها فهواها وهويتها واجتمعا ، فقالت سلامة : اني أحبك ، فقال : وأنا أيضاً ، فقالت : وأشتي أن أقبلك ، فقال : وأنا أيضاً ، فقالت : وما يمنعك ؟ قال : تقوى الله . وانصرف ، فعرفت بذلك .

سنة احدى عشرة ومائة وحتى سنة ست عشرة ومائة :

وفيها توفي الباقر محمد بن زين العابدين علي بن الحسين ، وقيل : سنة أربع عشرة ، وقيل : سبع عشرة ، وقيل : ثماني عشرة ومائة . قيل : عاش ثلاثاً وسبعين وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه ، تبقر في العلم : أي توسع ، ومولده سنة سبع وخمسين وكان عمره لما قتل الحسين ثلاث سنين ، توفي بالمهيمية من الشراة فنقل الى البقيع .

سنة سبع عشرة ومائة :

وفيها وقيل في سنة عشرين ومائة توفي نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب أصابه عبد الله في بعض غزواته وكان من كبار التابعين ، سمع مولاه وأبا سعيد الخدري ، وروى عنه الزهري ومالك بن أنس ، وأهل الحديث يقولون : رواية الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لجلالتهم .

سنة ثماني عشرة ومائة تسع عشرة ومائة :

وفيها غزا المسلمون الترك فنصروا وغنموا وقتلوا عظيماً وقتلوا خاقان ملك الترك ، تولى حربهم أسد بن عبد الله القسري .

سنة عشرين ومائة : فيها توفي أبو سعيد عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة .

سنة احدى وعشرين ومائة :

وفيها غزا مروان بن محمد بن مروان وكان على الجزيرة وأرمينية بلاد صاحب السرير ، فبذل له الجزية في كل سنة سبعين ألف رأس يؤديها . وفيها : غزا مسلمة بن عبد الملك الروم ، فافتتح حصوناً وغنم . وفيها : غزا نصر بن سيار ما وراء النهر وقتل ملك الترك ، ثم مضى إلى فرغانة فسبى كثيراً . وفيها وقيل : سنة اثنتين وعشرين ومائة ، خرج زيد بن علي بن الحسين بن علي

رضي الله عنهم بالكوفة ودعا إلى نفسه وبايعه خلق ، وكان والي الكوفة من جهة هشام يوسف بن عمر الثقفي فجمع وقاتل زيدا فأصابه سهم في جبهته ، فأدخل داراً ونزع السهم فمات وعمره اثنتان وأربعون ، وصلب يوسف بن عمر جثته وبعث برأسه إلى هشام فنصب بدمشق ، ودامت جثته حتى مات هشام وولي الوليد فأحرقت .

سنة اثنتين وعشرين ومائة : وفيها توفي اياس بن معاوية بن قررة المزني ذو الفراسة والذكاء قاضي البصرة في خلافة عمر بن عبد العزيز .

سنة ثلاث وعشرين وسنة أربع وعشرين ومائة :

وفيها توفي محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري نسبة إلى زهرة بن كلاب بن مرة وعمره ثلاث وسبعون ، وهو من أعلام التابعين ، رأى عشرة من الصحابة وروى عنه مالك وسفيان وغيرهما ، كان يضع كتبه حوله مشتغلاً بها فقالت زوجته : والله لهذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر .

سنة خمس وعشرين ومائة :

فيها : توفي هشام بن عبد الملك بالرصافة لست خلون من ربيع الأول ، وخلافته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وكسر ، وعمره خمس وخمسون ، مرض بالذبح ، استعير من الجيران قمقم لتسخين ماء غسله ، فإن عياضاً كاتب الوليد ختم على موجوده ، ودفن بالرصافة وهو الذي بناها وسكنها لصحتها هرباً من الطاعون وكانت مدينة رومية فخربت حتى بناها هشام وبني بها قصرين وبها دير معروف ، وكان أحول بين الحول حازماً عاقلاً ذا سياسة ، وله بنون منهم معاوية أبو عبد الرحمن دخل الأندلس وملكها لما زال ملك بني أمية .

أخبار الوليد بن يزيد :

ولما مات هشام بويع الوليد بن يزيد بن عبد الملك لثلاث خلون من ربيع

الأول وهو حادي عشر خلفائهم ، وكان هو وأصحابه في البرية في الأزرق خوفاً من هشام في ضيق وسوء حال ، فكتب إليه بموت هشام فحضر وولي ، وعكف على الشرب والغناء والنساء ، وزاد الناس في إعطائهم عشرات ، ثم زاد أهل الشام زيادة بعد العشرات عشرة أخرى ولم يقل في شيء سئله لا . وفيها توفي القاسم بن أبي برة من المشهورين بالقراءة .

سنة ست وعشرين ومائة :

فيها سلم الوليد خالد بن عبد الله القسري إلى يوسف بن عمر عامله بالعراق فعذبه وقتله .

وفيها قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك قتله يزيد بن الوليد بن عبد الملك الملقب بالناقص في جهادى الآخرة منها بعد أن ثقل على الناس هو الوليد ومجونته وشربه واجتماعه بالفساق حتى رموه بالكفر واتهموه بأمهات أولاد أبيه ، ودعا يزيد إلى نفسه ، ونهاه أخوه العباس بن الوليد بن عبد الملك عن ذلك وتهدهه فأخفى الأمر عنه . وكان يزيد مقيماً بالبادية لوخم دمشق ، فلما اجتمع له أمره قصد دمشق متخفياً في سبعة نفر وكان بينه وبينها مسيرة أربعة أيام ونزل يجرود على مرحلة من دمشق ، ثم دخل دمشق ليلاً وقد بايع له أهلها ، وكان عامل الوليد على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج ، ووبئت دمشق فنزل بقرية قطنا ، فظهر حينئذ يزيد بدمشق واجتمع عليه الجند وغيرهم ، وأحضر عامل الوليد من قطنا بالأمان ، ثم جهز يزيد جيشاً إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك مقدمهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك .

ولما ظهر يزيد بن الوليد بدمشق سار بعض موالي الوليد إليه وأعلمه وهو بالأعذق من عمان ، فسار الوليد حتى أتى السحرة إلى قصر النعمان بن بشير ، ونازله عبد العزيز وجرى بينهما قتال كثير . وقصد العباس بن الوليد بن عبد الملك أخو يزيد اللحق بالوليد ونصرته على أخيه ، فأرسل عبد العزيز منصور بن

جمهور إلى العباس فأخذه قهراً وأتى به إلى عبد العزيز فألزمه بمبايعة أخيه ،
ونصب عبد العزيز راية وقال : هذه راية العباس قد بايع لأمر المؤمنين يزيد
فتفرق الناس عن الوليد ، فركب الوليد بمن معه وقاتل قتالاً شديداً ، ثم انهزم
عنه أصحابه فدخل القصر وأغلقه وحاصروه ودخلوا وقتلوه لليلتين بقيتا من
جمادى الآخرة منها وبعثوا برأسه إلى يزيد فسجد شكراً وطيف بالرأس على
رمح في دمشق ، وعمره اثنتان وأربعون سنة وكان من فتيان أمية وظرفائهم .

أخبار يزيد بن الوليد

واستقر يزيد (الناقص) في الخلافة يومئذ وهو ثاني عشر خلفائهم ونقص
الناس العشرات التي زادها الوليد فلقبوه الناقص ، وخالفه أهل حمص وهجموا
دار أخيه العباس فنهبوا وسلبوا حرمه وأجمعوا على محاربة يزيد بدمشق ،
فجهز عسكرياً قاتلهم قريباً من ثنية العقاب ، فانهزم المحصيون واستولى عليها
يزيد وأخذ البيعة عليهم . ثم وثب أهل فلسطين على عامل يزيد فأخرجوه
وأحضروا يزيد بن سليمان بن عبد الملك فجعلوه عليهم ، ودعا الناس إلى قتال
يزيد الناقص ، فأرسل يزيد جيشاً مع سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وواعد كبراء
فلسطين ومناهم فتخاذلوا عن صاحبهم ، فلما قرب منهم الجيش تفرقوا ، وقدم
سليمان جيشاً في أثر يزيد بن سليمان بن عبد الملك فنهبوه ، وسار سليمان بن هشام
ابن عبد الملك حتى نزل طبرية وبايع بها ليزيد ، ثم الرملة وبايع بها كذلك . ثم
عزل يزيد يوسف بن عمر عن العراق ، وولاه منصور بن جمهور وضم إليه
خراسان ، فامتنع نصر بن سيار في خراسان ، ثم عزل يزيد بن الوليد منصور
ابن جمهور عن العراق وولاه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز .

وفيها أظهر مروان بن محمد الخلف ليزيد بن الوليد . وفيها : توفي يزيد
الناقص لعشر بقين من ذي الحجة ، وخلافته خمسة أشهر واثناعشر يوماً ، مات
بدمشق وعمره ست وأربعون وقيل : ثلاثون سنة ، كان أسمر طويلاً صغير
الرأس جميلاً .

أخبار ابراهيم بن الوليد

وقام بالأمر بعده ابراهيم أخوه ثالث عشر خلفائهم ، ولم يتم له الأمر ، كان يسلم عليه تارة بالخلافة وتارة بالامارة فكث أربعة أشهر ، وقيل : سبعين يوماً . وفيها توفي عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق . وفيها توفي أبو جمره صاحب ابن عباس .

سنة سبع وعشرين ومائة :

وفيها سار مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أمير ديار الجزيرة إلى الشام لخلع ابراهيم بن الوليد ، واتفق مع أهل قنسرين وساروا معه ومع أهل حمص وساروا معه ، وقرب من دمشق فبعث ابراهيم الجنود لقتاله مع سليمان بن هشام ابن عبد الملك وهم مائة وعشرون ألفاً ومروان في ثمانين ألفاً ، فاقتتلوا إلى العصر ، وانهمز عسكر ابراهيم وسليمان بن هشام المقدم إلى دمشق واجتمعوا مع ابراهيم وقتلوا ابني الوليد بن يزيد وكانا في السجن ، ثم اختفى ابراهيم ، ونهب سليمان بن هشام بيت المال وقسمه في أصحابه وخرج من دمشق .

أخبار مروان بن محمد

وفيها بويع بالخلافة لمروان بن محمد بن مروان بن الحكم رابع عشر خلفائهم وآخرهم وذلك بدمشق ، ولما استقر له الأمر عاد إلى منزله بجران ، وأرسل ابراهيم المخلوع بن الوليد وسليمان بن هشام يستأمنان منه فأمنها وقدمها عليه ومع سليمان إخوته وأهل بيته فبايعوا مروان .

وفيها عصى أهل حمص على مروان ، فجاءهم من حران وأحدق بهم ففتحوا له وأطاعوا ، ثم اقتتلوا فهدم بعض سورها وقتل وصلب بعض أهلها . وجاءه الخبر بخلاف أهل الغوطة وأنهم ولوا عليهم ابن خالد القسري وحصروا دمشق ، فأرسل عشرة آلاف فارس مع أبي الورد بن الكوثر وعمرو بن الصباح

وساروا من حمص وحملوا على أهل الغوطة ، وخرج من البلد عليهم جيش أيضاً فانهزم أهل الغوطة ونهبهم العسكر وأحرقوا المزة وقرى غيرها . ثم خالف أهل فلسطين ومقدمهم ثابت بن نعيم ، فكتب مروان إلى أبي الورد ، فسار إليه وهزمه على طبرية ، ثم اقتتلوا على فلسطين فانهزم ثابت بن نعيم وتفرق أصحابه ، وأسر ثلاثة من أولاده فبعث بهم أبو الورد إلى مروان .

ثم سار مروان إلى قرقيسيا فخلعه سليمان بن هشام بن عبد الملك واجتمع إليه من الشام سبعون ألفاً وعسكر بقنسرين ، وسار إليه مروان والتقوا بأرض قنسرين ، فانهزم سليمان وعسكره واتبعهم خيل مروان يقتلون ويأسرون وزادت القتلى عن ثلاثين ألفاً . ثم وصل سليمان إلى حمص واجتمع إليه أهلها وبقيّة المنهزمين ، فجاء مروان وهزمهم ثانية ، وهرب سليمان إلى تدمر ، وعصى أهل حمص فحاصروهم مروان طويلاً ، ثم سلموا إليه ولاية سليمان وآمنهم .

وفيها توفي محمد بن واسع الأزدي الزاهد . وفيها توفي عبد الله بن اسحاق الحضرمي من حلفاء عبد شمس ، يكنى أبا بجر ، إماماً في النحو واللغة ، عاب الفرزدق في شعره ونسبه إلى اللحن ، فقال الفرزدق فيه :

ولو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا (١)

فقال له عبد الله : وقد لحت أيضاً في قولك : مولى مواليا ، بل ينبغي أن تقول : مولى موال .

سنة ثمان وعشرين ومائة :

فيها أرسل مروان بن محمد يزيد بن هبيرة إلى العراق لقتال الخوارج ، وكان

(١) قد يقال ان حجة الفرزدق في قوله « مولى مواليا » : كونه غير منصرف وخفة الفتحة ، وقد يجاب عن الحضرمي : ان فتحة موالى نائبة عن الجر فكما ان الجر المنوب عنه يستثقل هنا فكذلك الفتحة النائبة اعطاء للنائب حكم المنوب عنه ، ولولا خوف التطويل لذكرت هنا ما عليه من المباحث . والله أعلم .
(المؤلف)

بخراسان نصر بن سيار والفتنة ثم قائمة بسبب دعاة بني العباس . وفيها مات
عاصم بن أبي النجود (١) المقرئ .

سنة تسع وعشرين ومائة :

فيها ظهرت دعوة بني العباس بخراسان ، وكان يختلف أبو مسلم الخراساني
من خراسان إلى ابراهيم المسمى بالإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ومنه
إلى خراسان ليستعلم منه ابراهيم الأحوال . وفيها استدعى ابراهيم أبا مسلم
من خراسان ، فسار إليه . ثم أرسل إليه ابراهيم : ان ابعت إليّ بما معك من المال
مع قحطبة وارجع إلى أمري . ووافاه الكتاب بقومس ، فامتثل وأرسل المال
ورجع ، فلما وصل مرو أظهر الدعوة لبني العباس ، فأجابه الناس وأرسل إلى
بلاد خراسان بإظهار ذلك بعد السعي فيه سرّاً مدة طويلة ، ثم أظهر ذلك في
هذه السنة .

وجرى بين أبي مسلم (٢) وبين نصر بن سيار أمير خراسان مكاتبات ومراسلات
ثم قتال ، فقتل أبو مسلم بعض عمال نصر على بعض بلاد خراسان واستولى على
ما بأيديهم .

ولما قوي أبو مسلم على نصر بن سيار كتب بذلك إلى مروان بن محمد وبكونه
يدعو إلى ابراهيم المذكور وكتب شعراً وهو :

أرى تحت الرماد وميض نار ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعري أيقاظ أمية أم نيام

(١) النجود : الأمان الوحشية .

(٢) أبو مسلم : من خطرنية من سواد الكوفة ، كان قهرماناً لادريس بن معقل العجلي ثم
صار إلى أن ولاء محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الأمر في استدعاء الناس في الباطن ، ثم مات
محمد فولاه ابنه ابراهيم الامام ذلك ، ثم الأئمة من ولد محمد .

وكان مقام إبراهيم الإمام وأهله بالشرارة من الشام بقرية الحميمة (بضم الحاء)
عن الشوبك دون يوم بينها وبين وادي موسى من الشوبك قبلة بغرب وتلك
البقعة من الشوبك إلى الغرب والقبلة هي الشرارة . فكتب مروان إلى عامله
باللقاء أن يسير إليه إبراهيم بن محمد المذكور ، فشده وثاقاً وبعث به فحبسه
مروان بجران حتى مات إبراهيم في حبسه ، ومولده سنة اثنتين وثمانين .

سنة ثلاثين ومائة :

وفي هذه السنة دخل أبو مسلم مدينة مرو ونزل في قصر الامارة في ربيع
الآخر ، وهرب نصر بن سيار من مرو ، ثم وصل قحطبة من عند الامام إبراهيم
إلى أبي مسلم ومعه لواء عقده له إبراهيم ، فجعل أبو مسلم قحطبة في مقدمته
وجعل اليه العزل والاستعمال وكتب إلى الجنود بذلك . وفيها - أعني سنة
ثلاثين ومائة - وقيل سنة ست وثلاثين ، توفي ربيعة الزابي بن فروخ فقيه المدينة ،
أدرك جماعة من الصحابة وعنه أخذ مالك العلم .

سنة احدى وثلاثين ومائة :

وفيها مات نصر بن سيار بساوة قرب الري وعمره خمس وثمانون . وفيها
توفي أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزالي المعتزلي ، ومولده سنة ثمانين ، اشتغل على
الحسن البصري ثم اعتزله وخالفه في قوله في أصحاب الكبائر من المسلمين أنهم
ليسوا مؤمنين ولا كافرين بل في منزلة بين المنزلتين فسُمي وأصحابه معتزلة ، كان
ألثغ بالراء فتجنبها حتى قيل :

نعم تجنب لا يوم العطاء كما تجنب ابن عطاء لثغة الراء

لازم واصل الغزاليين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته هن
فسُمي الغزالي .

وفيها - أعني سنة إحدى وثلاثين - : توفي بالبصرة مالك بن دينار من

موالي بني أسامة بن ثور القرشي العالم الناسك الزاهد ، وما أحسن ما ورثي
بعض الشعراء باسم مالك في ملك انتصر على أعدائه فأسر الرجال وفرق
الذهب فقال :

أعتقت من أموالهم ما استعبدوا وملكت رقهم وهم أحرار
حق غدا من كان منهم مالكا متمنيا لو انه دينار
قلت : وقد اذكروني هذا قولي :

يا من سبى شمس الضحى بالنور ما قلبي حديد^(١)
أنا خالد في لوعة وجوى يشيب له الوليد^(٢)

وقولي أيضاً من مقامة في طريقة التصوف :

كم منكر صار فيها معروفاً بالإيثار وكم من مالك فنى بنا فيها عن دينار
وقولي: جبرت يا عائدتي بالصله فتممي الإحسان تنفي الوله
وهذه قد حسبت زورة لم أنت يا كعبة مستجله

وقولي تورية في المثل المشهور :

من كان مردوداً بعيب فقد ردتني الغيد بعيبين
الرأس واللحية شاباً معاً عاقبني الدهر بشيبين

ولي من هذا كثير ولكن فرق بين تلك الثريا وهذا الثرى . والله أعلم .

سنة اثنتين وثلاثين ومائة :

فيها سار قحطبة في جيش كبير من خراسان طالباً يزيد بن هبيرة أمير
العراق من جهة مروان حتى قطع الفرات والتقيا ، فانهزم ابن هبيرة ، وعدم
قحطبة ، قيل : غرق ، وقيل : وجد قتيلاً ، وقام بالأمر الحسن بن قحطبة .

(١) تورية بالسور . (٢) تورية لخالد بن الوليد .

أخبار أبي العباس السفاح

بويح أبو العباس السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بالخلافة في ربيع الأول ، وقيل : ربيع الآخر بالكوفة بعد مسيره من الحميمة ، وسبب مسيره من الحميمة : أن ابراهيم الامام لما أمسكه مروان نعى نفسه إلى أهل بيته وأمرهم بالمسير إلى أهل الكوفة مع أخيه السفاح وبالسمع له والطاعة ، وأوصى بالخلافة إلى أخيه السفاح . وسار السفاح بأهل بيته منهم أخوه أبو جعفر المنصور وغيره إلى الكوفة فقدمها في صفر واستخفى .

ثم ظهر في ربيع الأول وسلموا عليه بالخلافة وعزوه في أخيه ابراهيم الامام ، ودخل دار الامارة بالكوفة يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الأول منها ، ثم خرج وخطب وصلى بالناس ، ثم صعد المنبر ثانياً ، وصعد عمه داود بن علي فقام دونه وخطب الناس وحضاهم على الطاعة ، ثم نزل وعمه أمامه ودخل قصر الامارة وأجلس أخاه أبا جعفر المنصور في المسجد يبائع الناس . ثم خرج السفاح فعسكر بجمام أعين واستخلف على الكوفة عمه داود ، وحاجب السفاح يومئذ عبد الله ابن بسام .

ثم بعث عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس إلى شهرزور وأهلها مطيعون له وبها من جهة بني العباس أبو عون عبد الله بن يزيد الأزدي ، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد إلى الحسن بن قحطبة ، وهو يحاصر ابن هبيرة بواسط ، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن عباس إلى حميد بن قحطبة أخي الحسن بالمدائن ، وأقام السفاح في المعسكر أشهراً ، ثم ارتحل فنزل هاشمية الكوفة بقصر الامارة .

أخبار مروان الى أن قتل

كان مروان آخر خلفاء بني أمية ويلقب الجعدي (١) وحمار الجزيرة أيضاً بحران ، فسار يطلب أبا عون عبد الله بن يزيد الأزدي المستولي على شهرزور من جهة بني العباس ، فوصل مروان إلى الزاب ونزل به وحفر عليه خندقاً وكان في مائة ألف وعشرين ألفاً ، وسار أبو عون من شهرزور إلى الزاب بما عنده من الجموع وأردفه السفاح بعساكر مرات مع مقدمين منهم سلمة بن محمد وعبد الله الطائي وعم السفاح عبد الله ، ولما قدم عمه على أبي عون تحول أبو عون عن سرادقه وخلاه له وما فيه . ثم إن مروان عقد جسراً على الزاب وعبر إلى جهة عبد الله بن علي ، فسار عبد الله إلى مروان وجعل على ميمنته أبا عون وعلى اليسرة الوليد بن معاوية وكان عسكر عبد الله عشرين ألفاً وقيل : أقل ، والتقوا واشتد القتال وداخل الفشل عسكر مروان واختل كل أمر أرادته حتى انهزم وغرق من أصحابه خلق منهم : إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع . وكتب عبد الله إلى ابن أخيه السفاح بالفتح وحوى من المنهزمين أسلحة ، والهزيمة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة من سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

ولما انهزم مروان من الزاب أتى الموصل ، فسبه أهلها وقالوا : يا جمدي الحمد لله الذي أتنا بأهل بيت نبينا . فأتى حران وأقام بها نيفاً وعشرين يوماً حتى دنا منه عسكر السفاح فحمل مروان أهله وانهزم إلى حمص ، وقدم عبد الله ابن علي حران . ثم سار مروان من حمص وأتى دمشق ، ثم سار إلى فلسطين . وكان السفاح قد كتب إلى عمه عبد الله بن علي باتباع مروان ، فسار في أثر

(١) توفي مروان عن اثنتين وستين سنة ، وخلافته خمس سنين وعشرة أشهر ونصف يكنى أبا عبد الملك ، وأمه أم ولد كردية ، وتعلم من الجعد بن درهم مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر فلقب الجعدي ، وكان أبيض أسهل ضخمة الهامة كث اللحية أبيضها ربعة شجاعاً حازماً إلا أن مدته انقضت فلم ينفعه حزمه .

مروان إلى دمشق فحاصرها ودخلها عنوة يوم الأربعاء لخمس مضي من رمضان منها ، وأقام بدمشق خمسة عشر يوماً . ثم أتى فلسطين فورد عليه كتاب السفاح بإرسال أخيه صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في طلب مروان ، فسار صالح في ذي القعدة منها حتى نزل نيل مصر ومروان منهزم قدامه ، وأدركه في كنيسة بوصير من أعمال مصر ، وانهزم أصحاب مروان ، وطعن إنسان مروان برمح فقتله ، وسبق كوفي كان يبيع الرمان فاحتز رأس مروان لثلاث بقين من ذي الحجة منها . وأحضر الرأس قدام صالح بن علي بن عبد الله بن العباس ، فأمر أن ينفذ فسقط لسانه فأخذته هرة ، وأرسله صالح إلى أبي العباس وقال :

قد فتح الله مصرأ عنوة لكم وأهلك الفاجر الجمعي إذ ظلما
وذاك مقوله هر يجرجره وكان ربك من ذي الكفر منتقما

ثم رجع صالح إلى الشام وخلف أبا عون بمصر ، ولما وصل الرأس إلى السفاح بالكوفة سجد شكراً . وهرب عبد الله وعبيد الله ابنا مروان إلى الحبشة ، فقاتلهم الحبشة فقتل عبيد الله ونجا عبد الله في عدة ممن معه ، وبقي إلى خلافة المهدي فأخذه نصر بن محمد بن الأشعث عامل فلسطين وبعث به إلى المهدي . وحملت نساء مروان وبناته بعد قتله إلى صالح بن علي ، فحملهن إلى حران فلما دخلنها ورأين منازل مروان رفعن أصواتهن بالبكاء .

ودخل سديف على السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أمته وأكرمه فأنشد :

لا يفرنك ما ترى من رجال إن بين الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع الصوت حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا

فأمر السفاح بسليمان فقتل .

ودخل شبل بن عبد الله مولى بني هاشم على عم السفاح عبد الله بن علي وقد اجتمع عنده من بني أمية نحو تسعين رجلاً فأنشد :

أصبح الملك ثابت الأساس بالبهايل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها بعد ميل من الزمان وباس
لا تقبلنّ عبد شمس عثراً واقطعن كل رقلة وغراس
ذها أظهر التودد منها وبها منكم كحدّ المواسي
ولقد ساءني وساء سوائي قريبهم من غارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيلاً بجانب الهرماس
والقتيل الذي بحرّان أضحى ثاوياً بين غربة وتناسي

فأمر عبد الله بهم فضربوا بالعمد حتى وقعوا وبسط عليهم الانطاع ومدّ عليهم الطعام وأكل الناس الطعام وهم يسمعون أنينهم حتى ماتوا جميعاً ، وأمر عبد الله بنبش قبور بني أمية بدمشق ، وتبسع قتل بني أمية فلم يفلت إلا رضيع أو من هرب إلى الأندلس . وقتل سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بالبصرة جماعة من بني أمية وألقاهم في الطريق تأكلهم الكلاب ، فتشتت من بقي منهم واختلفوا في البلاد .

وفيها ^(١) خلع أبو الورد بن الكوثر وكان من أصحاب مروان طاعة بني العباس فسار إليه عبدالله السفاح وهو بقنسرين في جمع عظيم فاقتتلوا شديداً وكثرت القتلى ، ثم ثبت أبو الورد حتى قتل وانهمز أصحابه ، وجدد عم السفاح بيعة أهل قنسرين وعاد إلى دمشق ، وكان خرج من بها عن الطاعة ونهبوا أهل عبدالله عم السفاح ثم هربوا منه ، ثم آمنهم .

وفيها ولي السفاح أخاه يحيى الموصل وكان أهلها قد أخرجوا واليها ولما استقر يحيى بها قتل من أهلها نحو أحد عشر ألفاً ثم أمر بقتل نسائهم وصبيانهم وكان مع يحيى قائد معه أربعة آلاف زنجي ، فاستوقفت امرأة من الموصل

(١) تابع أحداث سنة ١٣٢ هـ .

يحيى وقالت : ما تأنف للعربيات أن ينكحهن الزنوج^(١) ؟ فتأثر وجمع الزنوج فقتلهم عن آخرهم . وفيها أرسل السفاح أخاه المنصور والياً على الجزيرة واذربيجان وأرمينية^(٢) ، وولى عمه داود المدينة ومكة واليمن واليمامة ، وولى ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس الكوفة وسواها ، وكان على الشام عمه عبدالله ، وعلى مصر ابو عون بن يزيد ، وعلى خراسان والجبال ابو مسلم .

سنة ثلاث وثلاثين ومائة :

وفيها استولى قسطنطين ملك الروم على ملطية وقاليقلا . وفيها : ولى السفاح عمه سليمان البصرة و كور دجلة والبحرين وعمان واستعمل عمه اسماعيل ابن علي بن عبدالله بن العباس على الأهواز . وفيها مات داود عم السفاح بالمدينة فولاهما زياد بن عبد الله الحارثي . وفيها عزل السفاح يحيى عن الموصل لكثرة قتله فيهم وولى عمه اسماعيل .

سنة اربع وثلاثين ومائة :

وفيها تحول السفاح من مقامه بالحيرة الى الأنبار في ذي الحجة .

سنة خمس وثلاثين ومائة :

وفيها توفي يحيى اخو السفاح بفارس تولاهما بعد الموصل .

سنة ست وثلاثين ومائة :

وفيها استأذن ابو مسلم السفاح في القدوم عليه وفي الحج فأذن له ، فحج وحج المنصور ايضاً أميراً للموسم . وفيها مات السفاح في ذي الحجة بالانبار

(١) زنوج جمع زنجي ، وزنجي معرب زفكي .
(٢) ارمينية كزنديةقية و قليلا بتخفيف الياء وفي النسبة : أرمني كأزهري انظر شفاء الغليل .

بالجدري وعمره ثلاث وثلاثون وخلافته من قبل مروان أربع سنين ، وببيع له قبل ذلك بثمانية اشهر ، كان طويلاً اقنى أبيض حسن الوجه واللحية ، صلى عليه عمه عيسى ودفنه بالأنبار العتيقة ، وعهد السفاح بالخلافة لأبي جعفر المنصور أخيه ثم بعده إلى ابن أخيه عيسى بن محمد ، فعقد العهد في ثوب وختم عليه ودفعه إلى عيسى .

خلافة أبي جعفر المنصور

ولما مات السفاح كان المنصور في الحج ، فأخذ له عيسى البيعة على الناس وارسل من أعلمه بذلك ، فبايعه أبو مسلم والناس .

سنة سبع وثلاثين ومائة :

وفيها قدم المنصور من الحج إلى الكوفة فصلى بأهلها الجمعة وخطبهم ومار فأقام بالأنبار . وفيها بايع عم المنصور عبدالله بن علي لنفسه بالخلافة ، وكان أبو مسلم قد قدم من الحج مع المنصور ، فأرسل المنصور أبا مسلم ومعه الجنود لقتال عمه وهو بأرض نصيبين ، فاقتتلوا مراراً وجاء أبو مسلم بأنواع الخدع لقتاله ، ثم انهزم عبدالله واصحابه في جمادى الآخرة منها إلى العراق واستولى أبو مسلم على عسكره .

وفيها قتل المنصور أبا مسلم الخراساني لوحشة جرت بينهما ، فانه كتب إلى ابي مسلم بعد ان هزم عبدالله عمه بالولاية على مصر والشام وصرفه عن خراسان ، فلم يجب أبو مسلم إلى ذلك وتوجه يريد خراسان . وسار المنصور من الأنبار إلى المدائن وكتب يطلب أبا مسلم فاعتذر عن الحضور ، وطالت بينهما المراسلات وفي الآخر : قدم أبو مسلم عليه بالمدائن في ثلاثة آلاف وخلف باقي عسكره بجلوان ، ودخل على المنصور وقبل يده وانصرف ، فلما كان من الغد ترك المنصور بعض حرسه خلف الرواق وأمرهم إذا صفق بيديه يخرجون ويقتلون أبا مسلم .

ودعا أبا مسلم ، فلما حضر أخذ المنصور يعدد ذنوبه وأبو مسلم يعتذر عنها ،
ثم صفق المنصور فخرج الحرس وقتلوا أبا مسلم في شعبان منها ، قتل أبو مسلم
في مدة دولته ستائة الف صبراً .

سنة ثمان وثلاثين ومائة :

وفيها خرج قسطنطين ملك الروم الى بلد الاسلام فأخذ ملطية عنوة وهدم
سورها وعفى عن بها من المقاتلة والذرية ومر سنة ثلاث وثلاثين نحو ذلك .
وفيها وسع المنصور المسجد الحرام .

سنة تسع وثلاثين ومائة :

وفيها ابتداء الدولة الأموية بالأندلس ، دخل عبد الرحمن بن معاوية بن
هشام بن عبد الملك إلى الأندلس هارباً من القتل مستخفياً مما تقدم فاستولى عليها .
وفيها ظفر المنصور بعمه عبد الله بعد استخفائه عند أخيه سليمان بن علي من
حين هرب من أبي مسلم ، فأعدمه .

سنة أربعين ومائة :

وفيها أرسل المنصور عبد الوهاب بن أخيه ابراهيم الامام والحسن بن
قحطبة في سبعين ألفاً ، فعمروا ملطية في ستة أشهر ، وسار اليهم ملك الروم في
مائة ألف حتى نزل نهر جيحان ، فبلغه كثرة المسلمين فرجع . وفيها حج
المنصور وتوجه الى القدس ثم الرقة وعاد إلى هاشمية الكوفة . وفيها أمر
المنصور بعمارة سور المصيصة وبنى بها جامعاً واسكنها ألف جندي وسماها
المعمورة .

سنة إحدى وأربعين ومائة :

وفيها خرج على المنصور الراوندية من أهل خراسان على مذهب ابي مسلم

الخراساني يقولون بالتناسخ وأن روح آدم في عثمان بن نهيك وان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم الخليفة المنصور . فجاؤوا إلى قصر المنصور وقالوا : هذا قصر ربنا . فحبس رؤسائهم وهم مائتان ، فغضب اصحابهم وحملوا نعشاً لتحسب جنازة حتى بلغوا السجن فكسروا بابه واخرجوا رؤسائهم وقصدوا المنصور وهم ستائة ، فأغلقت المدينة وخرج المنصور ماشياً واجتمع عليه الناس ، وكان معن بن زائدة مستخفياً فحضر وقاتل هو وغيره حتى قتلت الراوندية عن آخرهم فأمن معنا وعفا عنه .

سنة ثلاث واربعين ومائة وأربع واربعين ومائة :

وفيها حبس المنصور من بني الحسن أحد عشر وقيدهم . وفيها مات عبد الله بن شبرمة وعمرو بن عبيد المعتزلي الزاهد وعقيل بن خالد صاحب الزهري .

سنة خمس واربعين ومائة :

وفيها ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن واستولى على المدينة وتبعه أهلها ، فأرسل المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى إليه ، وخذق محمد المذكور مع خندق النبي ﷺ للأحزاب وجرى قتال ، ثم قتل محمد المذكور وجماعة من أهل بيته وأصحابه وانهمز من سلم منهم ، وأقام عيسى بالمدينة أياماً ورجع في أواخر رمضان يريد مكة معتمراً . كان محمد سميناً أسمر شجاعاً كثير الصوم والصلاة تلقب بالمهدي والنفس الزكية . وفيها ابتداء المنصور بناء بغداد ، كره سكنى هاشميته لوقعة الراوندية ولجوار أهل الكوفة حذراً منهم ، فاختار موضع بغداد .

ظهور ابراهيم العلوي

وفيها ظهر ابراهيم العلوي ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن أخو محمد

النفس الزكية وكان هارباً مستخفياً ، ودعا إلى بيعة أخيه ولم يبلغه قتله ، فبايعه جماعة منهم مرة العبشمي وعبد الواحد بن زياد وعمرو بن سلمة الهجيمي وعبد الله ابن يحيى الرقاشي وكثير من الفقهاء حتى أحصوا أربعة آلاف ، وكان أمير البصرة سفيان بن معاوية فتحصن لاجتماعهم في دار الامارة بجماعة ، فحصره ابراهيم ثم أمته ودخل القصر ، وجاء ليجلس على حصيرته فقلبها الريح فتطير الناس فقال ابراهيم : إنا لا نتطير وجلس عليها مقلوبة ، وأخذ من بيت المال ألفي ألف درهم وفرض لأصحابه خمسين خمسين ، ومضى بنفسه إلى دار زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس واليها ينسب الزينبيون من العباسيين ، فنادى هناك لأهل البصرة بالأمان . ثم أرسل من استولى على الأهواز وأرسل هارون بن سعد المعجلي في سبعة عشر ألفاً فملك واسط .

وأقام بالبصرة يفرق العمال والجيوش حتى سمع بقتل أخيه قبل عيد الفطر بثلاثة أيام . ثم سار من البصرة يريد الكوفة وقد أحصى ديوانه مائة ألف ونزلاً بأخرا على ستة عشر فرسخاً من الكوفة ، وكان المنصور قد استدعى عيسى بن موسى من الحجاز فحضر وجعله في جيش قبالة إبراهيم ، فاقتلا قتالاً انهزم فيه غالب عسكر عيسى ثم تراجعوا ، ثم وقعت الهزيمة على أصحاب ابراهيم وثبت هو في ستائة من أصحابه ، فجاء سهم في حلق ابراهيم فتنحى وقال : أردنا أمراً وأراد الله غيره ، واجتمع أصحابه وانزلوه فحمل عليهم عسكر عيسى وفرقوهم عنه واحتزوا رأسه لخمس بقين من ذي القعدة منها ، فبعث به عيسى إلى المنصور ، وعمر إبراهيم ثمان وأربعون .

سنة ست وأربعين ومائة :

وفيها تحول المنصور من مدينة ابن هبيرة إلى بغداد لتكامل عمارتها ، واستشار قوماً منهم خالد بن برمك في نقض إيوان كسرى والمدائن ونقل ذلك إلى بغداد ، فقال ابن برمك : لا أرى ذلك لأنه من أعلام المسلمين ، فقال المنصور : ملت يا خالد إلى أصحابك المعجم ، وأمر بنقض القصر الأبيض فنقضت ناحية

منه فكان ما يفرمون عليه أكثر من قيمة المنقوض فتركه ، فقال خالد : إني أرى أن لا تبطل ذلك لئلا يقال : انك عجزت عن تخريب ما بناه غيرك ، فلم يلتفت المنصور إلى ذلك وترك هدمه . ونقل أبواب مدينة واسط فجعلها على بغداد ، ودور بغداد لئلا يكون بعض الناس أقرب إلى السلطان من بعض ، وبني قصره في وسطها والجامع في جانبه .

سنة سبع وأربعين ومائة :

فيها ولد الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك . وفيها ولي المنصور خالد بن برمك الموصل . وولد الفضل قبل الرشيد بسبعة أيام فأرضعته الخيزران أم الرشيد .

سنة ثمان وأربعين ومائة :

وفيها توفي جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم ، سمي الصادق لصدقه ، وينسب إليه كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل ، ولد سنة ثمانين بالمدينة ، ودفن بالبقيع ، وأمه بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر (رض) . وفيها توفي محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي .

سنة تسع وأربعين ومائة :

فيها مات مسلم بن قتيبة العظيم القدر بالري . وفيها مات كهس بن الحسن التميمي البصري . وفيها مات عيسى بن عمر الثقفي ، وعنه أخذ الخليل النحو .

سنة خمسين ومائة :

فيها بنى عبد الرحمن الأموي سور قرطبة . وفيها مات جعفر بن أبي جعفر المنصور .

وفاة الامام أبي حنيفة :

وفيها مات الإمام أبو حنيفة النعمان ^(١) بن ثابت بن زوطا مولى تيم الله بن ثعلبة ، وزوطا من أهل كابل ، وقيل : بابل ، وقيل : الأنبار . وهو الذي مسه الرق فأعتق ، وولد له ثابت على الإسلام . وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : ما مسنا رق قط . روي أن والد أبي حنيفة وهو صغير ذهب إلى علي رضي الله عنه فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته . وقيل : هو النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان وان جده النعمان أهدى لعلي يوم المهرجان فالودجاً ، فقال له علي : مهرجوناً كل يوم .

أدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة وهم : أنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة وأبو الطفيل عامر بن واثلة ، ولم يلق أحداً منهم ولا أخذ عنهم وإن زعم أصحابه غير ذلك . وكان عالماً عاملاً زاهداً ورعاً ، راوده المنصور على القضاء فامتنع ، وكان ربيعة حسن الوجه ، وقيل : طويلاً أحسن الناس منطلقاً ^(٢) .

قلت : وروي أن أبا عمرو بن العلاء المقري سأله عن القتل بالمثل هل يوجب القود ؟ فقال : لا ، فقال : ولو قتله بحجر المنجنيق ؟ فقال : ولو قتله بأبا قبيس . واعتذر عنه بأن هذه لغة كوفية وهو كوفي ، وأيضاً فإن بلحارث وبلغنبر

(١) ولد سنة ثمانين من الهجرة ، وقيل : سنة إحدى وستين ، وقيل : توفي بالسجن ليلى القضاء ، وقيل : توفي يوم ولد الشافعي وذلك في رجب من هذه السنة ، وقيل : في جمادى ، وقبره ببغداد مشهور .

(٢) قال الشافعي : قيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة ؟ فقال : نعم رأيت رجلاً لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته ، وكان يصلي غالب الليل حتى قيل : صلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة ، وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة وعيب بقلة العربية .

ومراد وخشم وبعض عذرة يفرّون إلى الألف من الياء لأنها أخف حروف المد
مثل قوله :

ان أباه وأبا أباه

ويقولون : اعطت وجازات يريدون أعطيت وجازات ، وقد ذكرت
بذلك قولي :

ثقيلة ردف قصدها قتلي به فقلت لها إن تقتلي النفس تقتلي
فقلت أما نعمان خدي ابن ثابت وما من قصاص عنده بمثل

وفيها ببغداد مات محمد بن اسحاق صاحب المغازي ، وقيل : سنة إحدى
وخمسين ومائة ، وهو ثبت في الحديث عند الأكثر ، ذكره البخاري في تاريخه
لكن لم يرو عنه لأن الإمام مالكاً طعن فيه وكذلك مسلم لم يخرج عنه إلا حديثاً
واحداً في الرجم . وفيها مات مقاتل بن سليمان البلخي المفسر .

سنة إحدى وخمسين ومائة :

فيها ولي المنصور هشام بن عمر الثعلبي السند مكان عمر بن حفص بن عثمان
ابن قبيصة بن أبي صفرة ، وولي هذا أفريقية ، لقب عمر بهزار مرد أي : ألف
رجل . وفيها بنى المنصور الرصافة لابنه المهدي وهي من الجانب الشرقي من
بغداد وحول إليها بعض جيشه . وفيها هجمت الخوارج بيت معن بن زائدة
الشيبياني بسجستان وهو عاملها في بست وهو يحتجم فقتلوه بغتة ، وقام بعده
ابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة .

سنة اثنتين وخمسين ومائة : وفيها غزا حميد بن قحطبة أمير خراسان كابل .

سنة ثلاث وخمسين وسنة أربع وخمسين ومائة :

وفيها توفي بالكوفة أبو عمرو ، واسمه وكنيته ابن العلاء بن عمار من ولد

الحصين التميمي المازني البصري ، ولد سنة سبعين وقيل : ثمان وستين ، وهو أحد القراء السبعة .

قلت : وفيه يقول الفرزدق :

ما زلت أفتح أبواباً وأغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

وسأل سليمان عم السفاح أبا عمرو عن شيء فصدقه فلم يعجبه ، فخرج أبو عمرو وهو يقول :

أنفت من الذل عند الملوك وإن أكرموني وإن قرّبوا
إذا ما صدقتهم خفتهم ويرضون مني بأن يكذبوا

وكان يقول : لا يقبل في الدية إلا غلام أبيض أو جارية بيضاء لا أسود ولا سوداء لقوله صلى الله عليه وسلم : في الجنين غرة عبد أو أمة ليكون لقوله غرة فائدة ، وهذا لغرابته نقلته ، والله أعلم .

وفيهما سار المنصور إلى الشام وجهاز جيشاً إلى المغرب لقتل الخوارج .
وفيهما مات أشعب الطامع . وفيها مات وهيب بن الورد الزاهد المكي .

ع

سنة خمس وخمسين ومائة :

وفيهما عمل المنصور للكوفة والبصرة سوراً وخندقاً من أموال أهلها أراد معرفة عددهم فقسم فيهم الدراهم خمسة خمسة ثم جبي منهم أربعين أربعين ، فقال بعضهم :

يا لقوم ما لقينا من أمير المؤمنين
قسم الخمسة فينا وجبانا أربعينا

سنة ست وخمسين ومائة :

وفيهما توفي حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي الزيات أحد القراء السبعة ، وعنه أخذ الكسائي ، كان يجلب الزيت إلى حلوان والجوز والجنين إلى الكوفة .

سنة سبع وخمسين ومائة :

وفيها مات الأوزاعي أبو عمرو عبدالرحمن بن عمر بن محمد وعمره سبعون ، كان إمام أهل الشام (١) ، أجاب في سبعين ألف مسألة ، سكن بيروت وقبره بقرية حنتوش على باب بيروت في قبلة المسجد ، وأهل القرية يقولون : هنا قبر ينزل عليه النور ولا يعرفون أنه قبره ، وينسب إلى أوزاع بطن من ذي كلاع ، وقيل : من همدان ، ويُحمد (بضم الياء المثناة وكسر الميم) .

سنة ثمان وخمسين ومائة :

وفيها مات المنصور لست خلون من ذي الحجة ، خرج للحج وقال لابنه المهدي : إني ولدت في ذي الحجة ووليت في ذي الحجة وقد هجس في نفسي إني أموت في ذي الحجة من هذه السنة وهو الذي حداني على الحج ، فاتق الله فيما أعهد اليك ، ووصاه طويلاً وودعه وبكياً . فمات بقبر ميمونة محرماً ، وعاش ثلاثاً وستين وخلافته اثنتان وعشرون وثلاثة أشهر وكسر ، وكان أسمر نحيفاً خفيف العارضين ، ولد بالهيمية ، ودفن بباب المصلى وبقي أثر الاحرام فدفن ورأسه مكشوف .

وسمع وهو يطوف بالكعبة قائلاً يقول : اللهم إني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ، فدعا القائل واستنبأه فقال : إن أمتني أنباتك بالأمور على جليتها وأصولها فأمتنه ، فقال الرجل :

(١) روي أن سفيان الثوري بلغه مقدم الأوزاعي فلقبه إلى ذي طوى فحل بعيره عن القطار ووضعه على رقبته ، فكان إذا مر بجماعة قال : الطريق للشيخ . والأوزاع : قرية على طريق باب الفراءيس أيضاً ، وقال فيه بعضهم :

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| جاء الحيا بالشام كل عشية | قبراً تضمن لحدّه الأوزاعي |
| قبراً تضمن فيه طود شريعة | سقياً له من عالم ففاع |
| عرضت له الدنيا فأعرض مقلماً | عنها بزهد أيما اقلاع |

إن الذي دخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله أنت ، فقال : ويحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي والحلو والحامض عندي ؟ فقال : لأن الله استرعاك على المسلمين وأموالهم فجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر وأبواباً من الحديد وحجاباً معهم الأسلحة ولم تأمر بإيصال المظلوم والملهوف والجائع والعاري والضعيف والفقير وما أحد إلا وله من هذا المال حق ، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك تجبي الأموال فلا تعطيتها وتجمعها فلا تقسمها قالوا : هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه ، فاتفقوا على أن لا يصل اليك من أخبار الناس إلا ما أرادوا ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا أقصوه وقفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم هابهم الناس وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا ليتقوا بهم على ظم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذور القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظم من دونهم فامتلات البلاد ظلماً ، فإذا صرخ المظلوم بين يديك ضرب ضرباً شديداً وأنت تنظر ولا تنكره . ثم ذكره بالطفل يسقط من بطن أمه لا مال له فيلطف الله به حتى تعظم رغبة الناس إليه ، وذكره ببني أمية وما جمعوه فما أغنى عنهم حين أراد الله بهم ما أراد . وهذه خلاصة الموعظة .

أولاد المنصور :

هم : المهدي محمد وجعفر الأكبر مات في حياة المنصور وسليمان وعيسى ويعقوب وجعفر الأصغر وصالح المسلمين ، وكان المنصور من أحسن الناس خلقاً في الخلوة حتى يخرج إلى الناس .

أخبار المهدي بن المنصور

ووصل إلى المهدي الخبر بالبيعة له وهو ثالثهم منتصف ذي الحجة ، ووصل القاصد من مكة إلى بغداد في أحد عشر يوماً .

سنة تسع وخمسين ومائة وسنة ستين ومائة :

وفيها رد المهدي نسب آل زياد إلى عبيد الرومي في ثقيف وأخرجهم من قريش والعرب وأبطل استلحاق معاوية . وفيها حج المهدي وفرّق أموالاً ووسع مسجد رسول الله ﷺ وحمل الثلج إلى مكة . وفيها مات داود الطائي الزاهد من أصحاب أبي حنيفة ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودي ، والخليل بن أحمد البصري أستاذ سيبويه .

سنة إحدى وستين ومائة :

وفيها أمر المهدي باتخاذ المصانع في طريق مكة وتجديد الأميال والبرك وحفر الركايا وتقصير المنابر إلى مقدار منبر النبي ﷺ . وفيها جعل المهدي يحيى بن خالد بن برمك مع ابنه هارون ، وأبان ابن صدقة مع الهادي .

وفيها توفي سفيان الثوري ، ومولده سنة سبع وتسعين . وإبراهيم بن أدهم ابن منصور الزاهد من بكر بن وائل ، ولد ببلخ ورابط بالشام ، سأله إبراهيم ابن يسار عن بدء أمره وألح عليه فقال : كان أبي من ملوك خراسان وكان قد حبب إليّ الصيد ، فبينما أنا راكب فرساً وكلبي معي إذ تحركت على صيد فسمعت فداء من ورائي : يا إبراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا أمرت ، فوقفت مقشعراً أنظر يمينه ويسرة فلم أرَ أحداً فقلت : لعن الله إبليس ، ثم حركت فرسي فسمعت من قربوس سرجي : يا إبراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا أمرت ، فوقفت وقلت : هيهات جاءني النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربي . فتوجهت إلى أهلي وجئت إلى بعض رعاء أبي فأخذت جبته وكساه وألقيت إليه ثيابي ، ثم سرت حتى صرت إلى العراق ، ثم صرت إلى الشام ، ثم قدمت إلى طرطوس فاستأجرني شخص ناظوراً لبستان ، فكثت في البستان أياماً كثيرة فلما اشتهرت اختفيت وهربت من الناس . كان يأكل من عمل يده كاللحصاد والعمل في الطين وحفظ البساتين .

سنة اثنتين وستين ومائة : وفي الأصل هنا سهو ، وكذا في سنة ثمان وأربعين ومائة سهو في الأصل أيضاً .

سنة ثلاث وستين ومائة :

وفيها تجهز المهدي لغزو الروم واستخلف ابنه الهادي ببغداد ، ولما وصل إلى حلب بلغه أن بتلك الناحية زنادقة فجمعهم وقتلهم وقطع كتبهم وسار إلى جيجان ، وجهاز ابنه هارون بالعسكر فتغلغل في الروم وفتح كثيراً وعاد . وفيها قتل المقنع الخراساني واسمه عطاء ، كان لعنه الله قصاراً أعوراً مشوهاً لا يسفر عن وجهه وتقنع بوجه ذهب ، وادعى الربوبية وأن الباري تعالى وتقدس حل في آدم ثم في نوح ثم في نبي بعد آخر حتى حل فيه ، وعمر قرية سنام وراء النهر من رستاق كيش وتحصن بها وخيل بسحره للناس صورة قمر يطلع ويرى من مسافة شهرين ، وأطاعه خلق ، ثم اجتمع الناس وحصلوه فسم نساءه ثم نفسه فهاتوا ، فدخل الناس قلعته وقتلوا أشياعه وأتباعه .

وإليه أشار ابن سنا الملك بقوله :

إليك فما بدر المقنع طالماً بأسحر من الحاظ بدر المعمم

سنة أربع وستين ومائة : فيها مات عيسى عم المنصور وعمره ثمان وسبعون .
سنة خمس وستين ومائة : فيها وصل الرشيد في جيش بأمر أبيه المهدي إلى خليج قسطنطينية وغنم وقتل في الروم وعاد .

سنة ست وستين ومائة :

وفيها تخرج المهدي من وزيره يعقوب بن داود ابن طهمان وزير نصر بن سيار قبله ، كان أصحاب المهدي يشربون عنده ويعقوب ينهى عن ذلك ، فسعوا فيه حتى حبسه المهدي ، واستمر إلى أن أخرجه الرشيد في خلافته ، وفي ذلك يقول بشار بن برد :

بني أمية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الناي والعود

وفيها أقام المهدي بريدأ بين مكة والمدينة بغالاً وإبلاً . وفيها قتل
بشار بن برد الشاعر الأعمى خلقة على الزندقة وقد نيف على التسعين ، قيل : كان
يفضل النار على الأرض ، ويصوب رأي إبليس في امتناعه من السجود لآدم ،
نسأل الله العافية .

سنة سبع وستين ومائة :

وفيها توفي عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ابن
أخي السفاح والمنصور ، أوصى له السفاح بالخلافة بعد المنصور ثم خلعه المنصور
وولى ابنه المهدي ، وعاش خمساً وستين . وفيها زاد المهدي في المسجد الحرام
ومسجد النبي عليه الصلاة والسلام .

سنة ثمان وستين ومائة :

وفيها مات المهدي محمد بن عبد الله المنصور بماسبذان في الحرم لثمان بقين
منه ، وخلافته عشر سنين وشهر ، وعمره ثلاث وأربعون ، ودفن تحت شجرة
جوز ، وصلى عليه ابنه الرشيد . كان (ره) يجلس للمظالم ويقول : أدخلوا عليّ
القضاة فلو لم يكن ردي للمظالم إلا للحياء منهم .

أخبار موسى الهادي

وبويع للهادي موسى بالخلافة يوم مات المهدي ، والهادي رابعهم وكان
مقيماً بجرجان يجارب أهل طبرستان ، ووصل الرشيد من ماسبذان إلى بغداد
فأخذت البيعة للهادي أيضاً ، وبلغ الهادي بجرجان موت أبيه فسار على البريد
فدخل بغداد في عشرين يوماً واستوزر الربيع . وفيها ظهر الحسين بن علي بن
الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالمدينة في جمع من أهل بيته منهم :
الحسن بن محمد بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن اسحاق
ابن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وعبد الله هذا ابن

عاتكة ، وجرى بينه وبين عامل الهادي على المدينة وهو عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قتال ، فانهزم عمر وبايع الناس الحسين على كتاب الله وسنة نبيه المرتضى من آل محمد ﷺ ، وأقام الحسين وأصحابه يتجهزون أحد عشر يوماً . ثم خرجوا لست بقين من ذي القعدة ووصل الحسين إلى مكة ، ولحق به جماعة من عبيد مكة .

وكان قد حج تلك السنة جماعة من بني العباس وشيعتهم ، منهم : سليمان بن أبي جعفر المنصور ومحمد بن سليمان بن علي ، والعباس بن محمد بن علي ، وانضم إليهم من حج من شيعتهم ومواليهم وقوادهم . واقتتلوا بوج يوم التروية ، فقتل الحسين وانهزم أصحابه واحتز رأسه وجمع معه من رؤوس أصحابه ورؤوس أهل المدينة نحو مائة رأس منها رأس سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب ، واختلط المنهزمون بالحاج ، و«وج» عن مكة إلى جهة الطائف ذكره النعماني فقال :

تضوع مسكاً بطن نعمان إذ مشت به زينب في نسوة خفرات
مررن بوجٍ ثم فعن عشية يلبين للرحمن معتمرات

وفي قتل المذكورين بوج يقول بعضهم :

فلأبكين على الحسين بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذي واروه ليس له كفن
تركوا بوج غدوة في غير منزلة الوطن

وأفقت منهم إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم ، فأتى مصر وعلى بريدها واضح الشيعي مولى بني العباس ، فحمل إدريس على البريد إلى المغرب إلى أرض طنجة ، وبلغ الهادي ذلك فضرب عنق واضح . وبقي إدريس هناك حتى أرسل الرشيد إليه الشماخ النامي مولى بني السيد فاغتاله بالسم . وكان لإدريس حظية حبلى ، فولدت ابناً سموه إدريس باسم أبيه ، وكبر واستقل

بملك تلك البلاد . وحمل رأس الحسين وباقي الرؤوس إلى الهادي ، فأنكر عليهم حمل رأس الحسين ولم يعطهم جوائزهم غضباً عليهم . وكان الحسين شجاعاً كريماً ، قدم على المهدي فأعطاه أربعين ألف دينار ففرقها ببغداد والكوفة ، وخرج من الكوفة بفروة ليس تحتها قميص . وفيها : مات مطيع بن اياس الشاعر . وتوفي نافع المقرئ بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أحد السبعة ، وروى عنه ورش وقنبل ، كانوا يرجعون في المدينة إلى قراءته ، وكان محتسباً أسود شديد السواد فيه دعاة وقرأ عليه مالك القرآن . وهذا غير نافع مولى عبد الله بن عمر المحدث . وفيها : مات الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه .

سنة سبعين ومائة :

فيها توفي موسى الهادي بن المهدي بن المنصور ليلة الجمعة منتصف ربيع الأول ، وخلافته سنة وثلاثة أشهر ، وعمره ست وعشرون ، قيل : قتلته أمه الخيزران بأن غم جواربها وجهه وهو مريض ، ودفن بعين باذا الكبرى في بستانه ، كان أبيض طويلاً جسيماً بشفته العليا نقص وله سبعة بنين وابنتان .

أخبار هارون الرشيد

وفيها بويع للرشيد هارون بالخلافة وهو خامسهم ليلة موت أخيه الهادي وأمها الخيزران أم ولد ، ولد بالري في آخر ذي الحجة سنة ثمان وأربعين ومائة وصلى عليه الرشيد وقصد بغداد . وفيها في شوال ولد الأمين محمد بن الرشيد من زبيدة . واستوزر الرشيد يحيى بن خالد ومكنه . وفيها عزل الرشيد الثغور كلها من الجزيرة وقنسرين وجعلها حيزاً واحداً وسميت العواصم ، وأمر بعمارة طرطوس على يد فرج الخادم التركي ونزلها الناس . وفيها أمر عبدالرحمن الداخل الأموي المستولي على الأندلس ببناء جامع قرطبة موضع الكنيسة بمائة ألف دينار .

سنة احدى وسبعين ومائة :

وفيها توفي عبد الرحمن الأموي بقرطبة ، ويعرف بالداخل لدخوله بلاد

المغرب ، وهو : عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف في ربيع الآخر ، ولد بأرض دمشق سنة ثلاث عشرة ومائة ومدة ملكه بالأندلس ثلاث وثلاثون سنة ، وملك بعده ابنه هشام . وكان عبد الرحمن أصهب العارضين طويلاً نحيفاً أعوراً ، والتجأ اليه بنو أمية .

سنة اثنتين وسبعين ومائة : فيها توفي أبو زيد رباح اللخمي الزاهد بمدينة القيروان ، وكان مجاب الدعوة .

سنة ثلاث وسبعين ومائة : فيها ماتت الخيزران أم الرشيد . وحج الرشيد وأحرم من بغداد .

سنة أربع وسبعين ومائة وخمس وسبعين ومائة :

وفيهما تحرك في الديلم يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي رضي الله عنهم . وفيها ولد ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم .

سنة ست وسبعين ومائة :

وفيهما ظهر أمر يحيى الحسيني المذكور بالديلم وقوي ، فأرسل الرشيد الفضل ابن يحيى اليه ، فأحضره بالأمان وعين الرشيد بخطه ، وأكرمه الرشيد وأعطاه ، ثم حبسه حتى مات في الحبس .

وفيهما هاجت الفتنة بدمشق بين المضرين واليمانيين ، وكان علي دمشق عبد الصمد فسعى بالرؤساء في الصلح ، فأجاب بنو القين واستعملت اليمانية ، ثم ساروا إلى بني القين وقتلوا منهم نحو ستمائة ، فاستنجدت بنو القين قضاة وسليحا فأبوا ، فاستنجدوا قيساً فساروا معهم إلى العواليك من أرض البلقاء فقتلوا من اليمانية ثمانمائة وكثر القتال بينهم ، ثم عزل الرشيد عبد الصمد عن دمشق وولاه ابراهيم بن صالح بن علي ، ودام القتال بين المذكورين نحو سنتين .

وسبب الفتنة : قطع رجل من بني القين بطيخة من حائط بالبلقاء لرجل من لحم
وجذام . وفيها مات الفرغ بن فضالة . وصالح بن بشر القاري ، وكان ضعيفاً
في الحديث . وفيها مات نعيم بن ميسرة النحوي الكوفي .

سنة سبع وسبعين ومائة :

وفيها توفي بالكوفة أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبي شريك تولى
القضاء أيام المهدي ثم عزله الهادي ، وكان عالماً عادلاً كثير الصواب حاضر
الجواب ، ذكر عنده معاوية بالحلم فقال : ليس بحليم من سفه الحق وقاتل علياً .
ولد ببخارى سنة خمس وتسعين .

سنة ثمان وسبعين وتسع وسبعين ومائة :

وفاة الامام مالك

وفيها توفي مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر بن الحارث الأصبحي
من ولد ذي الأصبح الحارث بن عوف من ولد يعرب بن قحطان ، ولد سنة خمس
وتسعين ، أخذ القراءة عن نافع بن أبي نعيم وسمع الزهري وأخذ العلم عن ربيعة
المراثي . قال الشافعي : قال لي محمد بن الحسن : أيما أعلم صاحبنا أم صاحبكم -
يعني أبا حنيفة ومالكاً - ؟ قلت : على الانصاف ، قال : نعم ، قلت : أنشدك
الله من أعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قلت : فأنشدك
الله من أعلم بالسنة ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قلت : فأنشدك الله من أعلم بأقاويل
أصحاب رسول الله ﷺ المتقدمين صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم ،
قلت : فلم يبق إلا القياس والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء .

وسمي بالإمام مالك^(١) إلى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن

(١) قال القعني . دخلت على مالك في مرضه الذي مات فيه فسلمت عليه ، ثم جلست فرأيت
يبكي فقلت : يا أبا عبد الله ما الذي يبكيك ؟ فقال : يا ابن قعنب وما لي لا أبكي ومن أحق
بالبكاء مني والله لوددت أني ضربت بكل مسألة أفئتت فيها برأبي بسوط سوط وقد كانت لي
السعة فيما قد سبقت اليه وليتني لم أفت بالرأي .

عم المنصور وقالوا : انه لا يرى الايمان ببيعتكم هذه بشيء لأن بين المكره ليست لازمة ، فغضب ودعا بمالك وجرّده وضربه بالسياط ومدت يده حتى انخلعت كتفه وارتكب منه أمراً عظيماً ، فلم يزل بعد ذلك الضرب في علاء ورفعة ، دفن بالبقيع وكان شديد البياض إلى الشقرة طويلاً .

وفيهما توفي مسلم بن خالد الزنجي الفقيه المكي ، صحبه الشافعي قبل مالك وأخذ عنه الفقه ، كان أبيض مشرباً بحمرة ولذلك قيل الزنجي . وفيها : توفي السيد الحميري الشاعر اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري الشيعي والسيد لقبه ، أكثر من الشعر ومن الوقية في الصحابة والهجو لعائشة (رض)

سنة ثمانين ومائة :

وفيهما مات هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك صاحب الأندلس ، وامارته سبع سنين وسبعة أشهر وثلاثة أيام وعمره تسع وثلاثون وأربعة أشهر ، واستخلف ابنه الحكم فخرج على الحكم عمه سليمان وعبد الله ابنا عبد الرحمن وكانا في برّ العدو ، فتحاربوا مئة فظفر بعمة سليمان فقتله سنة أربع وثمانين ومائة ، فخاف عمه عبد الله وصالحه سنة ست وثمانين . وفي اشتغاله بقتال عميه أخذت الفرنج مدينة برشلونة سنة خمس وثمانين ومائة . وفيها - أعني سنة ثمانين ومائة - : سار جعفر البرمكي إلى الشام فسكن الفتنة التي كانت فيه . وفيها هدم الرشيد سور الموصل بعصيان أهلها في كل وقت .

وفيهما وقيل : سنة سبع وسبعين ومائة : توفي سيبويه النحوي (١) واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر ، أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو وكتب النحو عملة على كتابه أخذ النحو عن الخليل بن أحمد ، وقيل : توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة ، وقيل : سنة ثمان وثمانين ومائة ، وقال ابن الجوزي : سنة أربع وتسعين

(١) وسيبويه فارسي معناه بالعربية : رائحة التفاح ، لجمال صورته .

ومائة وعمره اثنتان وثلاثون سنة بمدينة ساوة ، وقال ابن دريد : مات بشيراز وقبره بها ، وكان كثيراً ما ينشد :

إذا بل من داء به ظن أنه يجاوبه الداء الذي هو قاتله

وله مع الكسائي البحث المشهور في قولك : كنت أظن أن الزنبور أشد لسعاً من النحلة ، قال سيبويه : فإذا هو هي ، وقال الكسائي : فإذا هو إياها . وانتصر الأمين بن الرشيد لمعلمه الكسائي وتعصبوا على سيبويه ، فسافر إلى فارس فمات بقرية البيضاء من قرى شيراز .

قلت : وقيل : ان ولادته بالبيضاء لا وفاته ، وكان في لسانه حبة فعلمه أبلغ من لسانه ، وزار يوماً أستاذه الخليل فقال : مرحباً بزائر لا يمل . والله أعلم .

سنة احدى وثمانين ومائة :

وفيهما غزا الرشيد الروم ، فافتتح حصن الصفصاف . وفيها توفي عبد الله ابن المبارك المروزي وعمره ثلاث وستون . وفيها توفي مروان بن أبي حفصة الشاعر ، وولد سنة خمس ومائة . وفيها توفي القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم من ولد سعد بن خيثمة ، وسعد صحابي أنصاري وهو سعد بن يحيى واشتهر بأمه ، وأبو يوسف أكبر أصحاب أبي حنيفة .

قلت : ونشأ يتيماً ، وطالت على أمه صحبتها لأبي حنيفة وإعراضه عن تعلم حرفة فحضرت عنده وعاتبته على ذلك ، فقال : مري يا رعناء ها هو ذا يتعلم أكل الفالودج بدهن الفستق ، فلما كبر وأكله عند الرشيد ذكر ذلك له فتعجب منه . وسأله الرشيد عن إمام شاهد رجلاً يزني هل يحده ؟ قال : لا ، فسجد الرشيد وقال : من أين قلت هذا ؟ قال : لأن النبي ﷺ قال : ادروا الحدود بالشبهات . وهذه شبهة يسقط الحد معها ، قال : وأي شبهة مع المعاينة ؟ قال : ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى والحدود لا تكون بالعلم ،

فسجد مرة أخرى ، وحصل له بهذه من الرشيد ومن المستفق فيه ومن أمه
وجماعته مال جزيل ، والله أعلم .

سنة اثنتين وثمانين ومائة : وفيها مات جعفر الطيالسي المحدث .

سنة ثلاث وثمانين ومائة :

فيها توفي موسى الكاظم (١) بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين
العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ببغداد في حبس الرشيد ،
حكمت أخت سجانة السندي بن شاهك وكانت تلي خدمته : ان الكاظم كان
إذا صلى العتمة حمد الله ومجده ودعاه إلى أن يزول الليل ، ثم يقوم يصلي حتى
يطلع الصبح فيصلي الصبح ، ثم يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم يقعد إلى ارتفاع
الضحى ، ثم يرقد ويستيقظ قبل الزوال ، ثم يتوضأ ويصلي حتى يصلي العصر ،
ثم يذكر الله حتى يصلي المغرب ، ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة ، فكان هذا
دأبه إلى أن مات رحمه الله عليه .

قلت : وأقدمه المهدي ببغداد من المدينة وحبسه فرأى في النوم علي بن أبي
طالب رضي الله عنه وهو يقول : (يا محمد فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في
الأرض وتقطعوا أرحامكم) . فانتبه ليلاً وأحضر موسى وعانقه وأخبره بالمنام
وقال : تؤمنني أن تخرج عليّ وعلى أحد من ولدي ، فقال : والله لا فعلت ذلك
ولا هو من شأني ، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وردّه إلى المدينة ، وأقام بها إلى
أيام هارون ، والله أعلم .

وفيها توفي يونس بن حبيب النحوي وقد نيف على المائة ، أخذ العلم عن أبي
عمرو بن العلاء وروى عنه سيبويه ، وله قياس في نحو . قلت : قال أبو عبيدة :

(١) سمي الكاظم لاحسانه إلى من يسيء إليه ، وهو سابع الأئمة الاثني عشر على رأي الامامية ،
ولد سنة تسع وعشرين ومائة ، وقبره عليه مشهد عظيم بالجانب الغربي من بغداد .

اختلفت إليه أربعين سنة أملاً كل يوم ألواحي من حفظه ، وكان من أهل جبيل وهي على دجلة وكان لا يحب نسبه إليها ، فلقبه عميري وقال : ما تقول في جبيل ينصرف أم لا ؟ فشمه يونس خلوة وأناه العمري خلوة ، وأناه العميري من الغد وهو جالس للناس فقال : ما تقول في جبل ينصرف أم لا ؟ فقال : الجواب ما قلت لك أمس . والله أعلم .

سنة أربع وثمانين ومائة :

وفيهما ولي الرشيد حماداً البربري اليمن ومكة ، وداود بن يزيد بن مرثد المهلب السند ، ويحيى الجرشي الجبل ، ومهرويه الرازي طبرستان ، وإبراهيم ابن الأغلب افریقیة ، وكان على أعمال الموصل يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني .

سنة خمس وثمانين ومائة :

وفيهما مات عم المنصور عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو بمنزلة يزيد بن معاوية إلى عبد مناف ، وبين موتها ما يزيد على مائة وعشرين سنة . وفيها مات يزيد بن مزيد الشيباني بن أخي معن .

سنة ست وثمانين ومائة وسبع وثمانين ومائة :

نكبة البرامكة

وفيهما أوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفر بن يحيى بالأنبار مستهل صفر وعمره سبع وثلاثون سنة . وسببه عند الأكثر : كونه زوجة أخته عباسية ليحل له النظر إليها وشرط أن لا يقربها ، فوطئها وحبلت منه بفلام ، وقيل : بل حبس الرشيد يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن رضي الله عنهم عند جعفر فأطلقه ، وقيل عظم واشتهر أمر البرامكة وأحبهم الناس ، والملوك على مثل ذلك لا تصبر . وبعث برأس جعفر وجيفته إلى بغداد ونصب رأسه على الجسر

وجعل جيفته قطعتين على الجسرين وأحاط بيحيى وولده وجميع أنسابه وأخذ جميع ما يملكونه ، ولم يتعرض لمحمد بن خالد بن برمك وولده لبراءته عنده ، ومدة وزارتهم سبع عشرة سنة . وفي ذلك يقول الرقاشي وقيل : أبو نؤاس قصيدة منها :

وقل للمنايا قد ظفرت يجعفر ولم تظفري من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضل تعطلي وقل للرزايا كل يوم تجدي
ودونك سيفاً برمكياً مهنداً أصيب بسيف هاشمي مهند

وقال يحيى : الدنيا دول ، والمال عارية ، ولنا بمن قبلنا أسوة ، وفينا لمن بعدنا عبرة .

وفيهما خلع الروم ملكتهم زينى وملكوا بدلها تقفور ، فكتب إلى الرشيد : « من تقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب ، أما بعد : فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أضعافه إليها لكن ذلك من ضعف النساء وحقهن ، فإذا قرأت كتابي هذا اردد ما حصل لك من أموالها وإلا السيف بيننا وبينك » . وكتب الرشيد في ظهر الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من هارون أمير المؤمنين إلى تقفور كلب الروم ، وقد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه لا ما تسمعه . ثم سار الرشيد من يومه حتى نزل على هرقة ففتح وغنم وخرب ، فسأله تقفور المصالحة على خراج يحمله كل سنة فأجابه .

وفيهما توفي الفضيل بن عياض الزاهد ، ومولده بسمرقند . وفيها توفي أبو مسلم معاذ الهراء النحوي ، وعنه أخذ الكسائي ، وولد أيام يزيد بن عبد الملك .

سنة ثمان وثمانين ومائة :

وفيهما توفي العباس بن الأحنف الشاعر . قلت : قال بشار بن برد : ما زال

غلام من بني حنيفة - يعني العباس بن الأحنف - يدخل نفسه فينا ونحن نخرجه
منا ، حتى قال :

يا أيها الرجل المذبذبة نفسه أقصر فإن شفاءك الإقصار
نزف البكاء دموع عينك فاستمر عيناً بعينك دمعها المدرار
من ذا يعيرك عينه تبكي بها رأيت عيناً للبكاء تعار

سنة تسع وثمانين ومائة : فيها توفي أبو الحسن علي بن حمزة بن عبدالله بن فيروز
الكسائي (١) أحد القراء السبعة نحوي لغوي .

وفيهما سار الرشيد إلى الري وأقام أربعة أشهر ورجع في ذي الحجة وأحرق
جثة جعفر ، ومضى إلى الرقة تحرزاً من أتباع الأمويين مع شدة حبه لبغداد ،
فقال شاعر :

ما أنخنا حتى ارتحلنا فما نفرق بين المناخ والارتحال
ساءلونا عن حالنا إذ قدمنا فقررتنا وداعهم بالسؤال

وفيهما مات محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة أبوه من حرستا من
الغوطة ، ولمحمد عدة كتب كالجوامع الكبير والجامع الصغير وغيرهما . قلت :
طلب الشافعي منه كتباً فتأخرت عنه ، فكتب إليه :

قل للذي لم ترَ عين من رآه مثله
ومن كان من رآه قد رأى من قبله
المعلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله
لعله يبذله لأهله لعله

فأنفذ الكتب إليه ، كذا قال الشيخ أبو اسحاق في الطبقات ، والله أعلم .

(١) سبب تسميته بالكسائي : قيل دخل الكوفة وأتى حمزة الزيات ملتفاً بكساء وقيل :
بل أحرم بكساء فقيل الكسائي .

سنة تسعين ومائة :

وفيهما سار الرشيد في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفاً سوى المتطوعة والأتباع ،
وحاصر هرقله ثلاثين يوماً وفتحها في شوال وسبى أهلها ، وبث العساكر في
الروم ففتحوا الصفصاف وملقونية وخربوا ونهبوا فبعث تقفور بالجزية عن رعيته
وعن رأسه ورأس ولده وبطارقته . وفيها نقض أهل قبرس العهد ، فغزاهم
معتوق بن يحيى عامل سواحل مصر والشام فسباهم . وفيها أسلم الفضل بن سهل
على يد المأمون وكان مجوسياً . وتوفي أسيد بن عمرو بن عامر الكوفي صاحب
أبي حنيفة ويحيى بن خالد بن برمك مجوساً بالرقعة في المحرم ، وعمره سبعون .

سنة احدى وتسعين ومائة واثنتين وتسعين ومائة :

وفيهما سار الرشيد إلى خراسان من الرقة فنزل بغداد ، ورحل عنها إلى
النهر وان لمس خلون من شعبان واستخلف على بغداد ابنه الأمين .

سنة ثلاث وتسعين ومائة :

وفيهما مات الفضل بن يحيى في حبس الرقة في المحرم ، وعمره خمس وأربعون ،
وكان من محاسن الدنيا .

وفاة هارون الرشيد

وفيهما مات الرشيد لثلاث خلون من جمادى الآخرة ، كان من بدو سفره
مريضاً فاشتد مرضه يجر جان وسار إلى طوس فمات بها ، وأنزل في قبره قوماً
ختموا فيه القرآن وهو في محفة على شفير القبر ويقول : واسوأنا من رسول الله
وغشي عليه ، ثم أفاق فقال للفضل بن الربيع يا فضل :

أحين دنا ما كنت أخشى دنوّه رمتني عيون الناس من كل جانب
فأصبحت مرحوماً وكنيت مجسداً فصبراً على مكروه مرّ العواقب
سأبكي على الوصل الذي كان بيننا وأندب أيام السرور الذواهب

ثم مات وصلى عليه صالح ، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين
 وثمانية عشر يوماً ، وعمره سبع وأربعون سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام . كان
 جميلاً أبيض وخطه الشيب ، وبنوه : الأمين من زبيدة ، والمأمون من مراحل
 أم ولد ، والقاسم المؤمن ، والقاسم محمد ، وأبو عيسى محمد ، وأبو يعقوب ،
 وأبو العباس محمد ، وأبو سلمان محمد ، وأبو علي محمد ، وأبو محمد وهو اسمه ،
 وأبو أحمد محمد كلهم لأمهات أولاد ، وخمس عشرة بنتاً . وكان يتصدق من صلب
 ماله كل يوم بألف درهم ، وعهد بالخلافة إلى الأمين وبعده إلى المأمون ، وكتب
 بذلك عهداً وجعله في الكعبة ، وجعل ابنه القاسم المؤمن ولي العهد بعد المأمون
 وجعل إلى المأمون أن يستمر به وأن يعزله .

أخبار الأمين بن الرشيد

ولما توفي الرشيد بويع الأمين سادسهم بالخلافة في عسكر الرشيد صبيحة وفاته
 وكان بمرور ، فكتب إليه أخوه صالح بذلك مع رجاء الخادم وأرسل معه خاتم
 الخليفة والبردة والقضيب . ولما وصل بغداد بويع أيضاً وتحول إلى قصر الخلافة ،
 وجاءت أمه زبيدة من الرقة بخزائن الرشيد فتلقاها بالأنبار ومعه أعيان بغداد .
 وفيها قتل تقفور ملك الروم في حرب برجان ، وملكه سبع سنين .

سنة أربع وتسعين ومائة :

وفيها قتل شقيق البلخي الزاهد في غزاة كولان من بلاد الترك . وفيها
 اختلف أهل حمص على عاملهم فانتقل إلى سلمية ، فاستعمل الأمين مكانه عبدالله
 ابن سعيد الحرشي فقاتلهم ، ثم آمنهم .

سنة خمس وتسعين ومائة :

وفيها أبطل الأمين اسم المأمون من الخطبة ، وخطب لموسى بن الأمين
 ولقبه الناطق بالحق وكان طفلاً ، وجهاز جيشاً خمسين ألفاً لحرب المأمون

بخراسان مقدمهم علي بن عيسى بن ماهان وكان طاهر بن الحسين بالري من جهة المأمون بعسكر قليل ، فخلع طاهر بيعة الأمين وبايع للمأمون وقاتل علي ابن عيسى ، فقتل علي بن عيسى وانهزم عسكره وبعث برأسه إلى المأمون بخراسان .

وفيهما توفي أبو نؤاس الحسن بن هانئ بن عبد الأول الشاعر ، وعمره تسع وخمسون سنة . قلت : وأول شعره وهو صبي :

| | |
|----------------|---------------|
| حامل الهوى تعب | يستفزه الطرب |
| إن بكى يحق له | ليس ما به لعب |
| تضحكين لاهية | والمحب ينتحب |
| تعجبين من سقمي | صحتي هي العجب |

سنة ست وتسعين ومائة :

وفيهما أمر المأمون أن يخطب له بإمرة المؤمنين لما تحقق قتل ابن ماهان ، وعقد للفضل بن سهل على المشرق من جبل همدان إلى البيت طولاً ومن بحر فارس إلى بحر الديلم عرضاً ولقبه ذا الرياستين رياسة السيف والقلم ، وولى الحسن بن سهل ديوان الخراج ، ثم استولى طاهر على الأهواز ثم واسط ثم المدائن ونزل صرصر .

سنة سبع وتسعين ومائة :

وفيهما حاصر طاهر وهرثة بعسكر المأمون صحبتها بغداد وحصروا الأمين ، ووقع فيها النهب والحريق ومنعوا البيرة ، واشتد الحال إلى خروجها . وفيها توفي ابراهيم بن الأغلب عامل افريقيا ، فقام بعده ابنه أبو العباس عبد الله .

سنة ثمان وتسعين ومائة :

مقتل الأمين

وفيها هجم طاهر بغداد بعد قتال وأخذ الأمين أمه وأولاده وتحصن بالمنصورة ، وتفرق عنه جنده فحصر ، ثم خرج ليلاً وعليه ثياب بيض وطيلسان أسود وركب مع هرثمة في حراقة فاحتضنه هرثمة وكبل يديه ورجليه ، ثم شدوا عليه فغرقوها به ، فشق الأمين ثيابه فاستخرجه رجل من الماء وعليه سراويل وعمامة لا غير ، وأرسل اليه طاهر من العجم من قتله ونصبوا رأسه على برج ببغداد ، ثم أرسل به إلى المأمون وأرسل البردة والقضيب ، وصلى طاهر بالناس الجمعة وخطب للمأمون . وكان قتله لست بقين من المحرم وخلافته أربع سنين وثمانية أشهر وكسر ، وعمره ثمان وعشرون سنة ، كان سبطاً أنزع صغير العينين أفنى جميلاً طويلاً منهمكاً في اللذات محتجباً عن إخوته وأهل بيته ، قسم الأموال والجواهر في خواصه ، وعمل خمس حراقات على صورة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس بمال عظيم ، وذكر ذلك أبو نواس فقال :

سخر الله للأمين مطايا لم تسخر لصاحب المحراب
فإذا ما ركابه سرن برأ سار في الماء راكباً ليث غاب
عجب الناس إذ رأوك عليه كيف لو أبصروك فوق العقاب
ذات ظفر ومنسر وجناحين تشق العباب بعد العباب

أخبار المأمون بن الرشيد

ولما قتل الأمين تمكن المأمون في المشرق والمغرب وهو سابعهم ، فولى الحسن ابن سهل أخا الفضل بن سهل الجبال والعراق وفارس والأهواز والحجاز واليمن .

سنة تسع وتسعين ومائة :

وفيها ظهر ابن طباطبا العلوي ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن

علي بالكوفة يدعو إلى الرضا من آل محمد عليه السلام فبايعوه ، ثم هزم زهير بن المسيب الضبي وكان قد جهزه اليه الحسن بن سهل بعشرة آلاف ، ثم سمى أبو السرايا بن منصور القيم بأمره ليستبد بالأمر ، ثم استولى أبو السرايا على البصرة وواسط ، وله مع عسكر المأمون وقائع . وفيها توفي الحسين والد طاهر بخراسان . وفيها توفي عبد الله بن نعيم الهمداني الكوفي وكنيته أبو هاشم ، وهو والد محمد بن عبد الله بن نعيم شيخ البخاري .

سنة مائتين :

وفيها هرب أبو السرايا من الكوفة إلى جلولا ، ثم أتى به إلى الحسن بن سهل بالنهروان فقتله وبعث برأسه إلى المأمون ، وبين خروجه وقتله عشرة أشهر . وفيها ظهر ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي وسار إلى اليمن واستولى عليها ، وسمى الجزار لكثرة من قتل وسبى . وفيها أمر المأمون هرثمة بالسير إلى الشام ، فخالفه وقدم عليه دالاً بمناصحته ، فعمل عليه الحسن بن سهل حتى حبس ثم قتل . وفيها أمر المأمون بإحصاء ولد العباس ، فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفاً ما بين ذكر وأنثى . وفيها قتل الروم ملكهم أليون ، وملك عليهم ميخائيل . وفيها توفي معروف الكرخي الزاهد ذو الكرامات ، وكان أبوه نصرانياً .

سنة احدى ومائتين :

وفيها جعل المأمون علي الرضا بن موسى الكاظم ولي عهد المسلمين والخليفة بعده ولقبه الرضا ، وطرح السواد واستعمل الحضرة في اللباس ، ثم خاض الناس في خلع المأمون لأجل ذلك ولتولية الحسن بن سهل . وفيها توفي عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب صاحب افريقية ، وتولى أخوه زيادة الله بن ابراهيم . وفيها افتتح عبد الله بن خرداذبه والي طبرستان جبال طبرستان وأنزل شهریار بن شهریار بن شروين عنها وأسر أبا ليلي ملك الديلم .

سنة اثنتين ومائتين :

وفيهما بويص لبراهيم بن المهدي ببغداد في المحرم ولقب المبارك ، وذلك بعد أن خلعوا المأمون ، واستولى ابراهيم على الكوفة وعسكر بالمدائن ، واستعمل على الجانب الغربي من بغداد العباس بن موسى الهادي وعلى الجانب الشرقي اسحاق بن الهادي .

مقتل الفضل بن سهل

وفيهما استخلف المأمون على خراسان غسان بن عباد وقصد العراق ، ولما وصل سرخس وثب أربعة فقتلوا^(١) الفضل بن سهل في الحمام في شعبان منها وعمره ستون سنة . وبلغ ابراهيم بن المهدي والمطلب الذي أخذ البيعة لبراهيم قدوم المأمون فتعارض المطلب وراح إلى بغداد وسعى باطناً في البيعة للمأمون وخلع ابراهيم ، وبلغ ذلك ابراهيم وهو بالمدائن فقصد بغداد وطلب المطلب فامتنع ، فنهبه ونهب دور أهله ولم يظفر بالمطلب .

وفيهما عقد المأمون العقد على بوران بنت الحسن بن سهل ، وزوج المأمون بنته من علي بن موسى الرضا . وفيها توفي يحيى بن مبارك بن المغيرة المقري اليزيدي صاحب أبي عمرو بن العلاء علم ولد يزيد بن منصور خال المهدي فنسب إليه .

سنة ثلاث ومائتين :

وفيهما مات علي الرضا فجأة بطوس ، وصلى عليه المأمون ودفنه عند

(١) ورد في تاريخ أبي الفدا « المختصر في أخبار البشر » في هذا الموضع ، لقب للفضل بن سهل : « ذو الرياستين » وأن المأمون جعل لمن أمسكهم عشرة آلاف دينار ، فأمسكهم العباس ابن الهيثم الديموزي وأحضرهم إلى المأمون فضرب أعناقهم - انظر أيضاً ص ٣١٦ .

الرشيد ، وولد علي سنة ثمان وأربعين ومائة وهو ثامن الأئمة الإثني عشر علي رأي الإمامية .

وفيها خلع أهل بغداد ابراهيم بن المهدي ودعوا للمأمون ، وتواري ابراهيم إلى أن قدم المأمون ، وكانت ولاية ابراهيم سنة وأحد عشر شهراً وكسراً . وفيها في ذي الحجة وصل المأمون إلى همدان ، وكانت بخراسان وما وراء النهر زلازل دامت سبعين يوماً فخزبت البلاد وهلك خلق . وفيها غلبت السوداء على الحسن بن سهل حتى شدت في الحديد وكتب إلى المأمون بذلك .

دولة بني زياد ملوك اليمن (١)

كان شخص من بني زياد بن أبيه اسمه محمد بن ابراهيم بن عبيد الله بن زياد مع جماعة من أمية قد سلمهم المأمون إلى الفضل بن سهل ذي الرياستين وقيل : إلى أخيه الحسن ، وبلغ المأمون اختلال اليمن فأثنى ابن سهل على محمد بن زياد فأرسله المأمون ومعه جماعة . فحج في هذه السنة وسار إلى اليمن وفتح تهامة بعد حروب بينه وبين العرب ، واستقر له بن زياد باليمن وبني زبيد واختطها سنة أربع ومائتين . وهادى المأمون مع مولاه جعفر ، فعاد جعفر ومعه عسكر ألفا فارس من جهة المأمون ، فعظم ابن زياد وملك إقليم اليمن بأسره وجعل جعفرأ على الجبال واختط بها مدينة المديخيرة ، وإلى الآن تسمى تلك البلاد بخلاف جعفر ، والمخلاف (٢) : عبارة عن القطر الواسع . وبقي محمد كذلك حتى توفي .

(١) في تاريخ أبي الفدا : « كان ينبغي ذكر ذلك مبسوطاً في السنين ولكن جهناه لينضبط بخلاف ما لو تفرق فانه كان يصعب التقاطه وضبطه . فنقول كان ابتداءها في هذه السنة من تاريخ اليمن لعامة اليمن » .. انظر ص ٢٤ ، ج ٢ ، أبي الفداء .

(٢) المخلاف : الكورة على اصطلاح اليمن ، كما يقال ببلاد الروم : بند ولوا وسنجد ، وفي الشام جند ، وفي الحجاز عرض ، وفي العراق كورة ، وبأهواز طوج ، وفي الجبال وهي كورة اصفهان رستاق .

ثم ملك ابنه ابراهيم . ثم ابنه زياد بن ابراهيم ولم يطل . ثم أخوه أبو الحبش اسحاق بن ابراهيم وطالت مدته وأسن ، وتوفي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة .

وخلف أبو الحبش طفلاً قليل : اسمه زياد تولته أخته هند بنت أبي الحبش وتولى معها رشد عبد أبي الحبش وبقي رشد على ولايته حتى مات ، فتولى عبده حسين بن سلامة عبد رشد ، وسلامة المذكورة هي أم حسين ، ونشأ حسين حازماً عفيفاً وصار وزيراً لهند ولأخيها المذكور حتى مات .

ثم انتقل ملك اليمن إلى طفل من آل زياد وقامت بأمره عمته وعبد الحسين ابن سلامة اسمه مرجان . وكان لمرجان عبدان قد تغلبا على أموره قيس ونجاح ، ونجاح جدّ ملوك زبيد ، فتنافس قيس ونجاح على الوزارة وكان قيس عسوفاً ونجاح رؤوفاً ، وسيدهما مرجان يميل مع قيس على نجاح ، وعمة الطفل تميل إلى نجاح ، فشكا ذلك قيس إلى مولاة مرجان فقبض مرجان على الملك واسمه ابراهيم وقيل : عبدالله ، وعلى عمته وسلمها إلى قيس فبنى عليها جداراً وختمه حتى مات ، و ابراهيم آخر ملوك اليمن من بني زياد ، ومدة ملك بني زياد اليمن مائتان وأربع سنين ، وانتقل ملكهم إلى عبيد عبيدهم لأن الملك صار لنجاح .

ولما قتل قيس ابراهيم وعمته عظم ذلك على نجاح فاستقرّ الأسود والأحمر وقصد قيساً في زبيد وجرت بينها حروب آخرها أن قيساً قتل على باب زبيد وفتحها نجاح في ذي القعدة سنة اثني عشرة وأربعمائة . وقال نجاح لسيدته مرجان : ما فعلت بمواليك ومواليينا ؟ قال : هم في ذلك الجدار . فأخرج نجاح ابراهيم وعمته ميتين وصلى عليها ودفنها وبنى عليها مشهداً ، وجعل نجاح سيده مرجان موضعها ووضع معه جثة قيس وبنى عليها ذلك الجدار . وتملك نجاح وركب بالمظلة وضرب السكة باسمه واستقل بملك اليمن .

سنة أربع ومائتين : وفيها انقطعت الفتن بقدم المأمون إلى بغداد ولبسه الخضر ثمانية أيام ، ثم عاد إلى لبس السواد .

وفاة الامام الشافعي بمصر

وفيها توفي الإمام الشافعي رحمة الله عليه ، وهو محمد بن ادريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، وشافع الذي نسب إليه الشافعي لقي النبي ﷺ وهو مترعرع وأبوه السائب أسلم يوم بدر ، فالشافعي شقيق رسول الله ﷺ في نسبه يجتمع معه في عبد مناف بن المطلب ، وكانت زوجة هاشم بن المطلب بن عبد مناف بنت عمه الشفا بنت هاشم بن عبد مناف ، فولد له منها عبد يزيد جد الشافعي ، فالشافعي إذن ابن عم رسول الله ﷺ وابن عمته لأن الشفاء أخت عبد المطلب جد رسول الله ﷺ .

وولد الشافعي سنة خمس ومائة بغزة على الصحيح ، وأخذ العلم من مالك ومسلم بن خالد الزنجي وسفيان بن عيينة ، وسمع الحديث من اسماعيل بن علية وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ، ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهم .

قال الشافعي : حفظت القرآن وأنا ابن تسع سنين ، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر ، وقدمت على مالك وأنا ابن خمس عشرة سنة . وقال : رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في منامي فسلم علي وصافحني وجعل خاتمه في إصبعي ففسر أن مصافحته أمان من العذاب وجعله الخاتم في إصبعي أنه سيبلغ اسمي ما بلغ اسم علي في المشرق والمغرب .

وناظر الشافعي محمد بن الحسن بالرقعة فقطعه الشافعي ، وكان الشافعي حافظاً للشعر قرأ عليه الأصمعي ديوان الهذليين وديوان الشنقري بمكة . وكان أحمد بن حنبل يقول : ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي . وقدم الشافعي بغداد مرتين سنة خمس وسبعين ومائة وسنة ثمان وسبعين ومائة ، وناظر بشراً المريسي المعتزلي بها ، وناظر حفصاً الفرد بمصر . قال حفص : القرآن مخلوق واستدل ، فتجارياً حتى كفّره الشافعي وقال : إنما خلق الله الخلق بكن فاذا كانت كن مخلوقة فكان مخلوقاً خلق بمخلوق .

ونظر في النجوم وهو حدث، وما نظر في شيء إلا فاق فيه، حبلى امرأته
فحسب وقال : تلد جارية عوراء على فرجها خال أسود تموت إلى كذا وكذا ،
فولدت فكان كما قال ، فجعل على نفسه أن لا ينظر فيه بعدها ودفن الكتب التي
كانت عنده في النجوم . وأنكر الشافعي على أهل الكلام وعلى من يشتغل فيه .
وله أشعار فائقة منها :

وأحق خلق الله بالهم امرؤ ذو همه يبلى بعيش ضيق

وله : أكل العقاب بقوة جيف الفلا وجنى الذباب الشهد وهو ضعيف

قلت : وسأل بعض ملوك الشام عن حلية الشافعي فلم يكن ببلده من يقوم
بها ، ثم بلغ ذلك الشيخ العلامة تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان
المعروف بابن الصلاح فقال : كان رضي الله عنه وجزاه الخير طويلاً سائل الخدين
قليل لحم الوجه طويل العنق طويل القصب أسمر خفيف العارضين يخضب لحيته
بالحناء حمراء قانية حسن الصوت حسن السميت عظيم العقل حسن الوجه حسن
الخلق مهيباً فصيحاً من أذرب الناس لساناً إذا أخرج لسانه بلغ أنفه ، وكانت
مسقماً مملوءاً بالبواسير ، والله أعلم .

وفيها مات الحسين بن زياد اللؤلؤي أحد أصحاب أبي حنيفة وأبو داود
سليمان الطيالسي صاحب المسند ، ومولده سنة ثلاث وثلاثين ومائة . وفيها توفي
النضر بن شميل بن خرشة البصري النحوي ، لما خرج من البصرة إلى خراسان
طلع لوداعه نحو ثلاثة آلاف من الأعيان ، فقال : والله لو وجدت كل يوم كيلجة
باقلاء ما فارقتكم ، فتمول وأثرى بمرور من خراسان . وحظي عند الخليفة المأمون ،
وقال يوماً المأمون : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال : قال
رسول الله ﷺ : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز ،
(وفتح سين سداد) ، فأعاد النضر الحديث وكسر السين ، فاستوى المأمون جالساً
وقال : تلحنني يا نضر ؟ فقال : إنما لحن هشيم وكان لحاناً فتببع أمير المؤمنين

لفظه ، قال : فما الفرق بينها ؟ قال : السداد بالفتح القصد في الدين والسبيل ،
والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد بكسر السين ، وأنشد :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر

فأمر له المأمون بخمسين ألف درهم . والنضر من أصحاب الخليل بن أحمد ،
والبيت لعمر بن عمر بن عثمان بن عفان (رض) المعروف بالعرجي - نسبة إلى العرج
عقبة بين مكة والمدينة .

سنة خمس ومائتين :

وفيهما استعمل المأمون طاهر بن الحسين على المشرق . وفيها توفي يعقوب بن
اسحاق بن زيد البصري أحد القراء العشرة ، وله في القراءات رواية مشهورة ،
قرأ على سلام بن سليمان الطويل ، وسلام على عاصم وعاصم على أبي عبد الرحمن
السلمي ، وأبو عبد الرحمن على علي رضي الله عنه وعلي على رسول الله ﷺ .

سنة ست ومائتين :

وفيهما مات الحكم بن هشام صاحب الأندلس لأربع بقين من ذي الحجة ، وولي
في صفر سنة ثمانين ومائة ، وعمره اثنتان وخمسون ، وبنوه تسعة عشر . وقام
بعده ابنه عبد الرحمن . وفيها توفي قطرب محمد بن المستنير ، أخذ النحو عن
سيبويه كان يبكر إليه فقال سيبويه : ما أنت إلا قطرب (١) ، فلقب به .
وفيهما توفي أبو عمرو اسحاق الشيباني اللغوي .

(١) رأيت في كتاب قطرب أن من العرب من يفتح همزة أن مع اللام فيقول : إذا أني لبه
وعليه قول الراجز :

ألم تكن حلقت بالله العلي أن مطاياك لمن خير المطي

- المؤلف -

كأن اللام مقحمة ، ولغرابة هذا نقلته . والله أعلم .

سنة سبع ومائتين :

وفيهما توفي طاهر بن الحسين في جمادى الأولى من الحمى ، وقصد أن يخلع
المأمون فمات ، وكان أعور فلقب بذي اليمينين وفيه قيل :

يا ذا اليمينين وعين واحده نقصان عين ويمين زائده

وفيهما مات الفقيه الزاهد بشر بن عمرو ، وهو غير الحافي . وفيها توفي محمد
ابن عمرو بن واقد الواقدي العالم بالمغازي وباختلاف العلماء ، ولي القضاء بالجانب
الشرقي من بغداد وكان المأمون يباليغ في إكرامه . وعمره ثمان وسبعون . وفيها
مات محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى المعروف بابن كنااسة ، وهو ابن أخت إبراهيم
ابن أدهم عالم بالعربية والشعر وأيام الناس . وفيها مات زكريا يحيى بن زياد بن
عبد الله الديلمي المعروف بالفراء الكوفي ، أبرع الكوفيين نحواً ولغة وأدباً ،
وله كتاب الحدود وكتاب المعاني وكتابان في المشكل وكتاب النهي وغير ذلك ،
توفي بطريق مكة وعمره نحو ثلاث وستين ، كان يفري الكلام فللقب بذلك .

سنة ثمان ومائتين :

وفيهما مات الفضل بن الربيع . قلت : وفيها ورد عبد الله بن طاهر بن
الحسين وزير المأمون لهدم حصون الشام وهدم سور معرة النعمان وحصن الكفر
وحصن حناك وغير ذلك .

سنة تسع ومائتين :

وفيهما مات ميخائيل ملك الروم ، ملك تسع سنين ، ثم ابنه بوقيل . وفيها
توفي أبو عبيدة محمد بن حمزة اللغوي وكان يميل إلى مقالة الخوارج وعمره تسع
وتسعون ، ومع كمال فضله كان لا يقيم للشعر وزناً ، وله نحو مائتي مصنف .

سنة عشر ومائتين :

وفيهما ظفر المأمون بإبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام المعروف بابن عائشة ويجماعة معه سعوا في البيعة لإبراهيم بن المهدي فحبسهم ، ثم صلب ابن عائشة وهو أول عباسي صلب ، ثم أنزل فصلي عليه و كفن ودفن . وفيها في ربيع الآخر أمسك حارس أسود إبراهيم بن المهدي متنقياً مع امرأتين فأحضره إلى المأمون فحبسه ، ثم شفع فيه الحسن بن سهل ، وقيل : بوران ، وقيل : بل المأمون من نفسه عفا عنه وأطلقه .

وفيهما دخل المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل وكان أبوها مقيماً بفهم الصلح فسار المأمون ودخل بها ، ونثرت عليه أم الحسن والفضل ألفاً حبة لؤلؤ نفيسة وأوقدت شمعة وزنها أربعون مناً من عنبر ، وكتب الحسن أسماء ضياعه في رقاع ونثرها على القواد ، وكان الحسن تخلص من السوداء التي ذكرنا أنها غلبت عليه في سنة ثلاث ومائتين قلت : ولما خلا المأمون ببوران حاضت من هيبة الخلافة فقالت : أتى أمر الله فلا تستعجلوا ، وحذفت الهاء لثلاث تكون قارئة في الحيض ، ففطن المأمون لكتابتها وأعجب بها وخرج في الحال وأنشد في ذلك :

فارس ماض بحربته عارف بالطعن في الظلم
كاد أن يدمي فريسته فاتقتته من دم بدم

وفيهما ماتت علية بنت المهدي ومولدها سنة ستين ومائة ، كان زوجها موسى ابن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

سنة إحدى عشرة ومائتين :

وفيهما أمر المأمون أن ينادى : برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير أو فضله على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ . وفيها مات أبو العتاهية الشاعر . وفيها

مات أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش^(١) النحوي البصري ، والخفش : صغر العينين مع سوء بصرهما ، أخذ النحو عن سيبويه وكان أكبر من سيبويه ، وقال : ما وضع سيبويه شيئاً في كتابه إلا بعد أن عرضه عليّ . وزاد الأخفش في العروض بحر الخبب .

وفيهما توفي عبد الرزاق الصنعاني المحدث المتشيع من مشايخ أحمد بن حنبل . قلت : وفيها توفي أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي تيم قريش ، والله أعلم .

سنة اثنتي عشرة ومائتين :

وفيهما أظهر المأمون القول بخلق القرآن وتفضيل علي بن أبي طالب على جميع الصحابة رضي الله عنهم . وفيها توفي محمد بن يوسف الضبي من مشايخ البخاري .

سنة ثلاث عشرة ومائتين :

وفيهما توفي ابراهيم المغني كوفي سافر إلى الموصل وعباد فقيلاً له الموصلية . وفيها مات علي بن جبلة الشاعر ، وأبو عبد الرحمن المحدث المقرئ . وفيها وقيل : سنة ثمان عشرة ومائتين . توفي بمصر أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري وهو جامع سيرة النبي ﷺ ، وشرحها السهيلي وابن هشام ، من مصر وأصله من البصرة . وفيها توفي أبو عمرو الشيباني ، قال أبو العلاء المعري : كتب أبو عمرو شعر سبعين قبيلة وكان كلما كتب شعر قبيلة كتب مصحفاً ، فكتب سبعين مصحفاً وعاش مائة وستين . وفيها توفي اسحاق بن ابراهيم الموصلية ، وله كتاب الأغاني الأول . والله أعلم .

(١) الأخفش الأكبر أبو الخطاب عبد الحميد النحوي من هجر . والأوسط صاحب الترجمة هذه . والأصغر المتأخر علي بن سليمان بن الفضل النحوي توفي سنة خمس عشرة وقيل : ست عشرة وثلثمائة .

سنة أربع عشرة ومائتين :

وفيهما استعمل المأمون عبد الله بن طاهر على خراسان . وفيها صلح حال أبي دلف مع المأمون وكان من أصحاب الأمين . وفيها وقيل : سنة ثلاث عشرة : توفي ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم بالمغرب ، وقام ابنه محمد بفاس والبربر وولى أخاه القاسم طنجة وأخاه عمر صنهاجة وعمارة وأخاه داود هوارة تاسليت وأخاه يحيى داي وما والاهما وباقي إخوته على ملك البربر . وفيها توفي أبو عاصم بن مخلد الشيباني إمام في الحديث .

سنة خمس عشرة ومائتين :

وفيهما وصل المأمون إلى منبج ثم انطاكية ثم المصيصة وطرطوس ودخل الروم ففتح حصوناً وعاد وتوجه إلى دمشق . وفيها توفي أبو سليمان الداراني الزاهد بداريا ، ومكي بن ابراهيم البلخي من مشايخ البخاري ، وأبو زيد سعيد النحوي اللغوي ابن ثلاث وتسعين ، وأبو سعيد الأصمعي اللغوي البصري وقيل : توفي في غيرها ، واسمه عبد الملك بن قريّب بن عبد الملك بن صالح وعمره نحو ثمان وثمانين ، نسب إلى جده أصمع وله مصنفات منها : كتاب خلق الانسان وكتاب الأجناس وكتاب الأنواء وكتاب الصفات وكتاب الميسر والقдах وكتاب الفرس وكتاب الإبل وكتاب الشاء وكتاب جزيرة العرب وكتاب النبات .

سنة ست عشرة ومائتين :

وفيهما فتح المأمون في الروم عدة حصون وقتل وسبى ، ثم عاد إلى دمشق ، ثم سار إلى مصر . وفيها ماتت أم جعفر زبيدة ببغداد .

سنة سبع عشرة ومائتين :

وفيهما عاد المأمون من مصر ودخل الروم وأناخ على لؤلؤة مائة يوم ثم رحل عائداً .

المأمون و « خلق القرآن »

سنة ثمان عشرة ومائتين :

وفيها امتحن أهل العلم ، وذلك أن المأمون كتب إلى عامه ببغداد اسحاق ابن ابراهيم أن من أقر من القضاة والشهود والعلماء أن القرآن مخلوق خلي سبيله ومن أبى يعلمه به . فجمع الذين ببغداد منهم ، ومنهم : قاضي القضاة بشر بن الوليد الكندي ومقاتل وأحمد بن حنبل وقتيبة وعلي بن الجعد وغيرهم ، وقال لبشر : ما تقول في القرآن ؟ قال : القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا أمخلوق هو ؟ قال : الله خالق كل شيء ، قال : والقرآن شيء ؟ قال : نعم ، قال : مخلوق هو ؟ قال : ليس بخالق ، قال : ليس عن هذا أسألك أمخلوق هو ؟ قال : ما أحسن غير ما قلت لك . قال اسحاق للكتاب : أكتب ما قال ، ثم سأل غيره وغيره ويحييون بنحو جواب بشر .

ثم قال لأحمد بن حنبل : ما تقول في القرآن ؟ قال : كلام الله ، قال : أمخلوق هو ؟ قال : كلام الله ما أزيد عليها . ثم قال له : ما معنى قوله سميع بصير ؟ قال أحمد : كما وصف نفسه ، قال : فما معناه ؟ قال : لا أدري هو كما وصف نفسه . ثم سأل قتيبة وعبيد الله بن محمد وعبد المنعم بن ادريس بن نبت ووهب ابن منبه وجماعة ، فأجابوا أن القرآن مجعول لقوله تعالى : إنا جعلناه قرآناً عربياً . والقرآن محدث لقوله : ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث . قال اسحاق : فالمجعول مخلوق ، قالوا : لا نقول مخلوق لكن مجعول . فكتب مقالته ومقالة غيره إلى المأمون .

فورد جواب المأمون إلى اسحاق بن ابراهيم : أن يحضر قاضي القضاة بشر ابن الوليد و ابراهيم بن المهدي فإن قالوا بخلق القرآن وإلا تضرب أعناقها ومن لم يقل سواهما بخلق القرآن يوثقه بالحديد ويحمله إلى المأمون .

فجمعهم اسحاق وعرض عليهم ما أمر به المأمون ، فقال بشر و ابراهيم
والجميع بنخلق القرآن إلا أربعة هم : أحمد بن حنبل والقواريري وسجادة ومحمد
ابن نوح المضروب فأبوا فشدّهم في الحديد ثم سأهم ، فأجاب سجادة
والقواريري فأطلقها ، وأصر الإمام أحمد ومحمد بن نوح على قولها فوجهما
إلى طرطوس .

ثم ورد كتاب المأمون يقول : بلغني أن بشر بن الوليد وجماعة معه إنما
أجابوا بتأويل الآية الكريمة التي أنزلها الله تعالى في عمار بن ياسر الا من أكره
وقلبه مطمئن بالإيمان ، وقد أخطأوا التأويل فإن الله تعالى عنى بهذه الآية من
كان معتقداً للإيمان مظهراً للشرك ، فأما من كان معتقداً للشرك مظهراً للإيمان
فليس هذا له ، فأشخصهم إلى طرطوس ليقيموا بها إلى أن يخرج أمير المؤمنين
من بلاد الروم . فأرسلهم اسحاق ، فلما صاروا إلى الرقة بلغهم موت المأمون
فرجعوا إلى بغداد .

وفاة المأمون

وفيها مرض المأمون لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة ، وذلك أنه كان
جالساً هو وأخوه المعتصم على شاطئ نهر البدندون وأرجلها في الماء وهو في
غاية الصفاء والعدوبة فذكرا طيب الرطب فوصلت بغال البريد عليها الحقايب
وفيها اللطاف ، فجيء منها بسلين فيها رطب فتعجبا وشكرا الله وأكلا منه
وشربا من الماء فحُمّا ، ولم يزل المعتصم مريضاً حتى دخل العراق ، ولما مرض
المأمون أوصى إلى أخيه المعتصم بحضرة ابنه العباس بتقوى الله وحسن سياسة
الرعية في كلام طويل حسن وقال : هؤلاء بنو عمك ولد أمير المؤمنين علي رضي
الله عنه أحسن صحبتهم وتجاوز عن مسيئتهم ولا تغفل صلّاتهم في كل سنة عند
محلها . وتوفي (ره) فحملة أخوه وابنه إلى طرطوس فدفناه^(١) بسلاحه بدار

() ذكر الشيخ أبو غالب همام بن الفضل بن جعفر بن علي بن المهذب المعري في تاريخه : =

جلعان خادم الرشيد .

قلت : وفيه يقول بعضهم :

خلفوه بعرضتي طرطوس مثلما خلفوا أباه بطوس

وصلى عليه المعتصم ، وخلافته عشرون سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرون يوماً سوى أيام دعي له بالخلافة وأخوه الأمين محصور ببغداد ، ومولده للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة وكنيته أبو العباس . كان ربعة أبيض جميلاً طويل اللحية دقيقها وخطه الشيب ، وقيل : كان أسمر أقنى أعين ضيق الجبهة بخده خال أسود . ضاق المال عليه بدمشق وحمل إليه المعتصم ثلاثين ألف الف الف فاستبشر به الناس ، فقال ليحيى بن اكرم : نتصرف بالمال ويرجع أصحابنا خائبين إن هذا للؤم ، ففرق أربعة وعشرين ألف الف الف ورجله في الركاب . ومن شعره :

بعثتك مرتاداً ففزت بنظرة وأغفلتني حتى أسأت بك الظنا
فناجيت من أهوى و كنت مباعداً فيا ليت شعري عن دنوك ما أغنى
أرى أثراً منها بعينك بيتاً لقد أخذت عيناك من عينها حسنا

كان مائلاً إلى العلويين ورد فذك علي ولد فاطمة وسلمها إلى محمد بن يحيى بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ليفرقها على مستحقيها من ولد فاطمة ، وكان المأمون فاضلاً مشاركاً في علوم كثيرة .

أخبار المعتصم بن الرشيد

وبويع للمعتصم ثامنهم أبي اسحاق محمد بن هارون الرشيد بالخلافة بعد موت

= ان قبر المأمون كان على بطانة المهراب بجامع طرطوس فوق في أيام بسيل الملك وهو بالدرع والبيضة والسيف فذكر ذلك لبسيل ، فقال : هذا ملك ولا يجوز ان يغير ، فأمر بأخذ السيف وان يرد الى الموضع . والله أعلم .

المأمون ، فشعب الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون ، فأحضر العباس فبايعه
الناس . وانصرف المعتصم إلى بغداد فقدمها مستهل رمضان . وفيها توفي بشر
ابن عتاب المريسي وكان يقول بخلق القرآن .

سنة تسع عشرة ومائتين :

وفيها امتحن المعتصم أحمد بن حنبل بالقرآن فلم يقل بخلقه ، فجلده حتى
غاب عقله وتقطع جلده وقيده وحبسه . وفيها توفي أبو نعيم الفضل التيمي من
مشايخ البخاري ومسلم ، مولده سنة ثلاثين ومائة وكان شيعياً .

سنة عشرين ومائتين :

وفيها خرج المعتصم لبناء سامراء . وفيها قبض على وزيره الفضل بن مروان
ولم يكن للمعتصم معه أمر ، وولى مكانه محمد بن عبد الملك الزيات . وفيها توفي
محمد الجواد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي
الله عنهم أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية وصلى عليه الواثق ، وعمره
خمس وعشرون سنة ودفن ببغداد عند جده موسى ، ومحمد تاسع الاثني عشر .

سنة احدى وعشرين ومائتين :

وفيها توفي قاضي القيروان أحمد بن محرز العالم العامل الزاهد . وفيها توفي
آدم بن أبي اياس العسقلاني من مشايخ البخاري .

سنة اثنتين وعشرين ومائتين وثلاث وعشرين ومائتين :

وفيها خرج نوفيل ملك الروم فبلغ زبطرة وقتل وسبى ومثل ، وبلغ
المعتصم ذلك وان امرأة هاشمية صاحت في أيدي الروم : وامعتصاه ، فنهض من
وقته وجمع العساكر وسار في جمادى منها ، وبلغه أن عمورية عين النصرانية
وأشرف عندهم من القسطنطينية وما اعترضت في الإسلام ، فتجهز بما لم يعهد من

السلاح وحياض الأدم وغير ذلك وسار على نهر بينه وبين طرطوس يوم وفرق
عسكره ثلاث فرق ، فخرّبوا بلاد الروم وأحرقوا حتى وصلوا إلى عمورية
فنصبوا المناجيق وفتحوا بالمنجنيق ثغرة في السور وهجموها ونهبوا وسبوا ،
وأقبلوا بالسبي والأسرى إلى المعتصم من كل جهة ، وأمر بعمورية فهدمت
وأحرقت ، وبعد مقامه خمسة وخمسين يوماً ارتحل راجعاً إلى الثغور . وبلغه في
أثناء الطريق أن العباس بن المأمون قد بايع جمعاً من القواد وقصد الوثوب ،
فأحضره وسلمه إلى رجل ، فلما وصل منبج طلب الطعام فأكل ومنع الماء حتى
مات بمنبج ، وأتم المعتصم سيره إلى سامرا . وفيها توفي ملك إفريقية زيادة الله
ابن إبراهيم بن الأغلب ، وتولى أخوه أبو عقّال بن إبراهيم .

سنة أربع وعشرين ومائتين :

وفيها مات إبراهيم بن المهدي في رمضان ، وصلى عليه المعتصم . وفيها
مات أبو عبيد القاسم بن سلام الإمام اللغوي (١) ، وعمره سبع وستون . قلت :
كان أبو عبيد المذكور قاضي طرطوس وهو مؤلف كتاب الغريب المصنف
وكتاب الأمثال والأموال والأنواء والطهارة وغير ذلك . وفيها صلب المعتصم
الافشين (٢) ثم أحرقه ، والله أعلم .

سنة خمس وعشرين ومائتين : وفيها توفي أبو دلف ، وعلي بن محمد المدائني المشهور .

سنة ست وعشرين ومائتين :

وفيها توفي أبو الهذيل بن محمد بن الهذيل بن عبد الله العلاف البصري شيخ

(١) قال ابن المذهب في تاريخه : حدثني بعض أهل العراق أنه رأى بالمقابر بمكة حجراً على
قبر عليه مكتوب : اللهم اذا حشرت الأولين والآخرين في صعيد واحد فارحم أبا عبيد القاسم
ابن سلام .

(٢) هو : الأفشين خيذر بن كاووس . وقد جاء ذكر غضب المعتصم عليه وحجسه حتى
مات في حبسه ثم أخراجه وصلبه في أحداث سنة ٢٢٦ ، في تاريخ أبي الفداء، ج ٢ - ص ٣٤ .

المعتزلة ، وزاد عمره على مائة . وفيها توفي أبو عقاب الأغلبي ، وتولى أخوه أبو العباس بن محمد .

سنة سبع وعشرين ومائتين :

وفيهما توفي المعتصم أبو إسحاق محمد بن هارون لثاني عشرة ليلة مضت من ربيع الأول بسامرا وخلافته ثمان سنين وثمانية أشهر ويومان ، ومولده سنة سبع وتسعين ومائتين ، وكما أنه ثامن الخلفاء فهو الثامن من ولد العباس وله ثمانية بنين وثمانى بنات ، وكان أبيض أصهب اللحية طويلها مربوعاً مشرباً بحمرة ؛ أول من أضيف إلى لقبه اسم الله تعالى من الخلفاء ، طيب الخلق وإذا غضب لا يبالي بما فعل ، رأى يوماً وهو منفرد حمار شيخ علق في الوحل ووقع حمله فنزل المعتصم وخلص الحمار وأعطى صاحبه أربعة آلاف درهم ، وقال ابن أبي دؤاد : تصدق المعتصم ووهب على يدي مائة الف الف درهم .

أخبار الواثق بن المعتصم

وببيع الواثق تاسعهم هارون بن المعتصم يوم وفاة أبيه ، وأم الواثق قراطيس أم ولد رومية . وفيها ملك نوفيل ملك الروم ، وملكته بعده امرأته بدوره وابنها منه ميخائيل . وفيها توفي بشر بن الحارث الزاهد المعروف بالحافي في ربيع الأول .

سنة ثمان وعشرين ومائتين :

وفيهما فتح المسلمون أماكن من جزيرة صقلية وأمير صقلية محمد بن عبد الله ابن الأغلبي مقيم في بلزم يجهز الجيوش فيفتح ويغنم ، وإمارته على صقلية تسع عشرة سنة ، وتوفي سنة سبع وثلاثين ومائتين .

وفيها مات أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر . قلت : وقبره بالموصل ،
وهو جامع الحماسة ، قصد البصرة فخشي عبد الصمد بن المعدل الشاعر بها من
انصراف الناس عنه إلى أبي تمام فكتب إليه :

أنت بين اثنتين تبرز للناس وكلتاها بوجه مذل
لست تنفك راجياً لوصول من حبيب أو طالباً لنوال
أي ماء يبقى لوجهك قل لي بين ذل الهوى وذل السؤال

فأضرب أبو تمام عن مقصده ورجع وقال : قد شغل هذا ما يليه فلا حاجة
لنا فيه ، والله أعلم .

سنة تسع وعشرين ومائتين :

وفيها صدر الواثق الكتاب . وفيها توفي خلف بن هشام البزار المقرئ ،

سنة ثلاثين ومائتين :

وفيها مات عبد الله بن طاهر بنديسابور وهو أمير خراسان وعمره ثمان
وأربعون ، فأقام الواثق ابنه طاهراً موضعاً . وفيها خرجت المجوس من أقاصي
الأندلس في البحر إلى بلاد المسلمين وجرت بالأندلس وقائع انهزم فيها المسلمون ،
فلما دخلوا حاضرة اشبيلية وافاهم عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس
والمسلمون من كل جهة فانهزم المجوس وغنم المسلمون أربعة مراكب بما فيها ، وعاد
المجوس إلى بلادهم . وفيها مات اسناس التركي بعد ابن طاهر بتسعة أيام .

سنة إحدى وثلاثين ومائتين :

وفيها مات المغني مخارق ، وأبو يعقوب بن يوسف بن يحيى البويطي صاحب
الشافعي محبوساً في محنة الناس بالقرآن ولم يجب إلى القول بأنه مخلوق وكان من

الصالحين ، وبويط : من قرى مصر . وفيها توفي ابن الاعرابي محمد بن زياد الكوفي اللغوي ، وأبوه عبد سندي ، أخذ الأدب عن المفضل الضبي وله كتب منها : كتاب النوادر وكتاب الأنواء وتاريخ القبائل ، ولد ليلة وفاة أبي حنيفة سنة خمسين ومائة ، والاعرابي : منسوب إلى الاعراب ، يقال : رجل اعرابي إذا كان بدوياً وإن لم يكن من العرب ، ورجل عربي : منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدوياً ، ويقال : رجل أعجم وأعجمي إذا كان في لسانه عجمة وإن كان من العرب ، ورجل عجمي : منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً .

سنة اثنتين وثلاثين ومائتين :

وفيها توفي الواثق بالله أبو جعفر هارون بن المعتصم لست بقين من ذي الحجة بالاستسقاء : أقعد في تنور مسخن فوجد به خفة فعاوده ، وأخرج في محفة فمات فيها ودفن بالهاروني . نظر المنجمون في مولده عند اشتداد مرضه فقدروا أنه يعيش خمسين سنة مستأنفة فعاش عشرة أيام . كان أبيض مشرباً بحمرة في عينه اليسرى نكتة بياض وخلافته خمس سنين وتسعة أشهر وكسر وعمره اثنتان وثلاثون سنة ، ولقد بالغ في إكرام العلويين وفترق في الحرمين أموالاً حتى لم يبق فيها سائل . ولما بلغ أهل المدينة موته كانت تخرج نساءهم إلى البقيع كل ليلة ويندبن لفرط إحسانه ، ولكن أشبه أباه المعتصم وعمه المأمون في امتحان الناس بالقرآن الكريم وألزمهم بالقول بخلقه وأن الله لا يرى في الآخرة بالأبصار .

أخبار المتوكل بن المعتصم

ثم إن كهراء الدولة ألبسوا محمد بن الواثق قلنسوة ودراعة سوداء وهو أمرد قصير وأرادوا بيعته ، فلم يروا ذلك مصلحة فتناظروا فيمن يولونه ، ثم أحضروا المتوكل فقام أحمد بن أبي دؤاد وألبسه الطويلة وعممه وقبل بين عينيه . فبويع المتوكل عاشرهم وهو جعفر بن المعتصم يوم موت الواثق ، وعمر المتوكل يومئذ ست وعشرون سنة .

سنة ثلاث وثلاثين ومائتين :

وفيه قبض المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات وصادره وحبسه وعذبه بالتنور ، وكان ابن الزيات قد عمل تنور خشب فيه مسامير حديد أطرافها إلى داخل تمنع من فيه من الحركة ولا يقدر على الجلوس ، وعذب به ابن اسباط المصري ، فعذبوا ابن الزيات بتنوره المذكور .

وكان الصولي صديق ابن الزيات فصادره بألف ألف درهم ، فقال الصولي :

وكنت أذم اليك الزمان فأصبحت منك أذم الزمانا
وكنت أعدك للنائبات فها أنا أطلب منك الأمانا

قلت : وما أحسن هذا البيت لو أنشد كذا :

وقد كنت أطلب منك المنى فها أنا أطلب منك الأمانا

وفيهما ولي المتوكل ابنه المنتصر الحرمين واليمن والطائف . وفيها في ذي القعدة توفي أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام المزني البغدادي الحافظ صاحب الجرح والتعديل إمام حافظ ، قيل : أنه من قرية تقياي نحو الأنبار ، وكان الإمام أحمد شديد الصحبة له يشتركان في علوم الحديث وذكر الدارقطني يحيى فيمن روى عن الشافعي ، وولد سنة ثمان وخمسين ومائة .

سنة أربع وثلاثين ومائتين :

وفيهما توفي محمد بن مبشر المعتزلي البغدادي ، وأبو خيثمة زهير المحدث ، وعلي ابن عبد الله بن جعفر المدني الحافظ إمام ثقة . قلت : وفيها توفي جد بني المهذب بعمرة النعمان وهو أبو الوليد همام بن عامر بن أبي شهاب ، ودفن قبلي الميدان ظاهر المعرة وكان من النبلاء الأغنياء . والله أعلم .

سنة خمس وثلاثين ومائتين :

وفيهما ظهر بسامرا محمود بن فرخ وادعى النبوة وأنه ذو القرنين وتبعه سبعة

وعشرون رجلاً ، فالزم أصحابه أن يصفه كل منهم عشر صفات ثم حبسهم
 وضربه حتى مات . وفيها مات الحسن بن سهل وعمره تسعون بدواء أفرط عليه
 القيء (كثرة القيء) . وفيها مات اسحاق بن ابراهيم الموصلي ذو الألحان والغناء .
 وفيها مات سريج بن يونس بن سريج - بالسین المهمة - . وفيها وقيل في تلوها : مات
 عبد السلام بن زغبان - بالغين المنقوطة - الشاعر ديك الجن الشيعي تشيعاً
 حسناً وعمره بضع وتسعون ، ومن شعره الجيد :

وقم أنت فاحث كاسها غير صاغر ولا تسق إلا خمرها وعقارها
 مشعشة من كف ظي كأنما تناولها من خده فأدارها

سنة ست وثلاثين ومائتين :

وفيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين رضي الله عنه وهدم ما حوله من المنازل ،
 وكان شديد البغض لعلي ولأهل بيته وكان نديه عبادة الخنث يكبر بطنه بمخدة
 ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص ويقول : قد أقبل الأصلع البطين خليفة
 المسلمين - يعني علياً رضي الله عنه - . فقال له المنتصر يوماً : يا أمير المؤمنين
 ان علياً ابن عمك فكل أنت لحمه إذا شئت ولا تحلّ مثل هذا الكلب وأمثاله
 يطمع فيه ، فقال المتوكل للمغنين غنوا :

غار الفقى لابن عمه رأس الفقى في حرامه

وكان يجالس من اشتهر ببغض علي كابن الجهم الشاعر وأبي السمط ، وكان
 من أحسن الخلفاء سيرة ومنع القول بخلق القرآن ففطى ذمه لعلي على حسناته .
 قلت :

وكم قد محى خير بشر كما انمحت ببغض علي سيرة المتوكل
 تعمق في عدل ولما جنى على جناب علي حطه السيل من علي
 وفيها توفي منصور بن المهدي .

سنة سبع وثلاثين ومائتين :

وفيهما مات محمد بن عبد الله أمير صقلية ، وولى مكانه العباس بن الفضل بن يعقوب بن فزارة وفتح قصر بانه دار ملك صقلية وغيرها ، وكانت سرقوسة قبلها دار الملك . وفيها توفي حاتم الأصم الزاهد المشهور البلخي ، خرج من امرأة صوت فأومها أنه أصم لئلا تحجل فسمي به .

سنة ثمان وثلاثين ومائتين :

وفيهما توفي عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك صاحب الأندلس في ربيع الآخر ، ومولده سنة ست وسبعين ومائة ، وولايته إحدى وثلاثون سنة وثلاثة أشهر وله خمسة وأربعون ابناً ، وملك بعده ابنه محمد .

سنة تسع وثلاثين ومائتين : وفيها توفي محمود بن غيلان المروزي من مشايخ البخاري ومسلم .

سنة أربعين ومائتين :

وفيهما مات ابن الشافعي واسمه محمد وكنيته أبو عثمان ، كان قاضي الجزيرة ، وروى عن أبيه وعن ابن عيينة ، وابن الشافعي محمد غير هذا مات بمصر سنة إحدى وثلاثين ومائتين . وفيها توفي أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي صاحب الشافعي وناقل أقواله القديمة عنه ، وكان على مذهب أهل الرأي حتى قدم الشافعي العراق فاتبعه .

سنة إحدى وأربعين ومائتين :

وفاة الامام ابن حنبل

وفيهما في ربيع الأول توفي الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن ادريس ينسب إلى معد بن عدنان روى عنه مسلم والبخاري وأبو داود وإبراهيم الحاربي ،

وكان مجتهداً ورعاً صدوقاً . قال الشافعي : خرجت من بغداد وما خلفت بها
أحداً أتقى ولا أروع ولا أفقه من أحمد بن حنبل .

قلت : حزر من حضر جنازته من الرجال فكانوا ثمانمائة ألف ومن النساء
ستين ألفاً ، وقيل : أسلم يوم موته عشرون ألفاً من النصارى واليهود والمجوس .
وحدث إبراهيم الحربي قال : رأيت بشر بن الحارث الحافي في المنام كأنه خارج
من مسجد الرصافة وفي كفه شيء يتحرك ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال :
غفر لي وأكرمني ، فقلت : ما هذا الذي في كحك ؟ قال : قدم علينا البارحة
روح أحمد بن حنبل فنثر عليه الدر والياقوت فهذا مما التقطت ، قلت : ما فعل
يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ؟ قال : تركتهما وقد زارا رب العالمين ووضعت
لها الموائد ، قلت : فلم تأكل معها أنت ؟ قال : قد عرف هوان الطعام عليّ
وأباحني النظر إلى وجهه ، والله أعلم .

سنة اثنتين وأربعين ومائتين :

وفيهما مات أبو العباس محمد بن إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية ، وولي ابنه
أبو إبراهيم أحمد بن محمد . وفيها توفي القاضي يحيى بن أكرم بن محمد بن قطن
من ولد أكرم بن صيفي التميمي حاكم العرب . يحيى من أصحاب الشافعي بصير
بالأحكام إمام في عدة فنون وكان دميم الخلق ، جلس المأمون يوماً وهو مغتاض
يستاك ويقول : متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وعلى عهد أبي بكر وأنا
أنهى عنهما ومن أنت يا جعل حتى تنهى عمما فعله رسول الله ﷺ ؟ فأوجم
الحاضرون حتى دخل يحيى بن أكرم فقال له المأمون : أراك متغيراً؟ فقال يحيى :
هو غم لما حدث من النداء بتحليل الزنا يا أمير المؤمنين ، قال : الزنا ؟ قال :
نعم المتعة زنا ، قال : ومن أين قلت هذا ؟ قال : من كتاب الله وحديث رسول
الله ، قال الله تعالى : « والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما
ملكتم أيماهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » .
يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين ؟ قال : لا ، قال : فهي الزوجة التي ترث

وقورث؟ قال : لا ، قال : فقد صار متجاوز هذين من العادين . وهذا الزهري روى عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أنادي بالنهي في المتعة وتحريمها بعد أن كان أمر بها .

فقال المأمون : أمحفوظ هذا عن الزهري ؟ قال : نعم رواه عنه جماعة منهم مالك رضي الله عنه . فقال المأمون : استغفر الله ، وبادر إلى النداء بتحريم المتعة والنهي عنها . وكان ابن أكرم^(١) يتهم بالصبيان ، وقد قيل فيه أشعار منها :

وكننا نرجي أن نرى العدل ظاهراً فأعقبنا من بعد ذلك قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها وقاضي قضاة المسلمين يلوط
ولأحمد بن نعيم :

أنطقني الدهر بعد إخراسي لنائبات أطلن وسواسي
لا أفلحت أمة وحق لها بطول نكس وطول إتعاس
ترضى بيحيى يكون سائسها وليس يحيى لها بسواس
قاض يرى الحد في الزنا ولا يرى على من يلوط من باس
يحكم للأمرد الغرير على مثل جرير ومثل عباس
فالحمد لله كيف قد ذهب العدل وقلّ الوفاء في الناس
أميرنا يرتشي وحاكمننا يلوط والراس شر ما راس
لا أحسب الجور ينقضي وعلى الأمة وال من آل عباس

سنة ثلاث وأربعين ومائتين :

وفيهما سار المتوكل إلى دمشق . وفيها مات إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول الصولي . وفيها مات الحارث المحاسبي بن أسد الزاهد ، وهجره أحمد بن

(١) أكرم : العظيم البطن والشبعان .

حنبل لأجل علم الكلام فاختمى لتعصب العامة لأحمد ، ولم يصل عليه غير أربعة أنفس .

قلت : المُحاسبي هو ممن اجتمع له علم الباطن والظاهر وله كتب في الأصول والزهد منها : كتاب الرعاية ، ترك أبوه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئاً وهو محتاج إلى درهم لكون أبيه قديراً ، وقال : صحت الرواية عن رسول الله ﷺ : أنه لا يتوارث أهل ملتين ، والله أعلم .

سنة أربع وأربعين ومائتين :

وفيهما دخل المتوكل دمشق وعزم على المقام بها ونقل دواوين الملك إليها ، فقال يزيد بن محمد المهلبى :

أظن الشام تشمت بالعراق إذا عزم الإمام على انطلاق
فإن تدع العراق وساكنيه فقد تبلى المليحة بالطلاق

ثم استوبأ دمشق واستثقل ماءها ، فعاود سرّاً بعد شهرين وعشرة أيام .
وفيهما نفى المتوكل بختيشوع إلى البحرين وحبس ماله ، وقتل أبا يوسف يعقوب بن اسحاق بن السكيت^(١) مصنف إصلاح المنطق ، قال له : أيما أحب إليك ابناي المعتز والمؤيد أم الحسن والحسين ؟ فغض ابن السكيت من ابنيه وذكر من الحسن والحسين ما هما أهل ، فداسوا بطنه وحمل إلى داره فمات .
وقيل : قال : ان قبر خادم علي خير منك ومن ابنك ، فسلوا لسانه من قفاه ، وعمره ثمان وخمسون .

سنة خمس وأربعين ومائتين :

في ذي القعدة منها توفي ذو النون المصري ، وأبو الحسين بن علي الكرابيسي

(١) السكيت - بكسر السين وتشديد الكاف - كثير السكوت .

صاحب الشافعي . قلت : وفيها زلزل الشام عظيماً في شباط وسقطت من ذلك كنيسة حناك الكبيرة وغيرها ، والله أعلم .

سنة ست وأربعين ومائتين :

وفيها تحول المتوكل إلى الجعفري وبدأ عمارته سنة خمس وأربعين ومائتين ، كان موضعه يسمى الماخورة . وفيها توفي دعبل بن علي الخزاعي الشاعر ، ومولده سنة ثمان وأربعين ومائة وكان يتشيع .

قلت : وما أحسن قول دعبل - وقد يروى لغيره - :

لكنها خطرات من وساوسه يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرماً

سنة سبع وأربعين ومائتين :

وفيها قتل المتوكل بالسيوف في الخلوة في مجلس شرابه برأي ابنه المنتصر وبغا الصغير الشرابي ، وقتل معه وزيره الفتح بن خاقان ليلة الأربعاء لسبع خلون من شوال ، وخلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام ، وعمره نحو أربعين سنة ، وكان أسمر خفيف العارضين .

ذكر خلافة المنتصر بن المتوكل

وفي صبيحة تلك الليلة بويح المنتصر ، حضرت الأعيان بالجعفري فأخرج أحمد بن الخطيب كتاباً من المنتصر : ان الفتح بن خاقان قتل المتوكل فقتلته به ، فبايعوه . قلت : وفيها حج أبو عبادة البحري هرباً من المنتصر لأنه كان يشرب مع أبيه لما قتل ، فقال :

فلو كان سيفي ساعة القتل في يدي درى الفاتك العجلان كيف أساوره

فلما قضى حجه وعاد مدح المنتصر بقصيدة منها :

حججنا البنية شكراً لما حباننا به الله في المنتصر

وفيهما توفي أبو العباس أمير صقلية ، فولى الناس ابنه عبد الله ثم ورد من
افريقية خفاجة بن سفيان أميراً فغزا وفتح ، ثم اغتاله بعض أصحابه فولى الناس
ابنه محمداً ، ثم أقره محمد بن أحمد بن الأغلب صاحب القيروان . وبقي محمد بن
خفاجة أميراً إلى سنة سبع وخمسين ومائتين فقتله طواشيتة وهربوا فقتلوا .
وفيهما توفي أبو عثمان بكر بن محمد المازني الإمام في العربية (١) .

سنة ثمان وأربعين ومائتين :

وفيهما توفي المنتصر بالله محمد بن جعفر المتوكل يوم الأحد بسامرا لخمس خلون
من ربيع الأول بالذبح ، اعتل ثلاثة أيام ، وعمره خمس وعشرون وستة أشهر
وخلافته ستة أشهر ويومان ، كان أعين أقنى قصيراً مهيباً عظيم اللحم عاقلاً
منصفاً ، أمّن العلويين وأمر بزيارة قبر الحسين .

خلافة المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم

ولما توفي ببيع للمستعين أحمد بن محمد بن المعتصم ثاني عشرهم ليلة الاثنين لست
خلون من ربيع الآخر وهو ابن ثمان وعشرين سنة ويكنى أبا العباس . وفيها
ورد عليه خبر وفاة طاهر بن عبد الله بن طاهر أمير خراسان في رجب ، فولى
ابنه محمد بن طاهر خراسان . وفيها مات بغا الكبير ، فولى مكانه ابنه موسى

(١) بذل له ذمي مائة دينار على فاقة ليقرئه كتاب سيبويه ، فامتنع غيره للعلم والقرآن ،
فاتفق أن جارية غنت بحضرة الواثق :

أظلم ان مصابكم رجلاً أهدى السلام تحية ظلم

فلحنت في نصب رجل فأصرت على أن شيخها المازني لقنها إياه بالنصب ، فاستحضره الواثق
رساله : أترفع رجلاً من البيت المذكور أم تنصبه ؟ فقال : بل الوجه النصب ، لأن مصابكم مصدر
بمعنى اصابتكم فهو بمنزلة قولك : ان ضربك زيداً ظلم . بدليل ان الكلام معلق الى أن تقول ظلم ،
فأمر له الواثق بألف دينار ورده مكرماً ، فقال : رددنا لله مائة فعوضنا ألفاً .

ابن بفا . وفيها شغب أهل حمص على كيدر عاملهم فأخرجوه . وفيها تحرك يعقوب بن الليث الصفار من سجستان نحو هراة . وفيها توفي محمد بن العلاء الهمداني من مشايخ البخاري ومسلم .

سنة تسع وأربعين ومائتين :

وفيها التقى المسلمون والروم بمرج الأسقف ، وقتل عمر بن عبد الله الأقطع مقدم المسكر وكان شجاعاً وانهمز الروم وقتل منهم ، فأغار الروم إلى الثغور الجزرية . وفيها شغب الجند الشاكرية والعامية ببغداد على الأتراك بسبب استيلائهم على الأمور يقتلون من شاءوا من الخلفاء ويستخلفون من شاءوا من غير مصلحة ، ثم اتفقت العامة بسامرا وأطلقوا من في السجون فقتلت الأتراك من العامة جماعة حتى سكنت الفتنة .

وفيها قتلت الموالي أيامش ونهبوا داره ، فإن المستعين أطلق يد أيامش فاستولى على الأموال . وفيها توفي علي بن الجهم الشاعر . وفيها توفي أبو ابراهيم أحمد بن الأغلب صاحب افريقية ، وقام موضعه أخوه أبو محمد زيادة الله .

سنة خمسين ومائتين :

وفيها ظهر أبو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بالكوفة في جمع واستولى على الكوفة ثم جهز اليه محمد بن عبد الله بن طاهر جيشاً ، فقتل يحيى وحمل رأسه إلى المستعين . ثم فيها ظهر الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن زيد بن الحسن بن الحسن بطبرستان وكثر جمعه .

وفيها وثب أهل حمص على عاملهم الفضل بن فارن أخي مازيار فقتلوه ، فأرسل المستعين اليهم موسى بن بفا الكبير فحاربوه بين حمص والرستن فهزمهم فافتتح حمص وقتل خلقاً وأحرقها . وفيها توفي زيادة الله من ولد الأغلب ، وملك افريقية بعده ابن أخيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد المذكور . وفيها مات الخليل الشاعر الحسين بن الضحاك ، ومولده سنة اثنتين وستين ومائة .

سنة احدى وخمسين ومائتين :

وفيها قتل بنو الصغير ووصيف باغر التركي ، فشغب الجند وحصروا المستعين في القصر بسامرا فهرب هو وبنو ووصيف في حراقة إلى بغداد واستقر بها المستعين .

بيعة المعتز بن المتوكل

وفيها خافت الأتراك المستعين فأخرجوا المعتز بن المتوكل من الحبس وبايعوا المعتز بالله ، فاستولى وانفق في الجند وعقد لأخيه الموفق أبي أحمد طلحة في سبع بقين من المحرم وجهزه في خمسين الف من الترك إلى حرب المستعين ، وتحصن المستعين ببغداد ، ثم ألزم المستعين بخلع نفسه ومبايعته للمعتز بعد قتال شديد . وفيها مات سري السقطي الزاهد (١) .

سنة اثنتين وخمسين ومائتين :

وفيها في رابع المحرم يوم الجمعة خطب للمعتز بالله ببغداد وبويع له بها ، ثم نقل المستعين من الرصافة إلى قصر الحسن بن سهل بأهله وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم ومنعه من مكة ، فأقام بالبصرة ، ووكل به جماعة وانحدر إلى واسط ، وكتب إلى أحمد بن طولون بقتل المستعين فامتنع ابن طولون ، وسار بالمستعين في القاطول وسلمه إلى الحاجب سعيد بن صالح فضربه سعيد حتى مات وحمل رأسه إلى المعتز ، فأمر بدفنه . وخلافة المستعين إلى خلعته ثلاث سنين وتسعة أشهر وكسر ، وعمره أربع وعشرون سنة .

(١) هو خال الجنيد وأستاذه وتلميذ معروف ، جاءه يوماً معروف ومعه صبي فقال له : اكس هذا اليتيم فكساه ، ففرح به معروف وقال : بغض الله اليك الدنيا وأراحك بما أنت فيه ، فقام من الدكان وفتح عليه . وكان كثيراً ما ينشد :

إذا ما شكوت الحب قالت كذبتني فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا

وفيها عقد لعيسى بن الشيخ بن السليل من ولد جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان على الرملة فجهز نائبه أبا المعتز إليها لما كانت فتنة الأتراك بالعراق تغلب ابن الشيخ على دمشق وأعمالها وقطع ما كان يحمل من الشام إلى الخليفة . وفيها توفي محمد بن بشار ومحمد بن المثني الزمن البصريان من مشايخ البخاري ومسلم .

سنة ثلاث وخمسين ومائتين :

وفيها منع وصيف رزق الجند أربعة أشهر فقتلوه ، فجعل المعتز ما كان إليه إلى بغا الشرابي . وفيها مات محمد بن طاهر بن الحسين . وفيها ملك يعقوب الصفار هراة وبوشنج وهابه أمير خراسان وغيره .

سنة أربع وخمسين ومائتين :

وفاة الامام علي الهادي

وفيها قتل بغا الشرابي ليلاً ، خرج لركوب الزورق ، فأعلم به المعتز فأمر فقتل وحمل إليه رأسه . وفيها في جمادى الآخرة لخمس بقين توفي بسر من رأى علي الملقب بالزكي وبالهادي وبالتقي أحد الأئمة الاثني عشر على رأي الامامية وهو ابن الجواد ، كان قد سعي به إلى المتوكل أن عنده كتباً وسلاحاً ، فأرسل إليه الأتراك ليلاً على غفلة فوجدوه في بيت مغلق وعليه مدرعة شعر مستقبل القبلة يترنم بآيات في الوعد والوعيد ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى ، فحمل على هيئته إلى المتوكل ، والمتوكل على الشراب وفي يده الكأس فأعظمه وأجلسه يجنبه وناوله الكأس فقال : يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني منه ، فأعفاه وقال : أنشدني شعراً ، فقال : إني لقليل الرواية للشعر ، فقال المتوكل : لا بد من ذلك ، فأنشده :

باتوا على قتل الأجيال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستزلوا بعد عز عن معاقلمهم فأودعوا حفراً يا بشس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا
 أين الوجوه التي كانت منعمة
 أين الأهلة والتيجان والحلل
 من دونها تضرب الأستار والكلل
 فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم
 تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
 قد طالما أكلوا دهرأ وما شربوا
 فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

فبكى المتوكل وأمر برفع الشراب وقال : يا أبا الحسن أعليك دين ؟ قال :
 نعم أربعة آلاف دينار ، فدفعها اليه ورده إلى منزله مكرماً .

ومولد علي في رجب سنة أربع عشرة وقيل : ثلاث عشرة ومائتين ، وقيل
 له : العسكري لأن سر من رأى يقال لها العسكر لسكنى العسكر بها ، وكانت
 سكن علي وهو عاشر الأئمة الاثني عشر ووالد الحسن العسكري ، وولادة
 الحسن المذكور في سنة ثلاثين ومائتين ، وتوفي في ربيع الأول وقيل : جمادى
 الأولى سنة مائتين وستين بسر من رأى ودفن بجانب أبيه . والحسن العسكري
 والد محمد المنتظر صاحب السرداب ، والمنتظر ثاني عشرهم ويلقب أيضاً القائم
 والمهدي والحجة ، ومولد المنتظر سنة خمس وخمسين ومائتين . وتزعم الشيعة أنه
 دخل السرداب في دار أبيه بسر من رأى وأمه تنظر اليه فلم يعد اليها وكانت
 عمره تسع سنين حينئذ وذلك في سنة خمس وستين على خلاف فيه .
 وفيها توفي أحمد بن الرشيد وهو عم الواثق . وفيها ولي أحمد بن طولون مصر .

سنة خمس وخمسين ومائتين :

وفيها استولى يعقوب بن الليث الصفار على كرمان ، ثم استولى بالسيف على
 فارس ودخل شيراز ونادى بالأمان وكتب إلى الخليفة بطاعته وبهدية جليلة
 منها : عشرة بزاة بيض ومائة من المسك .

وفيها يوم الاربعاء لثلاث بقين من رجب خلع المعتز بن المتوكل واسمه محمد ،
 وقيل : الزبير ، ويكنى أبا عبد الله ، ومولده بسر من رأى في ربيع الآخر
 سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وأمه قبيصة أم ولد . وليلتين خلتما من شعبان

كان ظهور موته وذلك أن الأتراك طلبوا أرزاقهم ونزلوا معه إلى خمسين ألف دينار فلم يكن عنده مال ، فاتفق الأتراك والفراعنة والمغاربة وقالوا : اخرج إلينا، فاعتذر بشرب دواء أفرط في العمل وأمر بدخول بعضهم عليه ، فدخلوا وجروا برجسه إلى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس ولطموه وهو يتقي بيده ، وأشهدوا ابن أبي الشوارب القاضي على خلعه وجماعة ، ثم عذب ومنع الطعام والشراب ثلاثاً ، ثم أدخل سرداباً وجصص عليه ودفن بسامرا مع المنتصر . وخلافته من مبايعته بسامرا إلى خلعه أربع سنين وسبعة أشهر إلا سبعة أيام ، وعمره أربع وعشرون سنة وثلاثة وعشرون يوماً وكان أبيض أسود الشعر .

أخبار محمد المهدي بن الوائق

وفي يوم الأربعاء لثلاث بقين من رجب منها ببيع للمهدي محمد بن الوائق وهو رابع عشرهم وكنيته أبو عبد الله ، وأمه قرب الرومية .

وفيها في رمضان ظهرت قبيحة أم المعتز بعد اختفائها لقتل ابنها ونبش لها ألف ألف دينار ، وسقط قدر مكوك زمرد ، وسقط كذلك لؤلؤ ، وقدر كيلجة ياقوت أحمر لا يوجد مثله ، وحمل جميعه إلى صالح بن وصيف ، فقال : قبح الله قبيحة عرضت ابنها للقتل لأجل خمسين ألف دينار وعندها هذه الأموال كلها . وسماها المتوكل قبيحة لحسنها بالضد كما يسمى الأسود كافوراً . ثم سارت إلى مكة فكانت تدعو بصوت عال على صالح بن وصيف وتقول : هتك ستري وقتل ولدي وأخذ مالي وغربني عن بلدي وركب الفاحشة مني .

قلت : والله قولي فيه :

جزى ابن وصيف مولاه بشر ولكن هذه صفة الوصيف

وفيها أول خروج صاحب الزنج علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه في

عبد القيس ، فجمع الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ في جهة البصرة وادعى أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وعبر دجلة ونزل بالأنبار . وكان المذكور من قبل متصلاً بحاشية المنتصر في سامرا يمدحهم ويستمنحهم بشعره ، ثم شخص من سامرا سنة تسع وأربعين ومائتين إلى البحرين فادعى نسبه في العلويين كما ذكر ، وأقام في الأحساء ثم في البصرة سنة أربع وخمسين ومائتين ، ثم خرج في هذه السنة واستفحل أمره وبث أصحابه للاغارة والنهب . وفيها توفي خفاجة بن سفيان أمير صقلية وولي ابنه محمد . وفيها توفي محمد بن كرام السجستاني صاحب المقالة في التشبيه بالشام .

قلت : كان شيخنا العلامة صدر الدين محمد بن الوكيل العثماني ينشد لبعضهم :

الفقه فقه أبي حنيفة وحده والدين دين محمد بن كرام
ان الأولى في دينهم ما استمسكوا بمحمد بن كرام غير كرام

ثم وقع مرة في بعض المدارس بحلب نزاع في الرأى من كرام هل هي مشددة أم مخففة ، فأنشدت أنا هذين البيتين ، فارتفع النزاع وعلما أن رأاه مخففة .
وفيها في ذي الحجة توفي عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي صاحب المسند وعمره خمس وسبعون . وفيها توفي أبو عمران عمرو بن بحر الجاحظ العينين ، كثير التصانيف كثير الهزل نادر النادرة نادم الخلفاء ، وأخذ العلم عن النظام المتكلم ، وقيد لما قتل ابن الزيات لتعلقه به ثم أطلق . دخل عليه المبرد في مرضه فقال : كيف أنت ؟ فقال : كيف يكون من نصفه مفلوج ولو نشر ما أحس به ، ونصفه الآخر منقرس لو طار به الذباب آله وقد جاوز التسمين ثم أنشد :

أترجو أن تكون وأنت شيخ كما قد كنت أيام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب دريس كالجديد من الثياب

وقعت عليه مجلداته المصفوفة وهو عليل فقتلته في المحرم منها .

سنة ست وخمسين ومائتين .

ذكر خلع المهدي وقتله

وفيها قتل موسى بن بغا صالح بن وصيف. وفيها في منتصف رجب خلع المهدي محمد بن هارون الواثق بن المعتصم وتوفي لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه ، فإنه قصد قتل موسى بن بغا وكان موسى معسكراً قبالة الخوارج ، وكتب إلى بانكيال من مقدمي الترك أن يقتل موسى ويصير موضعه ، فأطلع بانكيال موسى على ذلك واتفقا على قتل المهدي ، وسار إلى سامرا ودخل بانكيال إلى المهدي ، فحبسه المهدي وقتله ، وركب لقتال موسى ففارقت الأتراك الذين مع المهدي عسكر المهدي وصاروا مع موسى ، فضعف المهدي وهرب ودخل بعض الدور ، فأمسك وداسوا خصيته وصفعوه فهات ، ودفن بمقبرة المنتصر ، وخلافته أحد عشر شهراً ونصف ، وعمره ثمان وثلاثون سنة . وكان أسمر بطيناً قصيراً طويل اللحية ولد بالقاطول ورعاً كثير العبادة ، قصد أن يكون في بني العباس مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية .

أخبار المعتد على الله أحمد بن المتوكل

ولما قتل أخرجوا أبا العباس أحمد بن المتوكل من الحبس وبويع ولقب المعتد على الله وهو خامس عشرهم ، واستوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان . وفيه ملك صاحب الزنج الابله عنوة وقتل وأحرقها وكانت مبنية بالساج فأسرعت النار فيها ، ثم استولى على عبادان بالأمان ، ثم على الأهواز بالسيف. وفيها عزل عيسى بن الشيخ عن الشام لما ذكرنا وعقد لعيسى على ارمينية وولى أماجور الشام ، فسار واستولى عليه بعد قتال بينه وبين أصحاب عيسى وانتصر عيسى واستقر .

وفاة الامام البخاري

وفيهما توفي الإمام محمد بن اسماعيل البخاري (١) الجمعي صاحب الصحيح المتفق على الأخذ منه والعمل به ، رحل في طلب الحديث إلى الأمصار ، ومولده سنة أربع وتسعين ومائة لثلاث عشرة خلت من شوال . وورد مرة إلى بغداد فعهد أهل الحديث إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدھا ووضعوا عشرة أنفس فأورد واحد بعد الآخر الأحاديث المذكورة والبخاري يقول في كل حديث منها : لا أعرفه ، فلما فرغوا قال : أما الحديث الأول فهو كذا وأما الثاني فهو كذا حتى ذكرها عن آخرها على حقيقتها متوناً وأسانيد .

ووقع بين البخاري وبين خالد أمير بخاري وحشة ، ففس خالد من قال : البخاري يقول بخلق الأفعال للعباد وبخلق القرآن ، فتهرباً البخاري من ذلك وعظم عليه فارتحل ونزل عند بعض أقاربه بقرية خرتك على فرسخين من سمرقند فمات بها ليلة عيد الفطر منها .

سنة سبع وخمسين ومائتين :

وفيهما أخذت الزنج البصرة وخربوها وقتلوا من بها . وفيها ملك يعقوب الصفار بلخ ثم كابل ، وأرسل إلى الخليفة هدية فيها أصنام من تلك البلاد . وفيها قصد الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان وملكها . وفيها قتل محمد ابن خفاجة كما تقدم ، واستعمل محمد بن أحمد الأغبلي على صقلية أحمد بن يعقوب . وفيها توفي العباس بن المفرج الرياشي اللغوي .

(١) قال البخاري : أهتم حفظ الحديث وأنا في الكتاب ابن عشر سنين ، فلما بلغت ثمانين سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين وأقاربهم وصنفت كتاب التاريخ اذ ذاك عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وخرجت الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث وما أدخلت فيه الا ما صح .

سنة ثمان وخمسين ومائتين :

وفيهما أرسل المعتمد أخاه الموفق أبا أحمد إلى قتال الزنج .

سنة تسع وخمسين ومائتين :

وفيهما ملك يعقوب الصفار نيسابور . وفيها توفي محمد بن موسى بن شاكر أحد الإخوة الثلاثة الذين تنسب إليهم حيل بني موسى ، واسم إخوته أحمد والحسين خاضوا في العلوم القديمة وغلب عليهم الهندسة والحيل والموسيقى . وبلغ المأمون من كتب الأوائل : ان دور الأرض أربعة وعشرون ألف ميل ، فأراد تحقيق ذلك فأمر بني موسى بتحريره ، فسألوا عن الأراضي المستوية فأخبروا بصحراء سنجار ووطاة الكوفة ، فأرسل المأمون معهم جماعة يثق بأقوالهم إلى صحراء سنجار ، وحققوا القطب الشمالي وضربوا هناك وتداً وربطوا فيه حبلاً طويلاً ومشوا إلى الجهة الشمالية على الاستواء من غير انحراف حسب الإمكان ، وكلما فرغ حبل نصبوا في أرض وتداً وربطوا فيه حبلاً آخر كعلمهم الأول ، حتى انتهوا كذلك إلى موضع قد زاد فيه ارتفاع القطب الشمالي المذكور درجة محققة ومسحوا ذلك القدر فكان ستة وستين ميلاً وثلاثي ميل . ثم وقفوا عند موقفهم الأول وربطوا في الوتد حبلاً ومشوا إلى جهة الجنوب من غير انحراف وفعّلوا ما شرحناه حتى انتهوا إلى موضع قد انحط فيه ارتفاع القطب الشمالي درجة ومسحوا ذلك القدر فكان ستة وستين ميلاً وثلاثي ميل ، ثم عادوا إلى المأمون وأخبروه بذلك .

فأراد المأمون تحقيق ذلك في موضع آخر ، فسيّرهم إلى أرض الكوفة وفعّلوا كما فعلوه في أرض سنجار فتوافق الحسابان ، ثم ضربوا الأميال المذكورة في ثلاثمائة وستين وهي درجة الفلك فكان الحاصل أربعة وعشرين ألف ميل وهو دور الأرض ، فتحقق المأمون صحة ما نقله من كتب الأوائل (١) .

(١) كذا نقله ابن خلكان وغيره من المؤرخين : ان الذي وجد في أيام المأمون لخصه =

سنة ستين ومائتين :

وفيهما قتلت العرب منجور والي حمص ، واستعمل عليها بكتمر . وفيها توفي ملك بن طوق التغلبي باني الرحبة بها . وفيها توفي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم ، المعروف بالعسكري ، وقد تقدم . وفيها توفي الحسن بن الصباغ الزعفراني الفقيه وهو من أصحاب الشافعي البغداديين . وفيها توفي حنين بن اسحاق الطيب العبادي ، نقل كتب اليونان إلى العربية عالماً بها ، وعرب كتاب اقليدس وكتاب بطليموس المجسطي وأصلحهما . والعبادي : نسبة إلى عباد الحيرة عدة بطون من قبائل شتى نصارى نزلوا الحيرة .

سنة احدى وستين ومائتين :

وفيهما استعمل نصر بن أحمد بن أسد بن سامان حداه بن خثان بن طغان بن نوشزد بن بهرام جوبين المذكور في أخبار كسرى برويز أخاه اسماعيل على بخارى .

ابتداء أمر السامانيين

كان لأسد بن سامان أربعة بنين : نوح وأحمد ويحيى والياس ، وكان في خراسان حين استولى عليها المأمون فأكرمهم المأمون أربعتهم وقدمهم واستعملهم ، واستخلف لما رجع إلى العراق في خراسان غسان بن عباد ، فولى غسان أحمد بن أسد فرغانة في سنة أربع ومائتين ، ويحيى بن أسد الشاش مع أسروشنه والياس ابن أسد هراة ، ونوح بن أسد سمرقند ، ولما تولى طاهر بن الحسين خراسان أقرهم على الأعمال ، ثم مات نوح ثم مات الياس بهراة فاستقر على عمله ابنه محمد .

= الدرجة ستة وستون ميلا وثلاثا ميل ، وهو غير صحيح فان ذلك هو حصة الدرجة على رأي القدماء ، وأما في أيام المأمون فانه وجد حصة الدرجة ستة وخمسين ميلا وقد تحقق ذلك في علم الهيئة .

وكان لأحمد بن أسد سبعة بنين : نصر ويعقوب ويحيى وأسد وإسماعيل وإسحاق وحيد . ثم مات أحمد بن أسد واستخلف ابنه نصرأ ، وكان إسماعيل ابن أحمد يخدم أخاه نصرأ فولاه نصر بخارا في هذه السنة ، أعني سنة إحدى وستين ومائتين ، ثم سمي بين نصر وأخيه إسماعيل حتى فسد ما بينهما واقتتلا سنة خمس وسبعين ومائتين فظفر إسماعيل بأخيه نصر ، فلما حمل إليه ترجل له إسماعيل وقبل يده ورده إلى موضعه . واستمر إسماعيل ببخارا ، وكان خيراً يحب أهل العلم ، فدام ملكه وملك أولاده وطالت أيامهم وسيدكروا .

وفيها عصي أهل برقة على أحمد بن طولون ، فجهز جيشاً حاصر برقة وفتحها وقبض على جمع من رؤسائهم . وفيها توفي محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن الأغلب في جمادى الأولى ، وولايته عشر سنين وخمسة أشهر ونصف . وتولى إفريقية بعده أخوه إبراهيم فسار إلى صقلية وفتح وجاهد في الله حتى جهاده ، وتوفي بالدر ب ليلة السبت لإحدى عشرة بقية من ذي القعدة سنة تسع وثمانين ومائتين بصقلية وحمل في تابوت إلى إفريقية ودفن بالقيروان ، وكانت ولايته خمساً وعشرين سنة وكان له فطنة عظيمة وتصديق بكل ماله . وفيها توفي الحسن ابن عبد الملك بن أبي الشوارب قاضي القضاة من ولد عتاب بن أسيد الذي ولاه النبي ﷺ مكة .

وفيها توفي أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروينان البسطامي الزاهد ، كان سروينان مجوسياً فأسلم . قلت : وله كرامات ومجاهدات ، وكان يقول : لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغفروا به حتى تنظروا كيف تجردونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة . وكان له أخوان زاهدان آدم وعلي ، والله أعلم .

وفاة الامام مسلم

وفيها توفي أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري صاحب الصحيح ، رحل إلى الأمصار لسماع الحديث . قال مسلم : صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة

ألف حديث مسموعة . ولما قدم البخاري نيسابور لازمه مسلم ، ولما وقعت
للبخاري مسألة خلق الأفعال انقطع الناس عنه إلا مسلماً . قال مسلم للبخاري
يوماً : دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث .

سنة اثنتين وستين ومائتين :

وفيهما أرسل الخبيث صاحب الزنج جيشاً إلى جهة بطايح واسط فقتلوا
وسبوا وأحرقوا . وفيها مات عمر بن شبة .

سنة ثلاث وستين ومائتين : وفيها استولى يعقوب الصفار على الأهواز .

سنة أربع وستين ومائتين :

وفيهما مات أماجور مقطع دمشق وسار أحمد بن طولون من مصر إلى دمشق ،
ثم إلى حمص ، ثم إلى حماه ، ثم إلى حلب فملك ذلك كله ، ثم سار إلى انطاكية
ودعا سيبا الطويل أمير انطاكية إلى طاعته فأبى ، فقاتله وملك انطاكية عنوة ،
وقاتل سيبا حتى قتل ، ثم أراد المقام بطرسوس فغلا سعرها فعاد منها إلى الشام .
وفيهما خرج بالصين خارجي مجهول النسب والاسم وعظم جمعه وحاصر
مدينة خانقوا من الصين وهي حصينة ولها نهر عظيم وعالم كثير مسلمون ونصارى
ويهود ومجوس وغيرهم ، ففتحها عنوة وقتل ما لا يحصى واستولى على كثير من
بلاد الصين ، ثم عدم الخارجي في حرب ملك الصين وانهمز جمعه . وفيها فرغ
ابراهيم الأغلب من بناء مدينة رفاة وانتقل إليها وسكنها وبدؤها سنة ثلاث
وستين ومائتين . وفيها ماتت قبيصة أم المعتز . وفيها مات أبو ابراهيم المزني
صاحب الشافعي .

قلت : قال الشافعي : المزني ناصر مذهبي . ولما ولي القاضي بكار قضاء مصر
من بغداد وكان حنفي المذهب توقع الاجتماع بالمزني مدة فلم يتفق ، فاجتمعا يوماً
في جنازة ، فقال بكار لأحد أصحابه : سل المزني شيئاً حتى أسمع كلامه ، فقال

ذلك الشخص : يا أبا إبراهيم قد جاء في الأحاديث تحريم النبيذ وجاء تحليله فلم
قدمتم التحريم على التحليل ؟ فقال المزني : لم يذهب أحد إلى أن النبيذ كان
حراماً في الجاهلية ثم حلل ووقع الاتفاق على أنه كان حلالاً فهذا يعضد صحة
الأحاديث بالتحريم . فاستحسن ذلك منه ، وهذا من الأدلة القاطعة وكان في
غاية الورع بلغ من احتياطه أنه كان يشرب في جميع فصول السنة في كوز نحاس ،
فقليل له في ذلك ، فقال : بلغني أنهم يستعملون السرجين في الكيزان والنار لا
تطهرها ، والله أعلم .

وفيها توفي بمصر يونس بن عبد الأعلى بن موسى (١) أحد أصحاب الشافعي
ومولده سنة سبعين ومائة ، وكان يروي للشافعي :

ما حك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك
وإذا قصدت حاجة فاقصد لمعترف بتدرك

سنة خمس وستين ومائتين :

وفيها دخل الزنج النعمانية وسبوا وأحرقوها ، ثم ساروا إلى جرجرايا (٢)
ودخل أهل السواد بغداد .

وفيها مات يعقوب بن الليث الصفار في تاسع عشر شوال يجندي سابور من
كور الأهواز بالقولنج وأبي الحقنة وأحضر رسولاً جاء ليستميله من الخليفة وجعل
عنده سيفاً ورغيفاً من الخشكار وبصلاً ، وقال للرسول : قل للخليفة : إن مت
فقد استراح مني واسترحت منه وإن عوفيت فليس بيني وبينه إلا هذا السيف ،

(١) قال يونس بن عبد الأعلى : سمعت الشافعي يقول : رضا الناس غاية لا تدرك فانظر ما
فيه صلاح نفسك في أمر دينك ودنياك فالزمه . وعبد الرحمن مؤلف تاريخ مصر ، هو ولد ولد
يونس المذكور .

(٢) قال في القاموس : جرجرايا بلد في المغرب ، وخطأه الشارح وقال : انه مدينة
النهران . وما هنا يؤيد كلام الشارح . انظر ص ٩٦ من تاج العروس .

وإن كسرتني وأفقرني عدت إلى أكل هذا الخبز والبصل . وكان يعقوب قد افتتح
الرخج وقتل ملكها وأسلم أهلها ، وكان ملكها يجلس على سرير ذهب ويدعي
الالهية ، عمل يعقوب أولاً الصفر وصحب رجلاً من سجستان متطوعاً في قتال
الخوارج اسمه صالح بن نصر الكناني ، ثم هلك وتولى مكانه درهم بن الحسين
فصحبه يعقوب أيضاً ، وكان درهم غير ضابط لأموار العسكر فاجتمعوا وملكوا
يعقوب فلم ينازعه درهم ، وقوي يعقوب كما تقدم . وقام بعده أخوه عمر بن الليث
وكتب إلى الخليفة بطاعته ، فولاه الموفق خراسان وأصفهان وسجستان والسند
وكرمان وسير إليه الخلع مع الولاية . وفيها توفي إبراهيم بن هاني بن اسحاق
النيسابوري وكان من الأبدال .

سنة ست وستين ومائتين :

وفيها قتل أهل حمص عاملهم عيسى الكرجي . وفيها اشتغل الموفق بقتال
صاحب الزنج مع عجز الخليفة المعتمد واشتغاله بغير تدبير المملكة ، فتغلبت
القواد والأتراك على الأمر وقلّ خوفهم فاشتد الأمر على أهل بلاد الخليفة .

سنة سبع وستين ومائتين :

وفيها كان بين الموفق أخيه الخليفة وبين الخبيث صاحب الزنج حروب يطول
شرحها ، وكشف الزنج عن الأهواز واستولى عليها ، ثم سار الموفق إلى مدينة
صاحب الزنج وكان قد حصنها عظيمًا وسماها المختارة فخرج إليه أكثر أهلها
وضعف الباقيون عن حفظها فسلموها بالأمان . وفيها ولي صقلية الحسن بن العباس
فبث السرايا .

سنة ثمان وستين وتسع وستين ومائتين :

وفيها خالف لؤلؤ غلام أحمد بن طولون على مولاه ، وكان في يد لؤلؤ حمص
وقنسرين وحلب وديار مصر من الجزيرة ، وكتب الموفق في المصير إليه ثم سار

اليه . وفيها أمر المعتمد بلعن أحمد بن طولون على المنابر لكونه قطع خطبة الموفق وأسقط اسمه من الطرر ، وإنما أمر المعتمد بذلك مكرهاً لأن هواه كان مع ابن طولون لأن الموفق استولى على الأمر ، وقصد المعتمد اللحقوق بابن طولون بمصر لينجده على أخيه الموفق لاشتغال الموفق بقتال الزنج ، فأمسك اسحاق بن كنداح عامل الموصل القواد الذين في صحبة المعتمد وأرسلهم إلى بغداد ، وتقدم إلى المعتمد بالعود فلم يمكنه مخالفته فرجع إلى سامرا .

سنة سبعين ومائتين :

ذكر مقتل صاحب الزنج

وفيهما لليلتين خلتا من صفر قتل صاحب الزنج لعنه الله بعد أن قتل غالب أصحابه وغرقوا وطيف برأسه على رمح واشتد فرح الناس ، ورجع الموفق إلى موضعه والرأس بين يديه وأتاه من الزنج عالم عظيم فأمنهم ، ثم بعث الرأس إلى بغداد . وأيام الخبيث أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام . وفيها توفي الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان في رجب ، وولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وكسر ، وولي مكانه أخوه محمد .

وفاة أحمد بن طولون

وفيهما توفي أحمد بن طولون صاحب مصر والشام بعد رجوعه من طرطوس أكل بانطاكية لبن جاموس فأكثر وأصابه تخمة واتصلت حتى صار منها ذرب حتى مات ، وإمارته نحو ست وعشرين سنة ، وكان حازماً عاقلاً ، بنى قلعة يافا ولم تكن والجامع المعروف به بين مصر والقاهرة وهو عظيم ، وولي بعده ابنه خمارويه .

وفيهما توفي محمد بن اسحاق بن جعفر الصاغاني ، وداود بن علي الأصفهاني إمام أصحاب الطاهر ، ومولده سنة اثنتين ومائتين ، وكان إماماً مجتهداً ورعاً أخذ هو وأصحابه بظاهر الآثار والأخبار وأعرضوا عن التأويل ، وكان لا يرى القياس في الشريعة ثم اضطر إليه فسماه دليلاً ، وخالف الأئمة الأربعة في أحكام

منها : قوله الشرب خاصة في آنية الذهب والفضة حرام ويجوز الأكل والتوضي
وسائر الانتفاعات لقوله صلى الله عليه وسلم : الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر
في بطنه نار جهنم . وكم له مثل ذلك .

سنة احدى وسبعين ومائتين :

وفيهما جرت وقعة بين ابن الموفق وهو المعتضد وبين خمارويه بن أحمد بن
طولون صاحب مصر آخرها هزيمة المعتضد وأصحابه بين دمشق والرملة وانهمز
خمارويه إلى حدود مصر وثبت عسكره ولم يعلموا بهزيمته ، وانهمز المعتضد ولم
يعلم بهزيمة خمارويه .

سنة اثنتين وسبعين وثلاث وسبعين ومائتين :

وفيهما توفي محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي صاحب الأندلس
سلخ صفر وعمره نحو خمسين سنة وولايته أربع وثلاثون سنة وأحد عشر شهراً ،
وله ثلاثة وثلاثون ابناً ، وبويع ابنه المنذر بعده بثلاث ليال . وفيها ^(١) مات
أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب كتاب السنن .

وفيهما توفي خالد بن أحمد الدوسي أمير خراسان ، قصد الحج فقبض عليه
المعتمد فمات في حبسه ، وهو أخرج البخاري من بخارا ، فدعا عليه فأدر كته
الدعوة . وفيها توفي الحافظ محمد بن يزيد بن ماجة القزويني مصنف كتاب السنن
عارف بعلوم الحديث وما يتعلق به ، رحل إلى العراق والشام ومصر والري
لطلب الحديث ، وله تفسير القرآن العظيم وتاريخ أحسن فيه ، وسننه أحسن
الكتب الستة ، ومولده سنة تسع ومائتين .

(١) هكذا ورد في تاريخ أبي الفداء « المختصر في أخبار البشر » والصحيح ان أبا داود
صاحب السنن توفي سنة خمس وسبعين ، كما في كشف الظنون وغيره .

سنة أربع وسبعين وخمس وسبعين ومائتين :

وفيهما قبض الموفق على ابنه المعتضد ، وأخرجه في مرض الموفق الذي مات فيه . وفيها توفي أبو سعيد الحسين بن الحسن بن عبدالله البكري النحوي اللغوي صاحب التصانيف .

سنة ست وسبعين ومائتين :

وفيهما مات عبد الملك بن محمد الرقاشي ، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة (١) صاحب كتاب أدب الكاتب .

سنة سبع وسبعين ومائتين :

وفيهما مات يعقوب بن سفيان النسائي الإمام وكان بتشييع . وفيها ماتت عريب المغنية المأمونية (٢) .

سنة ثمان وسبعين ومائتين :

وفيهما لثمان بقين من صفر توفي الموفق بالله أبو أحمد طلحة بن المتوكل بدهاء الفيل في رجليه . قال يوماً وقد أضجره ذلك : قد اشتمل ديواني على مائة ألف مرتزق ما فيهم أسوأ حالاً مني . وكان قد بويع له بالعهد بعد المفوض بن المعتمد فبويع بعد موته لابنه أبي العباس بن المعتضد بولاية العهد بعد المفوض واجتمع إليه أصحاب أبيه وجهاته .

ظهور القرامطة

وفيهما تحرك بسواد الكوفة قوم يسمون القرامطة ، دعاهم إلى دينه شخص

(١) عن أبي العلاء المعري : ان لابن قتيبة خمسة وستين مصنفاً .

(٢) عريب المغنية ، مذكورة في الجزء الثامن عشر من كتاب الأغاني للأصبهاني .

اسمه كرمينه (١) وتفسيره بالنبطية : حمرة العين ، ثم خفف فقيل : قرمط (٢) ، فأجابه من السواد والبادية قوم ليس لهم عقل ولا دين ، وأخرج لهم كتاباً بعض ما فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، يقول الفرّج بن عثمان من قرية نصرانة : انه داعية المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدي وهو أحمد بن محمد بن الحنفية وهو جبريل ، وان المسيح تصور في جسم إنسان وقال : انك الداعية وانك الناقة وانك الدابة وانك يحيى بن زكريا وانك روح القدس ، وعرفه ان الصلاة أربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها ، وان الأذان في كل صلاة أن يقول المؤذن : الله أكبر ثلاث مرات ، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين ، أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد أن نوحاً رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول ، أشهد أن عيسى رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله ، والقبلة بيت المقدس (٣) .

سنة تسع وسبعين ومائتين :

وفاة المعتمد

وفيهما خلع المعتمد ابنه جعفرأ المفوض من ولاية العهد وجعل المعتضد ابن

(١) ما ورد هنا يختلف عما ورد في تاريخ أبي الفداء « المختصر في أخبار البشر » في هذا المكان ، قال أبو الفداء : « تحرك بسواد الكوفة قوم يعرفون بالقرامطة ، وكان الشخص الذي دعاهم الى مذهبه ودينه قد مرض بقرية من سواد الكوفة فحمّله رجل من أهل القرية يقال له كرمينه لحمرة عينيه ، وهو بالنبطية اسم لحمرة العين . فلما تعافى شيخ القرامطة المذكور سمي باسم ذلك الرجل ثم خفف فقالوا قرمط » .. انظر ص ٥٥ - ج ٢ .

(٢) وفي تاريخ ابن المهذب المعري : ان قرمطاً المذكور أول ظهوره كان في سنة أربع وستين ومائتين ، وانه انما سمي قرمطاً لأنه كان قصيراً وخطوه متقارباً لقصر رجله ، وان قرمطاً أظهر الزهد والورع وتسوق به على الناس مكيدة وخبثاً ، وزعم القرامطة انهم يدعون الى محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم (انتهى) . ثم صدر من القرامطة ما لم يصدر من الكفار مما سيأتي ذكره .

(٣) أورد أبي الفداء في تاريخه زيادات كثيرة مما جاء في كتاب قرمط المذكور ، انظر ص ٥٥ - ج ٢ .

أخيه ولي العهد بعده . وفيها توفي المعتمد على الله أحمد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب ببغداد أكثر من الشراب والأكل على الشط فمات ليلاً ، وأحضر المعتضد القضاة والأعيان فرأوه ، ونقل إلى سامرا فدفن بها وعمره خمسون سنة وستة أشهر وخلافته ستة وعشرون سنة وستة أيام . ومن شعره لما تحكّم على أمره أخوه الموفق حتى احتاج إلى ثلاثمائة دينار فلم يجدها :

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قلّ ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه

ذكر خلافة المعتضد بالله أحمد

وصبيحة وفاة المعتمد ببيع للمعتضد بالله أبي العباس أحمد سادس عشرهم ابن الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل . وفيها توفي نصر بن أحمد الساماني ، فقام بما كان إليه من العمل بما وراء النهر أخوه اسماعيل . وفيها قدم الحسين بن عبد الله ابن الجصاص من خمارويه بمصر بهدايا عظيمة بسبب تزويج بنت خمارويه من المعتضد . وفيها توفي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي الضرير السلمي بترمذ في رجب ، حافظ ، من تصانيفه الجامع الكبير في الحديث ، وهو تلميذ البخاري وشاركه في بعض شيوخه مثل قتيبة بن سعيد وعلي بن حجر .

سنة ثمانين ومائتين : وفيها توفي المفوض جعفر بن المعتمد .

سنة إحدى وثمانين ومائتين :

وفيها سار المعتضد إلى ماردين فهرب صاحبها حمدان وخلي ابنه بها فقاتله المعتضد وسلّمها إليه . وفيها دخل طفج بن جف عامل دمشق من قبل خمارويه من طرطوس إلى الروم ففتح وسبى . وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي الدنيا صاحب التصانيف .

سنة اثنتين وثمانين ومائتين :

وفيهما أمر المعتضد بافتتاح الخراج في النيروز المعتضدي وفقاً بالناس وهو في حزيران عند ركون الشمس في أواخر الجوزاء .

مقتل خمارويه بن أحمد بن طولون : وفيها قتل خمارويه بن أحمد بن طولون (١) ذبحه بعض خدمه على فراشه في الحجة بدمشق ، نقل إليه أن جواريه اتخذن طواشيه أزواجاً فخافوه وقتلوه ثم قتل منهم نيف وعشرون ، وبويع بعده جيش ابنه وكان جيش صيباً .

وفيهما توفي أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري صاحب كتاب النبات ، والحارث بن أبي أسامة وله مسند ، وأبو العينا محمد بن القاسم الضرير روى عن الأصمعي شاعر زكي ظريف ذو نوادر ، ومولده سنة إحدى وتسعين ومائة وكف بصره وهو ابن أربعين سنة ، ولقب بأبي العينا لأنه قال لأبي زيد الانصاري كيف تصغر عينا ؟ فقال : عينا يا أبا العينا ، قال يوماً المتوكل : لولا أنه ضرب لنا دمه ، فقال : إن أعفاني من رؤية الأهله فإني أصلح للمنادمة .

قلت : ومن أجوبته السريعة : أنه شكا إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير سوء الحال فقال : أليس قد كتبنا إلى ابراهيم بن المدبر في أمرك ؟ قال : نعم قد كتبت إلى رجل قد قصر من همته طول الفقر وذل الأسر - يعني أسر الزنج - ومعاناة الدهر فأخفق سعيي وخابت طلبتي ، فقال عبيد الله : أنت اخترته ، فقال : وما عليّ أيها الوزير في ذلك وقد اختار النبي ﷺ عبد الله بن سعد بن أبي سرح كاتباً فرجع إلى المشركين مرتداً ، واختار علي بن أبي طالب أبا موسى الأشعري حاكماً له فحكم عليه . وصار أبو العينا يوماً إلى باب صاعد ابن مخلد فاستأذن عليه فقيل : هو مشغول بالصلاة ، فقال : لكل جديد لذة ، وكان صاعد قبل الوزارة نصرانياً . والله أعلم .

(١) جاء في تاريخ ابن المذهب ان مقتل خمارويه كان في سنة ثمان وثمانين ومائتين .

سنة ثلاث وثمانين ومائتين :

وفيها خلع طفج بن جف أمير دمشق جيش بن خمارويه بدمشق ، واختلف جيش جيش عليه لصباه وتقريبه الاراذل وتهديده لقواد أبيه فثاروا وقتلوه ونهبوا داره ونهبوا مصر وأحرقوها وأقعدوا أخاه هارون بن خمارويه في الولاية . ومدة جيش تسعة أشهر . وفيها مات البحتري الشاعر الوليد بن عبادة بمنبج ، ومولده سنة ست ومائتين .

قلت : الصواب أنه أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن شمال بن جابر بن مسلمة بن مسهر بن الحارث بن جشم بن أبي حارثة بن جدي بن تدؤل بن بختر ، نسب إلى جدّه بختر ، ولد بمنبج وتخرج بها ، ثم خرج إلى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل . قال : صرت في أول أمري إلى أبي تمام بممص وعرضت عليه شعري فأقبل عليّ وترك الناس وقال : كيف حالك ؟ فشكوت خلة ، فكتب إلى أهل معرة النعمان وشهد لي بالحنق وشفع لي اليهم وقال : امتدحهم ، فصرت اليهم فأكرموني بكتابه ووظفوا لي أربعمائة ألف درهم فكانت أول مال أصبته ^(١) . وما أحسن قصيدته في المتوكل التي أولها :

أخفي هوى لك في الضلوع وأضمر وألام من كمد عليك وأعذر

ومنها :

بالبرّ صمت وأنت أفضل صائم
فأنعم بيوم الفطر عيناً انه
أظهرت عز الملك فيه يجحفل
لبسنة الله الرضيّة تفطر
يوم أغر من الزمان مشر
لجب يحاط الدين فيه وينصر

ومنها :

فالخيل تصهل والفوارس تدّعي
والبيض تلمع والأسنة تزهر

(١) انظر تاريخ ابن خلكان .

والشمس طالعة توقد في الضحى
حتى طلعت بنور وجهك فانجلي
وافتنّ فيك الناظرون فاصبع
ذكروا بطلعتك النبي فهللوا
حتى انتهيت إلى المصلى لا بساً
ومشيت مشية خاشع متواضع
فلو ان مشتاقاً تكلف فوق ما
أيدت من فصل الخطاب بحكمة
ووقفت في برد النبي مذكراً
طوراً ويطفئها المعجاج الأكر
ذاك الدجى وانجاب ذاك العثير
يومى اليك بها وعين تنظر
لما طلعت من الصفوف وكبروا
نور الهدى يبدو عليك ويظهر
لله لا يزهي ولا يتكبر
في وسعه لسمى اليك المنبر
تنبي عن الحق المبين وتخبر
بالله تنذر قارة وتبشر

وفيهما توفي علي بن العباس الرومي الشاعر . وفيها أمر المعتضد أن يكتب
إلى الأقطار بردّ الفاضل من سهام المواريث على ذوي الأرحام وأبطل ديوان
المواريث . وفيها أمر المعتضد بالسب والطمع في معاوية وأبيه وابنه على المنابر ،
ثم خشي من استطالة العلويين فأمسك عنه .

سنة أربع وثمانين ومائتين :

وفيهما أخبر المنجمون بفرق أكثر الأقاليم بسبب كثرة الأمطار وزيادة
الأنهار فتحفظ الناس ، فقلت الأمطار وغارت المياه واستسقوا ببغداد مرات .
وفيهما اختل حال هارون بن خمارويه بن طولون بمصر واختلف القواد عليه
وانحل نظام مملكته من جهة طنج بن جف . وفيها توفي اسحاق بن موسى
الاسفراييني الفقيه الشافعي .

سنة خمس وثمانين ومائتين :

وفيهما فتح المعتضد آمد بالأمان وكان صاحبها محمد بن أحمد بن عيسى بن
الشيخ ، ثم سار إلى قنسرين فتسلمها وتسلم العواصم من نواب هارون بن خمارويه
سأله هارون ذلك . وفيها مات ابراهيم بن اسحاق من أعيان المحدثين ببغداد .

قلت : وفيها توفي علي بن عبد العزيز الطرسوسي راوية أبي عبيد القاسم ،
وكان بين موتها ستون سنة ، كما كان بين وفاة الشافعي وراويته المزني ، والله أعلم .

سنة ست وثمانين ومائتين :

وفيها ظهر بالبحرين أبو سعيد الجنابي من القرامطة وكثر جمعه ، وقتل جماعة
بالقطيف وبتلك القرى . وفيها توفي المبرد أبو العباس محمد بن عبد الله بن يزيد
إمام النحو واللغة وله كتاب الكامل والروضة والمقتضب وغير ذلك ، تأدب على
أبي عثمان وغيره وأخذ عنه نبطويه وغيره ، ومولده سنة سبع ومائتين ، طلبه
صاحب الشرطة للمنادمة فكره ذلك فألح الرسول فأدخل في غلاف مزملة
فارغة لتبريد الماء فدخل الرسول فلم يره ، فلما مضى الرسول قال صاحب الدار
وهو أبو حاتم السجستاني : المبرد المبرد ، فصار لقباً عليه .

قلت : وفيه وفي ثعلب يقول أبو بكر العلاف :

ذهب المبرد وانقضت أيامه وليذهبن اثر المبرد ثعلب
بيت من الآداب أصبح نصفه خرباً وباقى بيتها سيخرّب

سنة سبع وثمانين ومائتين :

وفيها استولى اسماعيل بن أحمد الساماني صاحب ما وراء النهر على خراسان
بعد قتال وأسر أمير خراسان وهو عمرو بن الصفار ، ثم أرسله إلى المعتضد
ببغداد فحبس عمرو بها إلى أن قتل سنة تسع وثمانين في الحبس . وفيها سار محمد
ابن زيد العلوي صاحب طبرستان إلى خراسان وقد سمع أسر بن الصفار ليستولي
عليها ، فجری بينه وبين عسكر اسماعيل الساماني قتال ثم انهزم عسكر العلوي
وجرح جراحات ثم مات العلوي منها بعد أيام ، وأسر ابنه زيد في الواقعة وحمل
إلى اسماعيل الساماني فأكرمه ووسع عليه ، وكان محمد بن زيد ديناً فاضلاً
شاعراً حسن السيرة رحمه الله تعالى . وفيها مات علي بن عبد العزيز البغوي بمكة .

سنة ثمان وثمانين ومائتين :

وفيهما حفر لؤلؤ والي المعرة غلام وصيف بن صوار تكين أمير حمص خندقاً على معرة النعمان وحاصره جهير بن محمد التنوخي وبنو كنانة وطال القتال ، ثم انصرف ولم يفتحها .

ومن تاريخ ابن المهذب وهو خلاف ما قدمنا ان فيها قتل أبو الجيش خمارويه ابن أحمد بن طولون قتله خدامه على فراشه بدمشق بحضرة دير مران ، وكانت قطر الندي بنت أبي الجيش قد تزوجها المعتضد وزفت اليه مع ابن الجصاص صاحب المعتضد ، فقال المعتضد لأصحابه : أكرموها بشمع العنبر ، فوجد في الخزانة أربع شمعات عنبر في أربعة أتوار فضة ، فلما كان وقت العشاء جاءت اليه وقدامها أربعمائة وصيفة في يد كل واحدة منهن تور ذهب أو فضة وفيه شمعة عنبر ، فقال المعتضد لأصحابه : أطفئوا شمعنا واسترونا . وكانت إذا جاءت إلى المعتضد يكرمها بطرح نخدة ، فجاءت يوماً فلم يطرح لها ، فقالت : أعظم الله أجر أمير المؤمنين ، قال : في من ؟ قالت : في عبده خمارويه ، قال : أو قد سمعت بموته ؟ قالت : لا ولكني لما رأيتك تركت إكرامي علمت أنه قد مات أبي ، وكان قد سمع بموته وكتمه عنها ، فأمر أن تطرح لها النخدة في كل الأوقات . والله أعلم .

سنة تسع وثمانين ومائتين :

ذكر وفاة المعتضد

وفيهما كانت حرب بالشام بين طنج أمير دمشق وبين القرامطة . وفيها لثمان بقين من ربيع الآخر توفي المعتضد أبو العباس أحمد بن طلحة الموفق ودفن ليلاً في دار محمد بن طاهر ، ومولده في ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، وخلافته تسع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً ، وخلف من الذكور علياً المكتفي وجعفرأ المقتدر وهارون وإحدى عشر بنتاً .
ولما حضرت المعتضد الوفاة أنشد أبياتاً منها :

ولا تأمن الدهر إني أمنتـه
 قتلـت صناديد الرجال ولم أدع
 وأخليت دار الملك من كل نازع
 فلما بلغت النجم عزاً ورفعة
 رماني الردى سهماً فأخذ جمرتي
 فلم يبق لي خلاّ ولم يرع لي حقا
 عدواً ولم أمهل على ظنه خلقا
 فشردتهم غرباً ومزقتهم شرقا
 وصارت رقاب الخلق أجمع لي رقا
 فها أنا ذا في حفرتي عاجلاً ألقى

قلت: وقد ذكرت بهذا بيتين رأيتهما مكتوبين على قبر بهلوان حسان صاحب
 منبج بمنبج وهما :

لقد غفلت صروف الدهر عني وبتت من الحوادث في أمان
 وكدت أنال في الشرف الثريا وهما أنا في التراب كما تراني
 والله أعلم .

وكان المعتضد شهماً مهيباً عند أصحابه يكفون عن المظالم خوفاً منه وكان
 عفيفاً وفيه شح ، حكى القاضي ابن اسحاق قال : أطلت النظر إلى أحداث
 روم صباح الوجوه على رأس المعتضد ، فلما قمت أمرني بالعود فجلست ، فلما
 تفرق الناس قال : يا قاضي والله ما حلت سراويلي على حرام قط .

ذكر خلافة المكتفي بن المعتضد

ولما توفي المعتضد بويع للمكتفي ابنه وهو سابع عشرهم ، وكان بالرقعة وبلغه
 الخبر ، أخذ البيعة على من عنده أيضاً ودخل بغداد لثمان خلون من جمادى الأولى .
 قلت : قال ابن المهذب المعري في تاريخه : ولم يل الخلافة بعد علي رضي الله عنه
 من اسمه علي غير المكتفي . والله أعلم .

وفيها توفي ابراهيم بن أحمد الأغلبى وقد ذكر من قبل ، وملك ابنه عبد الله .

سنة تسعين ومائتين :

ذكر أخبار القرامطة

وفيها اشتدت شوكة القرامطة حتى هزموا جيش طغج أمير دمشق

(ابن الوردي - م ٢٤)

٣٦٩

وحصروا دمشق ، ثم اجتمعت عليهم العساكر وقتلوا مقدمهم يحيى المعروف بالشيخ ، فقام في القرامطة أخوه الحسين وتسمى بأحمد وأظهر شامة بوجهه وزعم أنها آيته ، وكثر جمعه فصالحه أهل دمشق على مال دفعوه ، وانصرف فغلب على حمص وخطبوا له على منابرها وتسمى بالمهدي أمير المؤمنين ، وعهد إلى ابن عمه عبد الله ولقبه المدثر وزعم أنه المدثر الذي في القرآن . ثم سار إلى حماة والمعرة وغيرها وقتل أهلها حتى الأطفال والنساء ، وأخذ سلمية بالأمان وقتل أهلها حتى صبيان المكتب . ولما اشتد أمر القرمطي صاحب الشامة خرج المكتفي من بغداد ونزل الرقة وأرسل إليه الجيوش .

قلت : قال ابن المهذب المعري في تاريخه : ان القرمطي قتل بمعرة النعمان بضعة عشر ألفاً وأقام بها ينهب ويحرق ويقتل خمسة عشر يوماً . والله أعلم .

سنة احدى وتسعين ومائتين :

وفيها واقعة عساكر الخليفة مع صاحب الشامة القرمطي وأصحابه بمكان بينه وبين حماة اثنا عشر ميلاً لست خلون من المحرم ، فانهزمت القرامطة وتبعهم العسكر يقتلونهم ، وهرب صاحب الشامة وابن عمه المدثر و غلام رومي فأمسكوا في البرية وأحضروا إلى المكتفي بالرقة ، فسار بهم إلى بغداد وقتلهم وطيف برأس صاحب الشامة . ومن كتاب الشريف العابد : ان مكان هذه الواقعة هو تمنع قرية في بلد المعرة على الطريق الآخذة من حماة إلى حلب .

وفيها ببغداد توفي أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد المعروف بشعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة ثقة حجة صالح ، ومولده أول سنة مائتين .

قلت : قال أبو بكر بن مجاهد المقرئ : قال لي ثعلب : يا أبا بكر اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا ، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا ، واشتغل أصحاب الفقه بالفقه ففازوا ، واشتغلت أنا بزيد وعمرو فليت شعري ماذا يكون حالي في الآخرة ، فانصرفت من عنده فرأيت رسول الله ﷺ تلك

الليلة في المنام فقال لي : اقرىء أبا العباس عني السلام وقل له أنت صاحب العلم المستطيل ، قال أبو عبد الله الروذابادي العبد الصالح : أراد صلى الله عليه وسلم ان الكلام به يكمل والخطاب به يحمل وان جميع العلوم مفتقرة اليه ، والله أعلم .

سنة اثنتين وتسعين ومائتين :

انقراض ملك بني طولون

وفيها انقراض ملك بني طولون ؛ بعث المكتفي جيشاً مع محمد بن سليمان فاستولى على دمشق ، ثم على مصر وصاحبها هارون بن خمارويه فقارقه غالب قواده ولحقوا بعسكر الخليفة ، وخرج هارون فيمن بقي معه وجرى بينه وبين محمد بن سليمان وقعات ، ثم وقع في عسكر هارون خصومة فاقتتلوا فركب هارون لتسكينهم فزرقه مغربي بمزراق فقتله ، فقام عمه شيبان بالأمر وطلب الأمان فأمنه محمد بن سليمان ، ثم هرب شيبان ليلاً واستولى محمد بن سليمان على مصر ، وأمسك بني طولون وكانوا بضعة عشر رجلاً واستصفي ما لهم وقيدهم وحملهم إلى بغداد وذلك في صفر منها .

سنة ثلاث وتسعين ومائتين :

القرامطة ينهبون دمشق

وفيها بعد توجه محمد بن سليمان عن مصر خرج الخلنجي الخارجي ببلاد مصر واستفحل أمره ، فسار اليه أحمد بن كينغلغ عامل دمشق ، فطمعت القرامطة في دمشق لغيبته فنهبوا فيها وقتلوا ، ونهبوا طبرية ثم قصدوا جهة الكوفة ، فسير المكتفي اليهم عسكراً مع المختصين من قواده مثل وصيف بن صوار تكين والفضل بن موسى بن بغا وبشر الخادم الافشيني وراثق الجزري ، واقتتلوا وتمت الهزيمة على عسكر الخليفة وقتل منهم خلق وغنم القرامطة منهم شيئاً كثيراً فتقووا به .

وفيهما توفي عبد الله بن محمد الناشي الشاعر ، ونصر بن أحمد الحافظ . وفيها توفي الزنديق بن الراوندي أحمد بن يحيى بن اسحاق المتكلم (١) ، له في الكفر والإلحاد ومناقضة الشريعة مصنفات منها : قضيب الذهب والدامغ والفرند والزمردة ، وقد أجاب العلماء عن معارضاته السمجة الركيكة ، ووضع كتاباً لليهود وقال لهم : قولوا عن موسى بن عمران أنه قال : لا نبي بعدي . وقد أضربت عن ذكر شيء من هديانه ونزهت عنه هذا الكتاب . ومات لعنه الله ولعن محبه برحبة مالك بن طوق ، وذكر أن عمره ست وثلاثون سنة .

قلت : قال ابن الجوزي في المنتظم ما معناه : الأمل ان الله تعالى يعذبه يوم القيامة أشد من عذاب إبليس لأن إبليس خاطب الله تعالى بالأدب فقال : بعزتك ، وهذا أساء أدبه على الله وسماه بما هذا الملعون جدير به ، والعجب أن العوام يضحكون لأقواله ويفضلون عن كونه سب النبي ﷺ في بعض مصنفاته في عدة مواضع :

ألا يا ليتني مكنت منه فكنت فعلت فيه ما أشاء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منه وقاء
والله أعلم .

سنة أربع وتسعين ومائتين :

وفيهما أخذت القرامطة الحجاج من طريق العراق وقتلوه وهم عشرون ألفاً وأخذوا منهم أموالاً عظيمة ، وكان كبير القرامطة زكرويه ، فجهز المكتفي عسكرياً قاتلهم ، فانهزم القرامطة وقتل منهم خلق وأسر اللعين زكرويه جريحاً ومات بعد ستة أيام ، وقدم العسكر برأسه إلى بغداد وطيف به . وفيها توفي محمد بن نصر المروزي بسمرقند (٢) ، وله تصانيف كثيرة .

(١) قيل ان وفاته كانت سنة خمسين ومائتين ، وذكر ابن خلكان في تاريخه انه توفي سنة خمس وأربعين ومائتين .
(٢) معرب سمرقند .

سنة خمس وتسعين ومائتين :

وفيهما في صفر توفي إسماعيل بن أحمد الساماني المذكور ، وأرسل المكتفي لابنه أبي نصر أحمد التقليد . وفيها لثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة توفي المكتفي بالله ، وخلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً وعمره ثلاث وثلاثون سنة . كان ربعة جميلاً رقيق السمرة حسن الوجه والشعر وافر اللحية ، وأمه ججك التركية أم ولد ، وطال مرضه شهوراً ودفن بدار محمد بن طاهر .

ذكر خلافة المقتدر بالله بن المعتضد

وبويع المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله وهو ثامن عشرهم يوم توفي المكتفي وعمره يوم بويع ثلاث عشرة سنة ، وأمه شعب أم ولد . وفيها توفي المنذر بن محمد الأموي ، فبويع يوم موته بالأندلس لثلاث عشرة بقية من صفر . وفيها في المحرم توفي أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الترمذي الفقيه الشافعي المحدث ، روى عن يحيى بن يزيد المصري ويوسف بن عدي وكثير بن يحيى ، وروى عنه أحمد بن كامل الشافعي وغيره ، ومولده سنة مائتين ، وقيل : ست عشرة ومائتين .

سنة ست وتسعين ومائتين :

ذكر خلافة الراضي بالله

وفيهما نُخلع المقتدر ، خلعه القواد والقضاة ، وبويع عبد الله بن المعتز ولقب الراضي بالله ، وجرت بين المريدين لهذا والمريدين للمقتدر حروب آخرها هزيمة ابن المعتز واختفاؤه وتفرق أصحابه ، ثم أمسك ابن المعتز وحبس لليلتين وخنق وقالوا : مات حتف أنفه وأخرجوه إلى أهله . وولد ابن المعتز لسبع بقين من شعبان سنة سبع وأربعين ومائتين ، وكان فاضلاً شاعراً بتشبيهاته يضرب المثل ، أخذ عن المبرد وثلعب ، وتولى الخلافة يوماً واحداً فقال : قد آن للحق أن

يتضح وللباطل أن يفتضح . ومن بليغ قوله : أنفاس الحي خطاه إلى أجله وربما
أورد الطمع ولم يصدر ، يشفيك من الحاسد أن يغم وقت سرورك . وكان آمناً
في سربه منعكفاً على طلب العلم والشعر ، قد اشتهر عند الخلفاء أنه لم يؤهل
نفسه للخلافة ، فاستراح إلى أن حمه على الخلافة الذين خذلوه بعد بيعته . وقيل :
أنه كان ينوي للطالبيين شراً فدعوا عليه . ورثاه علي بن محمد بن بسام فقال :

لله درك من ملك بمضيعة ناهيك في العلم والآداب والحسب
ما فيه لو ولا ليت فينقصه وإنما أدركته حرفة الأدب

انقراض بني الأغلب

وفيها في مستهل رمضان ولي أبو نصر زيادة الله افريقية ، وذلك أن
زيادة الله حبسه أبوه عبد الله على شرب الخمر فاتفق مع ثلاثة من خدم أبيه
الصقالبة على قتل أبيه فقتلوه وجاءوا برأسه وهو في الحبس ، فلما تولى زيادة الله
قتلهم وانعكف على اللذات والمضحكين وأهل أمور المملكة وقتل من الأغالبة
من قدر عليه من أعمامه وإخوته . وفي أيام زيادة الله قوي أمر أبي عبد الله الشيعي
القائم بدعوة الدولة الفاطمية بالمغرب ، فأرسل إليه زيادة الله جميع عسكره
أربعين الفاً مع ابراهيم من بني عمه فهزمهم الشيعي فضعف زيادة الله ، وجمع
الأموال فقدم مصر وبها النوشري عاملاً فكتب النوشري بأمره إلى المقتدر .

ثم سار زيادة الله إلى الرقة ، فأمره المقتدر بالعود إلى المغرب لقتال الشيعي
وكتب إلى النوشري عاملاً بإمداد زيادة الله بالعساكر والأموال . فقدم إلى مصر
فأمره النوشري بالخروج إلى الحمامات ليخرج إليه ما يختار من المال والرجال
ومطله النوشري . هذا وزيادة الله ملازم للهو وسماع الغناء والخمر وطال مقامه
هناك ، فتفرق أصحابه ومرض وسقطت لحيته وأيس من النوشري ، فسار ليقم
بالقدس فمات ودفن بالرملة . ولم يبق من بني الأغلب أحد ، وكانت مدة ملكهم
مائة واثنى عشرة سنة تقريباً . فسبحان الذي لا يزول ملكه .

ذكر ابتداء الدولة العلوية الفاطمية

وفيها ابتداء ملك العلويين بافريقية وانقرضت دولتهم بمصر (١) ، وسيأتي ،
أولهم أبو محمد عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن اسماعيل بن
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وقيل : هو عبيد الله
ابن أحمد بن اسماعيل الياني بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن
الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم . واختلف العلماء في نسبه ، فمن
قال بإمامته قال : نسبه صحيح ، ومن العلويين من وافق عليه حتى قال
الشريف الرضي :

ما مقامي على الهوان وعندني مقول صارم وأنف حمي
ألبس الذل في بلاد الأعادي وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ومولاه مولاي إذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيدا الناس جميعاً محمد وعلي

وقيل : نسبهم مدخول ، وبالغ قوم حتى جعلوا نسبهم في اليهود فقالوا : لم
يكن اسم المهدي عبيد الله بل كان اسمه سعيد بن أحمد بن عبد الله القداح بن
ميمون بن ديسان . وقيل : عبيد الله بن محمد ، وقيل فيه : سعيد بن الحسين ،
وإن الحسين المذكور قدم سلمية فجرى بحضرته حديث النساء فوصفوا له امرأة
يهودي حداد بسلمية مات زوجها ، فتزوجها الحسين بن محمد المذكور ابن أحمد
ابن عبد الله القداح ، وكان للمرأة ولد من اليهودي فأحبه الحسين وأدبه ، ومات
الحسين ولا ولد له فعهد إلى ابن اليهودي الحداد وهو المهدي عبيد الله وعرفه
أسرار الدعوة وأعطاه الأموال والعلامات ، فدعاه الدعاء .

(١) انظر تاريخي الاشيلي والمقريري .

قصة القداح ابن ديسان

وقد اختلف كلام المؤرخين وكثر في قصة عبد الله القداح بن ميمون بن ديسان، قالوا: ابن ديسان المذكور هو صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة وكان يظهر التشيع لآل البيت رضي الله عنهم، ونشأ لميمون بن ديسان ولد اسمه عبد الله القداح كان يعالج العيون بالقدح، وتعلم من أبيه ميمون الحيل، وأطلعه أبوه على أسرار الدعوة لآل النبي ﷺ.

ثم سار القداح من نواحي كرج وأصفهان إلى الأهواز والبصرة وسلمية من أرض حمص يدعو إلى آل البيت. ثم توفي القداح وقام ابنه أحمد وقيل: محمد مقامه، وصحبه رستم بن الحسين بن حوشب بن زاذان النجار من أهل الكوفة، فأرسل أحمد إلى الشيعة باليمن يدعو إلى المهدي من آل محمد ﷺ، فسار رستم إلى اليمن ودعا الشيعة فأجابوه. وكان أبو عبد الله الشيعي الحسين بن أحمد بن محمد بن زكرياء من صنعاء وقيل: من الكوفة، وسمع بقدم ابن حوشب إلى اليمن وبدعوته، فسار أبو عبد الله الشيعي من صنعاء إلى ابن حوشب وكان يعدن فصحه واختص به، وكان لأبي عبد الله الشيعي علم ودهاء، وكان قد أرسل ابن حوشب قبل ذلك الدعوة إلى المغرب وقد أجابه أهل كتامة.

ولما رأى ابن حوشب علم الشيعي ودهاه أرسله إلى المغرب إلى أهل كتامة وأرسل معه جملة من المال، فسار الشيعي إلى مكة. ولما قدم الحاج إلى مكة اجتمع بالمغاربة من أهل كتامة فرآهم محبين إلى ما يختار فسار معهم إلى كتامة فقدمها منتصف ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين، وأتاه البريد من كل مكان وعظم أمره وكان اسمه عندهم أبا عبد الله المشرقي، وبلغ أمره إلى إبراهيم بن أحمد الأغلب أمير إفريقية فاحتقره. ثم مضى الشيعي إلى مدينة تاهرت فعظم وأتته القبائل من كل مكان، وبقي كذلك حتى تولى أبو مضر زيادة الله آخر بني الأغلب، وكان عم زيادة الله ويعرف بالأحول قبالة الشيعي يقاتله، فلما تولى زيادة الله قتل عمه الأحول فصفت البلاد للشيعي.

اتصال المهدي بأبي عبد الله الشيعي :

وسبب اتصال المهدي عبيد الله بأبي عبد الله الشيعي أن الدعاة بالمغرب كانوا يدعون إلى محمد والد المهدي وكان بسلمية ، فلما توفي أوصى إلى ابنه عبيد الله المهدي وأطلعه على حال الدعاة ، وشاع ذلك في أيام المكتفي فطلب عبيد الله فهرب هو وابنه أبو القاسم محمد الذي ولي بعد المهدي وتلقب بالقائم وتوجهها نحو المغرب ، ووصل عبيد الله المهدي إلى مصر في زيّ التجار وعامل مصر حينئذ عيسى النوشري ، وقد كتب إليه الخليفة يتطلب عبيد الله المهدي ، فجدّ المهدي في الهرب وقدم طرابلس الغرب وزيادة الله بن الأغلب يتوقع عليه وقد كتب إلى عماله بامساكه متى ظفروا به . فهرب من طرابلس ولحق بسجلماسة فأقام بها وصاحبها يومئذ اليسع بن مدرار فهاده المهدي على أنه تاجر قد قدم ، فوصل كتاب زيادة الله إلى اليسع يعلمه أن هذا الرجل هو الذي يدعو أبو عبد الله الشيعي إليه فقبض اليسع على عبيد الله المهدي وحبسه بسجلماسة .

ولما كان من قتل زيادة الله عمه الأحول وهرب زيادة الله واستيلاء أبي عبد الله الشيعي على افريقية ما قدمنا ذكره ، سار أبو عبد الله الشيعي من رقادة في رمضان من هذه السنة أعني سنة ست وتسعين ومائتين إلى سجلماسة واستخلف الشيعي أخاه أبا العباس وأبا زاكي على افريقية ، فلما قرب من سجلماسة خرج صاحبها اليسع وقاتله فهرب اليسع ليلاً ودخل الشيعي سجلماسة وأخرج المهدي وولده من السجن وأركبها ومشى هو ورؤوس القبائل بين أيديها وأبو عبد الله يشير إلى المهدي ويقول للناس : هذا مولاكم ، وهو يبكي من شدة الفرح ، حتى وصل إلى فسطاط قد نصب له ، ولما استقر المهدي فيه أمر بطلب اليسع صاحب سجلماسة فأدرك وأحضر بين يديه فقتله .

وأقام المهدي بسجلماسة أربعين يوماً وسار إلى افريقية ، ووصل إلى رقادة في ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين فدوّن الدواوين وجبى الأموال وبعث العمال إلى سائر بلاد المغرب ، واستعمل على جزيرة صقلية الحسن بن أحمد

ابن أبي حفيير . و زال بالمهدي ملك بني الأغب و ملك بني مدرار أصحاب مملكة سجلماسة و آخرهم اليسع ، و مدة ملك بني مدرار مائة و ثلاثون سنة ، و زال ملك بني رستم من تاهرت و مدته مائة و ستون سنة . و باشر المهدي الأمور بنفسه ، و لم يبق للشيعي و لا لأخيه حكم و الفطام صعب ، فشرع أبو العباس أخو الشيعي يندم أخاه و يقول : أخرجت الأمر عنك ، و أخوه ينهاه عن قول مثل ذلك إلى أن أحنقه و ذلك يبلغ المهدي ، حتى شرع يقول لرؤوس القبائل : ليس هذا المهدي الذي دعوناكم إليه ، فطلبها المهدي و قتلها في سنة ست و تسعين و مائتين ، و قيل : في غيرها .

سنة سبع و تسعين و ثمان و تسعين و مائتين :

و فيها توفي أبو القاسم الجنيد بن محمد الصوفي إمام وقته ، أخذ الفقه عن أبي ثور و التصوف عن سري السقطي .

سنة تسع و تسعين و مائتين :

و فيها قبض المقتدر على وزيره أبي الحسن بن الفرات^(١) و نهبه و هتك حرمة ، و ولى الوزارة أبا علي محمد بن يحيى بن عبيد الله بن خاقان ، و كان الخاقاني ضجوراً و تحكمت عليه أولاده فكل منهم يسمى لمن يرتشي منه ، فكان يولي العمل الواحد عدة من العمال في الأيام القليلة ، حتى ولى الكوفة في عشرين يوماً سبعة عمال فقيل فيه :

وزير قد تكامل في الرقاعه يولي ثم يعزل بعد ساعه
إذا أهل الرشا اجتمعوا عليه فخير القوم أوفرهم بضاعه

و الخليفة مع ذلك يتصرف على مقتضى إشارة النساء و الخدام ، فخرجت الممالك و طمع العمال في الأطراف . و فيها توفي أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان العالم بنحو البصريين و الكوفيين ، و اسحاق بن حنين الطبيب .

(١) انظر تاريخ الوزراء .

سنة ثلثائة :

وفيهما عزل المقتدر الخاقاني عن الوزارة وولاهما علي بن عيسى . وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان صاحب الأندلس في ربيع الأول ، وكان أبيض أصهب أزرق ربة يخضب بالسواد ، وولايته خمس سنين وأحد عشر شهراً ، وله أحد عشر ابناً أحدهم محمد المقتول قتله أبوه المذكور في حد وهو والد عبد الرحمن الناصر ، ولما توفي عبد الله ولي ابن ابنه عبد الرحمن بن محمد المقتول ونزل بحضرة أعمامه وأعمام أبيه ولم يختلفوا عليه .

سنة احدى وثلثائة :

وفيهما في جمادى الآخرة قتل السلماي أحمد بن اسماعيل صاحب خراسان وما وراء النهر ذبحه ليلاً غلماناً على سريرته في الصيد وهربوا ، فحمل ودفن ببخارا ، وظفروا ببعضهم فقتلوا . وولي بعده ابنه أبو الحسن نصر ابن ثمان سنين .

مقتل كبير القرامطة : وفيها قتل كبير القرامطة أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي ، قتله خادم له صقلي في الحمام واستدعى من كبرائهم أربعة واحداً بعد واحد على لسان أستاذه وقتلهم فعملوا به وقتلوه ، وتولى بعده بعهد ابنه سعيد الأكبر فغلبه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان ، وكان أبو سعيد مستولياً على هجر والاحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين .

وفيهما بعث المهدي جيشاً مع ابنه أبي القاسم محمد إلى ديار مصر فاستولى على الاسكندرية والفيوم ، فبعث اليهم المقتدر جيشاً فأجلاهم ، فعادوا إلى المغرب . وفيها توفي القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد المقرئ الثقفي . وفيها توفي محمد بن يحيى بن مندة الحافظ ، له تاريخ أصفهان ، ثقة من بيت كبير خرج منه علماء .

سنة ائنتين وثلثانة :

وفيهما قبض المقتدر على الحسين بن عبد الله بن الجصاص الجوهري وأخذ منه صنوفاً قيمتها أربعة آلاف الف دينار. وفيها أرسل المهدي العلوي جيشاً مقدمه حباشة في البحر فاستولى على الاسكندرية ، فأرسل المقتدر جيشاً مقدمه يونس الخادم ، فاقتتلوا بين مصر والاسكندرية أربع مرات انهزمت فيه المغاربة وقتل خلق وعادوا إلى بلادهم . وفيها انتهى تاريخ أبي جعفر الطبري . وفيها وقيل في السنة قبلها : توفي علي بن أحمد بن منصور البسامي من أعيان الشعراء ، كثير الهجاء ، هجا أباه وإخوته وأهل بيته ، وله في القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد :

| | |
|-----------------------|------------------------|
| قل لأبي القاسم المرزي | قابلك الدهر بالعجائب |
| مات لك ابن وكان زيناً | وعاش ذو الشين والمعائب |
| حياة هذا كموت هذا | فلست تخلو من المصائب |

وله في المتوكل لما هدم قبر الحسين :

| | |
|-------------------------------|--------------------------|
| بالله إن كانت أمية قد أتت | قتل ابن بنت نبيها مظلوما |
| فلقد أتاه بنو أبيه بمثله | هذا لعمر ك قبره مهدوما |
| أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا | في قتله فتبعوه رميا |

سنة ثلاث وثلثانة :

وفيهما اختار المهدي موضع المهديّة على الساحل وهي جزيرة متصلة بالبر كهيئة الكف متصلة بزند ، فبناها وجعلها دار ملكه بسور محكم وأبواب وزن المصراع مائة قنطار وقال : الآن أمنت على الفاطميات بحصانتها. وفيها أغارت الروم على الثغور الجزرية فغنموا وسبوا . وفيها توفي أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي صاحب كتاب السنن بمكة ودفن بين الصفا والمروة ، إمام حافظ محدث رحل إلى نيسابور ثم العراق ثم إلى الشام ومصر وعاد إلى دمشق

فامتحن في معاوية وطلب منه أن يروي شيئاً من فضائله فقال: ما يرضى معاوية أن يكون رأساً برأس حتى يفضل ، فقيل : انه وقع في حقه مكروه فحمل إلى مكة . وفيها توفي أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي المعتزلي .

سنة أربع وثلثائة :

وفيها توفي الناصر العلوي صاحب طبرستان وعمره تسع وسبعون ويسمى الأطروش ، وهو الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، ملك طبرستان سنة إحدى وثلثائة . وفيها توفي يوسف بن الحسين بن علي الرازي صاحب ذي النون المصري وهو صاحب قصة الغار معه .

سنة خمس وثلثائة :

وفيها مات أبو جعفر محمد بن عثمان العسكري المعروف بالسنان وبالعمري رئيس الإمامية ، ادعى أنه الباب إلى الإمام المنتظر .

وفيها قدم رسول ملك الروم إلى بغداد ، فلما استحضر عبي له العسكر وصفت الدار بالأسلحة وأنواع الزينة وجملة العسكر المصفوف مائة الف وستون ألفاً ما بين راكب وواقف ، ووقفت الغلمان الحجرية بالزينة والمناطق المحلاة ، ووقف الخدام الخصيان كذلك وكانوا سبعة آلاف ، أربعة آلاف خادم أبيض وثلثائة آلاف أسود ، ووقف الحجاب كذلك وهم حينئذ سبعمائة حاجب ، وألقيت المراكب والزبازب ^(١) في دجلة بأعظم زينة ، وزينت دار الخلافة فكانت الستور المعلقة عليها ثمانية وثلثين الف ستر منها ديباج مذهب اثنا عشر ألفاً وخمسمائة وكانت البسط اثنين وعشرين ألفاً ، وكان هناك مائة سبع مع مائة سباع ، وكان في جملة الزينة شجرة من ذهب وفضة تشتمل على ثمانية عشر غصناً ، وعلى الأغصان والقضبان الطيور والعصافير من الذهب والفضة وكذلك أوراق

(١) نوع من السفن .

الشجرة من الذهب والفضة والأغصان تتمايل بحركات موضوعة والطيور تصفر بحركات مرتبة . وشاهد الرسول من العظمة ما يطول شرحه ، وأحضر بين يدي المقتدر وصار الوزير يبلغ كلامه إلى الخليفة ويردّ الجواب عن الخليفة .

سنة ست وثلثانة :

وفيهما جعل على شرطة بغداد نجح الطولوني فجعل في الأرباع فقهاء تعمل أصحاب الشرطة بفتواهم ، فضعفت هيبة السلطنة وطمعت العيارون وأخذت ثياب الناس في الطرق وكثرت الفتن .

هزيمة المهدي

وفيهما جهز المهدي جيشاً كثيفاً مع ابنه القائم إلى مصر ، فوصل الاسكندرية واستولى عليها ، ثم وصل الجيزة وملك الاشمونين وكثيراً من الصعيد . وبعث المقتدر مؤنساً الخادم ، وجرت بينه وبين القائم وقعات ووصل إلى الاسكندرية من جهة افريقية ثمانون مركباً نجدة للقائم ، وأرسل المقتدر خمسة وعشرين مركباً من طرطوس لقتال مراكب القائم ، فالتقت المراكب والمراكب على رشيد واقتتلوا واقتتل العساكر في البر ، فهزم عسكر المهدي ومراكبه ، وعادوا إلى افريقية بعد أن قتل منهم وأسر .

وفيهما توفي القاضي محمد بن خلف بن حبان الضبي المعروف بابن وكيع ، عالم بأخبار الناس ، له تصانيف حسنة . وفيها في جمادى الأولى توفي الإمام أبو العباس أحمد بن سريج الفقيه الشافعي من الأئمة العظماء ويقال له الباز الأشهب ولي قضاء شيراز وله أربعمائة مصنف ، ومنه اشتهر مذهب الشافعي في الآفاق حتى قالوا في عصره : إن الله أظهر عمر بن عبد العزيز على رأس المائة من الهجرة فأحيا كل سنة وأمات كل بدعة ، ثم من الله على الناس بالشافعي على رأس المائتين فأظهر السنة وأخفى البدعة ، ومن الله على رأس الثلثمائة بابن سريج فقوى كل سنة وضعف كل بدعة . وجده سريج مشهور بالصلاح .

سنة سبع وثلثمائة :

ذكر انقراض دولة الأدارسة

وفيها انقضت دولة الأدارسة العلويين وتغلب عليهم فضالة بن حيووس ، ثم ظهر من الأدارسة حسن بن محمد بن القاسم بن ادريس ورام رد الدولة وقد أخذت في الاختلال ودولة المهدي عبيد الله في الإقبال فملك عامين ، ثم لم يتم له مطلب وانقضت دولتهم من جميع المغرب الأقصى ، وحمل غالب الأدارسة إلى المهدي وولده إلا من اختفى منهم في الجبال إلى أن سار بعد الأربعين وثلثمائة ادريس من ولد محمد بن القاسم بن ادريس فأعاد الإمامة لهذا البيت . ثم تغلب على بر العدو عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر وخطب في تلك البلاد لبني أمية ، ثم رجع عبد الملك إلى الأندلس فاضطربت دولته ببر العدو ، فتغلب بنو أبي العافية الزناتيون على فاس حتى ظهر يوسف بن تاشفين أمير المسلمين فاستولى على تلك البلاد .

سنة ثمان وسنة تسع وثلثمائة :

مقتل الحلاج

وفيها قتل الحلاج الحسين بن منصور؛ قدم من خراسان إلى العراق ثم إلى مكة وأقام سنة في الحجر لا يستظل بسقف يصوم الدهر ويفطر بماء وثلث عضات من قرص ، ثم قدم بغداد متزهداً متصوفاً يخرج للناس من فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ، ويمد يده في الهواء ويعيدها مملوءة دراهم أحدية^(١) يسميها دراهم القدرة ، ويخبر الناس بما أكلوه وما صنعوه في بيوتهم ، وبما في ضمائرهم فاعتقد قوم فيه الحلول. واختلف قوم فيه كالاختلاف في المسيح، وقال قوم : هو ولي الله ، وقيل : مشعبد ، وقيل : ساحر .

(١) أي مكتوب عليها : قل هو الله أحد .

والتمس حامد بن العباس الوزير من المقتدر تسليمه اليه ، فأمره بتسليمه فكان حامد يخرج الحلاج إلى مجلسه ويستنطقه فلا يظهر منه ما تكرهه الشريعة وحامد مجد في أمره ليقتله ، ثم رأى له كتاباً حكى فيه : ان الانسان إذا أراد الحج ولم يمكنه أفرد من داره بيتاً نظيفاً من النجاسات ولا يدخله أحد ، وإذا حضرت أيام الحج طاف حوله وفعل ما يفعله الحاج بمكة ثم يجمع ثلاثين يتيماً ويعمل أجود طعام يمكنه ويطعمهم في ذلك البيت ويكسومهم ويعطي كل واحد سبعة دراهم فيكون كمن حج . فأمر الوزير بقراءة ذلك قدام القاضي أبي عمرو ، فقال القاضي للحلاج : من أين لك هذا ؟ قال : من كتاب الإخلاص للحسن البصري ، فقال له القاضي : كذبت يا حلال الدم قد سمعناه بمكة وليس فيه هذا . فطلب الوزير خط القاضي بقوله : أنت حلال الدم فدافعه ، ثم ألزمه الوزير فكتب بإباحة دمه وكتب بعده من حضر المجلس ، فقال الحلاج : ما يحل لكم دمي وديني الإسلام ومذهبي السنة ولي فيها كتب موجودة فالله الله في دمي . وأرسل الوزير الفتاوى بذلك إلى المقتدر واستأذنه في قتله فأذن ، فضرب ألف سوط ثم قطعت يده ثم رجليه ثم قتل وأحرق ونصب رأسه ببغداد .

قلت : يقال : ان أبا العباس بن سريج قال عنه هذا رجل خفي عليّ حاله وما أقول فيه شيئاً . وفي مشكاة الأنوار للغزالي فصل طويل في حاله يمتد فيه عما صدر منه من الألفاظ مثل : أنا الحق وما في الجبة إلا الله ، وحملها على محامل حسنة وأولها ، وقال : هذا من شدة الوجد ، وجعله مثل قول القائل : « أنا من أهوى ومن أهوى أنا » .

وقال السيد القطب الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رحمه الله تعالى : عثر الحلاج فلم يكن في زمنه من يأخذ بيده ، ولو كنت في زمنه لأخذت بيده . وفي كلام الشيخ عبد القادر أيضاً في الحلاج ما يدل على أنه ولي الله وأن العلماء معذورون في أمره لتمسكهم بظاهر الشرع ، وذلك قوله رضي الله عنه فيه : طار واحد من العارفين إلى أفق الدعوى بأجنحة أنا الحق ، رأى روض الأبدية

خالياً من الحسيس والأنيس صفر بغير لغته تعريضاً لحتفه ظهر عليه عقاب الملك من مكن ان الله لغني عن العالمين أنشب في إهابه مخلب كل نفس ذائقة الموت ، قال له شرع سليمان الزمان لم تكلمت بغير لغتك لم ترغمت بلحن غير معهود من مثلك ، أدخل الآن إلى قفص وجودك ، إرجع من طريق عزة القدم إلى مضيق ذلة الحدث ، قل بلسان اعترافك ليسمعك أرباب الدعاوى حسب الواجد افراد الواحد مناط الطريق إقامة وظائف حرمة الشرع . وكان شيخنا العارف عبس السرجاوي الجعفري نفعنا الله ببركته يعتذر عن الحلاج وعن العلماء الذين أفتوا فيه بنحو ذلك ، والله أعلم .

وفيها توفي أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء من كبار علماء الصوفية ومشايخهم ، وإبراهيم بن هارون الحراني الطيب .

سنة عشر وثلثمائة :

وفيها توفي أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ببغداد ، ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين بآمل طبرستان ، حافظ للكتاب العزيز والقراءات ، لم يقلد أحداً ، فقيه عارف بأقاويل الصحابة والتابعين وله التاريخ المشهور ابتداءً فيه من أول الزمان إلى آخر سنة اثنتين وثلثمائة وكتاب فريد في التفسير وكتب أصول وفروع ، وصنف كتاباً فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنما كان أحمد بن حنبل محدثاً ، فاشتد ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون كثرة ببغداد ورموه بالرفض تعصباً وتشنيعاً عليه .

وفيها في ذي الحجة توفي أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي بن السراج نسبة إلى عمل السروج أحد الأئمة المشاهير ، أخذ عن أبي العباس المبرّد ، وأخذ عنه أبو سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني ونقل عنه الجوهرى وله مصنفات مشهورة ، كان يثلث بالراء فيجعلها غيناً .

قلت : ومن شعره :

ميزت بين جماها وفعالها فإذ الملاحه بالخيانة لا تفي
حلفت لنا أن لا تخون عهدنا فكأنها حلفت لنا أن لا تفي
والله لا كلمتها ولو أنها كالبدرا أو كالشمس أو كالمكتفي

وبلغت الأبيات إلى المكتفي فقال: لمن هي؟ فقيل: هي لعبيد الله بن طاهر؟
فأعطاء ألف دينار، فكان شعر ذلك سبباً لرزق هذا، والله أعلم.

سنة احدى عشرة وثلثمائة :

وفيها كبست القرامطة وأميرهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي البصرة
ليلاً وعلوا على سورها وقتلوا عاملها وأقاموا بها سبعة عشر يوماً يقتلون ويحملون
الأموال منها. وفيها توفي أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجزيري من مشاهير
مشايخ الصوفية، وإبراهيم بن السري الزجاج صاحب كتاب معاني القرآن،
ومحمد بن زكريا الرازي الطبيب كان في شبابه يضرب بالعود والتحى فقال: كل
غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يستحسن، ثم درس الطب والفلسفة بعد
الأربعين وعمر وبلغ في علومه الغاية حتى أشير إليه في الطب، وله الحاوي نحو
ثلاثين مجلداً، والمنصوري نافع صنفه لبعض الملوك السامانية.

سنة اثنتى عشرة وثلثمائة :

وفيها أخذ أبو طاهر القرمطي الحاج وأموالهم وهلك أكثرهم جوعاً
وعطشاً. وفيها قبض المقتدر على وزيره ابن الفرات، ثم ذبح هو وابنه المحسن
وعمر الأب إحدى وسبعون سنة والابن ثلاث وثلثون سنة. واستوزر بعده
القاسم الخاقاني. وفيها سار أبو طاهر القرمطي، فدخل الكوفة بالسيف وأقام
سنة أيام يدخل نهراً ويخرج إلى عسكره ليلاً، وحمل ما أمكنه من الأموال
والثياب.

قلت: وفيها انقطع القطر إلا النزر اليسير وسميت سنة الجبس لانقطاع المطر
إلا قرية تسمى كفور، وأما قرى المعرة فإنها أخصبت خصباً ما رأوا مثله.

سنة ثلاث عشرة وثلثمائة :

وفيهما توفي عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي وعمره مائة وستان، وعلي ابن محمد بن بشار الزاهد .

سنة أربع عشرة وثلثمائة :

وفيهما قلد المقتدر يوسف بن الساج نواحي المشرق وبعثه من اذربيجان إلى واسط لمحاربة القرامطة . وفيها استولى نصر بن أحمد الساماني على الري ومرض ثم سار عنها .

سنة خمس عشرة وثلثمائة :

وفيهما وصلت القرامطة إلى الكوفة فسار اليهم يوسف بن أبي الساج من واسط بعسكر ضخم نحو أربعين ألفاً وكانت القرامطة ألفاً وخمسمائة منهم ثمانمائة راجل ، فاحتقرهم ابن أبي الساج وقال : صدروا الكتب إلى الخليفة بالنصر فهؤلاء في يدي ، واقتتلوا فقدر الله انهزام عسكر الخليفة وأسروا ابن أبي الساج وقتله أبو طاهر واستولى على الكوفة ونهب . ثم جهز المقتدر إلى القرامطة مؤنساً الخادم في عساكر ، فانهزم أكثر العسكر قبل الملتقى ، ثم التقوا فانهزمت عساكر الخليفة ، ووقع الجفيل في بغداد خوفاً من القرامطة ، ونهبوا البلاد الفراتية ثم عادوا إلى هجر بالغنائم . وفيها ظفر عبد الرحمن الناصر الأموي صاحب الأندلس بأهل طليطلة بعد حصارها مدة لخلافهم عليه وخرب كثيراً منها .

قلت : وفيها استدعي علي بن عيسى الوزير إلى بغداد من مكة وكان نفي إليها ، وسبب نفيه : ان أم موسى وفاطمة قهرمانتي المقتدر قالتا له : وقع بعشرة آلاف درهم للمجيبة ثياب أمير المؤمنين ، ثم جاءتا فقالتا : وقع بعشرة آلاف درهم للمعممة ، ثم قالتا : وقع بعشرة آلاف درهم للمزررة ، فقال لهما : أمير المؤمنين مقطوع اليد حتى لا يقدر أن يتزرر . ثم قالتا وقع بعشرة آلاف

للمبخره ، فقال : لو أخرج أمير المؤمنين يده من تحت ثيابه وأخذ الجمره وفر
على بيت مال المسلمين عشرة آلاف درهم ، ثم قال :

ان بيتاً تربه أم موسى وفاطمه
لجدير بأن ترى ربه البيت لاطمه

فبلغ ذلك المقتدر فنفاه إلى مكة .

سنة ست عشرة وثلثمائة :

وفيها نهبت القرامطة الرحبة وسبوا ثم نهبوا ربض الرقة ، ثم نزلوا سنجان
ثم استأنوا فأمنوهم ، ثم نهبوا الجبال وغيرها وعادوا إلى هجر . وفيها عزل
المقتدر علي بن عيسى وقبض عليه ، وولى الوزارة علي بن مقلة .

ابتداء أمر مرداويج : وفيها خرج مرداويج على أستاذه اشغار بن شيويه
الذي كان قد استولى على جرجان قبل بسنة بعد أن بايع أكثر العسكر في
الباطن ، فهرب اشغار فأدر كه مرداويج وقتله ، وابتداء أمر مرداويج في ملك
البلاد من هذه السنة فملك قزوين ثم الري وهدان وكيلور والدينور ويزدجرد
وقم وقاشان وأصفهان وجرباذقان ، وعمل له سرير ذهب يجلس عليه وتقف
عسكره صفوفاً بالبعد عنه ، ولا يخاطبه إلا الحجاب المرتبون لذلك ، ثم استولى
مرداويج على طبرستان .

وفيها وصل الدمستق في جيش كثير من الروم وحصر خلاط^(١) ثم صالحهم
على أن يقلع منبر الجامع ويعمل موضعه صليباً ، فأجابوا وفعلوا ذلك ، وفعّل
ببدليس كذلك ، والدمستق اسم للنائب على البلاد التي شرقي خليج قسطنطينية .

(١) وردت في القاموس « خلاط » . ولكن أبي الفداء في كتاب « الجغرافيا » أجاز
ذكرها « أخلاط » .

وفيهما توفي يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الاسفراييني ، وله مسند مخرج على صحيح مسلم ، وكنيته أبو عوانة الحافظ ، طاف البلاد في طلب الحديث وسمع مسلم بن الحجاج وغيره .

سنة سبع عشرة وثلثمائة :

خلع المقتدر ثم عودته للخلافة

وفيهما خلع المقتدر بالله ، أنكر القواد والجند استيلاء النساء والخدام على الأموال ، وانضم إلى ذلك وحشة مؤنس الخادم منه ، فحملوه ووالدته وخالته وخواص جواريه إلى دار مؤنس واعتقل بها ، وأشهدوا عليه القاضي أبا عمرو بخلع نفسه ، ونهبت دار الخلافة ، واستخرجوا من قبر في تربة بنتها أم المقتدر ستائة ألف دينار ، وأحضرُوا أخاه محمداً المعتضد وبايعوه ولقبوه القاهر بالله .

فلما كان يوم الاثنين سابع عشر المحرم ثالث يوم خلعه بكر الناس فملأوا دار الخلافة ، ولم يحضر مؤنس المظفر ذلك اليوم ، وحضرت الرجال المصافية بالسلاح يطالبون بحق البيعة فارتفعت أصواتهم ، فخرج من عند القاهر بازرك ليطيب خواطرهم فرأى في أيديهم السيوف مسلولة فخافهم فرجع ، وتبعوه فقتلوه في دار الخلافة وصرخوا مقتدر يا منصور ، وهجموا على القاهر فهرب واختفى وتفرق الناس عنه ولم يبق بدار الخلافة أحد . ثم قصدت الرجال دار مؤنس وطلبوا منه المقتدر ، فأخرجه وسلمه اليهم فحملوه على رقابهم حتى أدخلوه دار الخلافة .

ثم أرسل المقتدر خلف أخيه القاهر بالأمان وأحضره وقال : قد علمت أنه لا ذنب لك وقبّل بين عينيه وأمنه ، فشكر إحسانه ، ثم حبس القاهر عند أم المقتدر فأحسنّت إليه . واستقر المقتدر خليفة وسكنت الفتنة ، وكان إيثار مؤنس إعادة المقتدر إلى الخلافة وإنما خلعه موافقة للعسكر .

القرمطي ينهب الحجاج بمكة

وفيها وافى أبو طاهر القرمطي مكة يوم التروية فنهب الحجاج بها وقتلهم حتى في المسجد الحرام وداخل الكعبة وأخذ الحجر الأسود من الركن ونقله إلى هجر وقتل أمير مكة ابن محلب وأصحابه وقلع باب البيت وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب فسقط فمات ، وطرح القتلى في بشر زمزم ودفن الباقيين في المسجد الحرام وحيث قتلوا ، وأخذ كسوة البيت فقسماً بين أصحابه . قلت : ويقال : انه لما أخذ الحجر الأسود قال : هذا مغناطيس بني آدم وهو يحرمهم إلى مكة وأراد أن يحول الحج إلى الاحساء فعليه لعنة الله ، وكان يحكم التركي أمير بغداد والعراق فبذل لهم في رد الحجر خمسين ألف دينار فما فعلوا ، والله أعلم .

وفيها وقع بسبب تفسير قوله تعالى : (عسى ربك أن يبعثك مقاماً محموداً) ببغداد فتنة عظيمة بين الحنابلة وغيرهم دخل فيها الجند والعامّة وقتل بينهم كثير ، قال أبو بكر المروزي الحنبلي : ان معنى ذلك أن الله تعالى يقعد النبي ﷺ معه على العرش ، وقالت الطائفة الأخرى : إنما هي الشفاعة . وفيها توفي محمد ابن جابر بن سنان الحراني الأصل البتاني (١) الحاسب المنجم (٢) صاحب الزيج الصابي له الأرصاد المتقنة ، ابتداء بالرصد سنة أربع وستين ومائتين إلى سنة ست وثلاثمائة وأثبت الكواكب الثابتة في زيجه لسنة تسع وتسعين ومائتين وزيجه نسختان الثانية أجود .

وفيها توفي نصر بن أحمد بن نصر البصري الخبزرزي نسبة إلى بيع خبز الأرز باعه بمربد البصرة ، الشاعر الراوية الأديب كان أمياً لا يتهجى ومن شعره :
 خليتي هل أبصرتما أو سمعتما بأفضل من مولى تمشي إلى عبد
 أتى زائري من غير وعد وقال لي أجلك من تعليق قلبك بالوعد

(١) البتاني - بفتح الباء - نسبة الى بتان ناحية من عمل حران .

(٢) انظر ص ١١٧ من الجزء الثاني لتاريخ ابن خلكان .

فما زال نجم الوصل بيني وبينه يدور بأفلاك السعادة والسعد
فطوراً على تقبيل نرجس ناظر وطوراً على تقبيل تفاحة الخد

قلت : ولقد صدق الخبزرزي في قوله :

وكان الصديق يزور الصديق لشرب المدام وعزف الأغاني
فصار الصديق يزور الصديق لبث الهموم وشكوى الزمان

سنة ثمان عشرة وثلثمائة :

وفيها استطالت الرجالة المصافية باعادة المقتدر واقتتلوا هم والجنود فهربت
الرجالة إلى واسط واستولوا عليها ، فتبعهم مؤنس الخادم وقتل منهم وشردهم
عنها . وفيها وقيل في تلوها : توفي أبو بكر بن الحسن بن علي بن أحمد بن يسار
المعروف بابن العلاف الضرير النهرواني وعمره مائة ، وهو ناظم مرثي الهرازي (١)
التي منها :

يا هراً فارقتنا ولم تعد وكان قلبي عليك مرتعداً
وكان قلبي عليك مرتعداً وتدخل برج الحمام متنداً
وتبلى الفرح غير متند صادوك غيظاً عليك وانتقموا
منك وزادوا ومن يصد يصد ولم تزل للحمام مرتصداً
حتى سقيت الحمام بالرصد يا من لذيذ الفراح أوقعه
ويحك هلا قنعت بالغدد لا بارك الله في الطعام إذا
كان هلاك النفوس في المعد كم دخلت لقمة حشا شره
فأخرجت روحه من الجسد ما كان أغناك عن تسلقك البرج ولو كان جنة الخلد

(١) قيل : كان له قط ، وقيل : رثى بها ابن المعتز مورياً لخوفه من المقتدر ، وقيل : هويت
جارية علي بن عيسى غلاماً لأبي بكر بن العلاف المذكور ففطن بها علي بن عيسى فقتلها ، فرثاه
مولاه بهذه القصيدة .

سنة تسع عشرة وثلثمائة :

وفيها أرسل المقتدر عسكرياً لقتال مرداويج، فالتقوا بنواحي همدان فانهزم
عسكر الخليفة، واستولى مرداويج على بلاد الجبل جميعاً وبلغت عساكره في
النهب إلى نواحي حلوان، ثم أرسل مرداويج عسكرياً فملك أصفهان. وفيها
في ذي الحجة تأكدت الوحشة بين مؤنس والمقتدر.

سنة عشرين وثلثمائة :

ذكر ذبح المقتدر

وفيها سار مؤنس مغاضباً للمقتدر، واستولى المقتدر على أقطاعه وأملاكه
وأملك أصحابه، وكتب إلى بني حمدان أمراء الموصل بصد مؤنس عن الموصل
وقتاله، فجرى بينهم قتال فانتصر مؤنس واستولى على الموصل واجتمعت عليه
العساكر من كل جهة وأقام بالموصل تسعة أشهر، وسار بالعسكر إلى جهة بغداد
فقدم تكريت، ثم سار حتى نزل بباب الشامية.

ورأى المقتدر انعزال العسكر عنه فقصد النزول إلى واسط، ثم اتفق مع
من بقي معه على قتال مؤنس ومنعوه التوجه إلى واسط فخرج لقتال مؤنس كارهاً
لقتاله، وبين يدي المقتدر الفقهاء والقراء معهم المصاحف منشورة وعليها البردة
فوقف على تل، ثم ألح عليه أصحابه فتقدم إلى القتال، ثم انهزمت أصحابه
ولحقهم قوم من المغاربة، فقال: ويحكم أنا الخليفة، فقالوا: قد عرفناك يا سفلة
أنت خليفة إبليس، فضربه واحد بسيفه فسقط إلى الأرض، وذبح المقتدر
وكان عظيم الجثة ورفعوا رأسه وهم يكبرون ويلعنونه وشاحوه حتى سراويله ثم
دفن موضعه وعفي قبره، وجاءوا بالرأس إلى مؤنس وهو بالراشدية، ولم يشهد
الحرب فلطم وبكى. وخلافة المقتدر أربع وعشرون سنة وأحد عشر شهراً
وسنة عشر يوماً، وعمره ثمان وثلاثون سنة. ثم أشار مؤنس باقامة أبي العباس
ابن المقتدر، فبحث أبو يعقوب اسحاق بن اسماعيل النوبختي عن حنقه بظلفه -
كما سيذكر - وقال: هذا صبي، فترك.

ذكر خلافة القاهر بالله بن المعتضد

وبويع القاهر بالله محمد بن المعتضد وهو تاسع عشرهم لليلتين بقيتا من شوال منها ، ثم أحضر القاهر أم المقتدر وسألها عن الأموال فاعترفت بما عندها من المصاغ والثياب فقط ، فضربها شديداً وقد بدأ بها الاستسقاء ، ثم علقها برجلها فحلفت أنها لا تملك غير ما أطلعت عليه . واستوزر أبا علي بن مقلة وعزل وولي وقبض على جماعة من العمال . وفيها توفي القاضي أبو عمرو محمد بن يوسف وكان فاضلاً ، وأبو الحسين بن صالح الفقيه الشافعي العابد ، وأبو نعيم عبد الملك الفقيه الشافعي الجرجاني المعروف بالأشتر الأستراباذي .

سنة احدى وعشرين وثلثائة :

وفيهما في جمادى الآخرة ماتت شغب والدة المقتدر ودفنت في تربتها بالرصافة . وفيها حصلت الوحشة بين مؤنس والقاهر ، أقام مؤنس يلبق^(١) حاجباً وجعل أمر الخلافة اليه فضيق على القاهر ، ومنع دخول امرأة إلى دار الخلافة حتى يعرف من هي ، فإن القاهر كان قد استمال جماعة في الباطن للقبض على يلبق^(١) ومؤنس واتفق معه الساجية وطريف اليشكري أكبر القواد ، فقبض القاهر على يلبق وابنه ومؤنس في أول شعبان منها ، لأنهم اتفقوا مع ابن مقلة على خلعه وإقامة أبي أحمد المكتفي ..

وحضر ابن يلبق وأظهر أنه يريد الاجتماع بالخليفة بسبب القرامطة وقصده القبض على القاهر ، ولم يعلم ابن يلبق بما رتبته له القاهر ، ودخل فقبض عليه القاهر في دار الخلافة . وبلغ أباه يلبق ذلك وكان مريضاً فحضر إلى دار الخلافة بسبب ذلك ، فقبض عليه أيضاً . ثم استدعى القاهر مؤنساً فامتنع ، فحلف أن

(١) عاد المؤلف الى تصحيح هذه الكلمة الى بليق ، في نهاية الكتاب ، وذكر أنه يتقيد في ذلك بالأصل (تاريخ أبي الفداء) - وقد وردت فيه بليق - انظر ج ٢ - ص ٧٧ .

قصده منه الكشف عن حال بليق وابنه فإن صح ما بلغه عنهما وإلا أطلقهما ،
 فحضر مؤنس فقبض عليه أيضاً وعزل ابن مقلة واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم
 ابن عبيد الله ، ثم جدّ في طلب أحمد بن المكتفي فظفر به وبني عليه حائطاً
 فمات . وشغب أصحاب مؤنس وكانوا أكثر العسكر وثاروا بسبب حبس مؤنس
 وطلبوا إطلاقه ، فذبح ابن بليق ووضع رأسه في طست وكان قد حبسهم
 متفرقين ثم أحضر الرأس في الطست إلى أبيه فجعل بليق يبكي ويرسف الرأس ،
 ثم قتله القاهر وجعل رأسه مع رأس ابنه وأحضرهما إلى مؤنس فتشهد مؤنس
 ولعن قاتلها فقتله أيضاً ، وطيف بالرؤوس الثلاثة في بغداد ونودي : هذا جزاء
 من يخون الإمام ، ثم نظفت الرؤوس وجعلت في خزانة الرؤوس على جاري
 عادتهم . ثم عزل القاهر أبا جعفر الوزير وولى الحصيني الوزارة ، ثم قبض على
 طريف اليشكري .

ذكر ابتداء دولة بني بويه

كان بويه متوسط الحال بين الديلم وكنيته أبو شجاع ، ولما عظمت مملكة بني
 بويه اشتهر نسبهم فقالوا : بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهي بن شيرزبل الأصغر
 ابن شيركوه بن شيرزبل الأكبر بن شيران شاه بن شيرفنه بن شستان شاه بن سسن
 فيروز بن شيرزبل بن سناد بن بهرام جور الملك بن يزدجرد الملك وباقي النسب إلى
 اردشير بن بابك ، تقدّم .

وكان لبويه ثلاث بنين وهم : عماد الدولة أبو الحسن علي وركن الدولة الحسن
 ومعز الدولة أبو الحسين أحمد ، وكانوا في خدمة ما كان بن كالي الديلمي ، ولما
 ملك من الديلم اشغار بن شيرويه ومرداويج كما تقدم ملك ما كان بن كالي الديلمي
 طبرستان وكان أولاد بويه الثلاثة من عسكره متقدمين عنده ، فلما استولى
 مرداويج على ما كان بيد ما كان بن كالي من طبرستان ، سار ما كان عن طبرستان
 واستولى على الدامغان . ثم انهزم ما كان بن كالي وعاد إلى نيسابور منهزماً وأولاد

بويه الثلاثة معه لا يفارقونه ، فلما رأوا ضعفه عن مقاتلة مرداويج قالوا : نحن معنا جماعة وأنت مضيق والأصلح أن نفارقك لتخف مؤنتك فإذا صلح أمرك عدنا اليك . فأذن لهم ، ففارقوه ولحقوا بمرداويج ومعهم جماعة من قواد ما كان ، فأحسن اليهم مرداويج وقلد عماد الدولة علي بن بويه كرج فقوي بها وكثر جمعه ، ثم أطلق مرداويج لجماعة من قواده مالا على كرج ، فلما وصلوا لقبضه أحسن اليهم علي بن بويه واستألمهم حتى أوجبوا طاعته ، وبلغ ذلك مرداويج فاستوحش من ابن بويه .

ثم قصد ابن بويه المذكور أصفهان وبها ابن ياقوت فاقتتلوا ، فانهزم ابن ياقوت واستولى ابن بويه على أصفهان وكان أصحابه تسعمائة وعسكر ابن ياقوت عشرة آلاف ، فعظم بذلك في عيون الناس ، وبقي مرداويج يرأس ابن بويه ويلاطفه وابن بويه يعتذر ولا يحضر اليه . وأقام ابن بويه بأصفهان شهرين وجبى أموالها وارتحل إلى ارجان وكان قد هرب اليها أبو بكر بن ياقوت فانهزم من ابن بويه بغير قتال ، فاستولى ابن بويه على ارجان في ذي الحجة سنة عشرين وثلثمائة ، ثم صار ابن بويه إلى التوبيدخان واستولى عليها في ربيع الآخر من سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ، ثم أرسل عماد الدولة أخاه ركن الدولة إلى كازرون^(١) وغيرها من أعمال فارس فاستخرج أموالها ، ثم كان منهم ما سيأتي .

وفيها توفي أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد اللغوي^(٢) في شعبان ومولده سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، أخذ العلم عن أبي حاتم السجستاني وأبي الفضل الرياشي وغيرهما ، وله تصانيف منها مقصورته وكتاب الجهرة وكتاب الخيل . قال ابن شاهين : كنا ندخل على ابن دريد فنستحي منه مما نرى من العيدان المعلقة والشراب المصفى . وعاش ثلاثاً وتسعين .

(١) بها ولد صاحب القاموس .

(٢) انظر ص ٢٢٣ من الجزء الثاني لكشف الظنون .

قلت : ورثاه جعظه البرمكي فقال :

فقدت باين دريد كل فائدة لما غدا ثالث الأحجار والتراب
و كنت أبكي لفقد الجود منفرداً فصرت أبكي لفقد الجود والأدب

ومرض بالفالج مرتين مات في الثانية ، وكان يتألم من دخول الداخل وإن
لم يصل اليه ، حتى قال تلميذه أبو علي القالي : أظنه عوقب بقوله :

مارست من لو هوت الأفلاك من جوانب الجوّة عليه ما شكا

والله أعلم .

وفيهما توفي أبو هاشم بن أبي علي الجبائي المتكلم المعتزلي ومولده سنة سبع
وأربعين ومائتين ، أخذ عن أبيه واجتهد حتى فاقه . قال أبو هاشم : كان أبي
أكبر مني باثنتي عشرة سنة . ومات أبو هاشم وابن دريد في يوم واحد ببغداد
فقال الناس : اليوم دفن علم الكلام وعلم اللغة . وفيها توفي محمد بن يوسف بن
مطر الفربري ومولده سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وهو الذي روي صحيح
البخاري عنه ، وكان قد سمعه من البخاري عشرأت ألف ، منسوب إلى فربر ،
قرية ببخارا قاله ابن الأثير ، وقال ابن خلكان : فربر بلدة على طرف
جبحون . وفيها توفي بمصر أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي
الفقيه الحنفي انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة بمصر ، كان شافعيّاً وكان
يقرأ على خاله المزني فقال له يوماً : والله لا جاء منك شيء ، ففضب واشتغل على
مذهب أبي حنيفة ، وبرع وصنف كتباً مفيدة منها : أحكام القرآن واختلاف
العلماء ومعاني الآثار وتاريخ كبير ، وولادته سنة ثمان وثلاثين ومائتين .

قلت : ولما صنف مختصره قال : رحم الله أبا ابراهيم - يعني المزني خاله -

لو كان حياً لكفر عن يمينه ، والله أعلم .

سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة :

ذكر خلع القاهر وخلافة الراضي بالله

وفيها استولى عماد الدولة ابن بويه على شيراز . وفيها في جمادى الأولى خلع القاهر لغدره بطريف اليشكري ، وحنثه في اليمين بالأمان للذين قتلهم . وكان ابن مقلة مستتراً من القاهر ويغري القواد به ويظهر قارة بزي عجمي وقارة بزي مكدي ، وأعطى منجماً مائة دينار ليقول للقواد : ان عليهم قطعاً من القاهر ، وأعطى معبر منامات مائة دينار حتى عبر لسيا القائد مناماً كذلك . فاستوحشوا من القاهر وحضروا اليه وقد بات يشرب أكثر ليلته وأحدقوا بالدار ، فاستيقظ نخموراً فهرب إلى سطح حمام فتبعوه وأحضروه إلى حبس طريف اليشكري فحبسوه مكان طريف وسموا عينيه ، وأخرجوا طريفاً . وخلافته سنة واحدة وستة أشهر وثمانية أيام .

ولما قبضوا القاهر كان أبو العباس أحمد بن المقتدر ووالدته محبوسين ، فأخرجوه وأجلسوه على سرير القاهر وسموا عليه بالخلافة ولقبوه الراضي بالله ، وبويع الراضي بالله يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى منها . وأشار سيا القائد بوزارة ابن مقلة فاستوزروه ، وراودوا القاهر وهو أعمى محبوس أن يشهد عليه بالخلع فامتنع . وفيها وفاة المهدي عبيد الله العلوي الفاطمي بالمهدية في ربيع الأول وأخفى ولده القائم أبو القاسم محمد موته سنة لتدبير كان له ، وعاش المهدي ثلاثاً وثلاثين سنة وولايته أربع وعشرون سنة وشهر وعشرون يوماً . ثم أظهر ابنه وفاته واستقرت ولايته .

مقتل الشلمغاني : وفيها قتل محمد بن علي الشلمغاني ، وشلمغان قرية بنواحي واسط . وذلك أنه أحدث مذهباً مداره على الحلول والتناسخ .. ، وقيل : انه تبعه على ذلك الحسين بن القاسم بن عبيد الله الذي وزر للمقتدر ، وأبو جعفر وأبو علي ابنا بسطام ، وابراهيم بن أبي عون ، وأحمد بن محمد بن عبدوس .

وكان الشلمغاني وأصحابه مستترين فظهر في شوال منها فأمسكه الوزير ابن مقلة ، فأنكر الشلمغاني مذهبه وكان أصحابه يعتقدون فيه الإلهية ، وأحضره الوزير عند الراضي وأمسك معه ابن أبي عون وابن عبدوس ، فأمرهما بصنع الشلمغاني فامتنعاً فأكرها ، فصفعه ابن عبدوس ، وأما ابن أبي عون فارتعدت يده فقبل حية الشلمغاني ورأسه وقال : إلهي وسيدي ورازقي ، فقالوا للشلمغاني : ما قلت أنك لم تدع الإلهية ؟ فقال : ما ادّعتيها قط وما عليّ من قول ابن أبي عون عني مثل هذا ، ثم صرفا . وأحضر الشلمغاني مراراً بحضور الفقهاء ، وآخر الأمر : ان الفقهاء أفتوا بإباحة دمه ، فصلب هو وابن أبي عون في ذي القعدة منها وأحرقا . وفي مذهبه قبائح وكفريات أعرضنا عن ذكرها ، وأشبهوا في ترك الصلاة وجماع المحارم ونحوها النصيرية .

وفيها قتل اسماعيل بن اسحاق النوبختي ، قتله القاهر قبل أن يدخل ، والنوبختي أشار باستخلافه . وفيها فتح الدمستق ملطية بالأمان بعد حصار وأخرج أهلها وأوصلهم إلى مأمّنهم في مستهل جمادى الآخرة ، وفعل الروم الأفعال القبيحة بالمسلمين وصارت أكثر البلاد في أيديهم . وفيها توفي أبو نعيم الفقيه الجرجاني الاستراباذي ، وأبو علي محمد الروذباري الصوفي ، وأبو الحسين النساج بن عبد الله الصوفي من سامرا من الأبدال ، ومحمد بن علي بن جعفر الكناني الصوفي من أصحاب الجنيد .

سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة :

ذكر مقتل مرداويج الديلمي

وفيها قتل مرداويج الديلمي^(١) كان قد تجبر وعمل لأصحابه كراسي فضة ولنفسه تاجاً مرصعاً على صفة تاج كسرى^(٢) ، وفي ليلة الميلاد من هذه السنة أمر

(١) مرداويج لفظ فارسي معناه : معلق الرجال ، وهذه معرب مراد آويز - الفارسية .

(٢) انظر هذه القصة بتفصيل أكثر في تاريخ ابن خلدون ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ .

أن تجمع الأحطاب مثال الجبال والتلال وخرج إلى ظاهر أصفهان لذلك ، وجمع ما يزيد عن ألفي غراب ليعمل في أرجلها النفط ، وأمر بعمل سماط عظيم فيه ألف فرس وألفا رأس بقر ومن الغنم والحلواء كثير ، فلما استوى ذلك ورآه احتقره وغضب على أهل دولته ، فلما انقضى السماط وانقادت النيران وأصبح ليدخل أصفهان اجتمع الجند للخدمة وكثر صهيل الخيل حول خيمته ، فاغتاظ لذلك وقال : لمن هذه الخيل القريبة ؟ قالوا : للأتراك ، فأمر أن توضع سروجها على ظهور الأتراك ويدخلوا البلد كذلك ، ففعل بهم فكان له منظر قبيح ، وازداد الأتراك حنقا عليه . ورحل إلى أصفهان وهو غضبان فأمر صاحب حرسه أن لا يتبعه في ذلك اليوم ولم يأمر أحداً غيره ليجمع الحرش ودخل الحمام ، فانتهزت الأتراك الفرصة وهجموا فقتلوه في الحمام .

ذكر فتنة الحنابلة ببغداد

وفيها عظم أمر الحنابلة على الناس حتى كبدوا دور القواد والعامّة فان وجدوا نبذاً أراقوه وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة اللهو ، واعترضوا في البيع والشراء وفي مشي الرجال مع الصبيان ونحو ذلك . فنهاهم صاحب الشرطة عن ذلك وأمرهم أن لا يصلي منهم إمام إلا إذا جهر بيسم الله الرحمن الرحيم ، فلم يفد فيهم ، فكتب الراضي توقيعا ينهاهم فيه ويوبخهم باعتقاد التشبيه ، فمنه : انكم تارة تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين وهيئتكم على هيئته وتذكرون له الشعر القطط والصعود إلى السماء والنزول إلى الدنيا وغير ذلك وآخره وأمير المؤمنين يقسم قسماً عظيماً إن لم تنتهوا ليستعملن السيف في رقابكم والنار في منازلكم .

ذكر ولاية الأخشيدي بمصر :

وفيها تولى الأخشيدي مصر ^(١) ، وهو محمد بن طغج بن جف من جهة الراضي

(١) أخشيدي أصلها « آق شيد » ، معناه : شمس بيضاء .

بالله ، وكان الأخشيدي قبل ذلك قد تولى مدينة الرملة سنة ست عشرة وثلثمائة من جهة المقتدر وأقام بها إلى سنة ثمان عشرة وثلثمائة ، فوردت كتب المقتدر بولايته دمشق فسار إليها وتولاها ، والمتولي حينئذ مصر أحمد بن كينغ . فلما تولى الراضي عزل ابن كينغ وولاها الأخشيدي وضم إليه الشام ، فاستقر بمصر يوم الأربعاء لسبع بقين من رمضان منها .

وفيها قتل أبو العلاء بن حمدان : وذلك أن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله ابن حمدان كان أمير الموصل وديار ربيعة ، وكان أول من تولى منهم والد ناصر الدولة عبد الله أبو الهيجاء ولاء عليها المكتفي ، وقتل أبو الهيجاء ببغداد في المدافعة عن القاهرة ، ولما قبض عليه وكان ابنه ناصر الدولة نائباً عنه بالموصل استمر بها إلى هذه السنة ، فضمن عمه أبو العلاء بن حمدان ما بيد ابن أخيه من ديوان الخليفة بمال يحمه . وسار أبو العلاء إلى الموصل فقتله ابن أخيه ناصر الدولة ، فأرسل الخليفة عسكرياً مع ابن مقلة إلى قتال ناصر الدولة فهرب ناصر الدولة ، فأقام ابن مقلة بالموصل مدة ثم عاد إلى بغداد ، فعاد ناصر الدولة إلى الموصل وكتب إلى الخليفة يسأله الصفح وضمن الموصل بمال يحمه فأجيب .

وفيها أرسل القائم العلوي صاحب المغرب جيشاً من إفريقية في البحر ، ففتح جنوة وأوقعوا بأهل سردانية ، وعادوا سالمين . وفيها استولى عماد الدين بن بويه على أصفهان وتنازع مع شمكير في تلك البلاد وهي أصفهان وهدان وقم وقاشان وكرج والري وكنلور وقزوين وغيرها . وفيها في جمادى الآخرة شغب الجند ببغداد ونقبوا دار الوزير فهرب هو وابنه إلى الجانب الغربي ، ثم راضياهم . وفيها توفي إبراهيم بن محمد بن عرفه نبطويه النحوي الواسطي ، وله مصنفات ، وهو من ولد المهلب بن أبي صفرة ، ولد سنة أربع وأربعين ومائتين ، وفيه يقول الشيخ محمد بن يزيد بن علي المتكلم :

من سره أن لا يرى فاسقاً فليجتهد أن لا يرى نبطويه
أحرقه الله بنصف اسمه وصير الباقي نواحياً عليه

قلت : وفيها عملت قبلة المسجد الجامع بمعرة النعمان بالرخام والفصوص
والجص ، عمل ذلك أخوان من دمشق اسم أحدهما متوكل ، ولم يزل كذلك إلى
أن أحرق تقفور ملك الروم الجامع المذكور وأكثر الدور بعد أن فتحها في سنة
سبع وخمسين وثلثمائة . والله أعلم .

سنة أربع وعشرين وثلثمائة :

وفيها قبض الحجرية والمظفر بن ياقوت على الوزير ابن مقلة بدار الخلافة ،
وأعلموا بذلك الخليفة فاستحسنه . وامتنع علي بن عيسى أن يلي فوزروا أخاه
عبد الرحمن بن عيسى ، ثم قبضوا عليه وولوا الوزارة أبا جعفر محمد بن قاسم
الكرخي .

أخبار ابن رايق وعمال الأطراف

وفيها قطع ابن رايق حمل واسط والبصرة ، وقطع البريدي ، فضاقت مال
بغداد وعجز أبو جعفر الوزير فعزلوه ، وكانت ولايته ثلاثة أشهر ونصفاً ،
واستوزروا سليمان بن الحسن . وراسل الخليفة محمد بن راتق يستقدمه من واسط
واستأله خوفاً منه ليقوم بالأمر ، وقلده إمارة الجيش وأمر أن يخطب له على
المنابر ، وكان ابن راتق قد أمسك الساجية قبل دخوله بغداد فاستوحشت الحجرية
منه . وبطلت بابن رايق وزارة بغداد ونظر في الأمور كلها ، وتغلبت العمال على
الأطراف ولم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها والحكم فيها لابن راتق وليس
للخليفة حكم . وأما الأطراف : فكانت البصرة لابن رايق المذكور ، وخوزستان
بيد البريدي ، وفارس بيد عماد الدولة بن بويه ، وكرمان بيد علي بن محمد بن
الياس ، والري وأصبهان والجمبل بيد ركن الدولة بن بويه ويد وشمكير بن زياد
أخي مرداويج يتنازعان عليها ، والموصل وديار بكر وديار مضر وربيعة بيد
بني حمدان ، ومصر والشام بيد الأخشيدي محمد بن طفج ، والمغرب وافريقية بيد
القائم العلوي بن المهدي ، والأندلس بيد عبد الرحمن بن محمد الأموي الناصر ،

وخراسان وما وراء النهر بيد نصر بن أحمد الساماني ، وطبرستان وجرجان بيد
الديلم ، والبحرين واليمامة بيد أبي طاهر القرمطي .

وفيها استقدم محمد بن راتق الفضل بن جعفر بن الفرات عامل خراج مصر
والشام ، فقدم وتولى الوزارة لابن راتق والخليفة . وفيها قلد الخليفة محمد بن طنج
مصر وأعمالها مع ما بيده من الشام بعد عزل أحمد بن كينغ . وفيها ولد عضد
الدولة أبو شجاع فَنَّاخُسْرُو بن ركن الدولة الحسن بن بويه بأصبهان . وفيها
توفي جحظة البرمكي من ولد يحيى بن خالد بن برمك ، كان يعرف علوماً . وفيها
توفي عبدالله بن أحمد بن محمد المغلس الفقيه الظاهري صاحب التصانيف ، وعبدالله
ابن محمد الفقيه الشافعي النيسابوري ومولده سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، كان
إماماً وجالس الربيع والمزني ويونس أصحاب الشافعي .

سنة خمس وعشرين وثلثمائة :

وفيها أشار محمد بن راتق على الراضي بالمسير معه إلى واسط ففعل ، وأمسك
ابن راتق بعض الأجناد الحجرية وأجاب ابن الهبريدي إلى ما طلب منه فعاد
الراضي وابن راتق ، ثم نكث أبو عبد الله بن الهبريدي ، فأرسل ابن راتق
عسكراً مع يحكم وقاتلوه ، فانهزم ابن الهبريدي إلى عماد الدولة بن بويه وطعمه
في العراق وفي الخليفة .

وفيها ظلم سالم بن راشد عامل صقلية من جهة القائم وأساء السيرة فعصت
عليه جرجيت من صقلية وكتب إلى الخليفة بذلك ، فجهز اليه عسكراً وحاصروا
جرجيت فأنجدهم ملك القسطنطينية ودام الحصار إلى سنة تسع وعشرين ، فسار
بعض أهلها ونزل الباقون بالأمان فأخذ كبارهم في مركب ليقدّموا على القائم ،
ثم خرق المركب فغرقوا . وفيها توفي عبد الله بن محمد الخزاز النحوي مصنف في
علم القرآن .

سنة ست وعشرين وثلثمائة :

وفيها سار معز الدولة بأمر أخيه عماد الدولة بن بويه إلى الأهواز وتلك البلاد فاستولى عليها ، وسببه : مسير ابن البريدي إلى عماد الدولة كما قلنا .

ذكر قطع يد ابن مقلة

وفيها في نصف شوال قطعت يمين أبي علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة ، وسببه : أنه سعى في القبض على ابن رايق وإقامة يحكم موضعه ، فعلم به ابن رايق فحبسه الراضي لأجل ابن رايق ، وفي الآخر قطعوا يده وبرأ فسعى في الوزارة وشد القلم على يده المقطوعة وكتب وكان يدعو عليهم ، فقطع ابن رايق لسانه وضيق عليه في الحبس ، ثم لحقه الذرب من غير خادم يخدمه فقاسى شدة حتى مات في شوال سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ودفن بدار الخلافة ، ثم نبش وسلم إلى أهله فدفنوه في داره ، ثم نقل إلى دار أخرى . والعجب : وزارته ثلاث مرات ، للمقتدر والظاهر والراضي ، وسافر ثلاث مرات ، مرتين إلى شيراز ومرة في وزارته إلى الموصل ، ودفن ثلاث مرات . قلت : وفي ذلك يقول ابن مقلة نواحاً على يده : خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين تقطع كما تقطع أيدي اللصوص ، وأنشد :

ما سئمت الحياة لكن توثقت بأيمانهم فبانت يميني
بعث ديني لهم بدنياي حتى حرّموني دنياهم بعد ديني
ولقد حطت ما استطعت يجهدني حفظ أرواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيش يا حياتي بانت يميني فبيدي

قلت : وبعد موته استعرضوا خزانة الرؤوس وذلك في آخر أيام الراضي ، وكانت قد امتلأت فرموها كلها في دجلة ، وكان بعضها في أسفاط وبعضها في صناديق رصاص ، ووجدوا في الجملة سقفاً فيه رأس ويد ورقة فيها مكتوب هذا رأس أبي الجمال الحسين بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب وهذه اليد

التي مع الرأس يد الوزير أبي علي بن مقلة وهي اليد التي وقعت بقطع هذا الرأس .
والله أعلم . وله ألفاظ منقولة منها : إني إذا أحببت تهالككت ، وإذا أبغضت
أهلككت . وإذا رضيت آثرت ، وإذا غضبت أثرت . ومنها : يعجبني من يقول
الشعر تأديباً لا تكسباً ، ويتعاطى الغناء تطرباً لا تطلباً . والصحيح : أن
صاحب الخط المليح هو أخوه أبو عبد الله الحسن بن علي بن مقلة المتوفى سنة ثمان
وثلاثين وثلثمائة ، والله أعلم .

استيلاء بحكم على بغداد

وفيهما غرة ذي القعدة سار بحكم من واسط إلى بغداد ، وجهاز ابن رايق اليه
عسكراً من بغداد فهزمهم بحكم ، فهرب ابن رايق إلى عكبرا واستتر ، ودخل
بحكم بغداد ثالث عشر ذي القعدة فجعله الراضي أمير الأمراء ، وكانت مدة ابن
رايق سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوماً . كان بحكم مملوكاً لوزير ما كان الديلمي
فأخذه منه ، ثم فارقه ولحق بمرداويج فكان من قتلة مرداويج ، ثم اتصل بخدمة
ابن رايق حتى كتب على رايته الرايقي واستولى من جهة ابن رايق على الأهواز
وطرد ابن البريدي ، ولما استولى ابن بويه على الأهواز سار بحكم إلى واسط حتى
جري ما جري .

قلت : وانتقم الله تعالى لابن مقلة من ابن رايق ، فصار عدوه بحكم موضعه ،
ثم قتل ابن رايق كما سيأتي . ومما قلت في هذا المعنى والنصف الثاني من البيت
الأول للمتنبي ضمنته فقلت :

وكم مقلة سحت لكف ابن مقلة يداً لا تؤدي شكرها اليد والفم
به كدر الرحمن عيش ابن رايق وأصبح في بغداد بحكم بحكم

وفيهما فسدت أحوال القرامطة وافتتنوا واقتتلوا فاستقروا في هجر .

سنة سبع وعشرين وثلثمائة :

وفيها سار بجكم والراضي إلى الموصل فهرب ناصر الدولة بن حمدان ، ثم حمل مالا واستقر الصلح معه ، وظهر ابن رايق مع جماعة ببغداد قبل وصول الخليفة اليها فخافه الخليفة وبيجكم ، ثم استقر الحال على أن ولوه حرّان والرها وقنسرين والعواصم فاستولى عليها . وفيها عصى أمية بن اسحاق على عبد الرحمن الأموي بشنيرين^(١) وأنجدته الجلالقة وهزموا المسلمين ، ثم التقوا ثانياً فانهزمت الجلالقة وقتل منهم كثير ، ثم أمن عبد الرحمن أمية . وفيها توفي عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي صاحب الجرح والتعديل ، وعثمان بن خطاب أبو الدنيا الأشج الذي يقال أنه لقي علياً رضي الله عنه وله صحيفة يروي عنه ولا يصح ، وقد رواها كثير من المحدثين على علم منهم بضعفها . وفيها توفي محمد بن جعفر بمدينة يافا ، وله التصانيف كاعتلال القلوب وغيره . وفيها توفي الكعبي المعتزلي أبو القاسم عبد الله ابن أحمد بن محمود صاحب المقالة .

سنة ثمان وعشرين وثلثمائة :

استيلاء ابن رايق على الشام

وفيها استولى ابن رايق على الشام وطرد بدراناً نائب الأخشيد وبلغ العريش يريد مصر ، فخرج اليه الأخشيد وجرى قتال شديد آخره انهزام ابن رايق إلى دمشق . ثم جهز الأخشيد إلى ابن رايق جيشاً مع أخيه واقتتلوا فانهزم عسكر الأخشيد وقتل أخوه ، فأرسل ابن رايق يعزي الأخشيد في أخيه ويقول انه لم يقتل بأمرى ، وأرسل ولده مزاحم وقال : إن أحببت فاقتل ولدي به ، فخلع الأخشيد على مزاحم وأعادته إلى أبيه . واستقرت مصر للأخشيد والشام لابن رايق . وفيها قتل السنكري بالثغر . وفيها توفي محمد الكليني (بالنون) وهو من

(١) وردت - وهو الأصح - شنيرين - في الوفيات ، ج ١ ، ص ٢٧٥ .

أئمة الإمامية ، ومحمد بن أحمد شنبوذ المقرئ بالشاذ من مشايخ الصوفية . قلت :
 ومنعه ابن مقلة من إقراء الشاذ وكتب عليه بذلك سجلاً ، فدعا عليه بقطع اليد
 فقدر الله ذلك ، والله أعلم . وفيها توفي أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري
 صاحب كتاب الوقف والابتداء ، ثقة ، مولده سنة إحدى وسبعين ومائتين .
 وفيها توفي أبو عمر أحمد بن عبد ربه بن حبيب القرطبي مولى هشام بن عبدالرحمن
 الداخل من العلماء المكثرين وكتابه العقد الفريد من الكتب النفيسة ومولده سنة
 ست وأربعين ومائتين . وفيها سقط ثلج عظيم في آذار ، وفيه قال الصنوبري :
 تأنق ذا الروض في نسجه وأغرب آذار في ثلجه

سنة تسع وعشرين وثلثمائة :

وفاة الراضي بالله

وفيها في نصف ربيع الأول مات الراضي بالله أبو العباس أحمد بن المقتدر
 ابن المعتضد بالاستسقاء وعمره اثنان وثلثون سنة . ومن شعره الجيد :

يصفرّ وجهي إذا تأمله طرفي فيحمرّ وجهه خجلاً
 حتى كأن الذي بوجنته من دم قلبي اليه قد نقلنا

وله : كل صفو إلى كدر كل أمن إلى حذر
 أيها الآمن الذي تاه في لجة الغرر
 أين من كان قبلنا درس العين والأثر
 درّ در المشيب من واعظ ينذر البشر

وكان رحمه الله شيخاً يحب الأدباء والفضلاء ، ونادمه سنان بن ثابت الصابي
 الطبيب ، وكان الراضي أسمر خفيف العارضين أمه ضلوم أم ولد ، وهو آخر
 خليفة له شعر يدوتن وآخر خليفة خطب كثيراً على منبره وإن كان غيره خطب

فنادر وآخر خليفة جالس الجلساء وآخر خليفة كانت جرايته وخزائنه ومطابجه وأمره على ترتيب الخلفاء المتقدمين .

ذكر خلافة ابراهيم المتقي لله

وبقي الأمر بعده موقوفاً انتظاراً لقدم أبي عبد الله الكوفي كاتب يحكم من واسط وكان يحكم أيضاً هناك واحتيط على دار الخليفة ، فورد كتاب يحكم مع كاتبه الكوفي يأمر فيه أن يجتمع مع أبي القاسم سليمان بن الحسن وزير الراضي كل من تقلد الوزارة وأصحاب الدواوين والعلويون والعباسيون والقضاة ووجوه البلد ويشاورهم الكوفي فيمن ينصب خليفة . فاتفقوا على بيعة المتقي لله ابراهيم ابن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر في العشرين من ربيع الأول ، فسير الخلع واللواء إلى يحكم بواسط ، وكان يحكم قبل استخلاف المتقي قد أرسل من أخذ من دار الخلافة فرشاً وآلات كان يستحسنها ، وجعل سلامة الطولوني حاجب المتقي وأقرّ سليمان بن الحسن وزير الراضي على اسم الوزارة والتدبير كله إلى الكوفي كاتب يحكم .

ذكر مقتل ماكان :

وفيها قتل ماكان ، وكان قد استولى على جرجان فقصده أحد قواده السامانية بعسكر خراسان وهو أبو علي بن محمد بن مظفر بن محتاج ، فهزم ماكان عن جرجان فأقام بطبرستان ، ثم سار ابن المحتاج إلى الري ليستولي عليها وبها وشمكير بن زياد أخو مرداويج ، فأرسل وشمكير يستنجد ماكان بن كالي من طبرستان ، فأنجده وقدم إليه وقاتلا ابن المحتاج فجاء سهم غرب في رأس ماكان ونفذ من الخوذة إلى جبينه وطلع من قفاه فمات وهرب وشمكير إلى طبرستان واستولى ابن المحتاج على الري . قلت : حتى كأن (ماكان) ما كان والله أعلم .

ذكر مقتل بجكم :

وفيها قتل بجكم ، كان أرسل جيشاً لقتال البريدي ثم سار من واسط في أثرهم فأخبر بنصر عسكره فقصده الرجوع إلى واسط وجعل يتصيد في طريقه حتى بلغ نهر جور فسمع أن هناك أكراداً لهم مال وثروة فقصدهم في جماعة قليلة وأوقع بهم فهربوا ، وجاء منهم صبي من خلف وطعن بجكم في خاصرته برمح ولا يعرفه فمات . وبلغ المتقي قتله فاستولى على داره وأخذ منها أموالاً عظيمة أكثرها كان مدفوناً ، وأتى البريدي الفرج بقتل بجكم من حيث لا يحتسب . قلت :

إذا حمل الفتى هما فجهل فإن الله يلفظ بالعبيد
وكم لله من فرج سريع فضله على فرج البريدي والله أعلم

ومدة إمارة بجكم سنتان وثمانية أشهر وأيام . وقصد البريدي بغداد واستولى على الأمر أياماً ، ثم أخرجته العامة عنها لسوء سيرته ، ثم استولى على الأمر كورتكين مدة قليلة فاستخلف ابن رايق على الشام أبا الحسن أحمد بن علي بن مقاتل ووصل بغداد وجرى بينه وبين كورتكين قتال آخره هزيمة كورتكين ، ثم ظفر به ابن رايق وحبسه وقلد المتقي ابن رايق إمرة الأمراء ببغداد . وفيها توفي متى بن يونس الفيلسوف ، وبختيشوع بن يحيى الطبيب .

سنة ثلاثين وثلثمائة :

استيلاء ابن البريدي على بغداد

وفيها استولى ابن البريدي على بغداد وهرب ابن رايق والخليفة المتقي إلى جهة الموصل ، ونهب ابن البريدي بغداد وجار وعسف فرطاً . ولما وصل المتقي وابن رايق تكريت كاتباً ناصر الدولة بن حمدان يستمدانه وقدما الموصل فخرج عنها ناصر الدولة إلى الجانب الآخر ، فأرسل المتقي إليه ابنه أبا منصور وابن

رايق فأكرمها ناصر الدولة ونثر على الخليفة ذهباً ، ولما قاما لينصرفا أمر ناصر الدولة أصحابه فقتلوا ابن رايق ، ثم سار ابن حمدان إلى المتقي فخلع المتقي عليه وجعله أمير الأمراء وذلك في مستهل شعبان منها وخلع على أخيه أبي الحسن علي ولقبه سيف الدولة ، وكان قتل ابن رايق لسبع بقين من رجب منها . وبلغ الأخشيدي بمصر قتل ابن رايق فسار واستولى على دمشق . ثم سار المتقي وناصر الدولة إلى بغداد فهرب عنها ابن البريدي ونهب بعض الناس بعضاً ، وكان مقام ابن البريدي ببغداد ثلاثة أشهر وعشرين يوماً ، ودخل المتقي بغداد ومعه بنو حمدان في جيوش كثيرة في شوال منها ، وأصلح ناصر الدولة ببغداد الدنانير ، كان الدينار بعشرة فيبيع بثلاثة عشر درهماً . وفيها توفي أبو بكر محمد بن عبد الله المحاملي الفقيه الشافعي ، ومولده سنة خمس وثلاثين ومائتين .

وفاة أبو الحسن الأشعري : وفيها توفي أبو الحسن علي بن اسماعيل بن أبي بشر الأشعري ، ومولده سنة ستين ومائتين ببغداد ، ودفن بمشرفة الزوايا وطمس قبره خوفاً عليه من الحنابلة ولولا السلطان لنبشوه ، وهو رحمة الله عليه من ولد أبي موسى الأشعري ، اشتغل بالكلام معتزلاً زماناً ، ثم خالف المعتزلة والمشبهة ومقالته أمر متوسط وناظر شيخه الجبائي في وجوب الأصلح على الله تعالى ، فمنعه الأشعري وقال : ما تقول في ثلاثة إخوة أحدهم كان برأ مؤمناً تقياً والثاني كان كافراً فاسقاً شقيماً والثالث كان صبيهاً ، فماتوا فكيف حالهم ؟ فقال الجبائي : أما الزاهد ففي الدرجات وأما الكافر ففي الدرجات وأما الصغير فمن أهل السلم . فقال الأشعري : إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد يؤذن له ؟ فقال الجبائي : لا لأنه يقال له : إن أخاك إنما وصل إلى هذه الدرجة بسبب طاعته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات . فقال الأشعري : فإن قال ذلك الصغير : التقصير ليس مني فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة ؟ فقال الجبائي : يقول الباري جل وعلا : اعلم أنك لو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم فراعيت مصلحتك . فقال الأشعري : فلو قال الأخ الكافر : يا إله

العالمين كما علمت حاله فقد علمت حالي فلم راعيت مصلحته دوني؟ فقال الجبائي: وسوست؟ فقال الأشعري: ما وسوست ولكن وقف حمار الشيخ على القنطرة - يعني أنه انقطع - . ومقالة الأشعري أشهر المقالات ، ولا مبالاة بتكفير بعض الحنابلة له . والجبائي زوج أم الأشعري رحمه الله تعالى .

سنة احدى وثلاثين وثلثمائة :

وفيهما سار ناصر الدولة عن بغداد إلى الموصل وثارَت الديلم ونهبت داره ، وكان أخوه سيف الدولة بواسط فثارَت عليه الأتراك الذين معه وكبسوه ليلاً في شعبان ، فهرب سيف الدولة أبو الحسن علي إلى أخيه ناصر الدولة أبي محمد الحسن ابن عبد الله بن حمدان ولحق به . ثم قدم سيف الدولة إلى بغداد وطلب من المتقي مالا ليفرِّقه في العسكر ويمنعُ تُورون والأتراك من دخول بغداد ، فأنفذ إليه المتقي أربعمئة ألف دينار فرقها في أصحابه . ولما وصل تُورون إلى بغداد هرب سيف الدولة عنها ، ودخل تُورون بغداد في الخامس والعشرين من رمضان هذه السنة فخلع المتقي عليه وجعله أمير الأمراء ، وبقي المتقي خائفاً من تُورون .

وفاته نصر الساماني : وفيها توفي السعيد نصر بن أحمد بن الساماني صاحب خراسان وما وراء النهر بالسل ، وولايته ثلاثون سنة وثلاثون يوماً وعمره ثمان وثلاثون سنة ، كان حليماً كريماً ، وتولى بعده نوح ابنه وحلف له في شعبان .

المتقي وملك الروم :

وفيهما أرسل ملك الروم يطلب من المتقي منديلاً زعم أن المسيح مسح به وجهه فصارت صورة وجهه فيه وان هذا المنديل في بيعة الرها وأنه إن أرسله أطلق عدداً كثيراً من الأسرى . فأحضر المتقي القضاة والفقهاء واستفتاهم في ذلك فاختلفوا ، فقال بعضهم : دفعه اليهم وإطلاق الأسرى أولى ، وقال بعضهم : ان هذا المنديل لم يزل في بلاد الإسلام ولم يطلبه ملك منهم ففي دفعه اليهم غضاضة ، وكان في الجماعة علي بن عيسى الوزير فقال : إن خلاص المسلمين

من الأسر والضعف أولى من حفظ هذا المنديل ، فأمر الخليفة بتسليمه اليهم وأرسل من تسلّم الأسرى . وفيها توفي محمد بن اسماعيل الفرغاني الصوفي أستاذ أبي بكر الدقاق المشهور . وفيها مات سنان بن ثابت بن قرّة الطبيب الحاذق ، مات بعلّة الذرب وما نفعه طبه .

سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة :

وفيها سار المتقي عن بغداد خوفاً من تورون وابن شيرزاد إلى جهة ناصر الدولة بالموصل ، وانحدر سيف الدولة يتلقى المتقي بتكريت ، ثم انحدر ناصر الدولة إلى تكريت أيضاً وأصعد الخليفة إلى الموصل ، ثم سار الخليفة وبنو حمدان إلى الرقة فأقاموا بها . وظهر للمتقي تضجر بني حمدان منه وإيثارهم مفارقتة فكتب إلى تورون ليصالحه ، وخرجت السنة على ذلك . وفيها خرجت طائفة من الروس في البحر وطلعوا من البحر في نهر الكر فانتهوا إلى مدينة بردعه فاستولوا عليها وقتلوا ونهبوا ورجعوا في المراكب . وفيها مات أبو طاهر رئيس القرامطة بالجدري . وفيها كان ببغداد غلاء عظيم . وفيها استعمل ناصر الدولة بن حمدان محمد بن علي بن مقاتل على قنسرين وحمص والعواصم ، ثم استعمل بعده فيها أيضاً ابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان .

سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة :

ذكر مسير المتقي إلى بغداد وخلعه

وفيها سار المتقي إلى بغداد وخلع . كان قد كتب المتقي إلى الأخشيدي صاحب مصر يشكو ما هو فيه ، فجاءه الأخشيدي من مصر إلى الرقة بهدايا عظيمة وحرص أن يسير معه إلى مصر ليكون بين يديه فلم يفعل ، فأشار عليه بالمقام بالرقّة وخوفه من تورون فلم يفعل ، وكان قد أرسل إلى تورون في الصلح فعلم تورون للمتقي ، فانحدر لأربع بقين من الهرم إلى بغداد وعاد الأخشيدي إلى مصر . ولما

وصل المتقي إلى هيت أقام بها وأرسل فجدد اليمين على توروون ، وجاء توروون من بغداد لتلقيه فالتقاه بالسندية ووكل على الخليفة حتى أنزله في مضربه . ثم قبض توروون على المتقي وسمل عينيه فأعماه ، فصاح المتقي وحرمه وخدمه فأمر توروون بضرب الدبابد لتخفي أصواتهم ، وانحدر توروون بالمتقي إلى بغداد وهو أعمى . وخلافة المتقي ابراهيم بن جعفر المقتدر بن المعتضد ثلاث سنين وخمسة أشهر وعشرون يوماً وأمه خلوب أم ولد .

ذكر خلافة المستكفي بالله

ثم ان توروون بايع المستكفي بالله ثاني عشرهم أبا القاسم عبد الله بن المكتفي بالله علي بن المعتضد أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد ، وأحضره إلى السندية وبايعه الناس يوم خلع المتقي في صفر منها .

خروج أبي يزيد الخارجي

وفيها اشتدت شوكة أبي يزيد الخارجي بالقيروان وهزم الجيوش ، وهو من زنانة وأبوه كنداد من مدينة توزر من بلاد قسطنطينية وأم أبي يزيد جارية سوداء ، وانتشى أبو يزيد بتوزر وقرأ القرآن وسار إلى تاهرت فصار على مذهب النكارية يكفر أهل الملة ويستبيح أموالهم ودماءهم ، ودعا أهل تلك البلاد فأطاعوه وكثرت جمعه فحصر قسطنطينة ^(١) في هذه السنة ، وكان قصيراً قبيحاً يلبس جبة صوف ، ثم فتح تنسة ثم شبينة وصلب عاملها ، ثم الأريس ، فأخرج القائم جيوشاً لحفظ رقادته والقيروان ، فهزمهم أبو يزيد واستولى على تونس وعلى القيروان ورقاده . ثم سار أبو يزيد إلى القائم ، فجهز القائم جيشاً قاتله ، فانهزم جيش القائم فسار أبو يزيد وحصر القائم بالمهدية في جمادى الأولى منها وضايقها فعدم فيها القوات

(١) وردت في القاموس : قسطنطينية . والشهور قسطنطينية ، مدينة ببلاد الجزائر .

إلى أن خرجت هذه السنة ، ثم رحل عن المهديّة في صفر سنة أربع وثلاثين ،
وسار إلى القيروان .

وتوفي القائم وملك ابنه اسماعيل المنصور - وسيأتي - ، فجهز المنصور
العساكر وسار بنفسه إلى القيروان واستعادها من أبي يزيد سنة أربع وثلاثين
وثلاثمائة ، وداموا على القتال إلى سنة خمس وثلاثين فهزم المنصور عسكر أبي يزيد
وسار في اثره في ربيع الأول سنة خمس وثلاثين فأدرك أبا يزيد على مدينة باعانة
فهرب أبو يزيد من موضع إلى موضع حتى وصل طبنه ، ثم هرب إلى جبل البربر
واسم ذلك الجبل برزال والمنصور في اثره .

واشد على عسكر المنصور الحال حتى بلغت العليقة ديناراً فرجع المنصور
إلى بلاد صنهاجه وبلغ إلى قرية عمرة واتصل هناك بالمنصور العلوي الأمير زيري
الصنهاجي جد ملوك بني باديس فأكرمه المنصور ، ومرض المنصور هناك شديداً
ثم عوفي ورحل إلى مسيلة ثاني رجب سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، وكان قد اجتمع
إلى أبي يزيد جمع من البربر وسبق المنصور إلى مسيلة ، فلما قدم المنصور مسيلة
هرب عنها أبو يزيد إلى جهة بلاد السودان ، ثم صعد جبال كتامه ورجع عن قصد
السودان ، فسار المنصور عاشر شعبان اليه واقتتلوا في شعبان فقتل غالب جماعة
أبي يزيد وانهزم ، فسار المنصور في اثره أول رمضان فاقتتلوا أيضاً فانهزم
أبو يزيد وأخذت أثقاله والتجأ إلى قلعة كتامه المنيعة فحاصرها المنصور وداوم
الزحف فملكها عنوة وهرب أبو يزيد من القلعة من مكان وعرف فسقط منه فأخذ
وحمل إلى المنصور فسجد شكراً وهلل الناس وكبروا ، وبقي أبو يزيد في أسره
مجروحاً فمات وذلك سلخ المحرم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فسُلخ جلده وحُشي
تبناً . وعاد المنصور إلى المهديّة فدخلها في رمضان سنة ست وثلاثين وثلاثمائة .
قلت :

وجاءه العالم كل امرئ يهني الداخل بالخارجي
والله أعلم .

وفيها - أعني سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة - نقل المستكفي القاهر من دار

الخليفة إلى دار ابن طاهر ، وكان قد بلغ القاهر الضرّ والفقر إلى أن كان ملتفياً
بجبة قطن وفي رجله قبقاب خشب . وفيها لما سار المتقي عن الرقة إلى بغداد
وسار عنها الأخشيدي إلى مصر : سار سيف الدولة أبو الحسن بن أبي الهيجاء
عبد الله بن حمدان إلى حلب وبها يانس المؤنسي فأخذها منه سيف الدولة ، ثم
استولى على حمص أيضاً ، ثم حضر دمشق ثم رحل عنها بسبب خروج الأخشيدي
من مصر اليه ، وجاءه الأخشيدي فالتقيا بقنسرين فلم يظفر أحد العسكرين بالآخر
ورجع سيف الدولة إلى الجزيرة فلما عاد الأخشيدي إلى دمشق عاد سيف الدولة
إلى حلب فملكها ، ثم قاربت الروم حلب فهزمهم سيف الدولة .

سنة أربع وثلاثين وثلثائة :

موت تورون

وفيها في المحرم مات المتعدّي طوره الكاذب في يمينه تورون ببغداد وإمارته
سنتان وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً ، فعقد الجند لابن شيرزاد الامرة عليهم ،
وكان بهيت فقدم بغداد مستهل صفر وأرسل إلى المستكفي فاستحلفه فحلف له
بحضرة القضاة وولاه إمرة الأمراء . وفيها كان معز الدولة بن بويه في الأهواز
وبلغه موت تورون فسار حتى قارب بغداد ، فاخفى المستكفي بالله وابن
شيرزاد فكانت إمارته ثلاثة أشهر وأياماً ، وقدم الحسن بن محمد المهلبى صاحب
معز الدولة ببغداد وسارت الأتراك عنها إلى جهة الموصل فظهر المستكفي واجتمع
بالمهلبى فأظهر المستكفي السرور بقدم معز الدولة وأعلمه أن استتاره إنما كان
لخوفه من الأتراك . ثم وصل معز الدولة ببغداد ثاني عشر جمادى الأولى منها
وبايع المستكفي وخلع عليه ولقبه ذلك اليوم معز الدولة ، وأمر بضرب ألقاب
بني بويه على الدرهم والدينار ، ونزل معز الدولة بدار مؤنس ونزل أصحابه في
دور الناس ، فلحق الناس من ذلك شدة عظيمة ، ورتب معز الدولة للمستكفي
كل يوم خمسة آلاف درهم يستلمها كاتبه للنفقة .

ذكر خلع المستكفي وبيعة المطيع

وفيها خلع المستكفي بالله لثمان بقين من جمادى الآخرة . وصورة خلعه أن معز الدولة وعسكره والناس حضروا إلى دار الخليفة بسبب وصول رسول صاحب خراسان ، فأجلس الخليفة معز الدولة على كرسي ، ثم حضر رجلان من نقباء الديلم وتناولوا يد المستكفي بالله فظنهما يقبلانها ، فجذباه عن سريره وجعلا عمامة في عنقه ونهض معز الدولة واضطرب الناس وساقا المستكفي ماشياً إلى دار معز الدولة فاعتقل بها ونهبت دار الخليفة . وخلافة المستكفي أربعة أشهر .

وبويح المطيع بن المقتدر وهو ثالث عشرهم في ثاني عشري جمادى الآخرة منها وسلم إليه المستكفي فسمه وأعماه وبقي محبوساً حتى مات ، وأمه غصن أم ولد . واسم المطيع المفضل بن المقتدر . وازداد أمر الخلافة إدباراً ولم يبق لهم من الأمر شيء وتسلم نواب معز الدولة العراق بأسره ، ولم يبق في يد الخليفة غير ما أقطعه معز الدولة يقوم ببعض حاجته .

صلح ابن بويه وابن حمدان : وفيها سار ناصر الدولة بن حمدان إلى بغداد ، وأرسل معز الدولة بن بويه عسكرياً لقتاله فلم يقدرُوا على دفعه ، وسار ناصر الدولة من سامرا عاشر رمضان إلى بغداد ، وأخذ معز الدولة المطيع معه وسار إلى تكريت فنهبها لأنها لناصر الدولة وعاد معز الدولة بالخليفة إلى بغداد ونزل بالجانب الغربي ، ونزل ناصر الدولة بالجانب الشرقي ، ولم يخطب تلك الأيام للمطيع ببغداد ، وجرى بينهم ببغداد قتال كثير آخره أن ناصر الدولة وعسكره انهزموا واستولى معز الدولة على الجانب الشرقي وأعيد الخليفة إلى مكانه في المحرم سنة خمس وثلاثين وثلثمائة . وفيها توفي القائم العلوي أبو القاسم محمد بن المهدي عبد الله صاحب المغرب لثلاث عشرة مضت من شوال ، وقام بعده ابنه وتلقب بالمنصور بالله ، وكم موت القائم خوفاً من أبي يزيد الخارجي ، ثم اتسم بالخلافة وضبط الملك والبلاد .

موت الأخشيد وملك سيف الدولة

وفيها مات الأخشيد بدمشق ، ومولده سنة ثمان وستين ومائتين ، وجد الأخشيد في داره ورقة فيها مكتوب ما بعضه : «قدرتم فأساتم ، وملكتم فبخلتم ، ووسع عليكم فضيقتم ، وأدرت لكم الأرزاق فنقصتم أرزاق العباد ، واغتررتم بصفو أيامكم ولم تفكروا في عواقبكم ، وتهاونتم بسهام الأسحار ولا سيما إن خرجت من قلوب قرحتموها وأكباد أوجعتموها ، أو ما علمتم أن الدنيا لو بقيت للعاقل ما وصل إليها الجاهل ، فكفى بصحبة ملك يكون في زوال ملكه فرج للعالم ، ومن المحال أن يموت المنتظرون كلهم ويبقى المنتظر به ، افعلوا ما شئتم فإننا صابرون» . فبقي الأخشيد من هذه الورقة في فكر ، وسافر إلى دمشق فمات . وولي الأمر بعده أبو القاسم أنوجور^(١) وهو صغير واستولى على الأمر كافور الخادم الأسود من خدم الأخشيد ، ثم سار كافور إلى مصر بعد موت الأخشيد^(٢) ، فسار سيف الدولة إلى دمشق وملكها وأقام بها . واتفق أنه ركب يوماً ومعه الشريف العقيقي فقال سيف الدولة : ما تصلح هذه الغوطة إلا لرجل واحد ، فقال العقيقي : هي لأقوام كثيرة ، فقال سيف الدولة : لو أخذتها القوانين السلطانية تبرءوا منها . فأعلم العقيقي أهل دمشق بذلك ، فاستدعوا كافور فجاءهم وأخرجوا سيف الدولة عنهم ، ورجع كافور إلى مصر بعد أن ولي

(١) اسم أعجمي غير كنية ، معناه بالعربية : محمود مقامه .

(٢) قال صاحب التكملة : كان ابن طنج جباناً شديد التيقظ في حروبه ، وكان جيشه يحتوي على أربعائة رجل ، وكان له خمسة آلاف مملوك يجرسونه بالليل كل نوبة ألفا مملوك ، ويوكل بجانب خيمته الخدم ثم لا يثق بعد ذلك فيمضي إلى خيم الفراشين فينام .

وقال التنوخي : لقب الراضي أبابكر محمد بن طنج أمير مصر بالأخشيد . وسبب ذلك أنه فرغاني وكل من ملك فرغانة يدعى أخشيد كما تدعو الروم ملكها قيصر ، وكان أبو بكر على مذهب الجبائي المعتزلي المشهور .

على دمشق بدمشق بدرأ الاخشيدى^(١) فأقام سنة . ثم وليها أبو المظفر بن طفج ، ولسيف الدولة حلب حسب .

وفيهما اشتد الغلاء وعدم القوت ببغداد حتى وجد صبي مشوي ، وكثر الموت . وفيها توفي علي بن عيسى بن الجراح الوزير وله تسعون سنة . وفيها توفي عمر بن الحسين الخرقى الحنبلي ، وأبو بكر الشبلي الصوفي كان والد الشبلي حاجباً للموفق والشبلي أيضاً ، ثم تاب وصار أوحده زمانه ديناً وورعاً ، وكان مالكيًا حفظ الموطأ وقرأ الحديث ، وقال الجنيد عنه : لكل قوم تاج وتاج القوم الشبلي .

قلت : واسمه : دلف بن حجر ، وعلى قبره ببغداد أنه جعفر بن يونس ، ومن شعره رحمه الله :

مضت الشيبية والحبيبة فانبرى دمعان في الأجنان يزدهمان
ما أنصفتني الحادثات رميني بمودعين وليس لي قلبان

وقال الشبلي : رأيت يوم الجمعة معتموها عرياناً يقول : أنا مجنون الله أنا مجنون الله ، فقلت : لم لا تدخل الجامع وتتوارى وتصلي ، فأنشد :

يقولون زرنا واقض واجب حقنا وقد أسقطت حالي حقوقهم عني
إذا أبصروا حالي فلم يأنفوا لها ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني
والله أعلم . وفيها توفي محمد بن عيسى ويعرف بأبي موسى الفقيه الحنفي .

سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة :

ذكر وفاة أبي بكر الصولي

وفيهما توفي أبو بكر الصولي العالم بفنون الأدب والأخبار ، روى عن ثعلب

(١) يعرف بـ « بدير » . وقد بقي على دمشق سنة ثم وليها أبو المظفر بن طفج بعد أن قبض على بدير . الكامل ج ٦ .

وغيره وروى عنه الدارقطني وغيره ، وتصانيفه مشهورة ^(١) . قلت : واسمه محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صولتكين ومع آدابه يضرب به في الشطرنج المثل ، ومن اعتقد أنه واضع الشطرنج فقد غلط ^(٢) ، بل وضعه صصه بن داهر الهندي للملك شهرام ، وكان كسرى اردشير قد وضع النرد ، ولذلك قيل له : النردشير ، جعله مثالاً للدنيا وأهلها فرتب الرقعة اثني عشر بيتاً بعدد الشهور والقطع ثلاثين بعدد أيام الشهر والفصوص مثل القدر وتقلبه بالناس فافتخرت به الفرس ، فوضع صصه الشطرنج فرجح على النرد ففرح به الملك يلهيت ومنه ، فتمنى أن يضع حبة قمح في البيت الأول ولا يزال يضعها حتى ينتهي إلى آخرها فمهما بلغ يعطيه ، فاحتقر الملك ذلك فحسب فلم يكن في خزانته قمح يبلغ هذا القدر .

وطريقه : أن تضع في البيت الأول حبة وفي الثاني حبتين وفي الثالث أربعاً وفي الرابع ثمانياً وكذا إلى آخره كلما انتقلت إلى بيت ضاعفت ما قبله وأثبتته فيه ، فإذا ضاعفت الأعداد إلى البيت السادس عشر أثبت فيه اثنتين وثلاثين ألفاً وسبعمائة وثمانياً وستين حبة فتقول هذه قدر قدح ، وتضاعف القدح في البيت السابع عشر وكذا حتى تبلغ ويبة في البيت العشرين .

ثم انتقل إلى الوييات ومنها إلى الأردب وتضاعفها فتنتهي في بيت الأربعين إلى مائة ألف أردب وأربعة وسبعين ألف أردب وسبعمائة واثنتين وستين أردباً وثلثين فتجعل هذه الجملة شونة وتضاعف الشونة إلى بيت الخمسين فتكون الجملة ألفاً وأربعاً وعشرين شونة فتجعل هذه مدينة وأي مدينة بقدر هذه ، وتضاعف المدن حتى تنتهي في بيت الرابع والستين آخرها إلى ست عشرة ألف مدينة

(١) جميع ما سيرد ابتداء من كلمة « قلت » حتى كلمة « والله أعلم » من زيادات ابن الوردي على المختصر لأبي الفداء ، وان إرادته أمثال هذا البحث ، من مميزات هذا الكتاب .
(٢) جاء في الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٣٢٤ ، ويعرف بالشطرنجي . وجدده الأعلى هو صول ملك جرجان . كان واسع الرواية جيد الحفظ حاذقاً بتصنيف الكتب ، له كتب كثيرة هائلة .

وثلاثمائة وأربع وثمانين مدينة . وليست مدن الدنيا أكثر من هذا العدد ، فدورة كرة الأرض بطريق الهندسة ثمانية آلاف فرسخ بحيث لو وضعنا طرف جبل على أي موضع كان من الأرض وأدركنا طرف الجبل على كرة الأرض حتى انتهينا بالطرف الآخر إلى ذلك الموضع من الأرض والتقا طرفا الجبل ، فإذا مسحنا ذلك الجبل كان طوله أربعة وعشرين ألف ميل وهي ثمانية آلاف فرسخ وهو قطبي ، وتقدم في ترجمة بني موسى ^(١) وبعض الخذاق في لعب الشطرنج يفتخر بأن ينقل الفرس في بيوت الرقعة فيعم به جميع بيوت الرقعة من غير تكرير .

وقد نظمت أربعة أبيات ضابطاً لذلك بحساب الجمل ، فإذا أردت ذلك فضع الفرس في البيت الثاني مثلاً من الصف الأول الذي رمزته في النظم با بمعنى ثاني الأول فإن الباء باثنين وألف بواحد ، ثم تضع الفرس في البيت الأول من الصف الثالث الذي رمزته في النظم أج بمعنى أول الثالث فإن الألف بواحد والجيم بثلاثة ، ثم تضعه في ثاني الخامس الذي رمزته في النظم به الباء باثنين والهاء بخمسة ، ثم في أول السابع الذي رمزته از ، وهكذا تجعل الأول من كل حرفين من النظم للبيت والحرف الثاني للصف ومن حيث ابتدأت من الأبيات الأربعة حصل العمل إذا أكملت ذلك فيما بعد من الأول إلى حيث بدأت ، فإذا عرفت ذلك أمرت من ينقل الفرس في الرقعة وأنت مولي ظهرك أو وراء حجاب إن شئت ، وهذه الأبيات والعين حشو :

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| با أج به أزاح هز زح جوزد | حب وأدب جد دودوه دج جب أاع |
| مجاه بزوح وزاح زو حدزب | هاوج هه جود دهب زاحج وبع |
| حازج هدو وهح ززحه ود | هوزه حزوح دزبح أو جزع |
| أحبوده اب جادج بدجه اد | بيد اجح فرس في كلها يقع |

وهذه فوائد وإن أخرجت عن المقصود ، والله أعلم .

(١) انظر : الشطرنج الكبير ص ٢٣٣ من الدرر المنتخبات . وأيضاً الصولي في ص ٧٢٥ من وفيات الأعيان .

سنة ست وثلاثين وثلثائة :

قلت : فيها كان الغلاء العظيم بالشام الذي لم يسمع بمثله وأكلت الحمير والقطط والصبيان ومات خلق عظيم . والله أعلم .

ذكر أخبار جزيرة صقلية

وفيهما عقد المنصور العلوي ولاية جزيرة صقلية للحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي ، واستمر يغزو ويفتح في جزيرة صقلية حتى مات المنصور وتولى المعز فاستخلف الحسن بن علي صقلية ابنه أبا الحسين أحمد بن الحسن ، فولاية الحسن خمس سنين وشهران ، وسار الحسن بن علي صقلية إلى إفريقية سنة اثنتين وأربعين وثلثائة فكتب بولاية ابنه أحمد بن علي صقلية فاستقر أحمد عليها . وفي سنة سبع وأربعين وثلثائة قدم أحمد بن الحسن بن علي صقلية ومعه ثلاثون من وجوه الجزيرة على المعز بأفريقية فبايعوا المعز وخلع عليهم ، ثم عاد أحمد . وفي سنة إحدى وخمسين وثلثائة ورد عليه بصقلية كتاب المعز بأن يحضر أطفال الجزيرة ويكسومهم ويختنهم في اليوم الذي يختن فيه المعز ولده ، فكتب الأمير أحمد خمسة عشر ألف طفل ، وابتدأ أحمد فختن ابنه وإخوته في مستهل ربيع الأول منها ، ثم ختن الخاص والعام وخلع عليهم . ووصل من المعز مائة ألف درهم وخمسون حملاً من الصلاة فرقت على المختونين .

وفي سنة اثنتين وخمسين وثلثائة أرسل الأمير أحمد بسبي طبرمين بعد فتحها إلى المعز وجملته ألف وسبعائة ونيف وسبعون نفساً . وفي سنة ثلاث وخمسين وثلثائة جهز المعز اسطولاً عظيماً ، وقدم عليهم الحسن بن علي بن أبي الحسن والد الأمير أحمد فوصل إلى صقلية ، واجتمعت الروم بها وجرى بينهم قتال شديد فنصر الله المسلمين وقتل فوق عشرة آلاف من الكفار وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ، ومن جملة سيف منقوش عليه : هذا سيف هندي وزنه مائة وسبعون مثقالاً طال ما ضرب به بين يدي رسول الله ﷺ . فبعث به الحسن بن علي إلى

المعز وبأسرى وسلاح . ثم عاد الحسن بعد النصر إلى قصره بصقلية ومرض فتوفي في ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة وعمره ثلاث وخمسون سنة .

وفي أواخر سنة ثمان وخمسين وثلثمائة استقدم المعز الأمير أحمد من صقلية ، فسار منها بأهله وماله وولده فكانت إمارته بها ست عشرة سنة وتسعة أشهر ، واستخلف موضعه يعيش مولى أبيه الحسن ، فلما وصل أحمد إلى افريقية ولى المعز الجزيرة أخا أحمد أبا القاسم نيابة عن أخيه . وفي سنة تسع وخمسين وثلثمائة قدم المعز الأمير أحمد على الأسطول وأرسله إلى مصر ، فوصل إلى طرابلس فاعتل أحمد ومات بها . وفي سنة ستين وثلثمائة أرسل المعز إلى أبي القاسم سجلاً باستقلاله بولاية صقلية وتعزيتة في أخيه أحمد . وفي سنة ست وستين وثلثمائة غزا أبو القاسم علي وعدى إلى الأرض الكبيرة ونزل بموضع يعرف باترلاجة ، فرأى عسكره قد أكثروا من جمع البقر والغنم فأنكر ذلك فقال : هذا يعوقنا عن الغزو فذبحت وفرقت ، فسمي ذلك الموضع مناخ البقر ، وشن غاراته في الأرض الكثيرة فأخرب مدناً ثم عاد منصوراً ، واستمر يغزو إلى سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة فاستشهد في قتال الفرنج فقبل له : الشهيد ، وولايته اثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وأيام ، وتولى بعده ابنه جابر بغير ولاية من الخليفة وكان سيء التدبير .

وفي سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة وصل إلى صقلية جعفر بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي الحسين أميراً عليها من جهة العزيز خليفة مصر ، فاغتنم جابر لذلك عظيماً واستمر عليها جعفر إلى أن مات سنة خمس وسبعين وثلثمائة ، فتولاها أخوه عبد الله حتى توفي سنة تسع وسبعين وثلثمائة ، فتولاها ابنه أبو الفتوح يوسف بن عبد الله فأحسن واستمر . ومات العزيز بمصر ، وتولى الحاكم واستوزر ابن عم يوسف حسن بن عمار بن علي . وفي سنة ثمان وثمانين وثلثمائة فلج يوسف المذكور فتولاها في حياته ابنه جعفر بسجل من الحاكم لقب فيه تاج الدولة ، ثم ظلم فخرجوا عن طاعته وحصلوه في القصر ، فخرج والده مفلوجاً اليهم في محفة ورد الناس وعزل جعفرأ وولى أخاه تأييد الدولة أحمد الأكل بن يوسف في

المحرم سنة عشر وأربعمائة ، وبقي الأكل حتى خرج عليه أهل صقلية وقتلوه في سنة سبع وعشرين وأربعمائة وولوا أخاه صمصام الدولة الحسن ، فاختلف في أيامه أهل الجزيرة وتغلّبت الخوارج عليه وجرى للفرنج ما سيذكر إن شاء الله تعالى .

قلت : وفي سنة ست وثلاثين عدا أسد بأرض الشام لم يسمع بمثله كان يفترس في بلد انطاكية وأرض حمص في ليلة واحدة حتى ظن الناس أن الأسد كلها عدت ، ووثب على مباحي فدم إصبعه في عين الأسد فقلعها وسلم منه وكان يحدث بذلك فيكذب ، فلما قتلت الأكراد ووجد أعور ، والله أعلم .

سنة سبع وثلاثين وثلثمائة :

وفيها ملك معز الدولة الموصل وسار عنها ناصر الدولة إلى نصيبين ، ثم تحرك عسكر خراسان على بلاد معز الدولة فرحل وأعاد إلى الموصل ناصر الدولة . قلت : ولما جرى ذلك سار سيف الدولة بن حمدان إلى أخيه ناصر الدولة ، وفي ذلك يقول أبو الطيب المتنبي :

أعلى الممالك ما يبني على الأسل والظعن عند محبين كالقيل

وفيها ملك سيف الدولة حصن برزيه فأنشده المتنبي عند نزوله بانطاكية :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساحمه

وهذا البيت معناه وإعرابه صعبان . والله أعلم .

سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة :

قلت : وفيها احترق حصن افاميه وكان بيد المغاربة وضعف فنازله الدوقس في ثلاثين ألفاً وحاصره سبعة أشهر وأشرف على أخذه فدفعه عنه صمصامه والي دمشق من جهة المغاربة فاتفقوا فقتل الدوقس وقتل من عسكره أربعة عشر ألفاً وأسر منهم خلق وكسروا بعد أن ظهرُوا ، والله أعلم .

ذكر وفاة عماد الدولة بن بويه

وفيها مات عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه بشيراز بقرحة الكلى وتوالي الأسقام ، وجعل ابن أخيه ولي عهده على فارس^(١) وهو فناخسرو عضد الدولة ابن ركن الدولة وحكمه وهو حي . ولما مات عماد الدولة اختلف عسكر فارس على عضد الدولة ، فجاء أبوه ركن الدولة من الري ومرّ بشيراز فزار قبر أخيه عماد الدولة باصطخر حافياً حاسراً وعسكره كذلك ولزم القبر ثلاثاً ، ثم وصل وقرر قواعد ابنه . وكان عماد الدولة أمير الأمراء ثم بعده صار ركن الدولة أمير الأمراء . وفيها مات المستكفي الخلع أعشى محبوساً .

سنة تسع وثلاثين وثلثمائة :

قلت : وفيها خرج بسيل ملك الروم فنزل على افاميه وجمع عظام القتلى وصلى عليهم ودفنهم ، وفتح شيرز بالأمان لقلة رجالها . وفيها جاء ثلج وجليد لم ير مثله حتى جمد الفرات ومشوا عليه وكانت القدور على النار يجمد أعلاها ويبس شجر الزيتون بالمعرة وكفر طاب ، والله أعلم .

وفيها مات محمد الصيمري وزير معز الدولة ، فاستوزر أبا محمد الحسن المهلي^(٢) . وفيها غزا سيف الدولة الروم فأوغل وفتك وغنم ، وأخذت الروم

(١) جاء في الكامل لابن الاثير : أن عماد الدولة عندما أحس بالموت أنفذ الى أخيه ركن الدولة يطلب منه ارسال ابنه عضد الدولة ليجمعه ولي عهده . فأرسله فوصل قبل موت عمه بسنة ، فأجلسه معه وأمر الناس والقادة بالانقياد له . وكان عماد الدولة يعلم أن بين القادة والأكابر من يطمع في الحكم ، ويخشى على ابن أخيه منهم ، فأفناهم جميعاً - ج ٦ ص ٣٣٢ .

(٢) لما تولى المهلي الوزارة أحسن السيرة ، وأزال كثيراً من المظالم خصوصاً بالبصرة ، فان البريديين كانوا قد أظهروا فيها كثيراً من المظالم فأزالها وقرب أهل العلم والأدب وأحسن اليهم ، وتنقل في البلاد لكشف ما فيها من المظالم وتخليص الأموال - الكامل ج ٦ .

عليه المضايق في عوده فهلك غالب عسكره وما معه ونجا في عدد يسير (١) .
 وفيها أعاد القرامطة الحجر الأسود إلى مكة ، أخذوه سنة سبع عشرة وثلثمائة
 فمكثه عندهم اثنتان وعشرون سنة . قلت : ولما أخذوه ونقلوه هلك تحته جمال
 كثيرة ، ولما أعادوه (٢) حمله بعير لطيف فسلم ، وهذا من آيات هذا الحجر
 الشريف . وقبل إعادته علقوه بجامع الكوفة ليراه الناس . والله أعلم .

وفيها توفي أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي الفيلسوف التركي ، اشتغل على
 أبي بشر متى بن يونس الحكيم ، ثم اشتغل بجران على أبي حنا الحكيم النصراني ،
 ثم أتقن ببغداد الفلسفة والموسيقى ورجل كتب أرسطو وألف ببغداد معظم
 تصانيفه ، ثم دخل مصر ثم دمشق وأقام بها أيام سيف الدولة بن حمدان فأكرمه
 وكان على زي الأتراك ، وحضر يوماً بدمشق عند سيف الدولة وعنده فضلاؤها
 فما زال كلام الفارابي يعلو وكلامهم يسفل حتى صمتوا ثم أخذوا يكتبون ما
 يقول ، وكان لا يجالس الناس ، ومدة مقامه بدمشق إما عند مجتمع ماء أو
 مشتبك رياض ، أجرى سيف الدولة عليه كل يوم أربعة دراهم فاقتصر عليها ،
 وتوفي بدمشق وقد ناهز الثمانين ودفن خارج باب الصغير .

وفيها مات الزجاجي النحوي أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق ، صحب
 ابراهيم بن السري الزجاج فنسب اليه ، وصنف الجمل .

(١) ذكر الذهبي في « تاريخ الاسلام » الغزوة بالتفصيل . وجاء فيها ، أن سيف الدولة عاد
 في مضيق صعب فأخذت الروم عليه الدروب وقذفوا الجيش بالصخور من الجبل ، ومن خلفهم
 الروم مع الدمستق يقتلون ويأمرون ، وكان مع سيف الدولة أربعمائة أسير من وجهاء الروم
 فقتلهم جميعاً ، وعقر جماله وحرق الثقل ، وقاتل قتال الموت حتى نجا ومعه نفر يسير .

(٢) كان الذي جاء به كما ذكر في « تاريخ الاسلام » هو أبو محمد بن سنبر ، سار به الى مكة
 ورده الى موضعه . وقال المسبحي : رافى سنبر الى مكة وأمير مكة معه ، وأظهر الحجر بفناء
 البيت ، وكان به شقوق حدثت عند اقتلاعه ، وأحضر صانعا معه حصص ، ووضع سنبر مكانه
 بيده ، وشد الصانع عليه بالحصص .

سنة أربعين وثلثمائة :

وفيهما توفي عبدالله بن الحسين الكرخي الفقيه الحنفي المعتزلي العابد، ومولده سنة ستين ومائتين . وفيها توفي أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد بن اسحاق المروزي الشافعي، انتهت اليه الرياسة بالعراق بعد ابن سريح وصنف كثيراً وشرح مختصر المزني . قلت : وفيها توفي يماك التركي غلام سيف الدولة وكان مقدم مماليكه وكانوا أربعة آلاف مملوك شراء مال ، ورثاه المتنبى بقوله :

لا يحزن الله الأمير فإنني لأخذ من حالاته بنصيب

سنة احدى وثلاثين وثلثمائة :

ذكر وفاة المنصور العلوي صاحب افريقية

وفيهما سار يوسف بن وجيه صاحب عمان في البحر والبر إلى البصرة وحصرها وساعده القرامطة ، ثم أدركهم المهلبى وزير معز الدولة بالعساكر فرحلوا عنها . وفيها توفي المنصور بالله العلوي أبو طاهر اسماعيل بن القائم بالله أبي القاسم محمد بن المهدي عبيد الله سلخ شوال وخلافته سبع سنين وستة عشر يوماً وعمره تسع وثلاثون سنة (١) ، وكان خطيباً بليغاً يخترع الخطبة لوقته ، وعهد إلى ابنه أبي تميم معد بولاية العهد وهو المعز لدين الله ، فبويغ يوم مات أبوه في سلخ شوال منها ، وعمر المعز إذ ذاك أربع وعشرون سنة . وفيها ملك الروم سروج (٢) وسبوا وغنموا وخربوا المساجد . قلت : وتبع سيف الدولة الروم وبلغهم ذلك فولوا راجعين فبنى حينئذ مرعش ، فقال المتنبى :

(١) أورد ابن الأثير في الكامل ج ٦ ص ٣٤١ ، سبب وفاة المنصور ، بتفصيل أكثر ، وذكر أنها كانت نتيجة خطأ طبيب شاب في علاجه .

(٢) بلدة قريبة من حران من ديار مصر .

فدينارك من ربع وإن زدتنا كربا فإنك كنت الشرق للشمس والغربا
ومنها :

سراياك تترى والدمستق هارب وأصحابه قتلى وأمواله نهباً
أتى مرعشاً يستقرب البعد مقبلاً فأدبر إذ أقبلت يستبعد القرباً
ومنها :

كفى عجباً أن يعجب الناس انه بنى مرعشاً تباً لأرائهم تباً
وما الفرق ما بين الأنام وبينه إذا حذر المحذور واستصعب الصعباً
والله أعلم .

وفيهما توفي أبو علي اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الصفار النحوي المحدث ، من
أصحاب المبرّد ، ثقة ، مولده سنة سبع وأربعين ومائتين .

سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة :

قلت : وفيها أنشد المتنبي بين يدي سيف الدولة قصيدته التي أولها :
لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدا
والله أعلم .

سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة :

ذكر انتصار سيف الدولة على الروم

وفيهما مات الأمير الحميد نوح بن نصر بن أحمد بن اسماعيل الساماني في ربيع
الآخر ، وتولى سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة فأحسن وكرمت أخلاقه ، وملك
بعده ابنه عبد الملك . وفيها غزا سيف الدولة الروم فجرت بينهم وقعة عظيمة

ونصر سيف الدولة وغنم وقتل . قلت : أسر سيف الدولة في هذه الواقعة
قسطنطين ولد الدمستق وحمله الابريق إلى بيت الماء وكان أمره فخرج فوجده
قائماً يبكي واعتل عنده فمات ، فكتب إلى أبيه يخبره أنه لو كان هو المتولي تمريضه
ما فعل ما فعله سيف الدولة . وترهب الدمستق بعد الواقعة ولبس المسوح ،
فقال أبو الطيب :

فلو كان ينجي من عليّ ترهب ترهبت الأملاك مثني وموحدا

وفيها بنى سيف الدولة الحدث^(١) . وفيها توفي أبو عمر الزاهد محمد بن
عبد الواحد ببغداد ، وحدث أبو العلاء المعري أن البغداديين حدثوه بها أنه لما
عبرت السنة بأبي عمر رحمه الله في الكرخ وهم شيعة بغداد وحوله التكبير
والتهليل ، قال قائل : هذا والله لا كمن دفنت ليلاً - يعني فاطمة عليها السلام -
فثار أهل الكرخ وقتل بينهم جماعة وطرح أبو عمر عن النعش وجرح جراحاً
كثيرة ، والله أعلم .

وفيها أرسل معز الدولة سبكتكين في جيش إلى شهرزور فعاد ولم يفتحها .
وفيها مات محمد بن العباس المعروف بابن النحوي الفقيه ، ومحمد بن
القاسم الكرخي .

سنة أربع وأربعين وثلثمائة :

وفيها مات أبو علي بن المحتاج صاحب جيوش خراسان بعد أن عزله نوح
عنها ، فخرج عن طاعة نوح ولحق بركن الدولة بن بويه ومات في خدمته .

وفيها أنشأ عبد الرحمن الناصر الأموي مركباً عظيماً فيه تجارة إلى المشرق
فلقي مركباً فيه رسول من صقلية إلى المعز العلوي ومعه مكاتبات فأخذهم بما
معهم . وبلغ ذلك المعز فجهز أسطولاً إلى الأندلس واستعمل عليه الحسن بن علي

(١) الحدث : مدينة صغيرة بالشام - كما في ص ٢٦٣ من تقويم أبي الفدا .

عامله على صقلية ، فوصلوا إلى المرية وأحرقوا كل ما في ميناها من المراكب وأخذوا ذلك المركب العظيم المذكور بعد عوده من الاسكندرية وفيه جوارى مغنيات وأمتعة لعبدالرحمن ، وظهر أسطول المعز إلى البر فقتلوا ونهبوا ورجعوا إلى المهديّة ، فجهز عبد الرحمن أسطولاً إلى بلاد افريقية فوصلوها ، فقصدهم عساكر المعز فرجعوا إلى الأندلس بعد قتال .

سنة خمس وأربعين وثلثمائة :

وفيها سار سيف الدولة إلى الروم فسبى وفتح حصوناً ، وعاد إلى أدنة ثم إلى حلب . قلت : فأنشده المتنبي قصيدته التي أولها :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

قال ابن جني : هذا البيت وحده لو كان في شعر شاعر لجمته كله . ومنها :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

ومنها :

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| لولا سمي سيوفه ومضاؤه | لما سلن لكنّ كالأجفان |
| ما زلت تضربهم دراكا في الذرى | ضرباً كأن السيف فيه اثنان |
| فرموا بما يرمون عنه وأدبروا | يطأون كل حنينة مرنان |
| يفشاهم مطر السحاب مفصلاً | بهند ومثقف وسنان |
| يا من يقتل من أراد بسيفه | أصبحت من قتلاك بالإحسان |
| فإذا رأيتك حاد دونك ناظري | وإذا مدحتك حار فيك لساني |

والله أعلم .

وفيها توفي أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد غلام ثعلب المعروف بالمطرز ، لغوي مكثّر صحب ثعلباً زماناً فعرف به ، كان مضيقاً عليه لاشتغاله بالعلم عن الكسب ، كان يلقي تصانيفه من حفظه وأملى في اللغة ثلاثين ألف ورقة .

سنة ست وأربعين وثلثمائة :

وفيه مات السلار بن المرزبان صاحب أذربيجان ، وملك بعده ابنه خستان^(١) فأوقع وهسودان عم خستان بين أولاد أخيه وتقاتلوا فبلغ مراده . وفيها نقص البحر ثمانين باعاً فظهر فيه جزائر وجبال . وفيها توفي أبو العباس محمد بن يعقوب الأموي النيسابوري المعروف بالأصم عالي الاسناد ، صحب الربيع ابن سليمان^(٢) .

سنة سبع وأربعين وثلثمائة :

وفيه صار أبو الحسن جوهر عبد المعز في رتبة الوزارة وسار بجيش كثيف إلى أقاصي المغرب ، فسار إلى تاهرت ثم إلى فاس فأغلق أحمد بن بكر أبوابها فلم يقدر جوهر عليها ومضى حتى انتهى إلى البحر المحيط ، ثم عاد وفتح فاس عنوة سنة ثمان وأربعين وثلثمائة وكان معه زيرو بن مناد الصنهاجي شريكه في الامرة . وفيها توفي أبو الحسن علي بن البوشنجي الصوفي المشهور بنيسابور . وفيها توفي أبو الحسن محمد ولد القاضي أبي الشوارب ، وأبو علي الحسين بن علي النيسابوري ، وأبو محمد عبد الله الفارسي النحوي أخذ عن المبرد .

سنة ثمان وأربعين وثلثمائة :

وفيهما توفي أبو بكر بن سليمان الحنبلي النجاد وعمره خمس وتسعون ، وجعفر ابن محمد الخدي الصوفي من أصحاب الجنيد . وفيها انقطع القطر وغلا السعر في كثير من البلاد .

(١) وردت في الكامل لابن الأثير جستان ، بالجيم . كما ورد : وهسودان ، بالذال .

(٢) هو مولى لبني أمية . وحرم بعد أن رحل به أبوه إلى أصبهان ومكة ومصر والشام والجزيرة وبغداد وغيرها . كان إماماً محدث عصره بلا مدافع ٧٦ سنة . وانتهت إليه رئاسة أهل الحديث بخراسان .

سنة تسع وأربعين وثلثمائة :

وفيهما صالح أولاد المرزبان عمهم وهسوزان فغدر بهم وقتل خستان وناصرأ
ابني أخيه وأمهها . وفيها غزا سيف الدولة الروم ففتح وأحرق وغنم وبلغ إلى
خرشنة فأخذوا في عوده عليه المضايق واستردوا الغنيمة وأخذوا أثقاله وقتلوا،
وتخلص سيف الدولة في ثلثمائة نفس وكان معجباً برأيه لا يقبل المشورة .

قلت : وفي ذلك يقول المتنبي فيما أظن :

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

ومنها :

قل للمستق إن المسامين لكم خانوا الأمير فجازاهم بما صنعوا
لا تحسبوا من أسرتم كان ذا رمق فليس يأكل إلا الميت الضبع

والله أعلم .

وفيهما أسلم من الأتراك نحو مائتي ألف خرگاه^(١) . وفيها أخذ السيل حجاج
مصر وأثقالهم في الليل في عودهم فألقاهم في البحر . وفيها أو قريباً منها : توفي
أبو الحسن التيناني نسبة إلى التينات وعمره مائة وعشرون سنة ، وله كرامات .
وفيهما مات أنوجور بن الاخشيد وولي أخوه مكانه مصر .

سنة خمسين وثلثمائة :

وفيهما في حادي عشر شوال تقطر^(٢) بعبد الملك بن نوح الساماني فرسه فمات ،
فافتنت خراسان بعده ووليتها أخوه منصور . قلت : كذا صوابه تقطر به
الفرس بلا نون . والله أعلم .

(١) لفظ فارسي معناه : الخيمة الكبيرة .

(٢) تقطر به أي ألقاه على جانبه .

ذكر وفاة صاحب الأندلس

وفيهما توفي عبد الرحمن الناصر الأموي صاحب الأندلس وإمارته خمسون سنة ونصف وعمره ثلاث وسبعون ، أول من تلقب من الأمويين بالأندلس بلقب الخلفاء فتسمى أمير المؤمنين لضعف خلائف العراق وخوطفوا قبله بالأمير وأبناء الخلائف ، وأمه مزنة أم ولد ، وولي بعده ابنه الحكم المنتصر . وترك عبد الرحمن أحد عشر ابناً . وفيها ولي قضاء قضاء بغداد أبو العباس عبد الله بن الحسين بن أبي الشوارب والتزم أن يؤدي كل سنة مائتي ألف درهم ، وهو أول من ضمن القضاء وذلك في أيام معز الدولة بن بويه ، ثم ضمن الحسبة والشرطة . قلت : وقال بعض الناس في ذلك :

مذل الدولة ابن بويه يقضي له ابن أبي الشوارب بالضمان
تصرم ملك ذا وقضاء هذا وصارت سنة طول الزمان
والله أعلم .

وفيهما توفي أبو شجاع فاتك ، كان رومياً أخذته الاخشيد من سيده بالرملة ، فارتفع وهو رفيق كافور ، فلما مات الاخشيد وصار كافور أتابك ابنه أنف فاتك من ذلك وانتقل إلى الفيوم اقطاعه ، ووخم فعاد إلى مصر ، وكان كافور يخافه ويخدمه ، ومدحه المتنبي بإذن كافور بقصيدته التي أولها :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال
كفاتك ودخول الكاف منقصة كالشمس قلت وما للشمس أمثال
ولما توفي فاتك رثاه المتنبي بقصيدته التي أولها :

الحزن يقلق والتجمل يردع والدمع بينهما عصي طيع
ومنها :

إني لأجبن من فراق أحبتي وتحس نفسي بالحمام فأشجع

تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقيقة نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع
أين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً ويدركها الفناء فتتبع

سنة احدى وخمسين وثلثمائة :

ذكر استيلاء الروم على حلب

وفيها ملك الدمستق عين زربيه (١) بالأمان فقتلوا وأطلقوا الأكثر . وفيها
استولت الروم على حلب دون قلعتها وعلى الحواضر وحاصروا المدينة وثلثوا
السور ، وقاتل أهلها الروم أشد قتال فتأخر الروم إلى جبل جوشن ثم وقع بين
أهل البلد نهب فلم يبق على السور أحد فهجم الروم البلد وفتحوا أبوابه وأطلقوا
السيف وسبوا بضعة عشر ألف صبي وصبية وغنموا ما لا يوصف وأحرقوا ما
بقي لعجزهم عن حمله ، وأقام الملعون تسعة أيام وعاد ولم ينهب قرى حلب
وأمرهم بالزراعة ليعاود من قابل في زعمه ، وما علم به سيف الدولة إلا عند
وصوله فما تمكن من الجمع وخرج فيمن معه وقاتل الدمستق قبل هجم البلد فقتل
غالب أصحاب سيف الدولة وانهزم سيف الدولة ، وظفر الدمستق بداره وهي
خارج البلد تسمى الدارين فأخذ منها ثلاثمائة بدره وألفاً وأربعمائة بغل ومن
السلاح ما لا يحصى ، ثم كان هجم البلد بعد ذلك .

وفيها استولى ركن الدولة بن بويه على طبرستان وجرجان . وفيها فتح
المسلمون طبرمين وهي أمنع الحصون بعد حصار سبعة أشهر ونصف . وفيها

(١) كان هجوم الدمستق على عين زربي .. مع عساكر الروم . وقد أورد ابن الأثير تفصيل
غدر الدمستق بأهالي عين زربي ، وقتله الكثير من الرجال والنساء والأطفال ، في بداية الجزء
السابع من الكامل .

فتحت الروم حصن دلوک بالسيف ، وثلاثة حصون مجاورة له . وفيها في شوال أسرت الروم أبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان من منبج وكان متقلداً لها . وفيها توفي أبو بكر محمد بن حسن النقاش الموصلی صاحب كتاب شفاء الصدور .

سنة اثنین وخمسين وثلثمائة :

وفيها توفي الوزير المهلبی أبو محمد وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وكان كريماً عاقلاً ذا فضل . وفيها في عاشر المحرم أمر معز الدولة بالنياحة واللطم ونشر شعور النساء وتسويد وجوههن علی الحسين رضي الله عنه ، وعجزت السنة عن منع ذلك لكون السلطان مع الشيعة^(١) . وفيها عزل ابن أبي الشوارب عن القضاء وأبطل ضمانه . وفيها قتل الروم ملكهم وملكوا غيره ، وصار ابن شمشق دمستقاً . وفيها في ثامن عشر ذي الحجة أمر معز الدولة باظهار الزينة لعید غدیر خم .

سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة :

وفيها استولى معز الدولة علی الموصل ونصيبين وهرب منه ناصر الدولة ، ثم اتفقا وضمن منه الموصل .

سنة أربع وخمسين وثلثمائة :

ذكر استيلاء الروم علی المصيصة وطرسوس

وفيها حاصر نفقور^(٢) ملك الروم المصيصة وفتحها عنوة بالسيف يوم السبت ثالث عشر رجب ، ثم رفع السيف عن بقي من المسلمين ونقلهم إلى الروم وكانوا نحو مائتي ألف ، ثم أمّن أهل طرسوس . قلت : وكان فيها أربعون ألف فارس

(١) قال في « تاريخ الاسلام » : وهذا أول يوم نبح عليه ببغداد .

(٢) ورد في تاريخ أبي الفدا « تقفور » وكذلك في الكامل ، كما أورده كذلك ابن الوردي في متن الكتاب ، ولكن ورد في بيان الخطأ والصواب في طبعة جمعية المعارف بمصر : نقفور ، وان اصله نيكوفوروس ثم عرب .

وطلع نقفور على منبر طرسوس فقال لمن حوله : أين أنا ؟ فقالوا : أيها الملك على منبر طرسوس ، فقال : لا ولكني على منبر بيت المقدس وهذه كانت تمنعكم من ذلك ، وجمع مصاحف الجامع وكانت ألف مصحف في المحراب وطين عليها ، والله أعلم . وسار أهلها عنها في البر والبحر وجهد معهم من يحميهم إلى انطاكية . قلت : ولقيهم أهل انطاكية بالبكاء والنحيب ، وكان في أول أهل طرسوس رجل منهم يقرأ : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله) . وجعل جامع طرسوس اصطبلاً وأحرق المنبر وحصن طرسوس ، وتراجع بعض أهلها وتنصر بعضهم ، ثم عاد اللعين إلى القسطنطينية .

وفيهما أطاع أهل انطاكية المقدمين الذين حضروا من طرسوس وخالفوا سيف الدولة واسم المقدم الذي أطاعوه رشيق ، فسار إلى جهة حلب وقاتل عامل سيف الدولة قرعويه ، وكان سيف الدولة ببيافارقين ، فأرسل سيف الدولة عسكرياً مع خادمه بشارة وقاتلا رشيقاً فقتل رشيق وهرب أصحابه إلى انطاكية . قلت : ولما عاد سيف الدولة اجتمع على حربه ابن الأهوازي ووزير الديلمي الذي قام مقام رشيق فقتل وزير وابن الأهوازي وقتل من ولايتها وقضاتها وشيوخها خلقاً ، والله أعلم .

ذكر مقتل المتنبى

وفيهما قتل أبو الطيب المتنبى قتله الاعراب وأخذوا مامعه ، وهو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الكندي ، ومولده سنة ثلاث وثلثمائة بالكوفة بمحلة تسمى كنده فنسب إليها لا إلى القبيلة فإنه جعفي القبيلة ، وقيل : كان أبوه سقاءً بالكوفة ، وفيه يقول بعضهم :

أي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا
عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء وحيناً يبيع ماء الهيا

كان مطلعاً على اللغة لا يسأل عن شيء إلا استشهد فيه بكلام العرب حتى أن
أبا علي الفارسي قال له : كم لنا من الجموع على وزن فعلى ؟ فقال في الحال :
حجلى وظربى ، قال أبو علي : فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال فلم أجد لهما ثالثاً .
وحسبك بمن يقول فيه أبو علي هذا . قلت : وحجلى جمع حجل وهو القبج ،
والظربى جمع ظربان بوزن قطران دويبة منتنة الرائحة ، والله أعلم . وشعره هو
النهاية ورزق فيه السعادة قيل : انه ادعى النبوة في بركة السماوة وتبعه خلق من
بني كلب وغيرهم فخرج اليه لؤلؤ نائب الاخشيدية بجمص فأسره وتفرق أصحابه
وحبسه طويلاً ، ثم استتابه وأطلقه فالتحق بسيف الدولة سنة سبع وثلاثين
وثلاثمائة ، ثم فارقه إلى مصر سنة ست وأربعين فمدح كافوراً الاخشيد ، ثم هجاه
وفارقه سنة خمسين وقصد عضد الدولة بفارس ومدحه ، ثم قصد الكوفة فقتل
بقرب النعمانية من الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول . قلت : ولما
رأى المتنبى الغلبة من الأعراب فرّ فذكره غلامه بقوله :

الحيل والليل والبيداء تعرفني والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فكرت راجعاً حتى قتل . وروى الكندي له بيتين بالاسناد الصحيح وليس
في ديوانه ، وهما :

أبعين مفتقر اليك نظرتني فأهنتني وقذفتني من حالق
لست الملووم أنا الملووم لأنني أنزلت آمالي بغير الخالق

وفيهما توفي أبو حاتم محمد بن حاتم بن حبان البستي صاحب التصانيف .

سنة خمس وخمسين وثلاثمائة :

وفيهما وصلت الروم إلى آمد وحصروها ، ثم انصرفوا وقاربوا نصيبين ، ثم
ساروا ونازلوا انطاكية طويلاً ، ثم رحلوا إلى طرطوس . وفيها وقع بين سيف
الدولة وبين الروم الفداء ، فخلص أبا فراس ابن عمه وغيره . قلت : سار سيف
الدولة بالبطارقة الذين في أسره إلى الفداء ففداهم أبا فراس ابن عمه وغلامه

روطاس وجماعة من أكابر الحلبيين والمحصبين ، ولما لم يبق معه من أسرى الروم أحد اشترى الباقين كل نفس باثنين وسبعين ديناراً حتى نفذ ما معه من المال (١) فاشترى الباقين ورهن عليهم بدنته الجوهر المعدومة المثل ، ثم لما لم يبق أحد من أسرى المسلمين كاتب نقفور ملك الروم على الصلح وهذه من محاسن سيف الدولة .

سنة ست وخمسين وثلثمائة :

ذكر وفاة معز الدولة وولاية بختيار

وفيها سار معز الدولة إلى واسط وجهاز الجيوش إلى محاربة عمران بن شاهين صاحب البطيحة وانطلق بطنه فترك العسكر يقاتلون وعاد إلى بغداد ، فتزايد مرضه فعهد إلى ابنه بختيار ولقبه عز الدولة وقاب (٢) وتصدق بأكثر ماله وأعتق مماليكه ، وتوفي معز الدولة ببغداد في ثالث عشر ربيع الأول منها ودفن بباب التين في مقابر قريش وإمارته إحدى وعشرون سنة وأحد عشر شهراً ، فاستقر عز الدولة في الامارة وكتب إلى العسكر فصالحوا عمران بن شاهين وعادوا .

وكانت يد معز الدولة قد قطعت قبل بكرمان في حرب ، وهو الذي أنشأ السعاة ببغداد لإعلام أخيه ركن الدولة بالأحوال سريعاً فنشأ في أيامه فضل ومرعوش ، وفاقا السعاة فكان يسير أحدهما في اليوم نيفاً وأربعين فرسخاً وكان أحدهما ساعي السنة والآخر ساعي الشيعة . وأساء بختيار السيرة ولعب وعاشر النساء ونفى كبار الديلم شرهاً في اقطاعهم .

(١) قال في « تاريخ الاسلام » : « وطال مقام سيف الدولة في مياقارقين (حيث تم تبادل الأسرى) فأنفق في سنة وثلاثة أشهر نيفاً وعشرين الف الف درهم ومائتين وستين الف دينار ، وتم الفداء في رجب ، فخلص من الأمر من بين أمير الى واجل ثلاثة آلاف ومئتان وسبعون نفساً .
(٢) جاء في « تجارب الأمم » : وأظهر التوبة وأحضر وجوه المتكلمين والفقهاء فسألهم عن حقيقة التوبة وهل تصح له فأفتوه بصحتها ولقنوه ما يجب أن يفعل ويقول . وجاء في التكملة : أنه أحضر أبا عبد الله البصري وقاب على يده .

وفيهما قبض ابن ناصر الدولة أبو تغلب على أبيه لكبره وسوء أخلاقه
وتضييقه على أولاده وأصحابه ووكل به من يخدمه ، وخالفه بعض أخوته
فاحتاج إلى مداراة بختيار لبعضه فضمن منه البلاد بألف ألف ومائتي ألف
درهم . وفيها مات وشمكير بن زيار أخو مرداويج حمل عليه في الصيد خنزير
مجروح فقامت به فرسه فسقط فمات ، فقام بالأمر ابنه بيستون . وقيل : مات
سنة سبع وخمسين في المحرم .

وفيهما مات كافور الاخشيدي الخصي الأسود من موالي محمد بن طنج صاحب
مصر واستولى على مصر ودمشق بعد موت أولاد الاخشيد فإنه ملك بعد الاخشيد
ابنه أنوجور والأمر إلى كافور ثم ابنه الآخر علي ، وتوفي صغيراً سنة خمس
وخمسين وثلثائة فاستقل كافور بالملكة ، كان شديد السواد اشتراه الاخشيد
بثمانية عشر ديناراً . قال المتني : كنت أدخل على كافور أنشده وهو يضحك
إلى أن أنشدته :

ولما صار ودّ الناس خباً جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلمي أنه بعض الأنام

قال : فما ضحك بعدها في وجهي ، فعجبت من فطنته . وقبره بالقرافة
الصغرى .

قلت : وفي تاريخ ابن المهذب المعري : إن كافوراً توفي بمصر وحمل إلى بيت
المقدس ، والله أعلم . وكان يدعى له على المنابر بمكة والحجاز جميعه والديار
المصرية والشام ، وعمره خمس وستون تقريباً ، وولي بعده أبو الفوارس أحمد بن
علي بن الاخشيد وخطب له في جهادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلثائة . قلت :
وفي تاريخ ابن المهذب : أنه تولى مصر بعد وفاة كافور تحرير الاخشيدي ، وزحف
إليه القائد جوهر في عساكر المعز وطالت الحروب بينهم ، وقتل هذا تحرير
الايخشيدي سنة ثمان وخمسين وثلثائة ، وولوا بعده من الاخشيدية رجلاً اسمه

تبر فغلبه جوهر المغربي ودخل مصر وملكها وأقام بها بقية سنة ثمان وخمسين
وتسع وخمسين قبل مجيء المعز ، والله أعلم .

ذكر وفاة سيف الدولة

وفيهما مات سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان بن حمدون
الثعلبي الربيعي التغلبي^(١) بحلب في صفر ونقل تابوته إلى ميفارقين ، ومولده سنة
ثلاث وثلثائة ، ومرضه بعسر البول والقالج ، وهو أول من ملك حلب من بني
حمدان ، أخذها من أحمد بن سعيد الكلابي نائب الاخشيد . ومن شعر سيف
الدولة في أخيه ناصر الدولة :

وهبت لك العليا وقد كنت أهلها وقلت لهم بيني وبين أخي فرق
وما كان لي عنها نكول وإنما تجاوزت عن حقي فتم لك الحق
أما كنت ترضى أن تكون مصلياً إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

وله :

قد جرى في دمه دمه فأليكم أنت تظلمه
ردّ عنه الطرف منك فقد جرحته منك أسهمه
كيف يستطيع التجلد من خطرات الوهم تولمه

وملك بلاد سيف الدولة بعده ابنه أبو المعالي سعد الدولة شريف . وفيها
توفي أبو علي محمد بن الياس صاحب كرمان . وفيها توفي أبو الفرج علي بن الحسين
ابن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد
ابن مروان بن الحكم الأموي الكاتب الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني . جده
مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وهو أصبهاني الأصل بغدادي المنشأ . روى

(١) وردت اضافة لفظ « التغلبي » في بيان الخطأ والصواب في نهاية الجزء الأول من تاريخ
ابن الوردي المطبوع بمصر بجمعية المعارف .

عن خلق ، كان عالماً بأيام الناس والأنساب وكان على أمويته متشيعاً ، جمع الأغاني في خمسين سنة وحمله إلى سيف الدولة فأعطاه ألف دينار واعتذر ، وصنف كتباً لبني أمية أصحاب الأندلس وسيرها اليهم سرأ وجاءه إنعامهم سرأ ، وكان منقطعاً إلى الوزير المهلبى وله فيه مدائح ، ومولده سنة أربع وثمانين ومائتين ، وأسماء الكتب التي صنفها لبني أمية : نسب بني عبد شمس ، وأيام العرب ألف وسبعائة يوم ، وجمهرة النسب ونسب بني شيبان .

سنة سبع وخمسين وثلثائة :

وفيها استولى عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه على كرمان بعد موت صاحبها علي بن الياس . وفيها في ربيع الآخر قتل أبو فراس بن حمدان ، كان مقيماً بجمص فجرى بينه وبين أبي المعالي بن سيف الدولة وحشة ، وطلبه أبو المعالي فأنحاز أبو فراس إلى صدد فأرسل أبو المعالي عسكرياً مع قرعويه وأحدقوا بأبي فراس وعسكره فكبسوا أبا فراس في صدد وقتلوه ، وأبو فراس خال أبي المعالي وابن عمه ، واسم أبي فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان وهو ابن عم سيف الدولة وناصر الدولة ، أسر بمنبج كما ذكرنا وحمل إلى القسطنطينية فأقام أسيراً أربع سنين وكانت منبج اقطاعه . وفي مقتله بصدد يقول بعضهم :

وعلمي الصدد من بعده من اليوم مصرعه في صدد
فسقياً لها إذ حوت شخصه وبعداً لها حيث فيها ابتعد

قلت : ولما بلغ بحية أم أبي فراس قتله قلعت عينها جزعاً عليه ، والله أعلم .
وفيها مات المتقي لله ابراهيم بن المقتدر في داره أعمى مخلوعاً ودفن فيها .
وفيها توفي علي بن بندار الصوفي النيسابوري .

سنة ثمان وخمسين وثلثمائة :

ذكر ملك المعز لمصر

وفيهما سير المعز أبو تميم معد بن اسماعيل المنصور القائد أبا الحسين جوهرأ
الرومي غلام المنصور (١) في جيش كثيف فاستولى على الديار المصرية؛ فإنه بموت
كافور اختلفت الأهواء ، وبلغ ذلك المعز فجهز العسكر فهربت العساكر
الاخشيدية من جوهر قبل وصوله ووصل في سابع عشر شعبان وأقيمت الدعوة
للمعز بالجامع العتيق في شوال وكان الخطيب أبا محمد بن عبد الله بن الحسين
السميساطي . وفي جمادى الأولى قدم جوهر إلى جامع ابن طولون وأمر فأذن
فيه بحجّ على خير العمل ، ثم بعده أذن في الجامع العتيق بذلك وجهر في الصلاة
ببسم الله الرحمن الرحيم ، وشرع جوهر في بناء القاهرة وسير جمعاً كثيراً مع
جعفر بن فلاح إلى الشام ، فبلغ الرملة وبها الحسن بن عبد الله بن طنج وجرت
بينها حرب فأسر ابن طنج وغيره وجهزهم جوهر إلى المعز واستولى على تلك البلاد
وجبوا أموالها . ثم سار ابن فلاح بالعساكر إلى طبرية فوجد أهلها قد أقاموا
الدعوة للمعز قبل وصوله فسار عنها إلى دمشق فقاتلوه ، فظفر بهم وملك دمشق
ونهب بعضها وأقام الخطبة للمعز لأيام خلت من المحرم سنة تسع وخمسين، وقطعت
الخطبة العباسية . وجرت في أثناء هذه السنة بعد الخطبة العلوية فتنة بين أهل
دمشق وجعفر بن فلاح ووقع بينهم حروب وقطعت الخطبة العلوية ثم استظهر
ابن فلاح واستقرت دمشق للمعز .

(١) قال ابن تغري بردي في « النجوم الزاهرة » : هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله القائد
المعزي المعروف بالكاتب مولى المعز لدين الله أبي تميم معد العبدي الفاطمي . كان خصيصاً عند
أستاذه المعز وكان من كبار قواده . ثم قال : وكان المعز لما قذب جوهرأ الى التوجه للديار
المصرية أصحبه من الأموال والخزائن ما لا يحصى وأطلق يده في جميع ذلك وأفرغ الذهب في
صور الأرحاء وحملها على الجمال لعظم ذلك في قلوب الناس .

وفيها كاتب ناصر الدولة ابنه حمدان ليعضده في الخلاص من قبض ابنه أبي تغلب عليه ، فظفر أولاده أبو تغلب وأبو البركات وفاطمة أولاد الكرديّة بالكتاب فحبسوه في قلعة كواشي شهوراً وبها مات في ربيع الأول منها. ووقع بين حمدان وبين إخوته لذلك حروب قتل فيها حمدان أبا البركات ، ثم قوي أبو تغلب فطرد حمدان عن بلاده واستولى عليها ، ولقب أبي تغلب عدة الدولة الغضنفر . وفيها دخل ملك الروم الشام بلا ممانعة أحد ، وسار إلى طرابلس وفتح قلعة عرفة بالسيف ثم أحرق حمص وقد أخلاها أهلها وأتى على الساحل نهياً وتخريباً وملك ثمانية عشر منبراً وأقام بالشام شهرين وعاد بالأسرى والأموال. وفيها استولى قرعويه غلام سيف الدولة على حلب وأخرج ابن أستاذه أبا المعالي شريف بن سيف الدولة منها ، فأقام شريف عند والدته ببيافارقين ثم أقام بجماه^(١) . وفيها طلب سابور بن أبي طاهر القرمطي من أعمامه أن يسلموا الأمر إليه ، فحبسوه ثم أخرج ميتاً .

سنة تسع وخمسين وثلثمائة :

ذكر ما ملكه الروم من البلاد

وفيها ملك الروم انطاكية بالسيف وقتلوا أهلها وسبوا ، وقصدوا حلب فتحصن قرعويه بالقلعة وملكوا المدينة ، ثم اصطلحوا على مال يحمله قرعويه كل سنة عن حلب وعن حمص وحماه والمعرة وكفرطاب وفاميه وشيزر ، فرحلت الروم ومعهم الرهائن على ذلك وصارت البلاد سائبة لا مانع للروم عنها .

ذكر مقتل تقفور ملك الروم

وفيها طمع تقفور ملك الروم في ملك جميع الشام ولم يكن من بيت المملكة

(١) ذكر أبو الفداء ان أبا المعالي أقام عند والدته حتى جرت بينها وحشة ثم اتفقا ، ثم عبر الفرات قاصداً حماه .

وإنما قتل الملك الذي قبله وتزوج امرأته بقانو وأراد أن يخصي أولادها من بيت المال ليقطع نسلهم ويبقى الملك في نسله ، فاتفقت أمهم مع الدمستق وأدخلته في جماعة على زي النساء إلى كنيسة متصلة بدار تقفور ، ونام تقفور فدخلوا عليه وقتلوا تقفور وأراح الله المسلمين منه^(١) ، وأقام الدمستق أحد الأولاد المذكورين ملكاً . قلت : وهو بسيل بن أرمانوس ، والمعتمد في هذه الترجمة أن يفانو الملكة زوجة أرمانوس قتلت أرمانوس وتزوجت تقفور الملك ، ثم قتلتها وتزوجت يانس بن شمشقيق وولته الملك ، ثم خافته على ولديها بسيل وقسطنطين ابني أرمانوس فجهزت اليه وهو بالشام سماً فقتلته قبل عوده إلى الروم وولت ابنها بسيل . وملك بعده على الروم أخوه قسطنطين وكان زميناً لأن دبا وثب عليه فأزمنه . والله أعلم .

وفيهما حاصر أبو تغلب بن سيف الدولة حران وفتحها بالأمان واستعمل عليها البرقعدي ، ثم عاد أبو تغلب إلى الموصل . وفيها صالح قرعويبه ابن أستاذه أبا المعالي وخطب له بحلب ، هذا وأبو المعالي بحمص ، وخطب أيضاً بحمص وحلب للمعز ، وبمكة للمطيع ، وبالمدينة للمعز ، وخطب أبو أحمد الموسوي والد الشريف الرضي خارج المدينة للمطيع . وفيها مات محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقمي من مشايخ الصوفية المشاهير ، والقاضي أبو العلا محارب بن محمد ابن محارب الشافعي الفقيه المتكلم .

(١) كان تقفور شديداً على المسلمين . وهو الذي أخذ حلب أيام سيف الدولة فعظم شأنه عند الروم ، وهو الذي فتح أيضاً طرسوس ، والمصيصة ، وأذنة ، وعين زربي ، وغيرها . ولم يكن نصراني الأصل وإنما هو من ولد رجل مسلم من أهل طرسوس يعرف بابن الفقاس . وكان ابنه هذا شهماً شجاعاً حسن التدبير لما يتولاه . فلما عظم أمره وقوي شأنه قتل الملك الذي كان قبله وملك الروم - انظر « تجارب الأمم » لابن مسكويه .

سنة ستين وثلثمائة :

ذكر ملك القرامطة دمشق

وفيهما في ذي القعدة وصلت القرامطة إلى دمشق وكبسوا جعفر بن فلاح نائب المعز خارج دمشق وقتلوه وملكوا دمشق وأمنوا أهلها ثم ملكوا الرملة ، واجتمع اليهم خلق من الاخشيدية فقصدوا مصر ونزلوا بعين شمس وجرت بينهم وبين المغاربة وجوه حرب فانتصرت القرامطة ، ثم انتصرت المغاربة فعادت القرامطة إلى الشام وكبير القرامطة حينئذ الحسن بن أحمد بن بهرام .

وفيهما استوزر مؤيد الدولة بن ركن الدولة صاحب أبا القاسم بن عباد . وفيها مات أبو القاسم سليمان بن أيوب الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة بأصفهان وعمره مائة . وفيها توفي السري الرفاء الشاعر الموصلية ببغداد . قلت : هو السري ابن أحمد بن السري الكندي أقام عند سيف الدولة بجلب ، ثم مدح الوزير المهلب ، وراج شعره وكان لا يعلم إلا الشعر ، فمن شعره يذكر صناعته :

قد كانت الابرّة فيما مضى صائنة وجهي وأشعاري
فأصبح الرزق بها ضيقاً كأنه من ثقبها جاري

ومن محاسن شعره قوله :

يلقى الندى برقيق وجه مسفر فإذا التقى الجمعان عاد صفيقاً
رحب المنازل ما أقام فإن سرى في جحفل ترك الفضاء مضيقاً

والله أعلم .

سنة احدى وستين وثلثمائة :

ذكر التخاذل عن صد الروم

وفيهما وصلت الروم إلى الجزيرة والرها ونصيبين فغنموا وقتلوا ، ووصل

المسلمون إلى بغداد (١) مستصرخين فثارت العامة وجرت ببغداد فتن واستغاثوا إلى بختيار وهو في الصيد ، فوعدهم بالغزاة وطلب من المطيع مالا فقال: أنا ليس لي غير الخطبة فإن أحببتم اعتزلت ، فهدده بختيار فباع الخليفة قماشه وغير ذلك حتى حمل إلى بختيار أربعمئة ألف درهم ، فقبضها بختيار وأخرجها في مصالح نفسه وبطلت الغزاة وشاع أن الخليفة صودر .

ذكر مسير المعز الى مصر

وفيهما في أواخر شوال سار المعز من افريقية واستعمل عليها يوسف بلكين ابن زيري بن مناد الصنهاجي وجعل على صقلية أبا القاسم علي بن الحسن بن علي بن أبي الحسين ، وعلى طرابلس الغرب عبد الله بن يحلف الكتامي ، واستصحب المعز معه أهله وخزائمه العظيمة وفيها دنانير مثل الطواحين ، ولما وصل برقة قتل معه محمد بن هانيء الشاعر الأندلسي غيلة لا يدري من قتله وكان مجيداً ، وغالى في مدح المعز حتى كفر ، فمما قاله :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

قلت : ابن هانيء عند المغاربة كالمثنيبي عند المشارقة ، وكان أبو العلاء المعري إذا سمع شعر ابن هانيء يقول : ما أشبهه إلا برحا تطحن قروناً أي تسمع قعقة ولا طائل تحتها . وله :

هل من أعقة عالج يبرين أم منها بقر الحدوج العين
ولمن ليال ما ذمنا عهدا منذ كن إلا أنهن شجون

(١) ذكر في « النجوم الزاهرة » أن أبا تغلب بن حمدان لم يكن منه في ذلك حركة ولا سعي في دفعه ، ولكنه حمل اليه (الى ملك الروم) مالا كفه به عن نفسه . فسار جماعة من أهل تلك البلاد الى بغداد مستنفرين وقاموا في الجوامع والمشاهد واستنفروا المسلمين وذكروا ما فعله الروم من النهب والقتل والأسر والسبي .

المشركات كأنهن كواكب والناعمات كأنهن غصون

والله أعلم .

ثم سار المعز حتى وصل الاسكندرية في أواخر شعبان سنة اثنتين وستين
وثلاثمائة ، وأتاه أعيان مصر فلقبهم وأكرمهم ، ودخل القاهرة خامس شهر
رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة .

قلت : وذكر ابن المذهب المعري في تاريخه : ان المعز ورد إلى مصر في سنة
ستين وثلاثمائة ، قال : وكان عادلاً منصفاً ومن جملة عدله : أن امرأة الاخشيدي
أودعت عند يهودي بدنة منسوجة بالدر جعلتها في جرة نحاس ، فلما زالت
المملكة عنهم جردها اليهودي فتنازلت معه إلى أن يعطيها شيئاً قليلاً منها فلم
يفعل ، فجاءت إلى المعز فأجلسها على كرسي فشكت حالها مع اليهودي فأحضره
وعاقبه بأنواع العقوبة فلم يقر ، فلما خشي عليه الهلاك أمر من يقلع داره من
الأساس فوجدت الجرة فيها البدنة في مغارة من الدار ، فاجتهدت بالمعز أن يأخذ
البدنة هدية فلم يفعل ، والله أعلم .

وفيها تم الصلح بين منصور بن نوح الساماني صاحب خراسان وبين ركن
الدولة بن بويه على أن يحمل ركن الدولة إليه كل سنة مائة ألف دينار وخمسين
ألف دينار ، وتزوج منصور بابنة عضد الدولة . وفيها ملك أبو تغلب بن ناصر
الدولة بن حمدان قلعة ماردين سلمها إليه نائب أخيه حمدان فأخذ ما لأخيه فيها
من مال وسلاح .

سنة اثنتين وستين وثلاثمائة :

وفيها وصل الدمستق إلى جهة ميفارقين فنهب واستهان بالمسلمين ، فجهز
أبو تغلب بن ناصر الدولة أخاه هبة الله في جيش فكسر الدمستق وأسر ومرض
وعالجه أبو تغلب فلم يفد ومات محبوساً . وفيها استوزر بختيار محمد بن بقية ،

فمجبب الناس لكونه وضيعاً من أوانا وأبوه زراع^(١) . وفيها حصلت الوحشة بين بختيار وبين أصحابه من الديلم والأتراك .

سنة ثلاث وستين وثلاثمائة :

ذكر خلع المطيع وخلافة الطائع لله

وفيها تقوى سبكتكين التركي ببغداد ونهب دار بختيار وكان غائباً في الأهواز ، ورأى سبكتكين المطيع عاجزاً من المرض وقد ثقل لسانه وكان يستر ذلك حتى انكشف وأشار عليه بخلع نفسه وولاية ابنه الطائع فأجاب ، وخلع المطيع نفسه في نصف ذي القعدة ، وخلافته تسع وعشرون سنة وخمسة أشهر غير أيام . وبويع الطائع لله وهو رابع عشرهم أبو بكر عبد الكريم بن المفضل المطيع لله بن جعفر المقتدر بن المعتضد أحمد .

وفيها جرت حروب بين المعز وبين القرامطة ، ثم انهزمت القرامطة وقتل منهم خلق كثير وأرسل في أثرهم عشرة آلاف ، فسارت القرامطة إلى الأحساء والقطيف ، ثم أرسل المعز القائد ظالم بن مرهوب العقيلي إلى دمشق فعظم وكثرت جموعه ، ثم وقع بينه وبين أهل دمشق فتن دامت إلى سنة أربع وستين وثلاثمائة وأحرق بعض دمشق .

ذكر وفاة المطيع وسبكتكين : وفيها انحدر سبكتكين بالطائع والمطيع مخلوعاً بالأتراك إلى واسط فمات المطيع بدير العاقول ومات سبكتكين أيضاً فحملا إلى بغداد ، وقدّم الأتراك عليهم افتكين أكبرهم ، وقاربوا واسط وبها

(١) كان قريباً من بختيار ، وكان يتولى له الطبخ ويقدم إليه الطعام ومنديل الخوان على كتفه إلى ان استوزر . وحبس الوزير أبو الفضل فمات عن قريب ، وقيل مات مسموماً . وكان في ولايته مضيعاً لجانب الله - الكامل ص ٥٠ ج ٧ .

بختيار فقاتلهم نحو خمسين يوماً والظفر للأتراك ، وأرسل بختيار إلى ابن عمه
عضد الدولة بفارس متتابعة بالإسراع إليه وكتب إليه البيت المشهور :

فإن كنت ما كولا فكن خيرا كل وإلا فأدر كني ولما أمزق

فسار عضد الدولة إليه ، وخرجت السنة والحال كذلك. وفيها انتهى تاريخ
ثابت بن قررة وابتدأؤه من خلافة المقتدر سنة خمس وتسعين ومائتين .

سنة أربع وستين وثلثمائة :

عزل بختيار ثم عودته

وفيها سار عضد الدولة بعساكر فارس لما ذكرناه وقارب واسط فرجع
افتكين والأتراك إلى بغداد ، وسار عضد الدولة من الجانب الشرقي وأمر بختيار
أن يسير من الجانب الغربي إلى بغداد ، وخرجت الأتراك من بغداد وقاتلوا عضد
الدولة فهزمهم وقتل منهم كثيراً في رابع عشر جمادى منها ودخل بغداد ،
وكانوا قد أخذوا الخليفة معهم إلى واسط فرده عضد الدولة إلى بغداد ، فوصل
الخليفة في الماء ثامن رجب منها . ولما استقر عضد الدولة ببغداد شغبت الجند
على بختيار يطلبون أرزاقهم ولا مال معه ، فأمره عضد الدولة فاستعفى من
الإمرة عجزاً وأغلق بابه وصرف كتابه وحجابه وأشهد عضد الدولة عليه
بذلك ، ثم قبض عضد الدولة على بختيار وإخوته في السادس والعشرين من
جمادى ، واستقر عضد الدولة ببغداد وعظم الخليفة وحمل إليه مالا عظيماً .

وكان المرزبان بن بختيار متولياً بالبصرة ، ولما بلغه قبض والده كتب إلى ركن
الدولة جده يشكو ذلك ، فألقى ركن الدولة نفسه إلى الأرض وترك الطعام حتى
مرض وأنكر على عضد الدولة عظيماً ، فأرسل عضد الدولة يسأل أباه في أن
يعوض بختيار ببعض فارس فأراد ركن الدولة قتل الرسول وتهده بالمسير إليه

إن لم يعد بختيار إلى ملكه (١) ، فاضطر عضد الدولة إلى إخراج بختيار من الحبس وأعادته إلى ملكه ورجع إلى فارس في شوال منها .

ذكر استيلاء أفتكين على دمشق ثم هزيمته

وفيها انهزم أفتكين (٢) التركي مولى معز الدولة من بختيار عند قدوم عضد الدولة حسبا ذكرنا ، وسار إلى حمص ثم إلى دمشق وأميرها زبان الخادم عن المعز العلوي ، فاتفق أفتكين مع الدماشقة وأخرجوا زبان وقطعوا خطبة المعز في شعبان وولوا أفتكين ، فعزم المعز على قتاله فاتفق موت المعز كما سيأتي ، وتولى ابنه العزيز فجهز القائد جوهرأ فحضر أفتكين بدمشق ، فاستنجد أفتكين بالقرامطة ، فلما قربوا رحل جوهر إلى جهة مصر فتبعه أفتكين والقرامطة وتبعهم خلق فلحقوا جوهرأ قرب الرملة فدخل عسقلان ضعفاً عنهم فحصره ، فعابن الهلاك هو وأصحابه من الجوع فبذل لأفتكين أموالاً ليعنّ عليه ويطلقه فرحل أفتكين عنه .

وسار جوهر إلى مصر وأعلم العزيز بالحال ، فسار العزيز بنفسه إلى الشام ووصل الرملة فقاتله أفتكين والقرامطة قتالاً شديداً فنصر العزيز وقتل وأسر كثيراً وجعل لمن يحضر أفتكين مائة الف دينار ، وطلب أفتكين في هزيمته بيت صاحبه مفرج بن دغفل الطائي ، فأسره مفرج في بيته وأعلم العزيز به ، فأعطاه الجمل وأحضر أفتكين فأطلقه العزيز وأطلق أصحابه وأنعم عليه

(١) وردت هذه الحادثة مفصلة في «تجارب الأمم» وفي «النجوم الزاهرة» ، وفي «الكامل» لابن الأثير .

(٢) في الكامل لابن الأثير «الفتكين» ، وفي النجوم الزاهرة «أفتكين» ، كما ذكرها أبو الفداء .

وصحبه إلى مصر وبقي عنده بمصر معظماً حتى مات بها (١) .

سنة خمس وستين وثلثمائة :

ذكر وفاة المعز وولاية العزيز

وفيهما توفي المعز لدين الله أبو تميم العلوي الحسيني بمصر في سابع عشر جمادى الأولى ، وولد بالمهدية حادي عشر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمائة فعمره خمس وأربعون سنة وستة أشهر تقريباً ، وكان فاضلاً لكن كان يعمل بأقوال المنجمين (٢) وأخفى العزيز موته وأظهره في عيد النحر منها وبايعه الناس .

وفيهما أو في تلوها فتح أبو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي الحسين أمير صقلية مدينة مسينا ثم كنته وقلعة جلوى ، وبث سراياه في نواحي فلوريه وغنم وسبى . وفيها خطب للعزيز بمكة ، وتوفي ثابت بن سنان بن قره الصابي . وفيها أو في تلوها توفي أبو بكر محمد بن علي بن اسماعيل القفال الشاشي الشافعي ، لم يكن وراء النهر في عصره مثله ، رحل إلى العراق والشام والحجاز وأخذ الفقه

(١) قال ابن الأثير في الكامل : « ولما عاد العزيز إلى مصر أنزل الفتكين عند قصره وزاد أمره وتحكم فتكبر على وزيره يعقوب بن كلس ، وترك الركوب إليه فصار بينها عداوة متأكدة فوضع عليه من سقاء سما ، فمات . فحزن عليه العزيز واتهم الوزير فحبسه نيفاً وأربعين يوماً وأخذ منه خمسمائة الف دينار . ثم وقفت أمور دولة العزيز باعتزال الوزير فخلع عليه وأعادته إلى وزارته .

(٢) هو أبو تميم معد بن المنصور اسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهدي عبيد الله العبيدي الفاطمي المغربي الملقب بالمعز لدين الله ، والذي تنسب إليه القاهرة المعزية - ذكره ابن تغري بردي في « النجوم الزاهرة » .

كما ذكر ابن خلكان : هو أول خليفة كان بمصر من بني عبيد .

كما ذكر عبد الجبار البصري - الكامل ج ٧ ص ٦٧ - سبب قدومه إلى مصر ، قال : وكان السبب في مجيئه إلى مصر أن الروم كانوا قد استولوا على الشام والثغور ، وبلغه أن بني بويه قد غلبوا بني العباس ، فاشتد طمعه في البلاد ، وكان له بمصر شيعة فكاتبوه ...

عن ابن سريج وروى عن الطبري ، وروى عنه الحاكم بن مندة وكثير ، والتقريب الذي ينقل عنه في النهاية والوسيط والبسيط ، وذكره الغزالي في الباب الثاني من كتاب الرهن ، هو تصنيف القاسم بن القفال المذكور لكن قال الغزالي : أبو القاسم ، وهو سهو ، وهذا غير تقريب سليم الرازي . والشاشي : نسبة إلى مدينة شاش وراء نهر سيحون ، والقفال غير أبي بكر الشاشي صاحب العمدة والمستظهري .

وفاة ركن الدولة وملك عضد الدولة

وفيها في المحرم توفي ركن الدولة الحسن بن بويه ، واستخلف على ممالكة ابنه عضد الدولة وعمر عضد الدولة فوق سبعين وإمارته أربع وأربعون ، ولقد أصيب به الدين والدنيا لاستكمال خلال الخير فيه ، وعقد لابنه فخر الدولة على همدان وأعمال الجبل ، ولابنه مؤيد الدولة على أصبهان وجعلها تحت حكم عضد الدولة . وفيها سار عضد الدولة بعد وفاة والده إلى العراق ، فخرج بختيار وقاتله بالأهواز وخامر أكثر عسكر بختيار عليه ، فانهزم بختيار إلى واسط وبعث عضد الدولة عسكراً استولى على البصرة ، ثم سار بختيار إلى بغداد وسار عضد الدولة إلى نواحي البصرة وقررها ، واستمر الحال كذلك حتى خرجت السنة .

دولة آل سبكتكين

وفيها ابتداء دولة آل سبكتكين بغزنة ، كان سبكتكين من غلمان أبي اسحاق بن التكين صاحب جيش غزنة السامانية وقدمه لعقله وشجاعته ، فلما مات أبو اسحاق عن غير ولد ولي العسكر سبكتكين لكاله ، فعظم وغزا الهند واستولى على بست وقصدار . وفيها مات منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن اسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان صاحب خراسان وما وراء النهر في نصف شوال ببخارى وولايته نحو خمس عشرة سنة . وولي بعده ابنه نوح وعمره نحو

ثلاث عشرة سنة . وفيها مات قاضي قضاة الأندلس منذر بن سعيد البلوطي فقيه، خطيب شاعر ذو دين متين . وفيها قبض عضد الدولة على أبي الفتح بن العميد وزير أبي عضد الدولة وسمل إحدى عينيه وقطع أنفه ، وكان أبو الفتح ليلة قبض قد هياً مجلساً للأنس والندماء والآلات الذهبية والطيب وشربوا ، وعمل شعراً غني له به وهو :

دعوت المنى ودعوت العلى فلما أجابا دعوت القدح
وقلت لأيام شرح الشباب إليّ فهذا أوان الفرح
إذا بلغ المرء آماله فليس له بعدها مقترح

فقبض عليه من سحر تلك الليلة .

ذكر وفاة صاحب الأندلس

وفيها توفي الحكم بن عبد الرحمن الأموي ^(١) صاحب الأندلس وإمارته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وعمره ثلاث وستون سنة وسبعة أشهر ، كان فقيهاً عالماً بالتاريخ وغيره . وبويع بعده ابنه المؤيد هشام وهو ابن عشر سنين ، وتولى حجبته وتنفيذ أمره أبو عامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر محمد بن الوليد بن مزيد المعافري القحطاني وتلقب أبو عامر المنصور واستبد بالأمر ومنع أحداً أن يرى المؤيد . وأصل أبي عامر من الجزيرة الخضراء من الأندلس من قرية طوشر ، واشتغل بالعلوم في قرطبة ، وكان شريف النفس فبلغ معالي الأمور وجمع الفضلاء وبلغت غزواته نيفاً وخمسين ، ومن نادر الاتفاق : أن صاعد بن الحسن اللغوي أهدى إليه أيلاً مربوطاً بجبل وامتدح المنصور بأبيات ، وكان المنصور قد أرسل عسكرياً لغزو الفرنج واسم ملكهم إذ ذاك غرسيه بن شانجه ، ومن جملة الأبيات :

(١) الحكم أو (الحاكم) بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن المستنصر بالله الأموي صاحب الأندلس. هذا وقد ذكر ابن الاثير في الكامل وفاته في حوادث سنة ٣٦٦ . كما ذكر أيضاً (ابتداء دولة آل سبكتكين) في نفس السنة ، ولم يذكرها في حوادث ٣٦٥ .

عبد نشلت بضبعه وغرسته في نعمة أهدى إليك بأيل
سميته غرسية وبعثته في حبله لبتاح فيه تفألي
فلئن قبلت فتلك أسنى نعمة أسدى بها ذي منحة وتطول

فأحضر العسكر غرسية أسيراً ذلك اليوم ، وبقي المنصور على منزلته حتى
توفي وسيأتي .

وفيها عاد شريف إلى ملك حلب ، فإنه وصل إلى شريف بن سيف الدولة
وهو بجماه بارقطاش مولى أبيه من حصن برزويه وخدمه وعمر له حمص بعد
خراب الروم وتقوى بكجور مولى قرعويه ونائبه وقبض على قرعويه بحلب
وحبس بالقلعة واستولى على حلب ، فكاتب أهلها أبا المعالي شريفاً فجاءهم وأنزل
بكجور بالأمان وولاه حمص واستقر أبو المعالي بحلب . وفيها توفي بهستون بن
وشمكير بجرجان ، واستولى عليها وعلى طبرستان أخوه قابوس . وفيها توفي
يوسف بن الحسن الجنابي القرمطي صاحب هجر ومولده سنة ثمانين ومائتين ،
وولي بعده ستة نفر شركة وسموا السادة .

سنة ست وستين وثلثائة :

وفيها خرج يانس بن شمشقيق ملك الروم في جيوش عظيمة من النصرانية
كان جناح الجيوش في عقاب الروج والآخر في الغرزل من علاة معرة النعمان ونزل
على أفاميه ، ثم رحل ففتح بعلبك وأسر أهلها وكانوا تحصنوا في الملعب ، وحاصر
طرابلس ثم انصرف عنها . وفيها مات يانس ملك الروم بين اللاذقية وانطاكية
بالسم ، سمته زوجته يفاثوا خافته على ولديها من أرمانوس قبل تقفور فأرسلت
إليه سقية كما تقدم . وفيها ولي الروم الملك بسيل .

سنة سبع وستين وثلثائة :

ذكر مقتل بختيار

وفيها استولى عضد الدولة على العراق وغيره ، وخلع على بختيار ووعدته

بأي ولاية أراد ، وقتل عضد الدولة ابن ببيعة وزير بختيار وصلبه ، ورتاه أبو الحسن الأنباري بقصيدة منها :

علو في الحياة وفي الممات لحق أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا وفود نذاك أيام الصلات
مددت يديك نحوهم اقتفاءً كمدتها إليهم في الهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن يضم علاك من بعد الممات
أصاروا الجوّ قبرك واستنابوا عن الأكفان ثوب السافيات
لعظمتك في النفوس تبيت ترعى بحراس وحفاظ ثقات
وتشعل عندك النيران ليلاً كذلك كنت أيام الحياة

ثم سار بختيار نحو الشام ومعه حمدان بن ناصر الدولة وأطمعه حمدان في ملك الموصل من أخيه أبي تغلب ، فأرسل أبو تغلب يقول لبختيار : إن سلمت إليّ أخي حمدان قاتلت معك أخاك عضد الدولة ، ففدر بختيار بحمدان وسلمه إلى أخيه أبي تغلب فحبسه . وسار أبو تغلب بعساكره مع بختيار نحو عضد الدولة ، فخرج من بغداد نحوها والتقوا بقصر الجص من نواحي تكريت ثامن عشر شوال منها فهزمها عضد الدولة وأمسك بختيار فقتله (١) ثم قصد الموصل فملكها . وهرب أبو تغلب إلى ميفارقين ، فأرسل عضد الدولة في طلبه جيشاً إلى ميفارقين فهرب أبو تغلب إلى بدليس ، وتبعه العسكر فهرب نحو الروم فلحقه العسكر واقتتلوا ، فنصر أبو تغلب وسار إلى حصن زياد ويعرف الآن بخيرت برت ، ثم إلى آمد وأقام بها . (خرت برت تسمى الآن خربوت والعامّة تقول خربوط) .

(١) ذكر ابن الاثير في الكامل ، أن عضد الدولة هزم بختيار وأبي تغلب بنواحي تكريت وأسر بختيار ولم يأذن له بالدخول عليه ، ثم أشار عليه أبو الوفاء طاهر بن ابراهيم بقتله ، فقتله . وذكر ابن مسكويه ، أن عضد الدولة دهش عندما أشار عليه أبو الوفاء بقتله ، فألح عليه ، وخوفه من الابقاء عليه ، وقال له « ما تنتظر به ، أن يعود ثانياً ، والى متى يثير علينا الفتن التي لعلنا نكون من صرعاة في بعضها ، افرغ منه » . فرفع عضد الدولة يده الى عينه يمسحها من الدموع وقال : أنتم أعلم . فبادر الحاجب الى بختيار واحتز رأسه ..

وفيهما توفي محمد بن عبد الرحمن بن قريعة البغدادي قاضي السندية^(١) وغيرها من أعمال بغداد من عجائب الدنيا في سرعة البديهة يجيب عن كل ما يسأل عنه بأفصح لفظ وأملح سجع ، اختص بصحبة الوزير المهلبى وكان الرؤساء يلاعبونه بالمسائل المضحكة فيجيب بلا توقف ، كتب اليه بعضهم : ما يقول القاضي وفقه الله في يهودي زنا بنصرانية فولدت ولداً جسمه للبشر ووجهه للبقر وقد قبض عليها ؟ فكتب سريعاً : هذا من أعدل الشهود على اليهود بأنهم أشربوا العجل في صدورهم فخرج من أيورهم وأرى أن يناط باليهودي رأس العجل ويصلب على عنق النصرانية الساق مع الرجل ويسحبها على الأرض وينادى عليها : ظلمات بعضها فوق بعض والسلام .

سنة ثمان وستين وثلثائة :

وفيهما فتح أبو الوفاء مقدم عسكر عضد الدولة ميفارقين بالأمان ، وسمع أبو تغلب بفتحها فسار عن آمد نحو الرحبة ثم سار عسكر عضد الدولة مع أبي الوفاء ففتحوا آمد واستولى عضد الدولة على ديار بكر ، ثم على ديار مضر والرحبة ، ثم استخلف أبا الوفاء على الموصل وعاد إلى بغداد . أما أبو تغلب فسار إلى دمشق ، وكان قد تغلب على دمشق قسام وهو شخص كان يثق إليه أفتكين ويقدمه فاستولى قسام على دمشق وكان يخطب بها للمعز بن صاحب مصر ، فلما وصل أبو تغلب إلى دمشق قاتله قسام ومنعه من دمشق فسار أبو تغلب إلى طبرية .

وفيهما توفي القاضي أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي شارح كتاب سيبويه فاضل فقيه نحوي منطقي مهندس وعمره أربع وثمانون سنة ، وولي بعده أبو محمد معروف الحكم بالجانب الشرقي من بغداد .

(١) السندية قرية على نهر عيسى بين بغداد والأنبار ، النسبة اليها سندواني فرقاً بينها وبين بلاد السند .

قلت : قرأ السيرافي القرآن على أبي بكر بن مجاهد واللغة على ابن دريد
والنحو على ابن السراج وكان يقريء عدة فنون ، وكان معتزلياً ولم يظهر منه
شيء ، نزهة عفيفاً يأكل من نسخ يده ، وكان كثيراً ما ينشد :

أسكن إلى سكن تسرّ به ذهب الزمان وأنت منفرد
ترجو غداً وغد كحاملة في الحي لا يدرون ما تلد

وكان بينه وبين أبي الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني ما جرت العادة به بين
الفضلاء من التنافس ، فقال فيه أبو الفرج :

لست صدراً ولا قرأت على صدر ولا علمك البكي بشافي
لعن الله كل نحو وشعر وعروض يجيء من سيراف

والله أعلم .

سنة تسع وستين وثلثمائة :

ذكر مقتل أبي تغلب

وفيها سار أبو تغلب (١) من طبرية حسبا ذكرونا إلى الرملة في المحرم منها ،
وهناك دغفل بن مفرج الطائي والفضل بن قواد العزيز في عسكر جهزه العزيز إلى
الشام ، فساروا لقتال أبي تغلب وليس معه سوى سبعمائة رجل من غلمان وغلمان
أبيه ، فانهزم أبو تغلب وتبعوه وأسروه فقتله دغفل وبعث برأسه إلى العزيز
بمصر ، وكان معه أخته جميلة وزوجته بنت عمه سيف الدولة فحملها بنو عقيل
إلى حلب وبها ابن سيف الدولة ، فترك أخته عنده وأرسل جميلة بنت ناصر
الدولة إلى بغداد فاعتقلت في حجرة في دار عضد الدولة .

(١) هو أبو تغلب فضل الله بن ناصر الدولة بن حمدان .

وفيها توفي عمران بن شاهين صاحب البطيحة في المحرم فجأة ، كان من أهل الجامدة فجنى جنایات وخاف من السلطان فهرب إلى البطيحة وأقام بين التصب والآجام يأكل من السمك وطيور يتصيدا ، فاجتمع اليه صيادون ولصوص ، فاستفعل أمره واتخذ له معاقل على التلال بالبطيحة وغلب على تلك النواحي سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة في أيام معز الدولة ، فأرسل معز الدولة لقتاله عسكرياً مرات فلم يظفر به ومات معز الدولة وعسكره محاصر عمران ، وقولى بختيار فأمر برجوع العسكر عنه ، ثم جرت بينها حروب فلم يظفر بختيار به . ولما مات عمران ولي مكانه ابنه الحسن ، قطع فيه عضد الدولة وأرسل اليه عسكرياً ثم صالحه على مال يحمله لعضد الدولة كل سنة .

وفيها سار عضد الدولة إلى بلاد أخيه فخر الدولة علي لوحشة جرت بينها ، فهرب منه ولحق بشمس المعالي قابوس بن وشمكير فأكرمه غاية ، وملك عضد الدولة بلاد أخيه فخر الدولة وهي همدان والري وما بينها ، ثم سار إلى بلاد حسنويه الكردي فاستولى عليها ، ولحق عضد الدولة في هذا السفر صرع فكتمه وكثر نسيانه فلا يذكر الشيء إلا بعد جهد وكم ذلك أيضاً . قلت :

مواظظ الدهر لأبنائه ما عجب من مفهوم ومنطوق
كم طامع من دهره بالصفاء والدهر لا يصفو لمخلوق

والله أعلم .

وفيها أرسل عضد الدولة جيشاً إلى الأكراد الهكارية من عمل الموصل فأوقع بهم وحاصرهم ، فتركوا قلاعهم ونزلوا مع العسكر إلى الموصل (١) . وفيها تزوج

(١) جاء الخبر في الكامل لابن الاثير بتفصيل أكثر ، قال : ان جيش عضد الدولة حاصرهم في قلاعهم ، وطال الحصار ، وكان الاكراد ينتظرون نزول الثلج لترحل العساكر ، فقدر الله تعالى ان الثلج تأخر نزوله في تلك السنة ، فطلبوا الأمان وأجيبوا فسلموا قلاعهم ونزلوا مع العسكر الى الموصل ، فلم يفارقوا القلاع غير يوم واحد حتى نزل الثلج . ثم ان مقدم الجيش غدر بهم وصلبهم على جانبي الطريق . وكف الله شرهم عن الناس .

الطائع ابنة عضد الدولة . قلت : وفيها زاد سعد الدولة أبو المعالي بن سيف الدولة الأذان حيّ على خير العمل ومحمد وعلي خير البشر . وفيها توفي ثابت بن ابراهيم الحراني الحاذق في الطب .

سنة سبعين وثلثانة :

وفيها توفي الأحذب المزور كتب على خطوط الناس فلا يشك المكتوب عنه أنه خطه ، وكان عضد الدولة يوقع بخطه بين الملوك الذين يريد الإيقاع بينهم بما يقتضيه الحال . وفيها ورد على عضد الدولة من اليمن هدية فيها قطعة عنبر وزنها ستة وخمسون رطلاً بالبغدادية . وفيها توفي الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد ابن الأزهر بن طلحة اللغوي الفقيه الشافعي ، له التهذيب عشر مجلدات وغيره ، ومولده سنة اثنتين وثمانين ومائتين .

سنة احدى وسبعين وثلثانة :

وفيها استولى عضد الدولة على بلاد جرجان وطبرستان وأجلى عنها قابوس ومعه فخر الدولة أخو عضد الدولة لأنه طلب منه أخاه فلم يسلمه اليه . وفيها قبض عضد الدولة على القاضي المحسن بن علي التنوخي الحنفي وكان يطلق لسانه في الشافعي رحمة الله عليه . وفيها أطلق عضد الدولة أبا اسحاق الصابي وكان قبض عليه سنة سبع وستين بسبب أنه كان ينصح في المكاتبات لخدمته بمختيار . قلت : وهذا عجيب :

فليس نصح الفق لصاحبه من الصفات التي يذم بها

والله أعلم .

وفيها أرسل عضد الدولة القاضي أبا بكر محمد بن الطيب الأشعري بن الباقلاني إلى ملك الروم في جواب رسالة . وفيها توفي أبو بكر أحمد بن ابراهيم ابن اسماعيل الإسماعيلي الفقيه الشافعي الجرجاني ، والإمام محمد بن أحمد بن

عبد الله الفقيه الشافعي المروزي عالم بالحديث وغيره وروى صحيح البخاري عن الفربري (١) .

قلت : وفيها قبض عضد الدولة على جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان لما عادت من الرملة بعد قتل أخيها أبي تغلب ونادى عليها وهي على جبل : هذه قبيحة أخت أبي مغلوب ، وغرقها في دجلة . والله أعلم .

سنة اثنتين وسبعين وثلثائة :

وفيها بعث العزيز بالله من مصر جيشاً مع بكتكين إلى الشام فوصل فلسطين وقد استولى عليها مفرج بن الجراح فاقتتلوا فانهزم ابن الجراح ثم سار بكتكين إلى دمشق فقاتله قسام المتولي عليها ، فغلبه بكتكين وملك دمشق وأمسك قساماً وأرسله إلى العزيز فاستقر بدمشق وزالت منها الفتن .

ذكر وفاة عضد الدولة

وفيها في ثامن شوال توفي عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة حسن بن بويه بمعاودة الصرع مرة بعد أخرى وحمل إلى مشهد علي بن أبي طالب (رض) فدفن به ، وولايته بالعراق خمس سنين ونصف وعمره سبع وأربعون ، ولما احتضر لم ينطق لسانه إلا بتلاوة : (ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه) . وكان عاقلاً فاضلاً سائساً مهيباً ، وبنى على مدينة النبي ﷺ سوراً ، وله شعر منه أبيات منها بيت لم يفلح بعده وهي :

(١) هو شيخ الشافعية في زمانه ، وامام أهل عصره في الفقه والزهد والعبادة والورع ، سمع الحديث ، ودخل بغداد وحدث بها فسمع منه الدارقطني وغيره . كان أول أمره فقيراً ثم بسطت عليه الدنيا عند كبره وسقوط أسنانه وانقطاعه عن الجماع فقال مخاطباً لها : « لا أهلا بك ولا سهلاً . أقبلت حين لا تاب ولا نصاب ... » الكامل ج ٧ ص ١١١ .

ليس شرب الكأس إلا في المطر وغناء من جوار في السحر
غانيات سالبات للنهي ناعمات في تضاعيف الوتر
عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر

وكان محباً لأهل العلوم فقصده العلماء وصنف له الإيضاح في النحو والحجة في القراءات والملكي في الطب والتاجي في تاريخ الديلم وغير ذلك . ولما توفي بايع القواد ابنه كاليبجار المرزبان على الإمارة ولقبوه صمصام الدولة ، وكان أخوه شرف الدولة شير بك بكرمان وسمع بموت أبيه فسار وملك فارس وقطع خطبة أخيه صمصام الدولة . وفيها قتل أبو الفرج محمد بن عمران بن شاهين أخاه الحسن صاحب البطيحة واستولى عليها (١) .

سنة ثلاث وسبعين وثلثائة :

وفيها توفي مؤيد الدولة بويه بن ركن الدولة حسن بن بويه بالخوانيق ، كان قد زاده أخوه عضد الدولة على مملكة أخيها فخر الدولة ، وعاش مؤيد الدولة ثلاثاً وأربعين ، وكان أخوه فخر الدولة علي مع قابوس كما ذكرنا ، فلما مات مؤيد الدولة اتفق قواد عسكره على طاعة فخر الدولة وكتبوا اليه ، فعاد إلى ملكه والمنة لله بلا قتال وذلك في رمضان منها ، ووصلت إلى فخر الدولة الخلع من الخليفة والعهد بالولاية .

وفيها كتب بكجور مولى قرعويه الذي قبض على قرعويه وملك حلب ثم أخذها منه شريف بن سيف الدولة إلى العزيز بمصر يسأله ولاية دمشق فأجابته إلى ذلك وكتب إلى بكتكين عامله بدمشق أن يسلمها إلى بكجور ويحضر بكتكين إلى مصر ، فسلمها إلى بكجور في رجب وأساء بكجور فيها السيرة .

(١) كان سبب قتله له حسده على ولايته وعلى محبة الناس له . وقتله خداعاً وغدراً بسيفه ويده . ثم كتب إلى بغداد يطلب تقليده الولاية بعد ان بذل المال لعسكر أخيه ووعدهم بالاحسان فسكتوا وأقرره في الأمر .

وفيهما اتفق كبار عسكر عمران بن شاهين فقتلوا أبا الفرج محمد بن عمران لسوء سيرته وأقاموا أبا المعالي ابن الحسن بن شاهين صغيراً يدبر أمره المظفر بن علي الحاجب وهو أكبر قواد جده عمران ، ثم أزال المظفر الحاجب أبا المعالي وسيره وأمه إلى واسط واستقل المظفر بملك البطيحة وانقرض بيت عمران بن شاهين . وفيها في ذي الحجة توفي يوسف بن بُلَكين بن زيري أمير افريقية (١) ، وتولى ابنه المنصور وأرسل إلى المعز هدية عظيمة قيمتها ألف ألف دينار .

سنة أربع وسبعين وثلثمائة :

وفيهما ولي أبو طريف عليان بن ثمال الخفاجي حماية الكوفة وهي أول إمارة بني ثمال . وفيها توفي أبو الفتح محمد بن الحسين الموصللي الحافظ المشهور . وفيها توفي بميفارقين الخطيب أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباتة إمام في علوم الأدب ما عمل مثل خطبه ، وخطب أيضاً بحلب وبها اجتمع بالمتنبي عند سيف الدولة ، وكان الخطيب رجلاً صالحاً رأى النبي ﷺ في المنام فقال : مرحباً يا خطيب الخطباء كيف تقول كأنهم لم يكونوا للعيون قرّة ولم يعدوا في الأحياء مرة ؟ فقال الخطيب تتمتها المعروفة ، فأدناه رسول الله ﷺ وتقل في فيه ، فبقي بعدها ثلاثة أيام لم يطعم طعاماً ولا يشتهيهِ ويوجد من فيه مثل رائحة المسك ولم يعيش بعدها إلا يسيراً . ومولده سنة خمس وثلاثين وثلثمائة .

سنة خمس وسبعين وثلثمائة :

هزيمة القرامطة وضعف شأنهم

وفيهما قصدت القرامطة الكوفة مع نفرين من الستة الذين تسموا بالسادة

(١) هو الذي استخلفه المعز بن المنصور العبدي على افريقية عند توجهه الى الديار المصرية. وكان فيما أوصاه به قبل سفره: إن نسيت ما أوصيتك به فلا تنس ثلاثة أشياء : إياك أنت ترفع الجباية عن أهل البادية ، والسيف عن البربر ، ولا تول أحداً من اخوتك وبني عمك فانهم يرون انهم أحق منك بهذا الامر .

فملكوها ونهبوا ، فجهز صمصام الدولة اليهم جيشاً فانهم القرامطة و كثر القتل فيهم وانخرقت هيبتهم (١) . وحكى ابن الأثير (والعهدة على الناقل) : أنه خرج في هذه السنة من البحر بعمان طائر أكبر من الفيل ووقف على تل هناك وصاح بصوت عال ولسان فصيح : قد قرب ، قالها ثلاث مرات ثم غاص في البحر ، فعل ذلك ثلاثة أيام ولم ير بعد ذلك .

سنة ست وسبعين وثلثائة :

وفيها سار شرف الدولة شير بك بن عضد الدولة من الأهواز فملك واسط ، وأشار أصحاب صمصام الدولة عليه بالمسير إلى الموصل أو غيرها فأبى وركب بخواصه وحضر عند أخيه شرف الدولة مستأمناً فلقية وطيب قلبه ، فلما خرج من عنده غدر به شرف الدولة وقبض عليه وسار حتى دخل بغداد في رمضان وصمصام الدولة معتقل معه ، وكانت إمارة صمصام الدولة ببغداد ثلاث سنين ، ثم اعتقله بقلعة بفارس . وفيها توفي المظفر الحاجب صاحب البطيخة ، ووليها ابن أخيه أبو الحسن علي بن نصر بعهد من المظفر ووصل تقليده من بغداد ولقب مهذب الدولة فأحسن وساس .

وفيها توفي ببغداد أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي صاحب الإيضاح وقد جاوز التسعين ، وقيل : كان معتزلياً ، ولد في مدينة فسا واشتغل ببغداد وأقام مدة بجلب عند سيف الدولة ، ثم أقام بفارس وصاحب عضد الدولة ، وله التذكرة وكتاب المقصور والمدود والحجة في القراءات والعوامل المائة والمسائل الحلييات . قلت : وكان أبو علي يغبط من يقول الشعر وقال : ما أعلم ان لي شعراً إلا ثلاثة أبيات في الشيب وهي قولي :

(١) ذكر ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ٣٧٨ ، ان انساناً يعرف بالأصفر من بني المنتفق جمع جمعاً كثيراً وكان بينه وبين القرامطة وقعة شديدة هزمهم فيها وأسر كثيراً منهم ، ثم سار إلى الأحساء ثم القطيف فأخذ كل ما فيها من عبيدهم وأموالهم ومواشيهم وعاد بها إلى البصرة .

خضبت الشيب لما كان عيباً وخضب الشيب أولى أن يعابا
ولم أخضب مخافة هجر خلٍ ولا عيباً خشيت ولا عتابا
ولكن المشيب بدا ذمياً فصبرت الخضاب له عقابا

قلت : وقد ذكرت بهذا بيتين لي في الشيب وهما :

بالله يا معشر أصحابي اغتتموا فضلي وآدابي
فالشيب قد حلّ برأسي وقد أقسم لا يرحل إلا بي

وبيتين لي أيضاً فيه وهما :

الشيب سوط عذاب هام النساء بقذفه
يكفي مشيبي عيباً اني رضيت بنتفه

والله أعلم .

سنة سبع وسبعين وسنة ثمان وسبعين وثلثمائة :

وفيها سير العزيز عسكرياً مع القائد منير الخادم إلى دمشق ليعزل بكجور عنها (١) ويتولاها ، فقاتله عند داريا فانهزم بكجور ودخل البلد وطلب الأمان فأمنه فسار بكجور إلى الرقة فاستولى عليها ، وأحسن منبر السيرة بدمشق .
وفيها في المحرم أهدى الصاحب بن عباد إلى فخرالدولة علي بن ركن الدولة حسن ديناراً وزنه ألف مثقال مكتوباً عليه :

وأحمر يحكي الشمس شكلاً وصورة فأوصافها مشتقة من صفاته
فإن قيل دينار فقد صدق اسمه وإن قيل ألف فهو بعض سماته
بديع ولم يطبع على الدهر مثله ولا ضربت أضرابه لسراته

(١) سبب ذلك انه أساء السيرة في دمشق وفعل الأعمال الذميمة . وكان الوزير يعقوب بن كلس منحرفاً عنه يسيء الرأي فيه فقبح ذكره عند العزيز بالله .

وصار إلى شاهان شاه انتسابه على أنه مستصفر لعفاته
يخبر أن يبقى سنيماً كوزنه لتستبشر الدنيا بطول حياته
وفيها توفي أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد بن اسحاق الحاكم النيسابوري
ذو التصانيف .

سنة تسع وسبعين وثلاثمائة :

وفيها أرسل شرف الدولة محمد الشيرازي الفراهي فسلم عيني أخيه صمصام
الدولة في القلعة التي حبس بها . وفيها في مستهل جمادى الآخرة توفي الملك
شرف الدولة شير بك بالاستسقاء ودفن بمشهد علي رضي الله عنه ، وإمارته
بالعراق سنتان وثمانية أشهر وعمره ثمان وعشرون سنة وخمسة أشهر ، فاستقر
موضعه أخوه أبو نصر بهاء الدولة واسمه خاشاذ وخلع عليه الطائع
وقلده السلطنة .

ذكر الفتنة بين الأتراك والديلم في بغداد

وفيها افتتن الأتراك والديلم واقتتلوا خمسة أيام وبهاء الدولة في داره يرأسهم
في الصلح ، وبعد اثني عشر يوماً صار بهاء الدولة مع الأتراك فأجاب الديلم إلى
الصلح ، ومنها أخذت الأتراك في القوة والديلم في الضعف . وفيها هرب
أبو العباس القادر أحمد بن الأمير اسحاق بن المقتدر إلى البطيحة فاحتفى فيها ،
وسببه : ان الأمير اسحاق والده لما توفي جرى بين ابنه أحمد المسمى فيما بعد
بالقادر وبين أخت له منازعة على ضيعة ، وكان الطائع قد مرض وشفى فسمعت
بأخيها إلى الطائع وقالت : إن أخي شرع في طلب الخلافة عند مرضك فتغير
عليه الطائع وأرسل ليقبضه فهرب ، فأكرمه مذهب الدولة صاحب البطيحة .

وفيها استأذن أبو طاهر ابراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنسا ناصر الدولة ابن
حمدان بهاء الدولة في المسير إلى الموصل وكانا قبله في خدمة أخيه شرف الدولة ابن

عضد الدولة فأذن لها بهاء الدولة في ذلك ، فسارا إلى الموصل فقاتلها العامل بها ،
 واجتمع اليها المواصلة فطردا العامل واستقرا بالموصل . وفيها توفي محمد بن أحمد
 ابن العباس السلمي النقاش من متكلمي الأشعرية .

سنة ثمانين وثلثمائة :

ذكر مقتل باد

وفيها طمع باد^(١) صاحب ديار بكر في ابني ناصر الدولة المذكورين فقصدهما
 وجرى بينهم قتال قتل فيه باد وحمل رأسه اليها وبادخال أبي علي بن مروان
 فسار أبو علي ابن أخته إلى حصن كيفا وبه زوجة خاله باد وأهله فقال لامرأة
 خاله : قد أنفذني خالي اليك في مهم ، فأصعدته فأعلمها بقتل خاله وأطمعها في
 التزوج بها فوافقته على ملك الحصن وغيره ، ونزل أبو علي بن مروان وملك بلاد
 خاله حصناً حصناً ، وجرى بينه وبين ابني ناصر الدولة حروب .

ابتداء دولة بني مروان

ثم مضى أبو علي بن مروان إلى مصر وتقلد من الخليفة العزيز بالله العلوي
 ولاية حلب وتلك النواحي وعاد إلى مكانه من ديار بكر ، وأقام بتلك الديار
 إلى أن اتفق بعض أهل آمد مع شيخهم عبد البر فقتلوا أبا علي المذكور عند
 خروجه من باب البلد بالسكاكين تولى قتله ابن دمنة من آمد ، واستولى عبد البر
 شيخ آمد عليها وزوج ابن دمنة بابنته ، فوثب ابن دمنة فقتل عبد البر أيضاً
 واستولى على آمد .

وكان لأبي علي أخ لقبه محمد الدولة بن مروان ، فلما قتل أبو علي سار محمد

(١) وردت في الكامل : باذ ، بالذال .

الدولة فملك ميفارقين وغيرها من بلاد أخيه ، فعمل شروة وهو من أكابر العسكر دعوة لمهد الدولة وقتله فيها ، واستولى شروة على غالب بلاد بني مروان وذلك في سنة اثنتين وأربعمائة . وكان ممهد الدولة قد حبس أخاه الآخر أبا نصر أحمد ، وكان قد حبسه أيضاً أخوه أبو علي بسبب منام وهو أنه رأى أن الشمس في حجره وقد أخذها منه أخوه أبو نصر فحبسه لذلك ، فلما قتل ممهد الدولة أخرج أبو نصر من الحبس واستولى على أرزن ، هذا كله وأبوهم مروان باق أعمى مقيم بأرزن عند قبر ولده أبي علي . ولما استقر أبو نصر خرجت البلاد عن طاعة شروة واستولى أبو نصر على سائر بلاد ديار بكر ودامت أيامه وحسنت سيرته ، وبقي كذلك من سنة اثنتين وأربعمائة إلى ثلاث وخمسين وأربعمائة وسيأتي .

ملك آل المسيب للموصل

وفيهما ملك أبو الذواد الموصل ، وهو محمد بن المسيب بن رافع بن المقداد بن جعفر أمير بني عقيل ، وقتل أبا الطاهر بن ناصر الدولة بن حمدان وأولاده وعدة من قواده بعد قتال بينهما واستقر أبو الذواد بالموصل .

سنة احدى وثمانين وثلثمائة :

ذكر القبض على الطائع لله

وفيهما قبض بهاء الدولة على الطائع لله أبي بكر عبد الكريم بن المفضل المطيع لله بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل لطمع بهاء الدولة في مال الطائع ، ولما أراد ذلك أرسل إلى الطائع وسأله الإذن ليجدد العهد به ، فجلس الطائع على كرسي ودخل بعض الديلم على صورة مقبل ليده فجذبه عن سريره والخليفة يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وحمل إلى دار بهاء الدولة وأشهد عليه بالخلع ، فخلفته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام ، ولما تولى القادر حمل إليه الطائع فبقي عنده مكرماً إلى أن توفي الطائع سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ليلة الفطر ، ومولده سنة

سبع عشرة وثلثمائة ، ولم يكن للطائع في ولايته من الحكم ما يستدل به على حاله .
وكان فيمن حضر لقبض الطائع الشريف الرضي فبادر بالخروج من دار الخلافة
وقال في ذلك أبياتاً منها (١) :

أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني يا قرب ما عاد بالضراء يبكني
هيات أغتر بالسلطان ثانية قد ضل عندي ولاج السلاطين

ذكر خلافة القادر بالله

وبويع القادر بالله أبو العباس أحمد بن الأمين اسحاق بن المقتدر بن المعتضد
وهو خامس عشرهم بالخلافة وخطب له ثالث عشر رمضان ، ولما خلع المطيع كان
القادر بالبطيحة كما تقدم فأرسل إليه بهاء الدولة خواص أصحابه ليحضره وخرج
بهاء الدولة والأعيان للالتقاء ودخل دار الخلافة ثاني عشر رمضان ، ولما توجه من
البطيحة من عند مهد الدولة حمل إليه مهذب الدولة أموالاً كثيرة .

وفيهما سار بكجور المخرج من دمشق إلى الرقة كما ذكرنا إلى قتال سعد الدولة
ابن سيف الدولة بحلب واقتتلا شديداً وهرب بكجور وأصحابه ثم أسر بكجور
وحمل إلى سعد الدولة فقتله ولقي بكجور عاقبة بغيه على مولاه . ثم سار سعد
الدولة إلى الرقة وبها أولاد بكجور وأمواله فحصرها ، فاستأمنوا فأمنهم وحلف
أن لا يتعرض اليهم ولا إلى ما لهم ، وسلموا إليه الرقة فغدر بهم وقبض على أولاد
بكجور وأخذ ما لهم الكثير . وعاد سعد الدولة إلى حلب فلحقه فالج في جانبه
اليمن ، فأحضر الطبيب ومد إليه يده اليسرى فقال الطبيب : يا مولانا هات
اليمنى ، فقال سعد الدولة : ما تركت لي اليمن يمينا ، ومات بعد ثلاثة أيام في

(١) ذكر في تجارب الأمم بيتاً من الشعر قبل هذه الأبيات :

من بعد ما كان رب الملك مبتسماً إلي أدنيه في التجوى ويدنيني

هذه السنة وعهد إلى ولده أبي الفضل وجعل مولاه لؤلؤ يدبر أمره . وفيها نازل بسيل ملك الروم حمص ففتحها ونهبها ، ثم نهب شيزر ، ثم حصر طرابلس مدة وعاد إلى الروم ^(١) . وفيها توفي القائد جوهر ^(٢) معزولاً عن وظيفته .

قلت : وفيها جاءت زلزلة عظيمة بدمشق هدمت دوراً كثيرة على أهلها وسقطت قرية دومة وملك جميع أهلها فيما ذكر ، والله أعلم .

سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة :

وفيها شغب الجند على بهاء الدولة بسبب استيلاء أبي الحسن بن المعلم على الأمور ، فسلم ابن المعلم للجند فقتلوه .

سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة :

ذكر ملك الترك بخارى

وفيها استولى بفراخان على بخارى وكان له كاشغر وبلاساغون إلى حد الصين ، فقصده بخارى وجرى بينه وبين الأمير الرضى نوح بن منصور الساماني حروب انتصر فيها بفراخان ، وخرج نوح مستخفياً فعبر النهر إلى أمل الشط وأقام نوح بها ولحق به أصحابه ، وصار يستدعي أبا علي بن سيمجور صاحب جيش خراسان فلم يأت به وعصي عليه ، ومرض بفراخان في بخارا فرجع إلى بلاده فمات في الطريق ، وكان ديناً حسن السيرة ، وبادر الأمير نوح إلى بخارى واستقر في ملك آباءه .

(١) لما بلغ الخبر إلى العزيز بمصر ، عظم عليه ونادى في الناس بالنفير لغزو الروم ، وبرز من القاهرة على رأس جيشه قاصداً بلاد الشام . انظر ص ٧١ من هذا الجزء .

(٢) هو القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الأرمني ، أصله أرمني ، كان من موالى المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي الفاطمي صاحب إفريقية .

سنة أربع وثمانين وثلثائة :

ذكر ولاية محمود بن سبكتكين خراسان

وفيهما اتفق أبو علي بن سيمجور صاحب جيش خراسان وفائق على حرب نوح ، فكتب نوح إلى سبكتكين وهو بغزنة يعلمه بالحال وولاه خراسان ، فسار سبكتكين عن غزنة ومعه ابنه محمود إلى نحو خراسان وسار نوح من بخارى ، فاجتمعوا وقصدوا ابن سيمجور وفائقاً واقتتلوا بنواحي هراة ، فانهزم ابن سيمجور وأصحابه وتبعهم عسكر نوح وسبكتكين يقتلون ، ثم استعمل نوح على خراسان محمود بن سبكتكين .

وفيهما توفي عبيد الله بن محمد بن نافع الصالح بقي سبعين سنة لا يستند إلى شيء . وأبو الحسن علي بن عيسى النحوي الرماني (١) ومولده سنة ست وسبعين ومائتين وله تفسير كبير . ومحمد بن العباس بن أحمد القزاز وكتب كثيراً وخطه حجة نقلاً وضبطاً . وأبو اسحاق ابراهيم بن هلال الكاتب الصابي وهو ابن إحدى وتسعين سنة زمن وضاعت أموره ، وكان كاتب معز الدولة ثم كتب لبختيار ، وكانت تصدر عنه مكاتبات إلى عضد الدولة تؤله فحقد عليه ، ولما ملك بغداد حبس الصابي ثم أطلقه وأمره أن يصنف له كتاباً في أخبار الدولة الديلمية فصنف الكتاب التاجي .

ونقل إلى عضد الدولة عنه أن رجلاً دخل عليه وهو يؤلف في التاجي فسأله عما يفعل ، فقال : أباطيل أنمقها وأكاذيب ألقها . فحرك ذلك حقد عضد الدولة فأبعده وحرمه . جهد معز الدولة على الصابي ليسلم فأبى ، وكان يحفظ القرآن ،

(١) هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن النحوي المعروف بالرماني . ويعرف أيضاً بالأخشيدي ، وبالوراق ، ولكنه بالرماني أشهر . وأصله من سر من رأى . كان إماماً في العربية علامة في الأدب . قال عنه أبو حيان التوحيدي : « لم ير مثله قط علماً بالنحو وغزارة بالكلام وبصراً بالمقالات واستخراجاً للعويص وإيضاحاً للمشكل » .

ورثاه الشريف الرضي فلم في ذلك فقال : إنما رثيت فضيلته . قلت : وله في
عبد له أسود كان يهواه اسمه يمن :

قد قال يمن وهو أسود للذي ببياضه استعلى علو الخاتن
ما فخر وجهك بالبياض وهل ترى أن قد أفدت به مزيد محاسن
ولو أن مني فيه خالاً زانه ولو ان منه في خالاً شائني

وله فيه :

لك وجه كأن يئناي خطته بلفظ تله آمالي
فيه معنى من البدور ولكن نفضت صبغها عليه الليالي
لم يشنك السواد بل زدت حسناً إنما يلبس السواد الموالي
فبالي أفديك إن لم تكن لي وبروحي أفديك إن كنت مالي

وأول مرثية الشريف الرضي فيه :

أرأيت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي
والله أعلم .

سنة خمس وثمانين وثلثانة :

عود أبي علي الى خراسان

وفيهما عاد أبو علي بن سيمجور إلى خراسان وقاتل محمود بن سبكتكين
وأخرجه عنها ، ثم سار سبكتكين وابنه محمود بالعساكر واقتتلوا مع أبي علي
بطوس فهزموه ، فقال بعض الشعراء عن ابن سيمجور :

عصى السلطان فابتدرت اليه رجال يقلعون أبا قبيس
وصير طوس معقله فكانت عليه طوس أشام من طويس

ثم ان أبا علي طلب الأمان من نوح فأمنه ، وجاءه أبو علي إلى بخارى فحبسه
نوح حتى مات في الحبس .

وفيها مات (١) صاحب أبو القاسم اسماعيل بن عباد وزير فخر الدولة علي
ابن بويه بالري ونقل فدفن بأصبهان ، كان أوحد زمانه علماً وتدبيراً وكرماً (٢) ،
أول من لقب بالصاحب من الوزراء صحب الفضل بن العميد فقيل له صاحب ابن
العميد ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وصار علماً عليه ثم سمي به كل
من ولي الوزارة ، وكان أولاً وزيراً لمؤيد الدولة وبعده لفخر الدولة ، وله المحيط
في اللغة والكافي في الرسائل وكتاب الإمامة يتضمن فضائل علي وصحة إمامة
من تقدمه رضي الله عنهم وكتاب الوزراء وله النظم الجيد . ولد في ذي القعدة
سنة ست وعشرين وثلثمائة باصطخر وقيل بطالقان قزوين ، وعباد أبوه وزير
ركن الدولة ، وتوفي سنة أربع أو خمس وثمانين وثلثمائة .

وفيها توفي الإمام أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني (٣) الحافظ
إمام فقيه شافعي ، حفظ كثيراً من دواوين الشعراء منها ديوان السيد الحميري
فنسب لذلك إلى التشيع ، وخرج من بغداد إلى مصر وأقام عند أبي الفضل
جعفر وزير كافور واستفاد منه ثروة ، وعلومه كثيرة ولا سيما علوم الحديث ،
ومولده في ذي القعدة سنة ست وثلثمائة ووفاته ببغداد ، ونسبته إلى دار القطن

(١) جمع الصاحب من الكتب ما لم يجمعه غيره ، حتى انه كان يحتاج في نقلها الى
اربعمائة جمل .

(٢) لما اعتل ابن عباد كان أمراء الديلم وكبراء الناس يروحون الى بابه ويغدون ويخدمون
بالدعاء وينصرفون - الكامل ج ٧ ص ١٦٦ .

(٣) الدارقطني ، بفتح الراء وضم القاف ، نسبة الى دار القطن .

قال الخطيب في وصفه : « كان فريداً عصره وقريباً دهره ونسيجاً وحده وإماماً وقته » .

وقال أبو ذر الهروي : قلت للحاكم : هل رأيت مثل الدارقطني ؟ فقال : « هو لم ير مثل
نفسه فكيف أنا ؟ »

محنة كبيرة ببغداد . وفيها توفي أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي الفاضل بن الفاضل كمل كتاب الإقناع تصنيف والده وشرح أبيات كتاب سيبويه وشرح إصلاح المنطق ، وسيراف فرضة فارس وليس بها زرع ولا ضرع ومال أهلها كثير ومنها ينتهي الإنسان إلى حصن عمارة على البحر من أمنع الحصون ، وقيل : صاحبها هو الجلندي الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً .

سنة ست وثمانين وثلثمائة :

وفاة العزيز بالله

وفيهما لليلتين بقيتا من رمضان توفي العزيز بالله بن المعز بن المنصور العلوي الفاطمي صاحب مصر وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر ، برز إلى بلبيس لغزو الروم فمات بها بعدة أمراض منها القولنج ، وخلافته إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر ونصف ومولده بالمهدية . ولى كتابته نصرانياً اسمه عيسى بن نسطورس ، واستناب بالشام يهودياً اسمه ميشا فاستطالت النصراري واليهود بسببها ، فعمل أهل مصر قراطيس صورة امرأة ومعها قصة في طريق العزيز فأخذها العزيز فإذا فيها : بالذي أعز اليهود بميشا والنصارى بعيسى بن نسطورس وأذل المسلمين بك إلا كشفت عنا ، فقبض على النصراني وصادره .

ولايه الحاكم بأمر الله

ولما مات بويغ ابنه الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بعهد أبيه وعمره إحدى عشرة سنة ، وقام بتدبير ملكه أرجوان الخصي الأبيض خادم أبيه فضبطه إلى أن كبر الحاكم فقتل أرجوان .

وفيهما مات أبو ذؤاد بن المسيب أمير الموصل ، ووليها أخوه المقلد . وفيها توفي منصور بن يوسف بلكين بن زيري الصنهاجي أمير افريقيه وكان ملكاً كريماً شجاعاً ، ووليها ابنه باديس . وفيها توفي أبو طالب محمد بن علي بن عطية

المكي صاحب «قوت القلوب» صنفه وقوته إذ ذاك عروق البردي، صالح مجتهد في العبادة من أهل الجبال وسكن مكة فنسب اليها ونسب اليه تخطيط قبل موته، ومات ببغداد .

سنة سبع وثمانين وثلثمائة :

ابتداء دولة بني حماد ملوك بجاية

وفيها ابتداء دولة بني حماد بجاية فإن باديس بن منصور بن بلكين صاحب افريقية عقد في صفر منها الولاية لعمه حماد بن بلكين على أشير فاتسعت ولاية حماد وعظم وجمع العساكر والأموال . وفي سنة خمس وأربعمائة أظهر الخلف علي ابن أخيه باديس وخلعه واقتلا في أول جمادى سنة ست وأربعمائة فانهزم حماد هزيمة شنيعة بعد قتال شديد بين الفريقين والتجأ إلى قلعة مغيلة ، ثم نهب دكمة ونقل منها الزاد إلى مغيلة وتحصن بها وباديس بقربه محاصر له إلى أن توفي باديس فجأة نصف ليلة الأربعاء آخر ذي القعدة سنة ست وأربعمائة .

وقولى المعز بن باديس ، واستمر حماد على الخلف معه حتى اقتلا في سنة ثمان وأربعمائة عند نينى (موضع) ، فانهزم حماد شنيعاً فلم يعد حماد إلى قتال بعدها ، واصطلح مع المعز على أن يقتصر حماد على ما بيده وهو عمل ابن علي وما وراءه من أشير وناهرت ، واستقر للقائد بن حماد المسيلة وطبنة ومرسى الدجاج وزواوة ومقرة ودكمه وغيرها، وبقي حماد وابنه كذلك حتى مات حماد منتصف سنة تسع عشرة وأربعمائة .

واستقر في الملك بعده ابنه القائد حتى توفي سنة ست وأربعين وأربعمائة . فملك بعده ابنه محسن بن القائد فأساء وخبط وقتل في أعمامه ، فقاتله ابن عمه بلكين وملك موضعه في ربيع الأول سنة سبع وأربعين وأربعمائة وبقي حتى غدر ببلكين المذكور الناصر بن علناس بن حماد وأخذ منه الملك في رجب سنة

أربع وخمسين وأربعمائة . واستقر الناصر بن علناس حتى توفي سنة إحدى وثمانين وأربعمائة . وملك بعده ابنه المنصور بن الناصر إلى أن توفي سنة ثمان وتسعين وأربعمائة . وملك بعده ابنه باديس بن المنصور يسيراً وتوفي . وملك بعده أخوه العزيز بالله بن المنصور إلى أن توفي . وملك بعده ابنه يحيى بن العزيز إلى أن سار عبد المؤمن من المغرب الأقصى وملك بجاية .

قال ابن الأثير : وكان ذلك في سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، وآخر من ملك منهم يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد بن بلكين ، وانقرضت دولتهم في السنة المذكورة ، وجمعناه ليسهل .

وفيهامات الرضى الأمير نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن اسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان^(١) في رجب واختل ملكهم بموته ، وقام بعده ابنه أبو الحارث منصور . وفيهامات سبكتكين في شعبان ولما طال مرضه انتقل من بلخ إلى غزنة فمات في الطريق فنقل ودفن بغزنة ، ومدة ملكه عشرون سنة ، وكان خيراً عادلاً وعهد إلى ابنه اسماعيل^(٢) وكان محمود أكبر منه فقاتله بعد سبعة أشهر^(٣) ، فانهزم اسماعيل وانحصر في قلعة غزنة فأنزله محمود بالأمان وأحسن إليه .

(١) ولي نوح خراسان وله ثلاث عشرة سنة ، وتمصب له عضد الدولة بن بويه وأخذ له العهد والخلع من الخليفة الطائع لله على خراسان ، فأقام عليها وما حولها إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر .

(٢) قال ابن الأثير في «الكامل» (ج ٧ - ص ١٨٤) : فلما مات بايع الجند لاسماعيل وحلفوا له وأطلق لهم الأموال ، وكان أصغر من أخيه محمود ، فاستضعفه الجند فاشتطوا في الطلب حتى أفنى الخزائن التي خلفها أبوه .

(٣) كان محمود بنيسابور ، فلما بلغته وفاة أبيه جلس للعزاء ، ثم أرسل إلى أخيه اسماعيل يعزيه ويعرفه أن أباه إنما عهد إليه لبعده عنه ويذكره ما يجب من تقديم الكبير ، ويطلب منه الوفاق ، وإنفاذ ما يخصه من تركة أبيه فلم يفعل ، وترددت الرسل بينهما ، فلم يستقر الأمر ، فسار محمود عازماً على قصد أخيه بغزنة .

وفيهما توفي فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه بقلعة طبرك في شعبان، وملكوا بعده ابنه مجد الدولة أبا طالب رستم وعمره أربع سنين ووالدته تدبر الملك . وفيها توفي أبو الوفاء محمد بن محمد بن المهندس الحاسب البوزجاني ومولده في رمضان سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ببوزجان بلدة بين هراة ونيسابور قدم العراق .

وفيهما توفي الحسن بن ابراهيم بن الحسن من ولد سليمان بن زولاق ، مصري الأصل له في التاريخ مصنفات وله كتاب خطط مصر وكتاب قضاة مصر . وفيها توفي أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ، تصانيفه كثيرة في اللغة والأمثال وغيرها ، من عسكر مكرم مدينة من كور الأهواز ، ومولده في شوال سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وأخذ عن ابن دريد ، وله أيضاً كتاب في المنطق وكتاب الزواجر وكتاب المختلف والمؤتلف وكتاب الحكم والأمثال .

سنة ثمان وثمانين وثلثمائة :

ذكر قتل صمصام الدولة

وفيهما في ذي الحجة قتل صمصام الدولة قتله أبو كاليبجار المرزبان^(١) بن عضد الدولة بن بويه لشغب الديلم^(٢) عليه ، وعمر صمصام الدولة خمس وثلثون سنة وسبعة أشهر وولايته بفارس تسع سنين وثمانية أيام . وفي تاريخ ابن أبي الدم : ان صمصام الدولة لما خرج من الاعتقال وملك في سنة ثمانين وثلثمائة كان أعمى من

(١) لفظ فارسي : مرز ، بان ، معناه : صاحب الحد .

(٢) كان صمصام الدولة قد أمر بعرض جماعة كثيرة من الديلم ، واسقاط من ليس بصحيح النسب ، فأسقط منهم مقدار الف رجل ، فبقوا حيارى لا يدرون ماذا يصنعون ، واتفق ان هرب من السجن ابني عز الدولة بختيار ، فجمعاً لفيماً من الأكراد وواقام الديلم وقصدوا أرجان فاجتمعت عليهما العساكر . وتحير صمصام ولم يكن عنده من يدبره ، وأشار عليه اصحابه بالصعود الى القلعة والامتناع بها ، فلم يمكنه المستحفظ بها .

حين سمل واستمر حتى قتل في هذه السنة وهو أعمى . وفيها توفي محمد بن الحسن ابن المظفر الحاتمي إمام الأدب واللغة ، وله الرسالة الحاتمية في المتنبي ، ونسب إلى جده حاتم .

سنة تسع وثمانين وثلثائة :

وفيها اتفق أعيان العسكر مع بكتورون وفائق وخلصوا منصور بن نوح وسمله بكتورون فأعماه ، ولم يراقب الله فيه ولا إحسان مواليه وأقاموا أخاه عبد الملك صغيراً ، ومدة ملك منصور سنة وسبعة أشهر . وكتب محمود بن سبكتكين يلوم بكتورون ^(١) وفائقاً ، وقاتلها أشد قتال فانهزما وتبعها محمود يقتل في عسكرهم حتى أبعد ، واستولى محمود على ملك خراسان وقطع منها خطبة السامانية .

ذكر انقراض دولة السامانية

وفيها انقرضت دولة السامانية ، فإن محمود بن سبكتكين لما ملك خراسان وقع خطبتهم اتفق ببخارى بكتورون وفائق مع عبد الملك بن نوح وشرعوا يجمعون العساكر فاتفق موت فائق وكان هو المشار إليه فضعفت بؤوسهم بموته وبلغ ذلك ايلك خان ^(٢) فسار في جمع من الأتراك إلى بخارى وأظهر المودة والحمية لعبد الملك فظنوه صادقاً ، وخرج اليه بكتورون وغيره فقبض عليهم وسار حتى دخل بخارى عاشر ذي القعدة منها ، ثم قبض على عبد الملك بن نوح وحبسه حتى مات في الحبس وحبس معه أخاه منصوراً الذي سملوه وباقي بني سامان ، وانقرضت دولتهم بعد ما انتشرت وطبقت كثيراً من الأرض وكانت من أحسن الدول سيرة وعدلاً فسبحان من لا يزول ملكه ، وابتداء ولايتهم سنة إحدى وستين ومائتين ، وانقراضها في هذه السنة .

(١) وردت في الكامل لابن الأثير بكتوزون - بالزاي - انظر ص ١٩٦ ، ج ٧ .

(٢) هو : ابو نصر احمد بن علي ، ولقبه « شمس الدولة » .

سنة تسعين وثلثائة :

وفيها وقيل ^(١) سنة خمس وسبعين وثلثائة توفي أبو الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا اللغوي إمام في علوم شتى وله المجلد في اللغة ووضع المسائل الفقهية وهي مائة في المقامة الطيبية ، كان بهمدان وعليه اشتغل البديع الهمداني .

سنة احدى وتسعين وثلثائة :

ذكر مقتل المقلد وولاية ابنه

وفيها قتل حسام الدولة المقلد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر بن عمر بن مهنا من ولد ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن العقيلي ، وكان المقلد أعور ، وأخوه أبو ذؤاد محمد هو أول من استولى منهم على الموصل وملكها في سنة ثمانين وثلثائة حسبما تقدم ، ثم ملكها بعده أخوه المقلد المذكور سنة ست وثمانين واستمر حتى قتله هذه السنة بمالكة الأتراك بالأنبار وقد كان عظم شأنه ، وقام بعده ابنه قرواش .

وفيها توفي أبو عبد الله الحسين بن الحجاج الشاعر بطريق النيل ^(٢) . ونقل إلى بغداد بجوني خليع تولى حاسبة بغداد مدة ، وهو من كبار الشيعة وأوصى أن يدفن عند مشهد موسى بن جعفر وأن يكتب على قبره : (وكلبهم بأسط ذراعيه بالوصيد) . قلت : ومما رثاه به الشريف الرضي :

نموه على حسن ظني به فله ماذا نعى الناعيان
رضيع ولاء له شعبة من القلب مثل رضيع اللبان

(١) ضبط وفاته في الوفيات في سنة ٣٩٠ على الأشهر ، وفي كشف الظنون في ٣٩٨ - انظر ص ٥٠ و ٢٣١ منها .

(٢) والنيل : بلدة بين بغداد والكوفة حفر نهرها الحجاج الثقفي ومخرجه من الفرات وسماه النيل .

وما كنت أحسب أن الزمان يفعل مضارب ذاك اللسان
بكيتهك للشرد السائرات تعشق ألفاظها بالمعان
ليبك الزمان طويلاً عليك فقد كنت خفة روح الزمان

وبعد موته رآه بعض أصحابه فسأله عن حاله فأنشده :

أفسد سوء مذهبي في الشعر حسن مذهبي
لم يرض مولاي عليّ سي لأصحاب النبي
والله أعلم .

سنة اثنتين وتسعين وثلثائة :

وفيهما غزا السلطان محمود بن سبكتكين بلاد الهند فغنم وسبى وأسر، وعاد
إلى غزنة سالماً . وفيها اقتتل قرواش المقلد وعسكر بهساء الدولة ، فانتصر
قرواش ثم انكسر . وفيها توفي محمد بن جعفر الشافعي المعروف بابن الدقاق
صاحب الأصول .

سنة ثلاث وتسعين وثلثائة :

وفيهما ملك بين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين سجستان من صاحبها
خلف بن أحمد ، وبقي خلف في الجوزجان بعد ذلك أربع سنين ثم نقله بين
الدولة إلى جردين واحتاط عليه هناك حتى مات سنة تسع وتسعين ، كان خلف
مشهوراً بطلب العلم وله تفسير من أكبر الكتب .

وفيهما توفي المنصور أبو عامر محمد أمير الأندلس وكان قد أكثر الضبط
والغزوات حسبما تقدم ولم يكن للمؤيد خليفة الأندلس معه من الأمر شيء ،
وتولى بعده ابنه مروان عبد الملك وتلقب بالمظفر وساس وغزا سبع سنين فوفاته
سنة أربعمائة ، وقام بعد المظفر أخوه عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر

المذكور وتلقب بالناصر، فخلط واضطربت أموره أربعة أشهر فخرج على المؤيد ابن عمه محمد بن هشام كما سيأتي، فخلع هشام وقتل عبد الرحمن وصلب .
 وفيها كثر ببغداد المفسدون^(١) . وفيها استعمل الحاكم على دمشق أبا محمد الأسود^(٢) ، ولما استقر بدمشق شهر شخصاً مغربياً ونادى عليه : هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر ، ثم أخرجه من دمشق . وفيها توفي ببغداد أبو الفتح ابن عثمان بن جنى النحوي بالموصل مصنف اللمع والخصائص وسر الصناعة وغيرها . قلت : أبوه جنى مملوك رومي لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلية ، وإلى هذا أشار بقوله :

| | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| فإن أصبح بلا نسب | فعلني في الوري نسي |
| على اني أوول ^(٣) إلى | قروم سادة نجب |
| قياصرة إذا نطقوا | أرم ^(٣) الدهر ذوالخطب |
| أولاك دعا النبي لهم | كفى شرفاً دعاء نبي |

وشرح ديوان المتنبي وكان قد قرأ الديوان على المتنبي ، وفي شرحه سأل شخص المتنبي عن قوله :

بادٍ هواك صبرت أم لم تصبرا

وكان من حقه لم تصبر ، فقال المتنبي : لو كان أبو الفتح هاهنا لأجابك ، يعنيني . وهذه الألف بدل نون التوكيد الخفيفة أصلها : لم تصبرن فقلبت للوقف

(١) كثر المفسدون وانتشر العيارون ، فبعث بهاء الدولة عميد الجيوش أبا علي ابن استاذ هرمز الى العراق فوصل بغداد فزينت له وقمع المفسدين ومنع السفية والشيعية من إظهار مذاهبهم .
 (٢) قال في تاريخ الاسلام للذهبي - في حوادث سنة ٣٩٣ : أمر نائب دمشق تمصوات الأسود الحاكمي بمغربي فطيف به على حمار ونودي عليه : هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر ، ثم أمر به فأخرج الى الرملة فضرب عنقه هناك .
 (٣) وردت في هامش الكامل ص ٢١٩ ج ٧ « أول » . وأرم : سكت .

إلفاً كقول الأعشى: ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا . وقيل : الألف هنا للتثنية
فقد يخاطب المفرد بذلك ، فالأولى الاستشهاد على قلب النون ألفاً بقول الشاعر:

فمن يك لم يثار بأعراض قومه فإني ورب الراقصات لأثارا

إذ يتعين في هذه الألف قلبها عن نون التوكيد الخفيفة ولا تكون للتثنية هنا
أصلاً . وذكر ابن المهذب المعري في تاريخه : ان ابن جني توفي في سنة تسعين
وثلاثمائة (١) وهو أصح لقرب عهده بذلك . والله أعلم .

وفيهما توفي القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني بالري ، إمام فاضل ذو
فنون ، والوليد بن بكر بن مخلد الأندلسي المالكي فقيه محدث ، وأبو الحسن
محمد بن عبد الله السلامي الشاعر البغدادي (٢) وله في عضد الدولة :

فبشرت آمالي بملك هو الوري ودار هي الدنيا ويوم هو العمر

وله في الدرع :

يا رب سابغة حبتني نعمة كافاتنا بالسوء غير مفند
أضحت تصون عن المنايا مهجتي وظللت أبندها لكل مهند

قلت : وقد ذكرت بهذا بيتين لي في الدرع وهما :

زردية حلقاتها ترنو إلينا بالحدق
فتجل لابس سردها عن ذكر عنتر في الحلق

والله أعلم . قلت : وفيها هدم لؤلؤ الكبير السيفي مدبر دولة أبي الفضائل

(١) ذكر ابن الأثير وفاته في « الكامل » في سنة ٣٩٣ ، (انظر ج ٧ ص ٢١٩) .

(٢) قال أبو منصور الثعالبي في « اليتيمة » : « نسبه في بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب
ابن لؤي بن غالب ، وأمه شاعرة . وقال الشعر وهو ابن عشر سنين » .

سعيد بن سعد الدولة أبي المعالي شريف بن سيف الدولة بن حمدان حـصن
كفرروما وحـصن عار وحـصن ارواح خشية أن يقصد فيها ، والله أعلم .

سنة أربع وتسعين وثلثمائة :

ذكر استيلاء أبي العباس على البطيحة

وفـيها استولى أبو العباس بن واصل على البطيحة (١) ، وهو رجل تنقل في
خدم الناس ثم خدم مهذب الدولة صاحب البطيحة فتقدم عنده حتى جهز معه
جيشاً ، فاستولى على البصرة وسيراف وغنم أموالاً وقويت نفسه وخلع طاعة
مخدومه مهذب الدولة ، ثم قصده وهزمه عن البطيحة واستولى على بلاد مهذب
الدولة على عظيمها ونهب مال مهذب الدولة ، وقصد مهذب الدولة بغداد فما
مكن من دخولها ، وهذا خلاف ما اعتمده مهذب الدولة مع القادر لما هرب
اليه ، فإن مهذب الدولة بالغ في إكرام القادر . وفيها قلد بهاء الدولة الشريف
أبا أحمد الموسوي والد الرضي نقابة العلويين بالعراق والمظالم وقضاء القضاة ،
وكتب عهده بذلك من شيراز ولقبه ذا المناقب فلهتمتع الخليفة من تقليده قضاء
القضاة وأمضى ما سواه . قلت : قد تقدم في مواضع من هذا الكتاب ما يدل
على أن بني بويه كانوا من المتوغلين في التشيع ، والله أعلم .

سنة خمس وتسعين وثلثمائة :

وفـيها خرج أهل البطيحة عن طاعة النائب الذي استنابه ابن واصل بها

(١) جمعها بطائح : أرض اتسعت وانخفض بعضها فسالت فيها المياه . والمقصود هنا : أرض
واسعة بين واسط والبصرة كانت قديماً قرى متصلة وأرضاً عامرة . فاتفق في أيام كسرى بـرويز
أن زادت دجلة زيادة مفرطة كما زاد الفرات أيضاً ، فتبطح الماء في تلك الديار والمزارع ومجرها
أهلها ، واستمر طغيان المياه ، وبقي وسطها أرض لم يصلها الماء ، سكنها قوم وزرعوها الأرز .
وظلت ملجأ لكل من يعلن العصيان ويعتصم بها وبالمياه المحيطة بها .

وسار هو نحو البصرة ، فأرسل عميد الجيوش وهو أمير العراق من جهة بهاء الدولة عسكرياً في السفن مع مذهب الدولة إلى البطيحة فسرّ أهل البلاد به ، وتسلم ولايتها من جهة بهاء الدولة ليحمل له كل سنة خمسين ألف دينار واشتغل عنه ابن واصل بحرب غيره . وفيها فتح السلطان محمود بن سبكتكين مدينة بهاطبة من الهند وهي حصينة عالية السور وراء المولتان .

سنة ست وتسعين وثلثمائة :

وفيها فتح السلطان محمود المولتان وهرب منه بيد ملك الهند إلى قلعة كالنجار ، فحصره حتى صالحه على ماله وألبس ملك الهند خلعتة وشد منطقتة على كره . وفيها قلد الشريف الرضي نقابة الطالبين ولقب بالرضي وأخوه بالمرتضى ، فعل ذلك بهاء الدولة . وفيها توفي محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة الاصفهاني صاحب التصانيف .

سنة سبع وتسعين وثلثمائة :

وفيها اقتتل بهاء الدولة وأبو العباس بن واصل ، فانهزم ابن واصل وأسر وحمل اليه فأمر بقتله قبل بوصوله اليه وطيف برأسه بخوزستان ، وقتله بواسط في صفر . وفيها خرج علي الحاكم أموي من ولد هشام بن عبد الملك يسمى أباركوة^(١) يحمل ركوة على كتفه وأمر بالمعروف ، فكثرت جمعه وملك برقة وهزم جيشاً جهزه اليه الحاكم وغنم منه وتقوى واستولى على الصعيد ، فأحضر الحاكم عساكر الشام واستخدم عساكر وأرسلهم مع أبي الفضل بن عبد الله إلى

(١) اسمه الوليد ، وإنما كني أباركوة لركوة كان يحملها في أسفاره سنة الصوفية .

أبي ركوة فتقاتلوا عظيماً ، ثم انكسر أبو ركوة وأسر فقتله الحاكم وصلبه
وطيف به (١) .

سنة ثمان وتسعين وثلثمائة :

وفيهما سار السلطان محمود فأوغل في الهند وغزا وفتح . وفيها استعملت
والدة مجد الدولة بن فخر الدولة وكان اليها الحكم أبا جعفر بن شهر يار المعروف
بابن كاكويه على أصفهان فعظم شأنه ، كان ابن خال هذه المرأة ، وكاكويه هو
الخال بالفارسية . وفيها توفي عبد الواحد بن نصر بن محمد البيضا الشاعر . قلت :
ومن شعره :

يا سادتي هذه روعي تودعكم إذ كان لا الصبر يثنيها ولا الجزع
قد كنت أطمع في روح الحياة لها فالآن إذ بنتم لم يبق لي طمع
لا عذب الله روعي بالبقاء فما أظنها بعدكم بالعيش تنتفع

وله :

وكأنما نقشت حوافر خيله للناظرين أهلة في الجمد
وكان طرف الشمس مطروف وقد جعل الغبار له مكان الأمد
والله أعلم .

وفيهما توفي البديع أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمداني صاحب المقامات ،
وعلى منوالها نسج الحريري . قلت : وهيئات ، فقد وقع للبديع ما لم يصل
الحريري إلى غباره ، غير أن مقامات الحريري مجموعها أحسن ، فللبديع مفردات
لا تلحق وقد اعترف الحريري في خطبته بفضله ، وروى عن ابن فارس وسكن
هراة ، ومن نثره : الماء إذا طال مكثه ظهر خبثه ، وإذا سكن متنه تحرك

(١) قال ابن الأثير في الكامل : ولما طيف به ألبس طرطوراً وجعل خلفه قرد يصفعه كان
معلماً بذلك . ثم حمل إلى ظاهر القاهرة ليقتل ويصلب فتوفي قبل وصوله فقطع رأسه وصلب .
(ص ٢٣٧ - ج ٧) .

نتنه ، وكذلك الصيف يسمع لقاؤه إذا طال ثاؤه ، ويثقل ظله إذا انتهى محله .
 وله من تعزية : الموت خطب قد عظم حتى هان ، ومس قد خشن حتى
 لان ، والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها ، وجنت حتى صار
 أصغر ذنوبها ، فلتنظر ينة هل ترى إلا محنة ، ثم انظر يسرة هل ترى إلا حسرة .
ومن كلامه : إن أبا الحسن لو أوحشني ما استوحشت ، ولو استوحشت
 لأوحشت ، ولو أوحشت لأفحشت ، ومن وطىء العقرب أوجعته ، ومن قرص
 الحية لسعته ، وإذا قالت الحية دعني فلا تلعمني ، فما سألت شططا ، وهذا
 خطب لا يدفعه قلم رطب . ومنه : إن وجدت الحال كما تركت فدار الشمل
 جامعة ، وإن تغيرت كما عهدت فأرض الله واسعة . ومنه : إن الهمداني إذا
 رضي بأن يُخدم ولا يُخدم ، فإن العبودية لا تعدم . ومنه : إن رأيت السيل
 يسيل بي فلا تنذرنني ، وإن رأيت يغرقني فلا تنقذني ، وإن عاودتني بعدها
 بشفقاتك الباردة رجع شؤم شفقتك على عنفقتك ، أعذر من أنذر والسلام .

ومن شعره :

وكان يحكيك صوت المزن منسكبا لو كان طلق الهيا يطر الذهبا
 والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

مات رحمه الله بالسكينة (١) وعجل دفنه فأفاق في القبر وسمع صوته بالليل ،
 ونبش عنه فوجدوه قد قبض على لحيته ومات من هول القبر . والله أعلم .

وفيها توفي أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري صاحب الصحاح ، وهو من
 فاراب من مدن الترك وتسمى اليوم اطرار ، وله خط منسوب عال ، وقدم
 نيسابور فتوفي بها ، وكتابه الصحاح يصف فضله .

(١) قيل مات مسموماً ، ولكن ما ذكر هنا ، وفي البيهقي وفي الكامل ، هو الأصح .

سنة تسع وتسعين وثلثمائة :

وفيهما قتل أبو علي بن ثمال الحفاجي ، وكان الحاكم العلوي ولاء الرحبة ثم صارت إلى صالح بن مرداس الكلبي صاحب حلب . وفيها توفي علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس المصري صاحب الزيج الحاكمي كبير في أربع مجلدات ، ذكر أن أبا الحاكم أمر بعمله .

سنة أربعمائة :

وفيهما عاد يمين الدولة السلطان محمود وغزا الهند وغنم وعاد .

أخبار المؤيد الأموي خليفة الأندلس

قد تقدم ولاية هشام المؤيد بن الحكم المنتصر بن عبد الرحمن الناصر موضع أبيه ، وكان عمر المؤيد لما ولي الخلافة عشر سنين فدبر الملكة أبو عامر محمد بن أبي عامر والمؤيد محجوب ، واستمر المؤيد خليفة إلى سنة تسع وتسعين وثلثمائة ، فخرج عليه فيها محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الأموي في جمادى الآخرة وبايعه الناس بالخلافة وحبس المؤيد في قرطبة ، وتلقب بالمهدي واستمر ، فخرج عليه سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، فهرب محمد بن هشام بن عبد الجبار المذكور واستولى سليمان على الخلافة في أوائل شوال من سنة أربعمائة . ثم جمع المهدي محمد بن هشام جمعاً وقصد سليمان بقرطبة ، فهرب سليمان وعاد المهدي المذكور إلى الخلافة في نصف شوال منها .

ثم قبض أكبر العسكر على المهدي المذكور وأخرجوا المؤيد من الحبس وأعادوه إلى الخلافة سابع ذي الحجة منها وأحضر المهدي وقتله ، واستمر المؤيد ودبر أمره واضح العامري ثم قتل واضحاً فكثرت عليه الفتن . واتفقت البربر مع سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر وحصر المؤيد بقرطبة وملكها منه عنوة وأخرج المؤيد من القصر فكان آخر العهد به ، وبويع سليمان بالخلافة منتصف شوال سنة ثلاث وأربعمائة وتلقب بالمستعين بالله .

قلت : وفيها نزل أبو العلاء المعري إلى بغداد ليقرأ بها العلم فلم يصادف بها مثله. قال الشيخ أبو غالب همام بن الفضل بن جعفر بن علي بن المهذب في تاريخه : كذا حدثني أبو العلاء رحمه الله . والله أعلم . وفيها بنى أبو محمد بن سهلان سوراً على مشهد علي رضي الله عنه . وفيها توفي النقيب أبو أحمد الموسوي ^(١) والد الشريف الرضي ومولده سنة أربع وثلثمائة ، وأضر في آخر عمره . قلت : ورثاه الشيخ أبو العلاء المعري بقصيدته الفائقة التي أولها :

أودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف وعنبر المستاف
الطاهر الآباء والأبناء والآراب والأثواب والآلاف
رغت الرعود وتلك هدة ماجد جبل ثوى من آل عبد مناف
بخلت فلما كان ليلة فقده سمح الغمام بدمعه الذراف

ومنها :

ويحق في رزء الحسين تغير الحسين ^(٢) بله الدر في الأصداف
هلا دفنتم سيفه في قبره معه فذاك له خليل واف
إن زاره الموتى كسالم في البلى أثواب أبلج مكرم الأضياف
والله إن يخلع عليهم حلة يبعث إليه بثملها أضعاف

(١) هو الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق الشريف ، كان سيداً عظيماً مطاعاً ، كانت هيئته أشد من هيئة الخلفاء ، خاف منه عضد الدولة فاستصفى أمواله . وكانت منزلته عند بهاء الدولة أرفع المنازل ولقبه بالطاهر ، والأوحد ، وذوي المناقب . وكان فيه كل الخصال الحسنة . ولي نقابة الطالبين نحواً من ٥ مرات ، يعزل ثم يعاد ، توفي ببغداد وصلى عليه ابنه المرتضى ودفن في داره ثم نقل إلى مشهد الإمام الحسين رضي الله عنه .

(٢) الحرسان : هما الليل والنهار ، وقوله : بله ، وزان كيف بمعنى دع وكف ، ومعنى البيت : ان رزيته تقتضي ان يتغير العالم بجميع الأطراف فدع تغير الدر في الأصداف .

نبذت مفاتيح الجنان وإنما
تكبيرتان حيال قبرك للفتى
لو تقدر الخيل التي زايلتها
أبقيت فينا كوكبين سناهما
قدرين في الأرداء بل مطرين في
ساوي الرضى المرتضى وتقاسما
أنتم ذوو النسب القصير فطولكم
ما زاغ ببيتكم الرفيع وإنما
والله أعلم .

وفيهما توفي أبو العباس النامي الشاعر المصيبي^(١) . قلت : دخل أبو الخطاب
الحريري الشاعر النحوي على النامي فوجد رأسه كالثغامة^(٢) بياضاً وفيه شعرة
واحدة سوداء فكلمه فيها ، فقال : نعم هذه بقية شبابي وأنا أفرح بها ولي فيها
شعر ، فقلت : أنشدنيه ، فأنشدني :

رأيت في الرأس شعرة بقيت
فقلت للبيض إذ تروّعها
فقل لبث السوداء في وطن
وما أحسن قوله :

سوداء تهوى العيون رؤيتها
بالله ألا رحمت غربتها
تكون فيه البيضاء ضررتها
وقولك للتقوى وكفك للرفد
ويمضي عليك الدهر فعلك للعلی
والله أعلم .

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد الدارمي المصيبي المعروف بالنامي . قال أبو منصور
الثعالبي في وصفه : هو شاعر من فحولة شعراء العصر . كان من خواص شعراء سيف الدولة بن
حمدان وكان عنده تلو المتنبي في المنزلة والرتبة . وله مع المتنبي وقائع ومعارضات في الأناشيد -
توفي بحلب وعمره تسعون سنة .

(٢) الثغامة : نبت يبيض إذا يبس .

وفيهما توفي أبو الفتح علي بن محمد البستي الشاعر . قلت : وما أحسن قوله :

تحمل أخاك على ما به فما في استقامته مطمع
وأنتى له خلق واحد وفيه طبائعه الأربع

وقوله :

لقد هنت من طول المقام ومن يقيم طويلاً يهن من بعد ما كان مكرماً
وطول مقام الماء في مستقره يغيره لوناً وريحاً ومطعماً

سنة احدى وأربعائة :

وفيهما سار أيلك خان ملك الترك من سمرقند لقتال أخيه طغان خان فسقط عليه في ازو كند ثلج منعه فعاد (١) . وفيها خطب قرواش بن المقلد أمير بني عقيل للحاكم بالموصل والأنبار والمدائن والكوفة وغيرها ، وابتداء الخطبة : الحمد لله الذي انجلت بنوره غمرات الغضب ، وانهدت بعظمته أركان النصب ، وأطلع بقدرته شمس الحق من الغرب (٢) . فكتب بهاء الدولة إلى عميد الجيوش يأمره بحرب قرواش فسار إليه ، وأرسل قرواش يعتذر وقطع خطبة العلويين . وفيها احتربت بنو مزيد وبنو دبيس ، بسبب أن أبا الغنائم محمد بن مزيد كان مقيماً عند بني دبيس بنواحي خوزستان لمصاهرة بينهم ، فقتل أبو الغنائم أحد وجوه بني دبيس ولحق بأخيه أبي الحسن بن مزيد ، فسار اليهم أبو الحسن بن مزيد واقتلوا فقتل أبو الغنائم وهرب أخوه أبو الحسن .

(١) كان سبب سيره لقتال أخيه ما بلغه من ان أخاه أرسل الى يمين الدولة يعتذر ويتنصل من قصد أخيه بلاد خراسان ، ويلزم أخاه وحده الذنب كله ويتبرأ منه . فسأه أيلك خان ذلك فسار إليه .

(٢) ذكر الخطبة بكاملها ابن تغري بردي في « النجوم الزاهرة » في : ملوك مصر والقاهرة . وسبب ذلك أن الحاكم ترددت مكاتباته ورسله وهداياه الى قرواش يستميله اليه وليقبل بوجهه اليه ، ففعل ذلك ، وأحضر الخطيب يوم الجمعة وخلع عليه قباء ديبقياً وعمامة صفراء وسراويل ديباج أحمر وخفين أحمرين وقلده سيفاً وأعطاه نسخة ما يخطب به .

وفيهما توفي عميد الجيوش أبو علي بن استاذ هرمز أمير العسكر من جهة بهاء الدولة ببغداد وولايته ثمان سنين وأربعة أشهر وأيام ، وعمره تسع وأربعون ، واستاذ هرمز من حجاب عضد الدولة ، وكان بهاء الدولة قد أرسل عميد الجيوش لإصلاح أحوال بغداد وقمع المفسدين ^(١) ، فلما مات ولي موضعه ببغداد فخر الملك أبا غالب .

سنة اثنتين وأربعمائة :

أخبار صالح بن مرداس وولده

أوردناه جملة كما فعلنا في مواضع ليضبط بسهولة ، قد تقدم ذكر ملك أبي المعالي شريف سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان بحلب إلى أن توفي مفلوجاً وهو ملكها فأقيم ابنه أبو الفضائل مقامه ودبره لؤلؤ أحد موالي سعد الدولة ثم استولى أبو نصر لؤلؤ على أبي الفضائل وأخذ منه حلب وخطب بها للحاكم فلقبه الحاكم مرتضى الدولة واستقر في ملك حلب ، وجرى بينه وبين صالح بن مرداس الكلبي وبني كلاب وحشة وحروب كانت بينهم سجالات .

وكان لابن لؤلؤ غلام اسمه فتح دزدار قلعة حلب فجرى بينه وبين أستاذه ابن لؤلؤ وحشة باطنة وعصى عليه بقلعة حلب وكاتب الفتح الحاكم بمصر ، ثم أخذ من الحاكم صيدا وببيروت وسلم حلب إلى نواب الحاكم ، فسار ابن لؤلؤ إلى انطاكية وهي للروم فأقام معهم . وتنقلت حلب بأيدي نواب الحاكم حتى صارت بيد عزيز الملك الحمداني إلى أن قتل الحاكم وولي الظاهر لإعزاز دين الله

(١) أضاف ابن الأثير في الكامل « وقتلهم » . وقال في البداية والنهاية : « وأمر بعض غلمانه أن يحمل صينية فيها دراهم مكشوفة من أول بغداد إلى آخرها ، وأن يدخل بها في جميع الأزقة ، فان اعترضه أحد فليدفعها إليه وليعرف ذلك المكان . فذهب الغلام فلم يعترضه أحد ، فحمد الله وأثنى عليه » .

العلوي ، فتولى من جهة الظاهر على حلب شخص يعرف بابن ثعبان وولى القلعة
موصوف الخادم ، فقصدهما صالح بن مرداس أمير بني كلاب فسلم اليه أهل حلب
مدينة حلب لسوء سيرة المصريين فيهم ، وصعد ابن ثعبان إلى القلعة وحصرها
صالح فسامت اليه أيضاً سنة أربع عشرة وأربعمائة ، واستقر لصالح ملك حلب
وما معها من بعلبك إلى عانة ست سنين .

وفي سنة عشرين وأربعمائة جهز الظاهر العلوي جيشاً لقتال صالح وحسان
أمير طيء وكان حسان مستولياً على الرملة وتلك البلاد ، وكان اسم مقدم عسكر
مصر أنوش تكين ، فسار صالح من حلب إلى حسان واجتمعا على الأردن عند
طبرية واقتتلوا فقتل صالح وولده الأصغر وأنفذ رأسهما إلى مصر ، ونجا ابنه
أبو كامل نصر بن صالح بن مرداس ، وسار فملك حلب وتلقب بشبل الدولة ،
واستمر بها إلى سنة تسع وعشرين وأربعمائة وذلك في أيام المستنصر بالله العلوي
صاحب مصر ، فجهزت العساكر من مصر إلى شبل الدولة ومقدمهم الدزبري
وهو أنوش تكين ولقبه الدزبري ، فاقتتلوا مع شبل الدولة عند حماه في شعبان
سنة تسع وعشرين وأربعمائة فقتل شبل الدولة وملك الدزبري حلب في رمضان
منها وملك الشام جميعه وعظم شأنه وكثر ماله ، وتوفي الدزبري بحلب سنة ثلاث
وثلاثين وأربعمائة .

وكان لصالح بن مرداس ولد بالرحبة اسمه أبو علوان ثمال ولقبه معز الدولة
وبلغه موت الدزبري فسار وتملك حلب ثم قلعتها في صفر سنة أربع وثلاثين
وأربعمائة واستمر إلى سنة أربعين وأربعمائة ، فأرسل اليه المصريون جيشاً
فهزمهم ثم جيشاً فهزمهم ، ثم صالح ثمال المصريين ونزل لهم عن حلب ، فجهزوا
الحسن بن علي ملهم ولقبوه مكين الدولة فتسلم حلب من ثمال بن صالح بن
مرداس في سنة تسع وأربعين وأربعمائة . وسار ثمال إلى مصر وسار أخوه عطية
ابن صالح بن مرداس إلى الرحبة .

وكان لنصر بن صالح الملقب شبل الدولة المقتول في حرب الدزبري ولد

اسمه محمود فكاتبه أهل حلب وعصوا ابن ملهم ، فوصل اليهم محمود وحصر هو وأهل حلب ابن ملهم في جهادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ، فأنجذ المصريون ابن ملهم بعسكر فرحل محمود هارباً ، وقبض ابن ملهم على جماعة من أهل حلب وأخذ أموالهم ، ثم سار العسكر في أثر محمود فاقتتلوا فهزمهم محمود ، وعاد محمود إلى حلب فحاصرها وملك المدينة والقلعة في شعبان سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وأطلق ابن ملهم ومقدم الجيش وهو ناصر الدولة من ولد ناصر الدولة بن حمدان فسارا إلى مصر ، واستقر محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس في حلب .

ولما وصل ابن ملهم وناصر إلى مصر ، وكان ثمال بن صالح بن مرداس قد سار إلى مصر كما ذكرنا جهز المصريون ثمالاً بجيش لقتال ابن أخيه محمود ، فوصل ثمال حلب وهزم محموداً ، وتسلم ثمال حلب في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، ثم توفي ثمال في حلب سنة أربع وخمسين في ذي القعدة ، وأوصى بجلب لأخيه عطية الذي سار إلى الرحبة ، فملك عطية حلب في السنة المذكورة . وكان محمود بن شبل الدولة لما هرب من عمه ثمال من حلب سار إلى حران ، فلما مات ثمال وملك عطية حلب جمع محمود عسكراً وسار إلى حلب ، فهزم عمه عطية عنها إلى الرقة فملكها عطية ، ثم أخذت الرقة من عطية فسار وأقام بالروم بقسطنطينية حتى مات بها .

وملك محمود بن نصر بن صالح حلب في رمضان سنة أربع وخمسين وأربعمائة ثم استولى على ارتاج من أيدي الروم في سنة ستين ، وتوفي محمود في ذي الحجة سنة ثمان وستين وأربعمائة مالكاً لحلب بها . وملك بعده ابنه نصر ، ثم قتله التركان . وملك بعده أخوه سابق بن محمود واستمر إلى سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة ، فأخذ حلب منه شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل على ما سيذكر .

ذكر القدرح في نسب خلفاء مصر

وفيها (أعني سنة اثنتين وأربعمائة) كتب ببغداد محضر بأمر القادر يتضمن القدرح في نسب العلويين خلفاء مصر ، وكتب فيه جماعة من العلويين والقضاة والفضلاء وأبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة ، (نسخة المحضر) : هذا ما شهد به الشهود أن معد بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد منتسب إلى ديصان بن سعيد الذي ينسب إليه الديصانية وأن هذا الناجم بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم حكم عليه الله بالبوار والدمار ابن معد بن اسماعيل بن عبد الرحمان ابن سعيد لا أسعده الله ، وان من تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين أذعيا خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأن ما ادعوه من الانتساب إليه زور باطل ، وان هذا الناجم في مصر هو وسلفه كفار فساق زنادقة ملحدون معطلون وللإسلام جاحدون ، أباحوا الفروج وأحلوا الخمر وسبوا الأنبياء وادعوا الربوبية ونحو ذلك وآخره : وكتب في ربيع الأول سنة اثنتين وأربعمائة . وفيها اشتد أذى خفاجة للحجاج وقطعوا عليهم الطريق (١) .

سنة ثلاث وأربعمائة :

ذكر قتل قابوس بن وشمكير

وفيها قتل شمس الدين أبو المعالي قابوس بن وشمكير بن زياد شدد على أصحابه

(١) سارت خفاجة إلى واقصة ونزحوا ماء الآبار وألقوا فيها الحنظل ، ووصل الحجاج من مكة إلى العقبة ، فلقبهم خفاجة ومنعهم الماء ثم قاتلهم وأكثروا القتل فيهم وأخذوا الأموال ، ولم يسلم من الحاج إلا اليسير . فبلغ الخبر فخر الملك الوزير ببغداد ، فسير العساكر في أثرهم ، وكتب إلى أبي الحسن علي بن مزيد بتتبعهم ، فلحقهم وقد قاربوا البصرة ، فأرقت بهم وقتل منهم رأساً جمعاً كثيراً وأخذ ما بقي معهم من أموال الحاج . - الكامل ص ٢٦٤ ج ٧ .

فاجتمعوا وحضروه وأقاموا ابنه منوجهر موضعه طلبوه من جرجان ، ثم اتفق مع أبيه وانقطع قابوس في قلعة يعبد الله ، فعاودوا منوجهر في قتله فسكت ، فمضوا وأخذوا جميع ما عند قابوس من ملبوس فمات بالبرد ، وكان كثير الفضائل شديد الأخذ قليل العفو يدري النجوم وغيرها ، ومن شعره :

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا هل عاند الدهر إلا من له خطر
ففي السماء نجوم ما لها عدد وليس يكسف إلا الشمس والقمر

قلت : وفيها ورد السجل من الحاكم يأمر فيه بصلاة التراويح وينهى عن لعن السلف الصالح ويلعن فيه من يلعنهم رضي الله عنهم أجمعين ، والله أعلم .

وفيها مات ملك الترك ايلك خان ، وملك أخوه طغان خان ، وكان المتوفى خيراً ديناً . وفيها في جمادى الآخرة مات بهاء الدولة بن نصر خاشاذ بن عضد الدولة بن بويه بتتابع الصرع مثل أبيه ومات بأرجان وهو ملك العراق وعمره اثنتان وأربعون سنة وتسعة أشهر وملكه أربع وعشرون سنة ، وولي موضعه ابنه سلطان الدولة أبو شجاع . وفيها توفي القاضي أبو بكر بن الباقلاني محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ناصر طريقة الأشعري ومؤيد مذهبه ، سكن بغداد وصنف الكثير في علم الكلام ، ونسبة الباقلاني إلى بيع الباقلان وهي شاذة كالصنعاني .

سنة أربع وأربعمئة :

وفيها أوغل أيضاً السلطان محمود في الهند وغزا وفتح وعاد إلى غزنة . وفيها نهبت خفاجة سواد الكوفة ، فقتل منهم العسكر وأسر . وفيها توفي أبو سعيد الاصطخري من شيوخ المعتزلة وعمره فوق الثمانين . (ذكر ابن خلكان وفاته سنة ٣٢٨) .

سنة خمس وأربعمئة :

وفيها كانت الحروب بين أبي الحسن علي بن مزيد الأسدي وبين مضر وحسان

ونبهان وطراد بن دبيس ، ثم ان مضر هزم أبا الحسن واستولى على حمله وأمواله
وهرب أبو الحسن إلى بلد النيل .

وفيها توفي الحافظ محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهمازي
المعروف بابن الحاكم النيسابوري (١) إمام الحديث في عصره والمؤلف فيه ما لم
يسبق إليه ، سافر في طلب الحديث وبلغت شيوخه ألفين ، وله الصحيحان
والأمالي وفضائل الشافعي ، عرف أبوه بالحاكم لتوليه القضاء بنيسابور . وفيها
قتل بعض عامة الدينور قاضيهم أبا القاسم يوسف بن أحمد بن كج الفقيه الشافعي
خوفاً منه ، وله وجه في المذهب وصنف كثيراً وجمع بين رياستي العلم والدنيا .

سنة ست وأربعمائة :

وفاة باديس وولاية ابنه المعز

وفيها توفي باديس بن منصور بن يوسف بلكين بن زيري أمير افريقية ، ووليها
بعده ابنه المعز وعمره ثمان ، ووصل إليه التقليد والخلع من الحاكم العلوي ولقبه
شرف الدولة ، والمعز حمل أهل المغرب على مذهب مالك وكانوا قبله حنفيّة .
وفيها غزا يمين الدولة محمود الهند فتاهوا ووقعوا في مياه فاضت من البحر فبقوا
فيها أياماً وغرق منهم كثير وتخلص وعاد .

وفيها عزل سلطان الدولة بن بهاء الدولة نائبه بالعراق فخر الملك أبا غالب (٢)

(١) ولد سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ، واعتنى به أبوه فسمعه في صغره ثم هو بنفسه ،
وكتب عنه نحو ألفي شيخ . برع في معرفة الحديث وفنونه وصنف التصانيف الكثيرة المفيدة منها
(المستدرك) . وانتهت إليه رئاسة الحديث . وهو ثقة حجة ، احد أركان الاسلام وسيد المحدثين
وإمامهم في زمانه - الكامل ٢٧٥ ج ٧ .

(٢) هو محمد بن علي بن خلف ابو غالب فخر الملك ، اصله من واسط وولد فيها . استوزره
بهاء الدولة ابو نصر بن بويه لما رأى من كمال عقله وادبه ، وكان كريماً عظيماً . ولما توفي بهاء الدولة
أقره على الوزارة ابنه سلطان الدولة ابو شجاع فأقام زمناً وافر الحرمة مرعي الجانب ، ثم بدرت
منه هفوة لم يفتقرها له سلطان الدولة فقتله .

وقته سلخ ربيع الأول منها وعمره اثنتان وخمسون سنة وأحد عشر شهراً ومدة ولايته بالعراق خمس سنين وأربعة أشهر وأيام ، ووجد له الف الف دينار غير العروض وغير ما نهب قبضه بالأهواز ، ثم استوزر أبا محمد الحسن بن سهلان .

وفاة الشريف الرضي

وفيها توفي الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم المعروف بالموسوي^(١) ذاكره شيخه السيرافي يوماً وهو صبي ، فقال : رأيت عمراً ، ما علامة النصب في عمرو ؟ فقال الرضي : بغض علي - أشار إلى عمرو بن العاص وبغضه لعلي - ، فعجب الحاضرون من ذهنه . ومولده سنة تسع وخمسين وثلثمائة ببغداد . قلت : ولو قال بدل قوله بغض علي : خفض علي ، لكان أبداع ، وهو أشعر الطالبين على كثرة شعرائهم المفلقين والله قوله :

يا صاحبي قفالي واقضيا وطري وخبراني عن نجد بأخبار
هل روضت قاعة الوعساء أم مطرت خميلة الطلح ذات الشيح والغار
أم هل أبيت ودار دون كاظمة داري وسار ذاك الحي سماري
تضوع أرواح نجد من ثيابهم عند القدوم لقرب العهد بالدار
والله أعلم .

وفيها توفي الشيخ أبو حامد الاسفرايني إمام أصحاب الشافعي وعمره إحدى وستون سنة وأشهر ، قدم بغداد سنة ثلاث وستين وثلثمائة وحضر مجالسه أكثر

(١) قال ابن الأثير في الكامل: « وشهد جنازته الناس كافة ولم يشهدا أخوه لأنه لم يستطع ان ينظر الى جنازته فأقام بالمشهد الى ان أعاده الوزير فخر الملك الى داره .» ابتداء ينظم الشعر وله عشر سنين ، وكان مفراط الذكاء . وقال الثعالبي في اليتيمة : « هو اليوم أبداع أبناء الزمان وأنجب سادات العراق » .

من ثلاثائة فقيه وطبق الأرض بالأصحاب ، وله مصنفات منها : التعليقة الكبرى في المذهب . واسفر ابن بلدة بنواحي نيسابور .

سنة سبع وأربعمائة :

وفيهما غزا بين الدولة محمود الهند ووصل إلى قشمير وقنوج ، وبلغ نهر كنك وفتح بلاداً وغنم وعاد إلى غزنة .

ذكر انقراض الخلافة الأموية من الأندلس

وأخبار الدولة العلوية بها

في هذه السنة خرج على المستعين بالله سليمان بن الحكم الأموي خيران العامري من القواد من أصحاب المؤيد وسار في جماعة كثيرة من العامريين ، وكان علي بن حمود العلوي مستولياً على سبتة وبينه وبين الأندلس عدوة المجاز ، وكان أخوه القاسم بن حمود على الجزيرة الخضراء ، ولما رأى علي بن حمود خروج خيران على سليمان عبر من سبتة إلى مالقة واجتمع إليه خيران وغيره من الخارجين على سليمان الأموي .

وكان أمر هشام المؤيد الخليفة الأموي قد اختفى من حين استولى ابن عمه سليمان على قرطبة في سنة ثلاث وأربعمائة وأخرج المؤيد من القصر فلم يطلع للمؤيد على خبر ، فاجتمع خيران وغيره إلى علي بن حمود بالمنكب وهي بين المرية ومالقة سنة ست وأربعمائة وبايعوا علي بن حمود العلوي على طاعة المؤيد الأموي إن ظهر خبره ، وسار إلى سليمان بقرطبة واقتتلوا ، فانهزم سليمان الأموي وأسر وأحضر هو وأخوه وأبوهما الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، وكان الحكم متخلياً عن الملك للعبادة . وملك علي بن حمود العلوي قرطبة ودخلها سنة سبع وأربعمائة ، وقصد القواد وعلي بن حمود القصر طمعاً في وجود المؤيد فلم يقعوا بخبره ، فقتل علي بن حمود سليمان وأباه وأخاه .

ولما قدم الحكم للقتل قال له علي بن حمود : يا شيخ قتلت المؤيد ؟ فقال : والله ما قتلناه وإنه حي يرزق ، فقتله سريعاً وأظهر موت المؤيد وبايع لنفسه وتلقب بالمتوكل على الله وقيل : الناصر لدين الله ، وهو : علي بن حمود بن أبي العيش ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن ادريس بن ادريس بن عبيد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

ثم ان خيران خرج عن طاعته لأنه إنما وافقه طمعاً في وجود المؤيد بقصر قرطبة وإعادته إلى الخلافة ، وسار خيران عن قرطبة يطلب أحداً من بني أمية يقيمه في الخلافة ، وبايع أموياً ولقبه المرتضي وهو : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، كان في جيان مستخفياً ، واجتمع إلى عبد الرحمن المذكور أهل شاطبة وبلنسية وطرطوشه مخالفين على علي بن حمود . ولم ينتظم لعبد الرحمن أمر ، وجمع علي بن حمود جموعه وقصدهم من قرطبة وبرز العساكر إلى ظاهرها ، ودخل الحمام ليخرج ويسير فوثب غلماناه وقتلوه في الحمام في ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة وهو ابن ثمان وأربعين سنة وولايته سنة وتسعة أشهر ، فدخلت العساكر البلد . ثم ولي بعده أخوه القاسم بن حمود أكبر من علي بعشرين سنة وتلقب بالمأمون ، وملك قرطبة وغيرها إلى سنة اثنتي عشرة وأربعمائة .

ثم سار القاسم من قرطبة إلى اشبيلية ، فخرج عليه ابن أخيه يحيى بن علي ابن حمود بقرطبة ودعا إلى نفسه وخلع عمه ، فأجابوه في مستهل جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وتلقب يحيى بالمعتلي ، وبقي بقرطبة حتى سار إليه عمه القاسم من اشبيلية فخرج يحيى عن قرطبة إلى مالقة والجزيرة الخضراء ، فاستولى عليها سنة ثلاث عشرة وأربعمائة في ذي القعدة ودخل القاسم بن حمود قرطبة في التاريخ . وجرى بين أهل قرطبة وبين القاسم قتال وأخرجوه عن قرطبة وبقي بينهم القتال نيفاً وخمسين يوماً ، ثم هزموا القاسم وتفرق عنه عسكره وسار إلى شريش فقصدته ابن أخيه يحيى وأمسكه وحبسه حتى مات القاسم محبوساً بعد موت يحيى .

ولما جرى ذلك خرج أهل اشبيلية عن طاعة القاسم وابن أخيه يحيى وقدّموا عليهم قاضي اشبيلية أبا القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد اللخمي وبقي إليه أمر اشبيلية ، وكانت ولاية القاسم بن محمود بقرطبة إلى أن أمسك وحبس ثلاثة أعوام وشهوراً وبقي محبوساً حتى مات سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وقد أسن . وقدّم أهل قرطبة عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ولقب بالمستظهر بالله وهو أخو المهدي محمد بن هشام وبويغ في رمضان وقتلوه في ذي القعدة ، كل ذلك في سنة أربع عشرة وأربعمائة ، فبويغ بالخلافة محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر ولقب بالمستكفي ، ثم خلع بعد سنة وأربعة أشهر فهرب وسم في الطريق فمات .

ثم اجتمع أهل قرطبة على طاعة يحيى بن علي بن حمود العلوي وكان بمالقة يخطب له بالخلافة ، ثم خرجوا عن طاعته سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، وبقي يحيى كذلك مدة ، ثم سار من مالقة إلى قرمونه وأقام بها محاصراً لأشبيلية ، وخرجت للقاضي ابن عباد خيل وكن بعضهم فركب يحيى لقتالهم فقتل في المعركة في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة .

ولما خلع أهل قرطبة طاعة يحيى بايعوا لهشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الأموي ولقبوه بالمعتمد بالله سنة ثمان عشرة وأربعمائة حسبما ذكرنا . وجرى في أيامه فتن وخلافات في الأندلس حتى خلع هشام المذكور سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وسار مخلوعاً إلى سليمان بن هود الجذامي فأقام عنده حتى مات هشام سنة ثمان وعشرين وأربعمائة .

ثم أقام أهل قرطبة بعد هشام شخصاً من ولد عبد الرحمن الناصر اسمه أمية وقالوا له : نخشى عليك أن تقتل وان السعادة قد ولت عنكم يا بني أمية ، فقال : بايعوني اليوم واقتلوني غداً ، فلم ينتظم أمره واختفى فكان آخر العهد به . ثم اقتسم الأندلس أصحاب الأطراف والرؤساء ، فملك قرطبة أبو الحسن بن جمهور

من وزراء الدولة العامرية واستمر كذلك حتى مات سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، ووليها بعده ابنه أبو الوليد محمد .

وملك اشبيلية قاضيها أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد اللخمي من ولد النعمان بن المنذر . ولما تقسمت الأندلس شاع ظهور المؤيد هشام بن الحكم من الاختفاء وانه سار إلى قلعة رباح فأطاعه أهلها ، فاستدعاه ابن عباد إلى اشبيلية فسار إليه وقام بنصره وكتب بظهوره إلى ممالك الأندلس ، فأجاب أكثرهم وخطبوا له وجددت بيعته في المحرم سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، وبقي المؤيد حتى ولي المغتضد بن عباد فأظهر موت المؤيد ، والصحيح أن المؤيد لم يظهر منذ عدم من قرطبة في سنة ثلاث وأربعمائة وإنما ذلك من تويهات ابن عباد .

وأما بطليوس : فقام بها سابور الفتي العامري وتلقب بالمنصور ، ووليها بعده أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة بن الأفطس وتلقب بالمظفر وأصله من بربر مكناسة لكن ولد أبوه بالأندلس ، ووليها بعد محمد ابنه عمر وتلقب بالمتوكل واتسع ملكه وقتل صبراً مع ولديه الفضل والعباس عند تغلب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على الأندلس . **وأما طليطلة :** فوليا ابن يعيش ، ثم اسماعيل ابن عبد الرحمن بن عامر بن ذي النون وتلقب بالطافر بحول الله وهو من البربر ، ووليها بعده ابنه يحيى ، ثم أخذت الفرنج طليطلة منه سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، واقتصر هو على بلنسية إلى أن قتله القاضي بن جحاف الأحنف . **وأما مرقسطة والثغر الأعلى :** فكانت بيد منذر بن يحيى ، ثم ابنه يحيى ، ثم سليمان بن أحمد بن محمد بن هود الجذامي وتلقب بالمستعين بالله ، ثم ابنه أحمد ثم ابنه عبد الملك ، ثم ابنه أحمد وتلقب بالمنتصر بالله وعليه انقضت دولتهم على رأس الخمسمائة فصارت بلادهم كلها للمسلمين .

وأما طرطوشة : فوليا لبيب الفتي العامري . **وأما بلنسية :** فكانت بيد المنتصور أبي الحسين عبد العزيز المعافري ثم انضاف إليه المرية ، ثم ابنه محمد ، ثم غدر به صهره المأمون بن ذي النون وأخذ منه الملك سنة سبع وخمسين

وأربعمائة . وأما السهلة : فملكها عبود بن رزين البربري . وأما دانية والجزائر : فصارت بيد الموفق بن الحسين مجاهد العامري . وأما مرسية : فولياها بنو طاهر واستقامت لعبد الرحمان منهم إلى أن أخذها منه المعتضد بن عباد ، ثم عصى بها نائبها عليه ، ثم صارت للمثمين . وأما المرية : فملكها خيران العامري ، ثم زهير العامري واتسع ملكه إلى شاطبة ، ثم قتل وصارت مملكته للمنصور بن عبد العزيز بن عبد الرحمن المنصور بن أبي عامر ، ثم تنقلت حتى صارت للمثمين . وأما مالقة : فملكها بنو علي بن حمود العلوي فلم تزل للعلويين يخطب لهم فيها بالخلافة إلى أن أخذها منهم باديس بن حيوس صاحب غرناطة . وأما غرناطة : فملكها حيوس بن ماكس الصنهاجي . هذه تفرقة بمالك الأندلس .

ونظم أبو طالب عبد الجبار الأندلسي من جزيرة شقر أرجوزة في فنون من العلوم ، منها في التاريخ قوله :

| | |
|----------------------------|-------------------------------|
| لما رأى أعلام أهل قرطبه | ان الأمور عندهم مضطربه |
| وعدمت شاكلة للطاعه | استعملت آراءها الجماعه |
| فقدّموا الشيخ من آل جهور | المكتني بالحزم والتدبر |
| ثم ابنه أبا الوليد بعده | وكان يحذو في السداد قصده |
| فجاءت بجورها الجهاوره | وكل قطر حل فيه فاقره |
| والشعر الأعلى قام فيه مندر | ثم ابن هود بعد فيما يذكر |
| وابن يعيش ثار في طليطله | ثم ابن ذي النون تصفى الملك له |
| وفي بطليموس انتزى سابور | وبعده ابن الأفتس المنصور |
| وثار في حمص بنو عباد | والكذب والفتون في ازدياد |
| وثار في غرناطة حيوس | ثم ابنه من بعده باديس |
| وآل معن ملكوا المريه | بسيرة محموده مرضيه |
| وثار في شرق البلاد الفتيان | العامريون ومنهم خيران |
| ثم زهير والفتى لبيب | ومنهم مجاهد اللبيب |

سلطانہ رسی بمرسی دانیہ ثم غزا حتى إلى سردانيه
 ثم أقامت هذه الصقالبه لابن أبي عامرهم بشاطبه
 وجل ما ملكهم بلنسيه وثار آل طاهر بمرسيه
 وبلد البنت لآل قاسم وهو حتى الآن فيها حاتم
 وابن رزين جاره في السهله أمهل أيضاً ثم كل المهله
 ثم استمرت هذه الطوائف يخلفهم من آلهم خوالف

وفيهما - أعني سنة سبع وأربعمئة - قتلت الشيعة بأفريقية ، فإن المعز بن باديس ركب في القيروان فاجتاز بجماعة ، فقبل له : إنهم رافضة يسبون أبا بكر وعمر . فقال المعز : رضي الله عن أبي بكر وعمر . فثار بهم الناس وقتلواهم (١) .

سنة ثمان وأربعمئة :

وفيهما مات طغان ملك تركستان وكاشغر ، ولما كان مريضاً سارت جيوش الصين من الترك والخطا لقتاله ، فدعا الله أن يعافيه ليقاتلهم ثم يفعل به ما شاء فعوفي وسار فكبسهم وهم زهاء ثلثمائة الف خركه ، وقتل منهم فوق مائتي الف رجل وأسر نحو مائة الف وغنم ما لا يحصى ، وعاد فمات ببلاساغون عقيب وصوله ، وكان عادلاً ديناً .

وهذا يلتفت إلى قصة سعد بن معاذ الانصاري رضي الله عنه لما جرح في غزوة الخندق وسأل الله أن يحييه إلى أن يشاهد غزوة بني قريظة ، فاندمل جرحه حتى فرغ رسول الله ﷺ من قتل بني قريظة وسبيهم ، فانتقض جرح سعد ومات رضي الله عنه . ولما مات طغان خان ملك أخوه أبو المظفر ارسلان خان .

(١) قال ابن الأثير في الكامل : « وكان ذلك شهوة المساكر وأتباعهم طمعاً في النهب » .

وفيها في جمادى الأولى توفي مهذب الدولة صاحب البطيحة أبو الحسن علي بن نصر^(١) ومولده سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، افتصد فورم ساعده واشتد مرضه فوثب ابن أخته أبو محمد عبد الله بن بني فقبض على أحمد بن مهذب الدولة فأعلنت أمه مهذب الدولة قبل موته فقال : أي شيء أقدر أعمل وأنا على هذه الحال ومات من الغد . وولي الأمر أبو محمد المذكور ، وضرب ابن مهذب الدولة فمات بعد ثلاثة أيام من موت أبيه . ثم مات أبو محمد بالذبح قبل ثلاثة أشهر فولي البطيحة بعده الحسين بن بكر الشرايبي من خواص مهذب الدولة ، ثم قبض عليه سلطان الدولة في سنة عشر وأربعمائة وولاهها صدقة بن فارس المازياري .

وفيها مات علي بن مزيد الأسدي وصار الأمير بعده ابنه دبيس . وفيها طمعت العامة في الديلم وكثر العيارون والنهب ببغداد . وفيها قدم سلطان الدولة إلى بغداد وضرب الطبل في أوقات الصلوات الخمس ، وكان جده عضد الدولة يفعله في أوقات ثلاث صلوات .

سنة تسع وأربعمائة :

وفيها غزا يمين الدولة الهند على عادته فقتل وغنم وعاد . وفيها مات عبدالغني ابن سعيد الحافظ المصري صاحب المؤتلف والمختلف .

(١) كان من أصحاب الوفاء والكارم ، ولي البطائح سنة ٣٧٦ هـ . بعد ان توفي خاله المظفر ابن علي . وصارت البطيحة معقلا لكل من قصدتها لأن مهذب الدولة كان يؤوي كل من يلجأ اليها ويحسن اليه . ومن أكبر مناقبه إحسانه الى الخليفة القادر بالله عندما استجار به ونزل عنده بالبطائح فاراً من الطائع ، فأواه وأحسن اليه وظل في خدمته حتى ولي الخلافة .

سنة عشر وأربعمائة :

وفيهما توفي وثاب بن سابق النميري (١) صاحب حران وملك ابنه شبيب .

سنة احدى عشرة وأربعمائة :

ذكر قتل الحاكم وولاية ابنه الظاهر

وفيهما لثلاث بقين من شوال فقد الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن العزيز العلوي صاحب مصر ، خرج ليلاً يطوف على رسمه وأصبح عند قبر الفقاعي وتوجه إلى شرقي حلوان ومعه ركبان ، فأعاد أحدهما مع جماعة من العرب ليوصلهم ما أطلق لهم من بيت المال ، ثم عاد الركابي الآخر وأخبر أنه خلف الحاكم عند العين والمقصبية ، فخرج جماعة من أصحابه ليكشفوا خبره فوجدوا عند حلوان حمار الحاكم وقد ضربت يد الحمار بسيف وعليه سرجه ولجامه ، واتبعوا الأثر فوجدوا ثياب الحاكم فعادوا ولم يشكوا في قتله ، وكان قد تهدد أخته فاتفقت مع بعض القواد وجهزوا عليه من قتله . وعمره ست وثلاثون سنة وتسعة أشهر ، وولايته خمس وعشرون سنة وأيام ، وكان جواداً سفاكاً للدماء تصدر عنه أفعال متناقضة يأمر بالشيء ثم ينهى عنه . وولي بعده ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي وبويغ في السابع من قتل أبيه وهو صبي ، وجمعت عمته أخت الحاكم ست الملك الناس وأحسنّت ووعدت ورتبت وباشرت الملك بنفسها وقويت هيبتها وعاشت بعد الحاكم أربع سنين .

ذكر ملك مشرف الدولة العراق

وفيهما في ذي الحجة شغبت الجند ببغداد على سلطان الدولة ، فأراد الانحدار

(١) كان صدوقاً ثقة . أملى الحديث بجامع المنصور وحدث عن أبي بكر النجاد، والبغوي، وكانت له حلقة بجامع المدينة للوعظ والفتوى . دفن بين قبر الإمام حنبل وقبر أبيه ، وصلى عليه نحو من خمسين الفاً .

إلى واسط فقالوا : إجعل عندنا ولدك أو أخاك مشرف الدولة ، فاستخلف أخاه مشرف الدولة على العراق وسار سلطان الدولة عن بغداد إلى الأهواز واستوزر في طريقه ابن سهلان فاستوحش مشرف الدولة من ذلك . وأرسل سلطان الدولة وزيره ابن سهلان ليخرج أخاف مشرف الدولة من العراق ، فسار إليه واقتتلا ، فانتصر مشرف الدولة وأمسك ابن سهلان وسمله . ولما بلغ ذلك سلطان الدولة ضعفت نفسه وهرب إلى الأهواز في أربعمائة فارس ، واستقر مشرف الدولة بن بهاء الدولة في ملك العراق وقطعت خطبة سلطان الدولة وخطب لمشرف الدولة في آخر المحرم سنة اثنتي عشرة وأربعمائة .

وفيهما في الموصل قبض معتمد الدولة قرواش بن المقلد على وزيره أبي القاسم المغربي ثم أطلقه (١) ، وقبض على سليمان بن فهد وكان ابن فهد في حدائته بين يدي الصابي ببغداد ، ثم صعد الموصل وخدم المقلد بن المسيب والد قرواش ، ثم نظر في ضياع قرواش فظلم أهلها ، ثم سخط قرواش عليه وحبسه ثم قتله (١) . وذكره ابن مكدّم في أبيات وهي :

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| وليل كوجه البرقعدي مظلم | وبرد أغانيه وطول قرونه |
| سريت ونومي عن جفوني مشرد | كعقل سليمان بن فهد ودينه |
| على أولق فيه التفات كأنه | أبو جابر في خبطه وجنونه |
| إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه | سنا وجه قرواش وضوء جبينه |

جلس قرواش ليلة للشراب في الشتاء وعنده البرقعدي مغني قرواش وسليمان ابن فهد وأبو جابر الحاجب ، فأمر ابن مكدّم أن يمدح قرواشاً ويهجوهم بديهاً فقال هذه الأبيات . وفيها اجتمع غريب بن معن ودبيس بن علي بن مزيد وأتاهم عسكر من بغداد وجرى بينهم وبين قرواش قتال ، فانهزم قرواش

(١) خدع المغربي قرواشاً ووعد به مال له في الكوفة وبغداد فأمر بحمله وترك ، أما سليمان فطالبه قرواش بالمال ، فادعى الفقر ، فقتله .

وامتدت يد نواب السلطان إلى أعماله فأرسل يسأل الصفح عنه . وفيها في ربيع
الآخر نشأت سحابة بأفريقية شديدة البرق والرعد فأمرت حجارة كثيرة
وأهلكت من أصابت ، حكاه ابن الأثير .

سنة اثنتى عشرة وأربعمائة :

وفيها مات صدقة بن فارس المازياري أمير البطيحة ، وضمنها أبو نصر
شيرزاد بن الحسن بن مروان فأمنت به الطرق . وفيها توفي علي بن هلال ابن
البواب الجيد الخط ، وقيل : مات سنة ثلاث عشرة ، وكان عنده علم وقص
يجمع المدينة ببغداد ويسمى ابن الستري أيضاً لأن أباه كان بواباً يلزم سترالباب ،
وشيخه في الكتابة محمد بن أسد بن علي القاري الكاتب البزاز البغدادي ، ودفن
ابن البواب جوار أحمد بن حنبل . وفيها توفي علي بن عبد الرحمن الفقيه
البغدادي المعروف بصريع الدلاء قتيل الغواشي ذي الرقاعتين . ومن مجونه قوله :

من فاته العلم وأخطاه الغنى فذاك والكلب على حال سوا

قلت : وكان بعض الفقهاء ينشده : وأخطاه الغنى - بالحاء المهملة والظاء
المعجمة - وهو حسن وإن لم يرد ذلك قائله . وفي تاريخ ابن خلكان : انه علي
ابن عبد الواحد ، وغالب ظني أنه توفي بمصر واجتاز بمصرة النعمان وبها الشيخ
أبو العلاء فطلب منه شرباً وما يليق به ، فأرسل الشيخ له نفقة واعتذر
بأبيات منها :

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| تفهم يا صريع البين بشرى | أتت من مستقلّ مستقيل |
| دعيت بصارع وتداركته | مبالغة فردّ إلى فصيل |
| كما قالوا عليم إذ أرادوا | تناهى العلم في الله الجليل |
| قد استحييت منك فلا تكلفني | إلى شيء سوى عذر جميل |
| وقد أنفدت ما حقي عليه | قبیح الهجو أو شتم الرسول |
| وذاك على انفرادك قوت يوم | إذا أنفقت إنفاق البخيل |

وان الوزن وهو أتم وزن يقام صفاه بالحرف العليل
وإن يك ما بعثت به قليلاً في حال أقل من القليل
والله أعلم .

وفيها - قاله عمارة في تاريخ اليمن - استولى نجاح على اليمن كما مرّ ، ونجاح
مولى مرجان ومرجان مولى حسين بن سلامة وحسين مولى رشد ورشد مولى
بني زياد ، ولنجاح أولاد منهم : سعيد الأحول وجياش ومعارك ، وملك نجاح
اليمن حتى توفي سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ، قيل : أهدى له الصليحي جارية
جميلة فسّمته .

ثم ملك بعد نجاح بنوه وبنوهم ، وغلب عليهم الصليحي كما سيذكر ، فهرب
بنو نجاح إلى دهلك وجزائرها ثم افترقوا منها ، فقدم جياش متكرراً إلى زبيد
وأخذ منها وديعة كانت له ثم عاد إلى دهلك مدة ملك الصليحي ، وقدم سعيد
الأحول إلى زبيد أيضاً بعد عود أخيه جياش عنها واستتر بها ، واستدعى جياشاً
من دهلك وبشره بانقضاء ملك الصليحي وأنه قد قرب أوانه فجاءه جياش ،
وظهر حينئذ سعيد بزبيد وسارا في سبعين رجلاً من زبيد في تاسع ذي القعدة سنة
ثلاث وسبعين وأربعمائة ، وقصده الصليحي وكان في الحج فلحقاه عند أم الدهيم
وبشر أم معبد وقتلاه وأخاه عبد الله بن محمد بغتة في ثاني عشر ذي القعدة من
السنة المذكورة ومعه عسكر لم يشعروا إلا بقتلها وحز سعيد رأسها ، واحتاط
على زوجة الصليحي أسماء بنت شهاب وعاد إلى زبيد ، وكان لأسماء ابن يسمى
الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي له بعض حصون اليمن .

ودخل سعيد بن نجاح وأخوه جياش زبيد في أواخر سنة ثلاث وسبعين
وأربعمائة ، والرأسان أمام هودج أسماء بنت شهاب وأنزل أسماء بدار في زبيد
ونصب الرأسين قبالتها ، واستوثق الأمر بتهامة لسعيد . واستمرت أسماء
مأسورة إلى سنة خمس وسبعين وأربعمائة ، فأرسلت خفية إلى ابنها المكرم
تسترجيه ، فجمع المكرم جمعاً وسار من الجبال إلى زبيد وقاتل سعيداً قتالاً

شديداً ، فانهزم سعيد إلى دهلك واستولى المكرم على زبيد وأنزل رأس الصليحي ورأس أخيه فدفنهما وبني عليهما مشهداً ، وولى على زبيد خاله أسعد بن شهاب ، وماتت أسماء بعد ذلك بصنعاء سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

ثم عاد بنو نجاح من دهلك وأخرجوا أسعد وملكوا زبيد سنة تسع وسبعين وأربعمائة . ثم غلبهم المكرم وملك زبيد وقتل سعيداً سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وقيل : سنة ثمانين ، ونصب رأسه بيده . وهرب جيش إلى الهند وعاد بعد ستة أشهر إلى زبيد فملكها في بقايا سنة إحدى وثمانين المذكورة ، وكان قد اشترى من الهند جارية هندية فولدت بزبيد ابنه الفاتك ، وبقي المكرم في الجبال يشن الغارات على بلاد جيش لا يقدر على غير ذلك . ولم يزل جيش مالكا لتهامة من سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة إلى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة فمات في أواخرها وقيل : في سنة خمسمائة ، وله بنون منهم : فاتك من الهندية ومنصور وابراهيم . فتولى بعده ابنه فاتك ، وخالف عليه أخوه ابراهيم ، ثم مات فاتك سنة ثلاث وخمسمائة .

وملك بعده ابنه منصور دون البلوغ ، فقصده عمه ابراهيم وقاتله فما ظفر بطائل . وثار في زبيد عم الصبي عبد الواحد بن جيش وملك زبيد ، فاجتمع عبيد فاتك على منصور واستنجدوا وقصدوا زبيد وقهروا عبد الواحد ، واستقر منصور بن فاتك في الملك بزبيد . ثم ملك بعده ابنه فاتك بن منصور . ثم ملك بعده ابن عمه فاتك الأخير ابن محمد بن فاتك بن جيش بن نجاح سنة إحدى وثلثين وخمسمائة ، واستقر فاتك بن محمد في ملك اليمن من السنة المذكورة حتى قتله عبيده سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وهو آخر ملوك اليمن من بني نجاح ، ثم ملك اليمن علي بن مهدي وسيأتي .

سنة ثلاث عشرة وأربعمائة :

وفيهما كان الصلح بين مشرف الدولة وأخيه سلطان الدولة على أن العراق

لمشرف الدولة وكرمان وفارس لسلطان الدولة . وفيها استوزر مشرف الدولة
أبا الحسن بن الحسن الرخجي ولقب مؤيد الملك ، وبني المارستان بواسطة بوقف
عظيم ، وكان يسأل الوزارة فيمتنع حتى ألزم بها هذه السنة .

وفيهما توفي علي بن عيسى الشكري شاعر السنة ناقض شعراء الشيعة وأكثر
من مدح الصحابة رضي الله عنهم فسمي بذلك . وفيها توفي أبو عبد الله بن المعلم
فقيه الإمامية ، وورثاه المرتضى . قلت : وفيها كسر الحجر الأسود ، كسره
رجل أعجمي أشقر أزرق فقتل ممن يشبهها خلق عظيم ، وجعلت له ضبة فضة
وهي بينة ، والله أعلم .

سنة أربع عشرة وأربعمئة :

وفيهما استولى علاء الدولة أبو جعفر بن كاكويه على همدان من يد صاحبها
سماة الدولة أبي الحسن بن شمس الدولة من بني بويه ، ثم ملك الدينور أيضاً ، ثم
ملك سابور خواشت أيضاً وقويت هيئته وضبط الملك . وفيها قبض مشرف
الدولة على وزيره الرخجي ، واستوزر أبا القاسم الحسين المغربي الذي كان وزير
قرواش ، وكان أبوه من أصحاب سيف الدولة بن حمدان وسار إلى مصر فولد له
أبو القاسم المذكور بها سنة سبعين وثلثمائة ، ثم قتل الحاكم أباه فهرب أبو القاسم
إلى الشام وتنقل في الخدم . وفيها غزا يمين الدولة الهند وعاد غانماً . وفيها توفي
القاضي عبد الجبار المتكلم المعتزلي وقد جاوز التسعين .

سنة خمس عشرة وأربعمئة :

قلت : وفيها قبض أسد الدولة صالح بن مرداس بحلب على القاضي أبي أسامة
ودفنه حياً في القلعة ، فقال بعضهم في ذلك :

وأد القضاة أشد من وأد البنات عمى وغيا

أدفت قاضي المسلمين بقلعة الشهباء حيا

والله أعلم .

وفيها في شوال توفي سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة أبي نصر بن
عضد الدولة بشيراز وعمره اثنتان وعشرون سنة وأشهر ، فاستولى أخوه قوام
الدولة أبو الفوارس على مملكة فارس ، وكان أبو كاليبجار بن سلطان الدولة
بالأهواز فسار وقاتل عمه فانهزم عمه ، فاستولى أبو كاليبجار على مملكة أبيه
بفارس ثم أخرجه عمه أبو الفوارس عنها ، ثم ملكها أبو كاليبجار ثانياً ، وهزم عمه
قوام الدولة وملك شيراز واستقر في ملك أبيه . وفيها توفي علي بن عبد الله بن
عبد الغفار السهماني اللغوي ، وكتب الأدب التي عليها خطه مرغوب فيها .

سنة ست عشرة وأربعمائة :

وفيها غزاهم الدولة الهند وأوغل وفتح مدينة الصنم المسمى بسومنا
أعظم أصنام الهند يحجون إليه ووقفه فوق عشرة آلاف ضيعة ، وكان قد اجتمع
في بيت الصنم من الجواهر والذهب ما لا يحصى فغنم الكل ، وكان الصنم صلباً
فأوقد عليه حتى قدر على كسره ، كان طوله خمسة أذرع منها ثلاثة بارزة وذراعان
في البناء ، وأخذ بعض الصنم معه إلى غزنة وجعله عتبة الجامع .

قلت : وفيها توفي بسيل ملك الروم ابن أرمانوس وكان فيما يزعم من رآه من
المسلمين مسلماً أكثر أيمانه : وحق ما في صدري ، وقيل : انه كان يعلق على
صدره تحت ثيابه مصحفاً ، وبقي في الملك خمسين سنة ، والله أعلم .

وفيها في ربيع الأول توفي مشرف الدولة بن بهاء الدولة وعمره ثلاث
وعشرون سنة وستة أشهر ، وملكه خمس سنين وخمسة عشر يوماً وكان عادلاً .
وفيها قتل التهامي علي بن محمد الشاعر صاحب :

حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار

قلت : ولي في وزنها قصيدة طويلة ، منها :

أترى أسراً بدفن بنت قائل الله جارك إن دمعي جاري

فبنات نعش أنجم وكألهما
أقسمت ما كرهوا البنات لبخلهم
بالنعش فاطلب مثله لجواري
كرهوا البنات كراهة الأصهار
ومنها :

يا رب أمرد كالغزال لطرفه
ومعذر كالمسك نبت عذاره
وبديعة إن لم تكن شمس الضحى
أعرضت إعراض التعفف عنهم
ما ذاك جهلاً بالجمال وإنما
ليس الحنا من شيمة الأحرار
حكم المنية في البرية جاري
والخال فهو زيادة العطار
فالوجه منها طابع الأقبار
وقطعت وصلهم وقرّ قراري
حكم المنية في البرية جاري
والخال فهو زيادة العطار
فالوجه منها طابع الأقبار
وقطعت وصلهم وقرّ قراري

ولكن أين وأين وشتان بين وبين . والله أعلم . وصل التهامي (١) المذكور
إلى القاهرة متخفياً ومعه كتب من حسان بن مفرج بن دعبل البدوي إلى بني
قرة فعلم به وحبس في خزانة البنود ثم قتل محبوساً . قلت : ورؤي في المنام
بخير بسبب قوله في قصيدة في ابنه الذي مات صغيراً :

جاورت أعدائي وجاور ربه شتان بين جواره وجواري
والله أعلم .

سنه سبع عشرة وأربعمائة :

وفيهما صادرت الأتراك ببغداد الناس وطمع في العامة بموت مشرف الدولة
وخلو بغداد من سلطان . وفيها توفي أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبد الله الفقيه
الشافعي المعروف بالقفال وعمره تسعون سنة وتصانيفه نافعة ، وتقدم ذكر
القفال الشاشي .

(١) تهامة : تطلق على مكة ، ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : تهامي ، وتطلق على البلاد
التي بين الحجاز وأطراف اليمن .

سنة ثمان عشرة وأربعائة :

وفيها سار جلال الدولة من البصرة إلى بغداد استدعاه الجند بأمر الخليفة للنهب والفتن ، فدخلها ثالث رمضان وتلقاه الخليفة واستقر ببغداد ملكاً .
وفيها توفي الوزير أبو القاسم المغربي وعمره ست وأربعون سنة . وفيها سقط بالعراق برّد وزن البردة رطل ورطلان بالبغدادي وأصغره كالبيضة . وفيها نقضت الدار التي بناها عز الدولة ببغداد وغرامتها الف الف دينار فبذل في حكاكة سقف منها ثمانية آلاف دينار .

وفيها توفي الأستاذ أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران الاسفرايني ركن الدين الفقيه الشافعي المتكلم الأصولي ، أخذ عنه الكلام عامة شيوخ نيسابور ، صنف ورد على الملحدين وبلغ الاجتهاد لتبحره واختلف اليه القشيري وأكثر البيهقي من الرواية عنه . وفيها توفي أبو القاسم بن طباطبا الشريف أحمد بن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم طباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، نقيب الطالبين بمصر ، كان جده أثلغ قال يوماً : طباطبا ، يريد قبا قبا . وعمن شعره :

كانت نجوم الليل سارت نهارها فوافت عشاء وهي أنضاء أسفار
وقد خيمت كي يستريح ركابها فلا فلك جار ولا كوكب ساري

قلت : وفيها وصل أسد الدولة صالح بن مرداس صاحب حلب إلى معرة النعمان وأمر باعتقال أكابرها ، وسبب ذلك : أن امرأة صاحبت في الجامع يوم الجمعة وذكرت أن صاحب الماخور أراد أن يفصمها نفسها ، فنفر كل من بالجامع غير الأكابر والقاضي فهدموا الماخور وأخذوا خشبه ونهبوه ، فحضر صالح واعتقلهم ثم صادرهم ، واستدعى صالح الشيخ أبا العلا بظاهر المعرة . ومما خاطبه به : مولانا السيد الأجل أسد الدولة ومقدمها وناصرها كالنهار الماتع اشتد هجيرته وطاب ابراده وكالسيف القاطع لأن صفحه وخشن حدّاه : خذ العفو

وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين ، فقال : قد وهبتهم لك أيها الشيخ . فقال
أبو العلاء بعد ذلك :

بعثت شفيحاً إلى صالح وذاك من القوم رأي فسد
فيسمع مني سجع الحمام وأسمع منه زئير الأسد

والله أعلم .

سنة تسع عشرة وأربعمائة :

وفيها في ذي القعدة توفي قوام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة صاحب
كرمان ، فسار ابن أخيه أبو كاليبجار لابن سلطان الدولة صاحب فارس فاستولى
على كرمان صفواً وعفوياً .

سنة عشرين وأربعمائة :

وفيها استولى يمين الدولة محمود على الريّ وقبض على مجد الدولة بن فخر
الدولة بن بويه صاحب الري لا اشتغال مجد الدولة عن الملك بمعاشرة النساء
والكتب ، فشكاه الجند اليه فبعث عسكرياً قبضوا عليه . وفيها قتل صالح بن
مرداس الكلبي صاحب حلب كما مر . وفيها توفي منو جهر بن قابوس بن وشمكير
ابن زياد وملك ابنه أنوشروان . قلت : وفيها نهض أهل الغرب من ضياع معرفة
النعمان وأفامية وكفرطاب إلى كفر تيل وكان أهلها نصارى فأرادوا قتلهم ،
فامتنعت النصارى وأكثروا القتلى في المسلمين ثم رحلوا منها سراً إلى بلد الروم
فأعطوهم ضيعة تعرف بنيكارين ، والله أعلم .

سنة إحدى وعشرين وأربعمائة :

وفاة السلطان محمود بن سبكتكين

وفيها توفي السلطان محمود بن سبكتكين في ربيع الآخر ، ومولده في

عاشوراء سنة ستين وثلثمائة ، مات بالإسهال ودام به سنين ، وكان قوي النفس لم يضع جنبه في مرضه بل استند إلى نحوه وأوصى بالملك لابنه محمد وهو أصغر من مسعود فملك محمد ، وكان أخوه مسعود بأصبهان فسار نحو أخيه محمد ، فاتفق الكبار من العسكر وقبضوا على محمد وحضر مسعود فاستقر في الملك وأطلق أخاه وأحسن إليه ، ثم قبض على قابضي محمد الساعين لمسعود . قلت : كفاهم الله على فعلهم وهذه عاقبة الغدر ، والله أعلم .

سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة :

ذكر ملك الروم للرها

وفيهما استولى عسكر السلطان مسعود على التيز وُمكران .

وكانت الرها لعطير من بني غير فاستولى أبو نصر بن مروان صاحب ديار بكر على حران وجهاز من قتل عطيراً ، فأرسل صالح بن مرداس يشفع في ردها إلى ابن عطير وإلى ابن شبل نصفين ، فسلمها اليهما سنة ست عشرة وأربعمائة ، واستمرت لهما إلى هذه السنة ، فراسل ابن عطير ملك الروم وباعه حصته من الرها بعشرين الف دينار وعدة قرى ، وحضر الروم وتسلموا برج ابن عطير فهرب أصحاب ابن شبل واستولى الروم على البلد وقتلوا المسلمين وخرّبوا المساجد . وفيها في ذي الحجة توفي القادر بالله أبو العباس أحمد بن الأمير اسحاق ابن المقتدر وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر وخلافته إحدى وأربعون سنة وأشهر .

ذكر أخبار القائم بأمر الله

ولما مات تولى ابنه القائم بأمر الله سادس عشرم أبو جعفر عبد الله بمهد أبيه ومبايعته له فجددت البيعة ، وأرسل القائم أبا الحسن الماوردي إلى الملك أبي كاليجار فبايعه له وخطب له ببلاده . وفيها سارت الروم ومعهم حسان بن

مفرج الطائي وهو مسلم هرب اليهم من الأردن من عسكر الظاهر العلوي جاء مع الروم وعلى رأسه علم فيه صليب ، وكبسوا اقامية وملكوا قلعته وأسروا وغنموا وسبوا .

سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة :

وفيهما نهب الجند دار جلال الدولة وأخرجوه من بغداد وكتبوا إلى كاليجار يستدعونه فتأخر ، وكان جلال الدولة قد خرج إلى عكبرا ، ثم اتفقوا وعاد جلال الدولة إلى بغداد .

سنة أربع وعشرين وأربعمائة :

ففيها قبض مسعود بن محمد على شهر نوش^(١) صاحب ساوة وقم ونواحيها ، آذى حجاج خراسان كثيراً فقبضه عسكر مسعود بأمره وصلبه على سور ساوة . وفيها توفي احمد بن الحسن الميمندي وزير السلطان محمود وابنه مسعود . قال المؤلف رحمه الله تعالى : ينبغي تحقيق ذلك ، فإنه ورد أن محموداً قتل وزيره المذكور . قلت وفيها : أخذ الحاج بتبوك ومات أكثرهم جوعاً وعطشاً وكثير

(١) ورد الاسم في تاريخ أبي الفداء « شهر يوش » وكذلك في الكامل لابن الاثير . كما ورد في الكامل تفصيلات اخرى عنه ، قال : « كان صاحب ساوة وقم وتلك النواحي (شهر يوش) . فلما اشتغل مسعود بأخيه محمد بعد موت والده جمع شهر يوش جمعاً وسار إلى الري محاصراً لها فلم يتم ما أراد . وجاءت العساكر فعاد عنها . ثم في هذه السنة اعترض الحجاج الواردين من خراسان وعمهم أذاه وأخذ منهم ما لم تجر به عادة وأساء اليهم . وبلغ ذلك مسعود فتقدم إلى تاش فراش وإلى أبي الطيب طاهر بن عبد الله خليفته معه يطلب شهر يوش وقصده أين كان واستنفاد الوسع في قتاله ، فسارت العساكر في أثره . فاحتفى بتلة تقارب قم تسمى فستق ، وهي حصينة عالية المكان . فأحاطوا به وأخذوه . »

من أعيان حلب منهم احمد بن أبي جرادة والله أعلم . وفيها توفي القاضي بن السمال^(١) وعمره خمس وتسعون .

سنة خمس وعشرين وأربعمائة :

فيها فتح السلطان مسعود قلعة سرستي وما جاورها من الهند وهي حصينة قصدها أبوه مراراً فلم يقدر عليها ، فطم مسعود خندقها بالشجر وقصب السكر وفتحها قتلاً وسبياً . وفيها توفي بدران بن المقلد صاحب نصيبين فقصد ولده قريش عمه قرواشاً فأقر عليه حاله وماله وولاية نصيبين . قلت : وفي قريش المذكور يقول الأمير أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة المعري وأنفذها إليه جواباً عن إحسان وصله منه ، ابتداءً من قصيدة طويلة :

أبت عبراته إلا انهمالا عشية أزمع الحي ارتحالا
أجدك كلما هموا بنأي تفرق ماء عينك ثم سالا
تقاضيها مواعد أم عمرو فظنت أن تنيل وأن تنالا
وسار خيالها الساري إلينا فلو علمت لعاقبت الخيالاً

ومنها :

إذا وصلت ركائبنا قريشاً فقد وصلت بنا البحر الزلالا
فتى لو مدّ نحو الجو باعاً وهم بأن ينال الشهب نالا
إذا انتسب ابن بدران وجدنا مناسبه العلية لا تعالي
تطول بها إذا ذكرت معدّ وتكسب كل قيسي جمالا
أيا علم الهدى نجوى محب يحبكم اعتقاداً لا انتحالا
مننت فلم تشجعني عناءاً وجدت فلم تكلفني سؤالاً
إذا عدم الزمان مسيبياً فساق الله للدنيا الوبالا

والله أعلم .

(١) ورد الاسم في تاريخ أبي الفدا : ابن السماك ، وفي الكامل «ابو الحسن الواعظ المعروف بابن السماك» كان يعظ بجامع المنصور وجامع المهدي ويتكلم على طريقة الصوفية .

سنة ست وعشرين وأربعمائة :

ذكر حال الخلافة والسلطنة ببغداد

وفيها انحل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد وأخذ العيسارون في النهب بلا مانع^(١) ، والسلطان جلال الدولة لا يمثل له أمر والخليفة كذلك ، وقطعت العرب الطرقات^(٢) . وفيها وصلت الروم إلى ولاية حلب فقاتلهم صاحبها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس فهزموهم وتبعهم إلى عزاز فقتل وغنم . قلت : وكان اسم ملك الروم أرمانوس ، والصحيح الذي قاله ابن المهذب المعري في تاريخه : أن خروج أرمانوس كان سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وكانوا ستمائة ألف وخرج في شهر تموز ومعه ملك البلغرى وملك الروس والألمان والخزر والأرمن والبلجيك والفرنج وغنم المسلمون منهم ما لا يحصى وأسرت جماعة من أولاد ملوكهم . وفي ذلك يقول الأمير أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة المعري من قصيدة طويلة وأنشده إياها بظاهر قنسرين :

ديار الحي مقفرة يباب كأن رسوم دمنتها كتاب
نأت عنها الربابوبات يهمي عليها بعد ساكنها الرباب
تعاتبني أمامة في التصابي وكيف به وقد فات الشباب
نضا مني الصبا ونضوت منه كما ينضو من الكف الخضاب

ومنها :

إلى نصر وأي فتى كنصر إذا حلت بمغناه الركاب

(١) « وعظم أمر العيسارين وصاروا يأخذون الأموال ليلاً ونهاراً ولا مانع لهم . وانتشر العرب في البلاد ونهبوا النواحي وبلغوا أطراف بغداد حتى وصلوا إلى جامع المنصور ، وأخذوا ثياب النساء في المقابر » . الكامل ج ٨ ص ٨ .

أمنتك الصليب غداة ظلت خطاما فيهم السمر الصلاب
جنودك لا يحيط بهنّ وصف وجودك لا يحصله حساب
وذكرك كله ذكر جميل وفعلك كله فعل عجاب
وأرمانوس كان أشد بأساً وحل به على يدك العذاب
أناك يجر بجرأ من حديد له في كل ناحية عباب
إذا سارت كتائبه بأرض تزلزلت الأباطح والهضاب
فعاد وقد سلبت الملك عنه كما سلبت عن الميت الثياب
فما أدناه من خير مجيء ولا أقصاه عن شر ذهاب
فلا تسمع بطنطنة الأعادي فإنهم إذا طنوا ذباب
ولا ترفع لمن عاداك رأساً فإن الليث تنبحه الكلاب

والله أعلم .

وفيها : نهبت خفاجة^(١) الكوفة . وفيها توفي احمد بن كليب الشاعر وكان
يهوى أسلم بن احمد بن سعيد فمات كمدأ فيه ، وله فيه :

وأسلمني^(٢) في هوا ه أسلم هذا الرشا
غزال له مقلة يصيد بها من يشا
وشى بيننا حاسد سيسأل عما وشا
ولو شاء أن يرتشي على الوصل روجي ارتشي

(١) كان مقدمهم الحسن بن أبي البركات بن ثمال . فنهبوا الكوفة ومنعوا النخل من الماء
فهلك أكثره . والحسن هذا ، قام بإمارة بني خفاجة بعد ان قتل عمه علي بن ثمال أمير بني خفاجة .
(٢) وردت في الكامل وغيره « أسلمني في هوى » .

سنة سبعة وعشرين وأربعمائة :

ذكر وفاة الظاهر وولاية المستنصر

وفيها منتصف شعبان توفي الظاهر أبو الحسن علي بن الحاكم العلوي بمصر وعمره ثلاث وثلاثون وخلافته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وأيام ، كان له مصر والشام وإفريقية كان حسن السيرة منصفاً^(١) ، وولي بعده ابنه أبو تميم معد ولقب بالمستنصر بالله ، ومولده سنة عشرين وأربعمائة . وفيها فتح ابن وثاب وابن عطية السويدياء عنوة بعسكر نصر الدولة بن مروان ، وكان الروم قد أحدثوا عمارتها واجتمع اليها أهل القرى المجاورة لها .

ذكر أخبار ولاية الجزيرة الخضراء

وفيها قتل يحيى الأدريسي بن علي بن حمود ، وتولى أخوه إدريس وتلقب بالمتأيد بمالقة حتى توفي سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، ثم ملك القاسم بن محمد ابن عم إدريس مدة ثم ترك الملك وتزهد ، فملك بعده الحسن بن يحيى بن علي بن حمود وتلقب بالمستنصر إلى أن توفي ، فملك بعده أخوه إدريس بن يحيى وتلقب بالعالى وفسد تدبيره حتى أدخل أولاد الأراذل على حريمه ، فخلع وبويع ابن عمه محمد بن إدريس بن علي بن حمود وتلقب بالمهدي وسجن العالى ، وبقي المهدي حتى توفي سنة خمس وأربعين وأربعمائة وهو آخر ملوكهم بتلك البلاد وانقرضوا سنة خمس وأربعين وأربعمائة . وفي خلافة المهدي قام محمد بن القاسم بن حمود من بني عمه بالجزيرة الخضراء وتلقب بالمهدي أيضاً واجتمع البربر عليه ثم افترقوا فمات بعد قليل ، فقام بالجزيرة الخضراء ابنه القاسم وهو آخر ملوكهم بها .

(١) ذكر ابن الاثير عنه انه كان ايضاً مشتغلاً ببلذاته محباً للدعة والراحة . عهد بأموره الى وزيره ابي القاسم علي بن احمد الجرجرائي لمعرفته بكفايته وأمانته .
ويروى ان ابا القاسم هذا، كان مقطوع اليدين من المرفقين، قطعها الحاكم سنة اربع واربعمائة، ثم عاد فاستعمله في بعض الاعمال ، ثم بعد فقد الحاكم بأمر الله تنقلت به الاحوال الى ان اصبح وزيراً للظاهر ثم لولده المستنصر .

وفيها : توفي رافع بن الحسن بن معن وكان حازماً شجاعاً قطعت يميناه في
عربدة شرب ، ومن شعره :

لها ريقة أستغفر الله إنها ألد وأشهى في النفوس من الخمر
وصارم طرف لايزايل جفنه ولم أر سيفاً قط في جفنة يفري
فقلت لها والعيس تحدج بالضحي

أعديّ لفقدي ما استطعت من الصبر

أليس من الخسران أن ليالياً تمر بلا وصل وتحسب من عمري

وفيها وقبل سنة سبع وثلاثين توفي أبو إسحاق الشيخ أحمد بن محمد بن
ابراهيم الثعلبي ويقال: الثعالبي^(١)، أوحده في التفسير وله العرائس في قصص الأنبياء
صحيح النقل روى عن جماعة .

سنة ثمان وعشرين وأربعمائة :

وفيها توفي أبو القاسم علي بن الحسين بن مكرم صاحب عمان ، وولي ابنه .
وفيها توفي مهييار الشاعر كان مجوسياً فأسلم سنة أربع وتسعين وثلثمائة .
وصحب الشريف الرضي فقال له أبو القاسم بن برهان : يامهييار انتقلت باسلامك
(في النار) من زاوية الى زاوية . قال : كيف؟ قال : لأنك كنت مجوسياً فصرت
تسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . ومن شعره :

| | |
|--------------------------|-----------------------|
| نقضتم عهوده في أهله | وجرتم عن سنن المراسم |
| وقد شهدتم مقتل ابن عمه | خير مصلّ بعده وصائم |
| وما استحل باغياً امامكم | يزيد بالطف من ابن عمه |
| وها الى اليوم الطباخاضبة | من دمهم مناسر القشاعم |

قلت : وله أيضاً :

(١) كان إماماً في اللغة والخبار وأيام الناس . سمي الثعالبي لأنه كان رفاء يخيظ جلود
الثعالب ، وله أشعار كثيرة حسنة .

إذا استوحشت عيني أنست بأن أرى نظائر تصبيني اليها وأشباها
وأعتنق الفصن الرطيب لقدمها وأرشف ثغر الكاس أحسبه فاها
دعوه ونجداً إنها شأن قلبه فلو أن نجداً تلة ما تعداها
وهبكم منعم أن يراها بعينه فهل تمنعون القلب أن يتمناها
واسم أبيه مزرويه . والله أعلم .

وفيهما توفي أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد القدوري الحنفي ومولده سنة
اثننتين وستين وثلثمائة ، انتهت إليه رياسة الحنفية بالعراق وله كتاب القدوري ولا
نعلم لم نسب الى القدور .

قلت : وما أحسن قول بعض المتأخرين في مליح طباخ :
رب طباخ مليح أهيف القد غرير
مالكي أصبح لكن شفلوه بالقدور
وهو شبيه بقوله :

أقول له بيسرى وهو ظبي يصيد الأسد فيها أي صيد
بلادك أين قال من السويدا فقلت لصاحبي هذا سويدي
ومعلوم أن في قوله (بلادك أين) نظر حيث لم يقل أين بلادك ، لأن الاستفهام له
صدر الكلام ، وكذا في قوله : سويدي نسبة الى السويدا ، والقياس سويداوي
والله أعلم .

ذكر وفاة ابن سينا

وفيهما توفي الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا البخاري والده من
بلخ وسكن بخارى أيام الأمير نوح ثم تزوج امرأة بقرية أفشنة وبها ولد الرئيس
وأخوه ، وختم الرئيس القرآن وهو ابن عشر سنين وقرأ الحكمة على أبي عبد الله
التاتلي وحل أقليدس والمجسطي والطب وهو ابن ثمانين عشرة ، ثم انتقل من
بخارى الى جرجانية وغيرها ، وفي جوزجان اتصل به أكبر أصحابه أبو عبد الله
الجوزجاني ، ثم اتصل بخدمة مجد الدولة بن بويه بالري ، ثم خدم قابوس بن
وشمكير ، ثم قصد علاء الدولة بن كاكويه وتقدم عنده . ثم مرض بالصرع

والقولنج وترك الحمية ومضى الى همدان مريضاً ومات بها وعمره ثمان وخمسون .
وكفره الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال ، وكفر الفارابي ايضاً .

قلت : قال في المنقذ من الضلال إن مجموع ما غلطا فيه من الالهيات يرجع الى
عشرين أصلاً يجب تكفيرها في ثلاثة منها وتبديعها في سبعة عشر . أما المسائل
الثلاث : فقد خالفاً فيها كافة الاسلاميين . الاولى : قالوا : إن الأجساد لا تحشر
وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح . الثانية : قولهم : إن الله يعلم الكلبيات دون
الجزئيات . الثالثة : قولهم بقدم العالم . واعتقادهم هذا كفر صريح نعوذ بالله منه .
قال ابن خلكان رحمه الله : ثم إن ابن سينا لما أيس من العافية ترك المداواة
واغتسل وقاب وتصدق بما معه على الفقراء ورد المظالم على من عرفه واعتق
بماليكه ، وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمه ثم مات بهمدان يوم الجمعة من رمضان
والله أعلم .

وله مائة منصف . وقال في المقالة الأولى من الفن الخامس من طبيعيات
الشفاء : وقد صحّ عندي بالتواتر ما كان ببلاد جوزجان في زماننا من أمر حديد
ثقله وزن مائة وخمسين مناً نزل من الهواء فنشب في الأرض ثم نبا نبوة الكرة التي
يرمى بها الحائط ثم عاد فنشب في الأرض وسمع الناس لذلك صوتاً عظيماً هائلاً ،
فلما تفقدوا أمره ظفروا به وحملوه الى والي جوزجان ثم كاتبه سلطان خراسان
محمود بن سبكتكين يرسم بانفاذه أو انفاذ قطعة منه ، فتعذر نقله لثقله فحاولوا
كسر قطعة منه فما كانت الآلات تعمل فيه إلا يجهد وكان كل آلة تعمل فيه
تنكسر ، لكنهم فصلوا منه آخر الأمر شيئاً فأنفذوه اليه ورام أن يطبع منه
سيفاً فتعذر عليه . وحكي أن جملة ذلك الجوهر كان ملتصقاً من أجزاء جاورسية
صغار مستديرة التصق بعضها ببعض ، قال : وهذا الفقيه عبد الواحد الجوزجاني
صاحبي شاهد ذلك كله .

سنة تسع وعشرين وأربعمائة :

فيها هادن المستنصر العلوي الروم على أن يطلقوا خمسة آلاف أسير

ويمكنوا من عمارة قمامة التي خربها الحاكم ، وفعلوا ذلك . وفيها : توفي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الشعالي النيسابوري صاحب التصانيف منها : « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » ، ومولده سنة خمسين وثلثمائة .

سنة ثلاثين وأربعمائة :

فيها توفي أبو علي الحسين الرخجي كان وزير بني بويه ، ثم عطل وتقدم الوزراء عاطلاً . قلت وفيها : توفي الشيخ أبو المجد محمد بن عبد الله بن سليمان أخو أبي العلا المعري ، وقدم أبو العلاء الشيخ أبا صالح محمد بن المهذب للصلاة عليه . والله أعلم . وفيها توفي أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني الحافظ ، وأبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوي أمير مكة ، والفضل بن منصور بن الظريف الفارقي الأمير الشاعر .

سنة احدى وثلاثين وأربعمائة :

ذكر اخبار عمان

فيها ملك الملك أبو كاليبجار البصرة . وفيها لما توفي أبو القاسم بن مكرم صاحب عمان ولي ابنه أبو الجيش وقدم صاحب جيش أبيه علي بن هطال ، وكان لأبي الجيش أخ يقال له المهذب ينكر علي أخيه قيامه لابن هطال فعمل ابن هطال دعوة للمهذب وسقاه حتى سكر فقال له ابن هطال : إن أخرجت أخاك وملكتك ما تهطيني ؟ فوعده بعظيم ، فأخذ ابن هطال خطه بذلك وأصبح فعرف أخاه أن المهذب يسعى في الملك وأراه خطه فقتل أبو الجيش المهذب ، وبعده بقليل مات أبو الجيش ، فطلب ابن هطال أخاه الصغير أبا محمد ليجمعه في الملك فلم تفعل أمه ، فاستولى ابن هطال على عمان وأساء السيرة ، فبلغ ذلك أبا كاليبجار فأعظمه وجهاز اليه جيشاً وخرج الناس عن طاعته فقتله خادم له وقرواش ، واستقر الأمر لأبي محمد بن أبي القاسم بن مكرم في هذه السنة .

وفيها توفي شبيب بن وثاب النميري صاحب الرقة وسروج وحران . وفيها

توفي أبو نصر موسكان كاتب إنشاء مسعود وأبيه محمود بن سبكتكين كاتب مفلق .
سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة :

ذكر ابتداء ملك السلجوقية وسياق أخبارهم

فيها توطد ملك طغرلبك وأخيه داود ابني ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ،
وكان دقاق شهماً من مقدمي الأتراك ، ونشأ ابنه سلجوق وعليه إمارات النجابة
فقدمه بيغو ملك الترك وتقوى وخاف من بيغو فدخل بكل من أطاعه من دار
الحرب الى دار الاسلام لسعادته وسعادة ولده ، وأقام بنواحي جند - مجيم
مفتوحة ونون ساكنة - بليدة وراء بخارى وصار يفتزو الترك الكفار . وكان
لسلجوق من البنين أرسلان وميكائيل وموسى ، وتوفي سلجوق بجند وعمره مائة
وسبع سنين ، وبقي أولاده على ما كان أبوهم عليه من غزو كفار الترك فقتل
ميكائيل في الغزاة شهيداً ، وخلف من البنين بيغو وطغرلبك وجعروبيك داود .
ثم نزلوا على فرسخين من بخارى فأساء أمير بخارى جوارهم فالتجأوا إلى بغراخان
ملك التركستان .

واستقر الأمر بين طغرلبك وأخيه داود أن لا يجتمعا عند بغراخان حذراً
من غدره بهما واجتهد على اجتماعهما فلم يفعلاً فقبض على طغرلبك وأرسل عسكرياً
إلى أخيه داود فاقتلوا فانهزم عسكري بغراخان ، وقصد داود موضع أخيه
طغرلبك وخلصه وأقاما بجند حتى انقضت الدولة السامانية .

وملك أيلك خان بخارى فعظم عنده أرسلان بن سلجوق ، ثم سار أيلك خان
عنها وبقي ببخارى علي تكين ومعه أرسلان بن سلجوق حتى عبر محمود بن
سبكتكين نهر جيحون وقصد سنجاراً فهرب علي تكين من بخارى ودخل أرسلان
وجماعته المفازة والرمل ، فكاتب السلطان محمود أرسلان واستماله إلى أن قدم
فقبض عليه ونهب خراكواته . وأشار أرسلان الخازن على السلطان محمود بتغريق
السلجوقية جماعة أرسلان في جيحون فأبى ، فأشار بقطع إبهاماتهم ليبطل رميهم
بالنشاب فأبى ، وعبرهم نهر جيحون وفرقهم في نواحي خراسان بخراج عليهم ،

فجارت العمال عليهم فانفصل منهم جماعة إلى أصفهان وحاربوا علاء الدولة بن كاكويه وساروا إلى أذربيجان .

وهؤلاء كانوا جماعة أرسلان بن سلجوق وصار اسمهم هناك الترك الغزية وبذلك سميت جماعتهم كلها . وسار طغرل بك وأخوه داود وبينفو من خراسان إلى بخارى فقتل عسكر علي تكين خلقاً من جماعتهم ، فاضطروا إلى العود إلى خراسان فعبروا جيحون وخيموا بظاهر خوارزم سنة ست وعشرين وأربعمائة ، واتفقوا مع خوارزم شاه هردن بن الطنطاس وعاهدتهم ، ثم غدر بهم وكبسهم فقتل فيهم كثيراً ونهب وسبى ، فساروا عنه إلى جهة مرو ، فأرسل اليهم مسعود ابن السلطان محمود جيشاً فهزمهم واقتتل الجيش على الغنيمة .

ثم عادوا فوجدوا العسكر مختلفاً مقتتلاً فأوقعوا بعسكر مسعود وهزموه واستردوا ما أخذ لهم فهابتهم قلوب العسكر ، فاستألم السلطان مسعود فأظهروا الطاعة وأرسلوا يسألونه إطلاق عمهم أرسلان الذي قبضه السلطان محمود ، فأحضره مسعود إليه ببلخ واستقدمهم فامتنعوا فأعاد حبسه وعادت الحرب بينهم ، وهزموا عسكر مسعود مرة بعد أخرى وقووا واستولوا على غالب خراسان واستنابوا في النواحي وخطب لطرل بك في نيسابور .

وسار داود إلى هراة وهربت عساكر مسعود وتقدموا خراسان إلى غزنة . وأعلموا مسعود بتفاقم الأمر فقصدهم مسعود بعساكره وخيوله فكلما تبعهم رحلوا عنه ، وطال البيكار^(١) على عسكره وقل القوت ، وكان لعسكر خراسان ثلاث سنين في البيكار ، ونزل العسكر في الحر بمنزلة قليلة الماء فافتتنوا وتخلي العسكر عن مسعود ضجراً واختلفوا ، فعادت السلجوقية عليهم فانهزمت عساكر مسعود وثبت مسعود في جمع ثم انهزم وغنم السلجوقية ما لا يحصر وقسم داود ذلك بين أصحابه وآثر على نفسه . وعادت السلجوقية فاستولوا على خراسان

(١) البيكار : كلمة فارسية معناها البطالة وعدم الشغل .

وخطب لهم على منابرها في آخر سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وسيأتي باقي خبرهم .

ذكر قبض مسعود وقتله : هرب مسعود وعسكره من بين أيدي السلجوقية من خراسان فوصل غزنة في شوال سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وقبض علي مقدم عسكره سياوش وعلي عدة من الأمراء ، وجهاز ابنه مودود الى بلخ ليرد عنها داود السلجوقي في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة . وسار مسعود ليشن ببلاد الهند على عادة والده وعبر سيحون فنهب انوش تكين أحد قواد عسكره بعض الخزائن واجتمع اليه جمع ، وألزم محمداً أخا مسعود بالقيام بالأمر فقام على كره ، وبقي مسعود في جماعة من العسكر والتقى الفريقان في منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين واقتتلوا شديداً ، فانهزم مسعود وجماعته وتحصن مسعود في رباط فحصره فخرج اليهم ، فأرسله أخوه محمد إلى قلعة كيدي وحمل مع مسعود أهله وأولاده وأمر باكرامه وصيانتهم .

ولما استقر محمد بن محمود بن سبكتكين في الملك فوَّض أمر دولته إلى ولده احمد وكان فيه خبط وهوج فقتل عمه مسعود بن محمد في قلعة كيدي بغير علم أبيه ، ثم شق ذلك على أبيه وساءه ، وكان مسعود كثير الصدقة تصدق مرة في رمضان بألف ألف درهم وكان يحسن إلى العلماء وصنفوا له التصانيف الحسنة ، وكان عظيم الملك حسن الخط ملك أصفهان والري وطبرستان وجرجان وخراسان وخوارزم وبلاد الران وكرمان وسجستان والسند والرخج وغزنة وبلاد الغور وأطاعه أهل البر والبحر .

ملك مودود بن مسعود وقتله عمه : ولما قتل مسعود كان ابنه مودود في حرب السلجوقية بخراسان وبلغه فعاد مجدداً إلى غزنة وقاتل عمه محمداً ، فانهزم محمد وقبض مودود على محمد وابنه احمد وأنوش تكين الذي نهب الخزائن وأقام محمداً فقتلهم وكان أنوش تكين خصياً من بلخ ، وقتل جميع أولاد محمد خلا عبد الرحيم وقتل كل داخل في القبض على أبيه ، ودخل مودود غزنة في ثالث عشري شعبان منها ، وملك مودود غزنة وأحسن وثبت في الملك ، وراسله

ملك الترك بما وراء النهر بالانقياد والمتابعة .

سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة :

فيها في المحرم توفي علاء الدولة أبو جعفر بن شهریار المعروف بابن كاكويه كان شجاعاً ذا رأي ، وقام بأصبهان بعده ابنه ظهير الدين أبو منصور فرامرز أكبر أولاده ، وسار ابنه كرشاسف بن علاء الدولة فأقام بهمذان وأخذها لنفسه . وفيها ملك السلطان طغرلبك جرجان وطبرستان .

وفيها : أمر المنتصر العلوي أهل دمشق بالخروج عن طاعة الدزبري^(١) فقصد الدزبري حماه فعصى عليه أهلها ، فكاتب محمد بن منقذ الكفرطابي فحضر اليه في نحو ألفي رجل فاحتفى به ، وسار إلى حلب وأقام بها مدة ، وتوفي الدزبري في نصف جمادى الآخرة من هذه السنة ، واسمه أنوش تكين ونسبته إلى دزبر بن رويثم الديلمي ، وفسد بموته الشام وزال النظام وخرجت العرب بنواحي الشام فخرج صاحب الرحبة أبو علوان ثمال ولقبه معز الدولة بن صالح بن مرداس إلى حلب فملكها^(٢) .

وفيها سير أبو كاليبجار من فارس عسكرياً فملك صحار مدينة عمان^(٣) . وفيها : توفي العادل أبو منصور بهرام وزير أبي كاليبجار ومولده سنة ست وستين وثلثمائة ، وكان حسن السيرة وبنى دار الكتب بفيروز اباد وجعل فيها سبعة آلاف مجلد .

سنة أربعة وثلاثين وأربعمائة :

فيها ملك السلطان طغرلبك خوارزم وهزم عنها المستولي عليها شاه ملك

(١) هو أنوشتكين الدزبري نائب المستنصر بالله صاحب مصر بالشام .

(٢) وخرج أيضاً حسان بن المفرج الطائي بفلسطين .

(٣) كان من في عمان قد أعلنوا العصيان ، فأقرت عساكر أبي كاليبجار الأمور بها .

ابن علي ، وبعدها استولى طغرل بك على بلاد الجبل فيها أيضاً . وفيها حصلت وحشة بين جلال الدولة والخليفة القائم بسبب الجوالي : كانت العادة أن تحمل الجوالي إلى الخلفاء فأخذها جلال الدولة ، فأرسل القائم إليه ابا الحسن الماوردي لذلك فلم يلتفت إليه ، فعزم القائم على مفارقة بغداد فلم يتم له ذلك .

وفيها خرج بمصر رجل اسمه سكين يشبه الحاكم فادعى أنه هو^(١) ، وتبعه من يعتقد رجعة الحاكم وقصدوا دار الخليفة ، فارتاع أهل الدار ثم ارتابوا فصلبوا أصحابه .

سنة خمس وثلاثين وأربعمائة :

ذكر وفاة جلال الدولة ابن بويه

وفيها في شعبان توفي جلال الدولة أبو طاهر بن بويه ببغداد بورم كبده ومولده سنة ست وثلاثين وثلثمائة ببغداد وملكه ست عشرة سنة وأحد عشر شهراً ، وكان ابنه بواسط فكتبه الجند فيما يحمله اليهم فلم ينتظم له أمر ، فقصد نصر الدولة بن مروان وتوفي عنده بميفارقين سنة إحدى وأربعين وأربعمائة . فلما لم ينتظم لابن جلال الدولة أمر كاتب أبو كاليبجار الجند ببغداد فاستقرت بغداد لأبي كاليبجار بن بويه ، وخطبوا له في صفر سنة ست وثلاثين وأربعمائة .

وفيها - أعني سنة خمس وثلاثين وأربعمائة - فتح عسكر مودود بن مسعود حصوناً من الهند . وفيها أسلم من الترك خمسة آلاف خركاه ولم يتأخر عن الاسلام سوى الخطا والتتر وهم بنواحي الصين . وفيها ترك شرف الدولة ملك الترك لنفسه بلاد بلاساغون وكاشغر وأعطى أخاه أرسلان تكين كثيراً من بلاد الترك

(١) جاء ذكره في كتب اخرى ، فذكر ان جمعاً كثيراً ممن يعتقدون برجعة الحاكم (لا اعتقادهم أنه إنما اختفى ليعود يوماً ما) اغتتموا خلو دار الخليفة بمصر من الجند فقصدوها مع سكين ظهراً ، وارتاع من بها من الجند عندما قيل لهم أنه الحاكم ، ثم ارتابوا في الأمر فقبضوا عليه ، فقاتلهم أصحابه قتالاً عنيفاً ، وقتل منهم كثير ، وأسر الباقون وصلبوا احياء .

وأعطى أخاه بفراخان أطرار واسبيجاب وأعطى عمه طغان فرغانة بأسرها
وأعطى علي تكين بخارى وسمرقند ، وقنع من أهله بالطاعة له . وفيها قطع
المعز بن باديس بأفريقية خطبة العلويين وخطب للقائم العباسي ووصلته خلع
القائم وأعلامه على طريق القسطنطينية في البحر .

سنة ست وثلاثين وأربعمائة :

وفيها خطب لأبي كاليبجار ببغداد وخطب له أبو الشوك ببلاده ودبيس بن
مزيد ببلاده ونصر الدولة بن مروان بديار بكر ، ودخل أبو كاليبجار بغداد في
رمضان منها وزينت له . وفيها توفي المرتضى أخو الرضى^(١) ومولده سنة خمس
وخمسين وثلثمائة وولي نقابة العلويين بعده عدنان بن الرضى . وفيها توفي القاضي
أبو عبد الله بن الحسين الصيمري شيخ الحنفية ومولده سنة إحدى وخمسين
وثلثمائة . وفيها مات أبو الحسن محمد بن علي البصري المعتزلي المصنف .

سنة سبع وثلاثين وأربعمائة :

وفيها أخذ ابراهيم نبال أخو طغرل بك حمدان من كاكويه والدينور من أبي
الشوك والصيمرة .

وفيها توفي أبو الشوك فارس بن محمد بن عناز بقلعه السيروان ، فغدر الأكراد
بإبنه سعدي وصاروا مع مهلهل بن محمد أخي أبي الشوك .

وفيها قتل عيسى بن موسى الهذباني صاحب أربل قتله ابنا أخيه وملك
قلعة أربل ، وبلغ أخاه سلاار وهو نازل عند قرواش صاحب الموصل لوحشة
كانت بينه وبين أخيه عيسى ، فسار به قرواش وملكه أربل وعاد قرواش إلى
الموصل .

(١) هو علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
ابن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم - الشريف الموسوي ، الملقب بالمرتضى ، ذي الجدين ،
كان جيد الشعر ، وله تصانيف عدة .

وفيهما عم الوباء في الخيل .

وفيهما توفي احمد بن يوسف المنّازري^(١) وزير لأبي نصر احمد بن مروان
الكردي صاحب ديار بكر وترسل إلى القسطنطينية وكان من أعيان الفضلاء
ووقف كتباً كثيرة على جامع ميفارقين وجامع آمد، واجتاز مرة بوادي بزاعا
فأعجبه فقال فيه :

| | |
|-------------------------|--------------------------|
| وقانا لفحة الرمضاء واد | سقاء مضاعف الغيث العميم |
| نزلنا دوحه فحننا علينا | حنوا المرضعات على الفطيم |
| وأرشفنا على ظمأ زلالاً | أرق من المدامة للنديم |
| يراعي الشمس أنى قابلتنا | فيحجبها ويأذن للنسيم |
| يروع حصاه حالية العذارى | فتلمس جانب العقد النظيم |

قلت : ولي فيه :

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| إن وادي الباب قد أذكرفني | جنة المأوى فله العجب |
| فيه دوح يحجب الشمس إذا | قال للنسمة جوزي بأدب |
| فهي تغوي عذب البان أما | تعذب الغي كما تغوي العذب |
| طيره معربة في لحنها | تطرب الحي كما تحيي الطرب |
| مرجه مبتسم مما بكت | سحب في ذيلها الطيب انسحب |
| فيه روضات أنا صب بها | مثلما أصبح فيه الماء صب |
| نهره ان قابل الشمس ترى | فضة بيضاء في نهر ذهب |

وبين القولين بون بعيد وقد يقابل الذهب بالحديد . والله أعلم .

(١) نسبة الى منازجرد (بزيادة جيم مكسورة) عند خرت برت ، وهي غير منازکرد
من عمل خلاط . والوادي المذكور بين بزاعا والباب .

سنة ثمان وثلاثين واربعمائة :

وفيهما ملك مهلهل بن محمد بن عناز أخسو أبي الشوك قرميسين والدينور .
وفيهما توفي الشيخ أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الجويني والد
إمام الحرمين تفرقه على أبي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي وله في المذهب وجه
وله علم بالأدب وغيره ، وهو من بني سنبس بطن من طيء . قلت : قال الشيخ
الحافظ أبو صالح المؤذن : لما غسلت الشيخ أبا محمد ولففته في الكفن رأيت يده
اليمنى إلى الأبط زهراء منيرة من غير سوء وهي تتلأأ تتلأأ القمر فتحيرت في
نفسي وقلت : هذه من بركات فتاويه ، والله أعلم .

سنة تسع وثلاثين واربعمائة :

وفيهما استولى عسكر كالجبار على البطيحة وهرب صاحبها أبو نصر بن
الهيثم إلى زيرب . وفيها أكل أهل العراق الميتة من الغلا . وفيها توفي المطرز
عبد الواحد بن محمد الشاعر^(١) ، وأبو الخطاب الجيلي الشاعر^(٢) .

ذكر وفاة الملك أبي كالجبار المرزبان

سنة أربعين واربعمائة :

وفيهما توفي الملك أبو كالجبار المرزبان ابن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن
عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه رابع جمادى الأولى بمدينة جناب من كرمان ،
سار إليها لخروج عامله بهرام الديلمي عن طاعته وعاش أربعين سنة وشهوراً

(١) هو أبو القاسم عبد الواحد محمد بن يحيى بن أيوب المعروف بالطراز . وله شعر جيد في
الزهد وغيره .

(٢) ذكر ابن الاثير في الكامل في حوادث هذه السنة : « ظهور الأصغر القلبي برأس عين
ثم أمره . ولم يرد عنه شيء في تاريخ أبي الفداء .

وملكه بالعراق اربع سنين وشهران ، ونهبت الاتراك الخزائن والسلاح والدواب من العسكر لموته ، وكان معه ابنه أبو منصور فلاستون فعاد إلى شيراز فملكها . ووصل موته الى ابنه عبد الرحيم ابي نصر وخسرو فيروز ببغداد ، فاستحلف الجند وملك بغداد^(١) وأرسل الى شيراز عسكراً قبض أخاه أبا منصور فلاستون وأمه في شوال منها وخطب للملك الرحيم بشيراز ، ثم دخل خوزتان فلقبته جندها وأطاعوه حتى كرشاسف بن علاء الدولة صاحب همدان وكان عند كاليبجار لما أخذ ابراهيم نبال أخو طغرلبيك همدان .

وفيها توفي محمد بن محمد بن غيلان البزار راوي الأحاديث الغيلانيات أخرجها الدارقطني من أعلا الحديث وأحسنه . قلت : وفيها كتب سيف الدولة مقلد بن كامل بن مرداس الكلابي وهو نازل بكفر طاب في جمع من العرب إلى واليه بمعرة النعمان ابي الماضي خليفة بن جيهان أن يخرب سور معرة النعمان ويهدمه كله إلا برج وحيدة وبرج بني الحجال ومواضع قليلة لعناية وقعت بها . والله أعلم .

سنة احدى وأربعين وأربعمائة :

وفيها جمع فلاستون بن ابي كاليبجار جمعاً بعد أن خلع من الاعتقال واستولى على بلاد فارس . وفيها جرت بين طغرلبيك وأخيه ابراهيم نبال وحشة أدت الى قتال فانهم ابراهيم نبال وعصى بقلعة سرماج ، فحصره طغرلبيك وأنزله قهراً . وفيها أرسل ملك الروم الى طغرلبيك هدية وطلب المعاهدة فأجابته وعمر مسجد القسطنطينية وأقام فيه الصلاة والخطبة لطغرلبيك ودان له الناس . وفيها أطلق طغرلبيك أخاه نبال وتركه معه .

(١) ثم راسل الخليفة القائم بأمر الله في أمر الخطبة له وتلقبته بالملك الرحيم إلى أن أجيب إلى ملتزمه سوى « الملك الرحيم » فان الخليفة امتنع عن إجابته ، وقال : لا يجوز أن يلقب بأخص صفات الله تعالى . وهو آخر ملوك العراق من بني بويه كما سيذكر المؤلف .

وفيها توفي السلطان مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة بغزنة وعمره تسع وعشرون سنة وملك تسع سنين وعشرة أشهر ، وملك بعده عمه عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين وكان في حبس ابن أخيه ولقب شمس دين الله سيف الدولة . وفيها ملك البساسيري كبير الاتراك ببغداد الأنبار وعدل وأحسن وقرر القواعد وعاد الى بغداد . وفيها ملك عسكر العلويين بمصر حلب من يد ثمال بن صالح بن مرداس كما تقدم .

وفيها وقعت الفتنة ببغداد بين السنة والشيعة وشرع الشيعة في بناء سور يحيط بالكرخ والسنة في بناء سور على سوق القلابيين ، وأذن كل حزب بمقتضى مذهبهم . وفيها توفي ابو بكر منصور بن جلال الدولة وله شعر حسن .

سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة :

وفيها حاصر طغرلبيك أبا منصور علاء الدولة بن كاكويه بأصبهان طويلا وأخذها بالأمان ودخلها في المحرم سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ، وطابت له ونقل إليها ماله بالري من سلاح وذخائر . وفيها استولى أبو كامل بركة بن المقلد على أخيه قرواش وتصرف في المملكة ولقب زعيم الدولة .

ذكر دخول العرب إلى افريقية

وفيها أرسل المستنصر العلوي ينكر على المعز بن باديس خطبته بأفريقية للعباسيين فأغلظ باديس في الجواب ، فاتفق المستنصر ووزيره الحسن بن علي اليازرودي - ويازروود من اعمال الرملة - على إرسال قبيلتي رغبة ورياح من العرب وجهزم بالأموال فاستولوا على برقة ، وسار إليهم المعز فهزموه وساروا فقطعوا اشجار افريقية وحصروا المدن وعظم بلاء أهل افريقية ، ثم جمع المعز ثلاثين ألف فارس والتقى معهم فهزموه ودخل القيروان مهزوما ، ثم اهتم عظيميا ولقيهم فهزموه ووصلت العرب إلى القيروان وحاصروا ونهبوا إلى سنة تسع

وأربعين وأربعمائة فانتقل المعز إلى المهديّة في رمضان سنة تسع وأربعين
وأربعمائة ، ونهب العرب القيروان .

وفيهما سار مهلهل بن محمد بن عناز أخو أبي الشوك إلى السلطان طغرل بك
فأقرّه على بلاده ومنها السيروان ودقوقاً وشهرزور والصامغان ، وكان سرخاب
ابن محمد أخو مهلهل محبوساً عند طغرل بك فأطلقه له .

سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة :

وفيهما افتتن السنة والشيعة وأحرق ضريح قبر موسى بن جعفر وقبر زبيدة
وقبور بني بويه وما حولها ، وقتل أهل الكرخ مدرس الحنفية أبا سعد السرخسي
وأحرقوا دور الفقهاء واقتتل أهل باب الطاق وسوق يحيى والاساكفة .
وفيهما توفى أبو كامل زعيم الدولة بركة بن مقلد بن المسيب بتكريت . قلت :
ورثاه الأمير أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة المعري بقصيدة
طويلة منها :

من عظيم البلاء موت العظيم ليتني مت قبل موت الزعيم
يا جفوني سحي دماً أو فحمي صحن خدي بعبرة كالحميم
بعد خرق من الملوك كريم ما زمان أودى به بكرم
جعفري النصاب من صفوة الصفوة في الفخر والصميم الصميم
يا أبا كامل برغمي أن يشقيك سكنى التراب بعد النعيم
أوتبيت القصور خالية منك ومن وجهك الوضي الوسيم
وانقراض الكرام من شيم الدهر ومن عادة الزمان اللثيم
قد بكت حسرة عليه المذاكي وشكت فقده بنات الرسيم
تشتكي غيبة الزعيم الى اللهفتشكي الى رؤوف رحيم

والله أعلم . واجتمع العرب وكبراء الدولة على إقامة ابن أخيه قريش بن
بدران بن المقلد ، وكان بدران صاحب نصيبين ثم صارت لقريش بعده ، وكان

قرواش تحت الاعتقال منذ اعتقاله أخوه بركة مع القيام برواتبه فلما تولى قريش نقل عمه قرواشاً الى قلعة الجراحية من عمل الموصل فاعتقله بها .

وفيها وقت العصر ظهر ببغداد كوكب بذؤابة ، غلب على نور الشمس وسار سيراً بطيئة ثم انقض . وفيها وصل رسول طغرل بك الى الخليفة بالهدايا . وفيها عاد طغرل بك عن اصبهان إلى الري . وفيها توفي كرشاسف بن علاء الدولة بن كاكويه بالأهواز ، استخلفه فيها أبو منصور بن ابي كاليجار .
سنة أربع وأربعين وأربعمائة :

مقتل عبد الرشيد صاحب غزنة

فيها قتل عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة قتله الحاجب طغرل بك طمعاً في الملك ، حصره بقلعة غزنه حتى سلمه أهل القلعة إليه فقتله ، وتزوج طغرل بك بنت السلطان مسعود كرهاً ، ثم قتله كبراء الدولة وأقاموا فرخزاد بن مسعود بن محمود بن سبكتكين كان محبوباً في قلعة فأحضره وبويع له ، وقام بالأمر بين يديه خرخيز وكان أميراً على الأعمال الهندية فقدم وتبع غرماً عبد الرشيد فقتلهم .

وفيها مستهل رجب توفي معتمد الدولة ابو منيع قرواش بن المقلد بن المسيب العقيلي صاحب الموصل محبوباً بقلعة الجراحية وحمل فدفن بتل توبة من مدينة نينوى شرقي الموصل ، وقيل : قتله قريش ابن أخيه ، وكان قرواش عاقلاً لكنه جمع بين الاختين فليم في ذلك فقال : وأي شيء عندنا حلال . وله شعر حسن فمنه :

لله در النائبات فإنها صدأ اللثام وصيقل الاحرار
ما كنت إلا زبرة فطبعني سيفاً وأطلق صرفهن غراري

قلت : ورثاه الأمير ابو الفتح بن ابي حصينة المعري بقصيدة نفيسة منها :

أمثل قرواش يذوق الردى يا صاح ما أوقح وجه الحمام
 حاشا لذلك الوجه أن يعرف البوس وأن يحشى عليه الرغام
 وللجبين الصلت ان يسلب البهجة أو يعدم حسن الوسام
 يا أسف الناس على ماجد مات فقال الناس مات الكرام
 غير بعيد يا بعيد المدى ولا ذميم يا وفي الذمام
 زلت فلا القصر بهي ولا بابك معمور كثير الزحام
 ولا الخيام البيض منصوبة بوركت يا ناصب تلك الخيام
 قبحا لدنيا حطمت أهلها وآخذتهم باكتساب الخطام
 تأخذ ما تعطي فما بالناس نكثر فيما لا يدوم الخصام
 يا قبر قرواش سقيت الحيا ولا تعدتك غوادي الرهام
 قضى ولم أقض على اثره اني لمن معروفه ذو احتشام
 أقول شعراً والجوى شاغلي يا عجباً كيف استقام الكلام

والله أعلم . وفيها قبض عيسى بن خميس على أخيه ابي غشام صاحب
 تكريت وسجنه بها واستولى عليها . وفيها زلزلت خوزستان وغيرها عظيماً ،
 وانفجر من ذلك جبل كبير قريب من أرجان فظهر في وسطه درجة مبنية
 بالآجر والجص فتمعجب الناس ، وزلزلت خراسان واشتدت بيهق وخراب
 سور قصبتها وبقي خراباً حتى عمره نظام الملك سنة أربع وستين واربعمائة ،
 ثم خربه أرسلان ارغو ، ثم عمره مجد الملك البلساني . وفيها افتتن السنة
 والشيعه ببغداد ، وكتبت الشيعة على مساجدهم : محمد وعلي خير البشر (١) .

(١) حدثت الفتنة في أواخر سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، واستمرت وازدادت في الحرم
 من السنة التالية ، وعظم الشر ، واختلط بالفريقين طوائف من الأتراك ، فلما اشتد الامر
 اجتمع القواد ، وأمر القائم بأمر الله بتهدئة الحال وكف أيدي الأتراك ، فسكنت الفتنة .

سنة خمس واربعين واربعائة :

فيها عاد ابو منصور فلاستون بن أبي كاليبجار وأخذ شيراز من أخيه أبي سعد وخطب فيها لطفربك ولأخيه الملك الرحيم ولنفسه بعدها .

سنة ست واربعين واربعائة :

وفيها سار طفرلك الى اذربيجان وقصد تبريز فأطاعه صاحبها وهسوزان وخطب له وحمل له ما أرضاه وكذلك أصحاب تلك النواحي ، ثم سار إلى أرمينية وقصد ملاز كرد وهي للروم وحصرها فلم يملكها ، وعبر فغزا في الروم ونهب وقتل وأسر وأثر فيهم آثاراً . وفيها: حصلت الوحشة بين البساسيري وبين القائم (١) .

سنة سبع واربعين واربعائة :

فيها قتل الأمير أبو حرب سليمان بن نصر الدولة بن مروان صاحب الجزيرة قتله عبد الله بن أبي طاهر البشنوي الكردي غيلة . وفيها قصد جماعة من السنة دار الخليفة يطلبون أن يؤذن لهم أن يأمروا بالمعروف فأذن لهم وزاد شرم ، ثم استأذنوا في نهب دار البساسيري وهو غائب بواسطة فأذن لهم فنهبوها وأحرقوها ، وأمر الخليفة الملك الرحيم بإبعاد البساسيري ففعل وقدم الملك الرحيم من واسط إلى بغداد ، وسار البساسيري إلى جهة دبيس من مزيد لمصاهرة بينها .

(١) وسبب ذلك ان ابا الغنائم و ابا سعد ابني الحلبان صاحبي قريش بن بدران وصلا الى بغداد سرأ فامتعض البساسيري من ذلك ، وأراد اخذهم فلم يمكن منهم ، ثم سار البساسيري إلى الانبار واحرق ناحيتي دما والفلوجة وكان ابو الغنائم بن الحلبان بالانبار اقاماً من بغداد ، ودخلها البساسيري فأمر ابا الغنائم ونهب الانبار ، ثم عاد الى بغداد وبين يديه ابو الغنائم على جمل وعليه قميص احمر ، مقيداً ، واراد صلبه وصلب من معه من الاسرى ، ثم لم يصلبه وصلب جماعة من الاسرى . فكان هذا اول الوحشة بينه وبين الخليفة - ذكره ابن الاثير في الكامل .

ذكر القبض على الملك الرحيم

سار طغرلبيك حتى نزل حلوان فعظم الارجاف ببغداد وبذل قواد بغداد له الطاعة والخطبة بأمر الخليفة فخطب له لثمان بقين من رمضان منها . ثم استأذن طغرلبيك في دخول بغداد ، فحلفته الرسل للخليفة القائم والملك الرحيم فحلف لهما ، ودخل بغداد ونزل بباب الشامية فنهب بعض السوقة بعض عسكر طغرلبيك واتصل نهب العامة الى وطاقات طغرلبيك ، فركب عسكره وتقاتلوا فانهزمت العامة ، فألح طغرلبيك في حضور الملك الرحيم عنده إن كان بريئاً فألزمه القائم ان يخرج إليه هو وكبار القواد وهم في أمان الخليفة فخرجوا إليه ، فقبض طغرلبيك على الملك الرحيم وعلى القواد ، فأرسل القائم إلى طغرلبيك في أمرهم فشكا من عدم حرمة وأمانه وأطلق البعض ، واستمر الباقيون والملك الرحيم في الاعتقال .

وهذا الملك الرحيم آخر ملوك العراق من بني بويه . وأول من استولى منهم على العراق وبغداد معز الدولة احمد بن بويه ، ثم ابنه بختيار ، ثم ابن عمه عضد الدولة بن فناخسرو بن ركن الدولة حسن بن بويه ، ثم ابنه صمصام الدولة أبو كاليبجار المرزبان ، ثم أخوه شرف الدولة شيربك بن عضد الدولة ، ثم أخوه بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة ، ثم ابنه سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة ، ثم أخوه مشرف الدولة بن بهاء الدولة ، ثم أخوه جلال الدولة أبو ظاهر بن بهاء الدولة ، ثم ابن أخيه أبو كاليبجار المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة ، ثم ابنه الملك الرحيم خسرو فيروز بن كاليبجار بن سلطان الدولة ابن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه وهو آخرهم . وفيها وقعت الفتنة بين الشافعية والحنابلة^(١) ببغداد ، أنكروا على

(١) كان مقدم الحنابلة أبو علي بن الفراء وابن التميمي ، وتبعهم من العامة جمع غفير ، وأتى الحنابلة الى مسجد بباب الشمير فنهوا إمامه عن الجهر بالبسملة ، فأخرج مصحفاً ، وقال : أزيلوها من الصحف حتى لا أتلوها ...

الشافعية الجهر بالبسملة والقنوت في الصبح والترجيع في الأذان .

سنة ثمان واربعين واربعمائة

وفيها تزوج القائم بنت داود أخي طغرل بك . وفيها وقعت حرب بين عبيد المعز بن باديس وبين عبيد ابنه تميم بالمهدية فانتصر عبيد تميم وأخرجوا عبيد المعز من المهدية .

ذكر ابتداء دولة الملثمين

الملثمون من عدة قبائل ينتسبون إلى حمير ، وأول مسيرهم من اليمن في أيام أبي بكر (رض) سيرهم إلى جهة الشام وانتقلوا إلى مصر ، ثم إلى المغرب مع موسى ابن نصير ، وتوجهوا مع طارق إلى طنجة ، وأحبوا الانفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها ، فلما كانت هذه السنة توجه منهم جوهر من قبيلة جدالة إلى أفريقية ليحج ، فلما عاد استصحب معه فقيهاً من القيروان اسمه عبد الله ابن ياسين الكزولي ليعلم تلك القبائل دين الاسلام فإنه لم يبق فيهم غير الشهادتين والصلاة في بعضهم . فتوجه عبد الله بن ياسين مع جوهر حتى أتيا قبيلة لمتونة ومنها يوسف تاشفين أمير المسلمين ودعواهم إلى العمل بالشرعية ، فقالت لمتونة : أما الصلاة والصوم والزكاة فقريب وأما قتل القاتل وقطع السارق ورجم الزاني فلا نلتزمه .

فمضى جوهر وعبد الله بن ياسين إلى جدالة قبيلة جوهر فدعاهم عبد الله بن ياسين ودعا القبائل حولهم إلى الشرعية فأجاب أكثرهم وامتنع أقلهم ، فأمر المجيبين بقتال المخالفين فجعلوه أميرهم فامتنع وقال لجوهر : أنت الأمير ، فقال أخشى من تسلط قبيلتي على الناس فيكون وزر ذلك علي . ثم اتفقا على أبي بكر ابن عمر رأس قبيلة لمتونة فانه مطاع ، فعرضوا على أبي بكر ذلك فقبل وعقد البيعة وسماه ابن ياسين أمير المسلمين واجتمع إليه كل من حسن إسلامه ، وحرصهم

عبد الله على الجهاد وسماهم المرابطين ، فقتلوا من أهل البغي والفساد وممن لم يجب الى الشريعة نحو ألفين ، فدانت لهم قبائل الصحراء وقووا وتفقه منهم جماعة على عبد الله .

ولما استبد أبو بكر بن عمر وعبد الله بن ياسين بالأمر داخل جوهرأ الحسد فأخذ في إفساد الأمر فعقد له مجلس وحكم عليه بالقتل لكونه شق العصا وأراد محاربة أهل الحق ، فصلى جوهر ركعتين وأظهر السرور بالقتل طلباً للقاء الله تعالى فقتلوه . ثم جرى بين المرابطين وبين أهل السوس قتال فقتل عبد الله ابن ياسين الفقيه . ثم سار المرابطون الى سجلماسة فقاتلوا أهلها ، فانتصر المرابطون وملكوها وقتلوا صاحبها . ولما ملك أبو بكر بن عمر سجلماسة استعمل عليها يوسف بن تاشفين اللمتوني من بني عم أبي بكر بن عمر سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، ثم استخلف أبو بكر على سجلماسة ابن أخيه ، وبعث يوسف بن تاشفين بجيش من المرابطين إلى السوس ففتح على يديه وكان ديتنا حازماً داهية .

واستمر الأمر كذلك إلى أن توفي أبو بكر بن عمر سنة اثنتين وستين وأربعمائة ، فاجتمعت طوائف المرابطين وملكوا يوسف بن تاشفين عليهم ولقبوه أمير المسلمين ، ثم افتتح المغرب حصناً حصناً وكان غالبها لزناتة ، ثم قصد موضع مراکش وهو قاع صفصف فبنى فيه مراکش واتخذها مقر ملكه ، وملك البلاد المتصلة بالمحاز مثل سبتة وطنجة وسلا .

ويقال للمرابطين : الملتهمون . تلتهموا كالعرب فلما ملكوا ضيقوا اللثام لتمييزوا ، وقيل : ان قبيلة لمتونة اغاروا على عدو وألبسوا نساءهم لبس الرجال ولثموهن فقصد بعض اعدائهم بيوتهم فظنوا النساء رجالاً لأجل اللثام فلم يقدموا عليهن ، واتفق مجي، رجالهن فأوقعوا بهم ، فتبركوا باللثام وسنوه فسموا الملتمين .

وفيهما رحل طغرل بك عن بغداد في عاشر ذي القعدة لثقل وطأة عسكره

على الرعية ، أقام ببغداد ثلاثة عشر شهراً وأياماً لم يلق الخليفة فيها ، وتوجه
طغرلبيك إلى نصيبين ثم إلى ديار بكر وهي لابن مروان . وفيها توفي أميرك
البيهقي الكاتب وكان من رجال الدنيا .

سنة تسع وأربعين وأربعمائة :

ذكر عودة السلطان طغرلبيك الى بغداد

وفيها عاد طغرلبيك إلى بغداد بعد أن استولى على الموصل واعمالها وسلمها
إلى أخيه ابراهيم نبال ، ولما قارب طغرلبيك القفص تلقاه كبراء بغداد مثل
عميد الملك وزيره بها ورئيس الرؤساء وقصد الاجتماع بالخليفة القائم ، فجلس له
الخليفة وعليه البردة على سرير عال عن الأرض نحو سبعة أذرع وحضر طغرلبيك
في جماعته وحضر أعيان بغداد وكبراء العسكر وذلك يوم السبت لخمس بقين من
ذي القعدة منها ، فقبل طغرلبيك الأرض ويد الخليفة ثم جلس على كرسي ثم قال له
الخليفة مع رئيس الرؤساء : ان الخليفة قد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده ، ورد
اليك مراعاة عباده ، فاتق الله فيما ولاك ، واعرف نعمته عليك . وخلص على
طغرلبيك وأعطى العهد ، فقبل الأرض ويد الخليفة ثانياً وانصرف فبعث الى
الخليفة خمسين ألف دينار وخمسين مملوكاً من الاتراك بنحوهم وسلاحهم وقماشهم .
وفيها قبض المستنصر بمصر على وزيره اليازرودي الحسين بن عبد الله
وكان قاضياً في الرملة حنفياً ثم ولي الوزارة ، ولما قبض وجد له مكاتبات
إلى بغداد .

وفاة الشيخ أبو العلاء المعري التنوخي

وفيها توفي الشيخ ابو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان
ابن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أسحم
ابن أرقم بن النعمان بن عدي بن غطفان بن عمرو بن شريح بن جذيمة بن تميم

الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة
المعري التنوخي .

قال ابن خلكان في تاريخه : كان علامة عصره رحمه الله قرأ النحو واللغة على
أبيه بالمعرة وعلى محمد بن عبد الله بن سعد النحوي بحلب ، وله التصانيف المشهورة
والرسائل الماثورة ، وله من النظم لزوم ما لا يلزم خمس مجلدات ، وسقط الزند
وشرحه بنفسه وسماه ضوء السقط ، وبلغنا ان له كتاباً سماه الايك والغصون
وهو المعروف بالهمزة والردف يقارب مائة جزء في الأدب .

قال ابن خلكان : وحكى لي من وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتاب
الهمزة والردف وقال : لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا . وكان متضلعاً من فنون
الأدب وأخذ عنه أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي والخطيب أبو زكريا يحيى
التبريزي وغيرها .

وكانت ولادته يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من ربيع الأول
سنة ثلاث وستين وثلثمائة بالمعرة ، وعمي من الجدري سنة سبع وستين غشى يمني
عينيه بياض وذهبت اليسرى جملة . ولما فرغ من تصنيف كتاب اللامع العزيزي
في شرح شعر المتنبي وقرى ، عليه أخذ الجماعة في وصفه فقال أبو العلاء : كأنما
نظر المتنبي إليّ بلحظ الغيب حيث يقول :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمنت كلماتي من به صمم

واختصر ديوان أبي تمام حبيب وشرحه وسماه ذكرى حبيب ، وديوان
البحثري وسماه عبث الوليد ، وديوان المتنبي وسماه معجز أحمد ، وتكلم على غريب
أشعارهم ومعانيها وما أخذهم من غيرهم وما أخذ عليهم وتولى الانتصار لهم والنقد
في بعض المواضع عليهم والتوجيه في أماكن لحظاتهم . ودخل بغداد سنة ثمان
وتسعين وثلثمائة ، ودخلها ثانياً سنة تسع وتسعين وأقام بها سنة وسبعة أشهر ،
ثم رجع إلى المعرة ولزم منزله وشرع في التصنيف وكان يملئ على بضع عشرة محبرة
في فنون من العلوم ، وأخذ عنه الناس وسار إليه الطلبة من الآفاق وكاتب العلماء

والوزراء وأهل الاقدار ، وسمى نفسه رهين المحبسين للزومه منزله ولذهاب
عينيه ، ومكث خمساً وأربعين سنة لا يأكل اللحم تديناً ، وعمل الشعر وهو
ابن إحدى عشرة سنة ، ومن شعره في اللزوم :

لا تطلبن بآلة لك رتبة قلم البليغ بغير حظ مفزل
سكن السماء كان السماء كلاهما هذا له رمح وهذا أعزل

وتوفي ليلة الجمعة ثالث وقيل : ثاني ربيع الاول ، وقيل : ثالث عشرة منها .
وأوصى أن يكتب على قبره هذا البيت :

هذا جناه أبي عليّ وما جنيت علي أحد

ولما توفي قرىء على قبره سبعون مرثية ، ومن رثاه تلميذه أبو الحسن علي ابن
همام بقوله :

إن كنت لم ترق الدماء زهادة فلقد أرقت اليوم من جفني دما
سيرت ذكرك في البلاد كأنه مسك فسامعة يضحخ أو فها
وأرى الحجيج إذا أرادوا ليلة ذكراك أخرج فدية من أحرمها

هذا خلاصة ما قاله القاضي شمس الدين بن خلكان في تاريخه .

قلت - وقول تلميذه : لم ترق الدماء زهادة ، يدفع قول من قال أنه لم يرق
الدماء فلسفة ونسبه إلى رأي الحكماء ، وتلميذه أعرف به ممن هو غريب يرجه
بالغيب ، وماذا على من ترك اللحم وهو من أعظم الشهوات خمساً وأربعين سنة
زهادة ، وقد قال المكي في قوت القلوب : إباحة حلال الدنيا حسن والزهد فيه
أحسن ، ولما أتى رسول الله ﷺ أهل قباء بشرية من لبن مشوبة بعسل وضع
القدح من يده وقال : أما اني لست أحرمه ولكن أتركه تواضعاً لله تعالى . وأتى
عمر بن الخطاب (رض) بشرية من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال :
اعزلوا عني حسابها . وقد نهى النبي ﷺ عن التنعم . وكتب الرقاق وغيرها
مشحونة بترك السلف للشهوات والملاذ الفانية رغبة في النعم الباقي - ورثاه أيضاً

الأمير أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة المعري بقصيدة طويلة منها :

العلم بعد أبي العلاء مضيع
أودى وقد ملأ البلاد غرائباً
ما كنت أعلم وهو يودع في الثرى
جبل ظننت وقد تزعزع ركنه
وعجبت أن تسع المعرة قبره
لو فاضت المهجات يوم وفاته
تتصرم الدنيا ويأتي بعده
لا تجمع المال العتيد وجد به
وإن استطعت فسر بسيرة أحمد
رفض الحياة ومات قبل مماته
عين تسهد للعفاف وللتقى
شيم تجمله فهن لمجده
جادت ثراك أبا العلاء غمامة
ما ضيع الباكي عليك دموعه
قصدتك طلاب العلوم ولا أرى
مات النهى وتعطلت أسبابه

والأرض خالية الجوانب بلقع
تسري كما تسري النجوم الطلع
ان الثرى فيه الكواكب تودع
ان الجبال الراسيات تزعزع
ويضيق بطن الأرض عنه الأوسع
ما استكثرت فيه فكيف الأدمع
أمم وأنت بمنله لا تسمع
من قبل تركك كل شيء تجمع
تأمن خديعة من يغر ويخدع
متطوعاً بأبر ما يتطوع
أبدأ وقلب للمهيمن يخشع
تاج ولكن بالثناء يرصع
كندی يديك ومزنه لا يقلع
إن الدموع على سواك تضيع
للعلم باباً بعد بابك يقرع
وقضى التأدب والمكارم أجمع

فانظر إلى ما رثاه أيضاً به هذا الرجل ووصفه به من تقاه ورفضه للحياة وموته قبل الموت وتطوعه وهو أيضاً أعلم به من الأجانب .

وبالجملة : فقد ألف الصاحب كمال الدين بن العديم رحمه الله تعالى في مناقبه كتاباً سماه « كتاب العدل والتحري في دفع الظلم والتجري على أبي العلاء المعري » وقال فيه : إنه اعتبر من ذم أبا العلاء ومن مدحه ، فوجد كل من ذمه لم يره ولا صحبه ووجد من لقيه هو المادح له . وهذا دليل لما قلته . وصنف بعض الاعلام في مناقبه كتاباً وسماه دفع المعرة عن شيخ المعرة . وفي هذين الكتابين فصول

من نوادر ذكائه وإجابة دعائه والاعتذار عن طعن أعدائه . وأنا كنت أتعصب له لكونه من المعرة . ثم وقفت له على كتاب استغفر واستغفري فأبغضته وازددت عنه نفرة ، ونظرت له في كتاب لزوم ما لا يلزم فرأيت التبري منه أحزم ، فإن هذين الكتابين يدلان على أنه كان لما نظمها عالماً حائراً ومذبذباً نافرأ ، يقر فيها أن الحق قد خفي عليه ويودّ لو ظفر باليقين فأخذه بكلتا يديه كما قال في مرثية أبيه :

طلبت يقيناً من جهينة عنهم ولم تخبريني يا جهين سوى ظن
فإن تعهديني لا أزال مسائلاً فإني لم أعط الصحيح فاستغني

ثم وقفت له على كتاب ضوء السقط الذي أملاه على الشيخ أبي عبد الله محمد ابن محمد بن عبد الله الأصهباني الذي لازم الشيخ إلى أن مات ثم أقام بحلب يروي عنه كتبه ، فكان هذا الكتاب عندي مصلحاً لفساده ، موضعاً لرجوعه إلى الحق وصحة اعتقاده ، فإنه كتاب يحكم بصحة إسلامه مأولاً ، ويتلو لمن وقف عليه بعد كتبه المتقدمة وللآخرة خير لك من الأولى ، فلقد ضمن هذا الكتاب ما يثلج الصدر ويلذ السمع ويقر العين ويسر القلب ويطلق اليد ويثبت القدم من تعظيم رسول الله ﷺ خير بريته ، والتقرب إلى الله بمذائح الأشراف من ذريته ، وتبجيل الصحابة والرضا عنهم ، والأدب عند ذكر ما يتلقى منهم ، وإيراد محاسن من التفسير ، والاقرار بالبعث والاشفاق من اليوم العسير وتضليل من أنكر المعاد ، والترغيب في أذكار الله والأوراد ، والخضوع للشريعة المحمدية وتعظيمها ، وهو خاتمة كتبه والأعمال بخواتيمها . وقد يعذر من ذمه واستحل شتمه ، فإنه عوّل على مبادئ أمره وأوسط شعره ، ويعذر من أحبه وحرّم سبه ، فإنه اطلع على صلاح سره وما صار إليه في آخر عمره من الإنابة التي كان أهلها ، والتوبة التي تجب ما قبلها . وكان يقول رحمه الله : أنا شيخ مكذوب عليه .

ولقد أغرت به حساده وزير حلب فجهز لاحتضاره خمسين فارساً ليقتله

فأنزلهم أبو العلاء في مجلس له بالمعرة ، فاجتمع بنو عمه إليه وتأمروا لذلك ، فقال : إن لي رباً يمنعني ، ثم قال كلاماً منه ما لم يفهم وقال : الضيوف الضيوف الوزير الوزير ، فوقع المجلس على الخمسين فارساً فهاتوا ، ووقع الحمام على الوزير بحلب فهات . فمن الناس من زعم أنه قتلهم بدعائه وتهجده ، ومنهم من زعم أنه قتلهم بسحره ورصده .

ووضع أبو طاهر الحافظ السلفي كتاباً في أخبار أبي العلاء ، وقال فيه مسنداً عن القاضي أبي الطيب الطبري رحمه الله : كتبت إلى أبي العلاء المعري حين وافى بغداد وقد كان نزل في سويقة غالب :

| | |
|--------------------------------|----------------------------|
| وما ذات درّ لا يحل لحالب | تناوله واللحم منها محلل |
| لمن شاء في الحالين حياً وميتاً | ومن رام شرب الدرّ فهو مضلل |
| إذا طعنت في السن فاللحم طيب | وآكله عند الجميع معقل |
| وخرفانها للأكل فيها كزازة | فما لحصيف الرأي فيهن ما كل |
| وما يحنتني معناه إلا مبرز | عليم بأسرار القلوب محصل |

فأجابني وأملى على الرسول في الحال : ٤

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| جوابان عن هذا السؤال كلاهما | صواب وبعض القائلين مضلل |
| فمن ظنه كرمًا فليس بكاذب | ومن ظنه بخلا فليس يجهل |
| لحومها الأعناب الرطب الذي | هو الحل والدر الرحيق المسلسل |
| ولكن ثمار النخل وهي رطبية | تمر وغض الكرم يحنى فيؤكل |
| يكلفني القاضي الجليل مسائلًا | هي النجم قدراً بل أعز وأطول |
| ولو لم أجب عنها لكنت يجهلها | جديراً ولكن من يودك مقبل |

قال القاضي أبو الطيب : فأجبتة عنه وقلت :

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| أثار ضميري من يعز نظيره | من الناس طراً سابق الفضل مكل |
| ومن قلبه كتب العلوم بأسرها | وخاطره في حدة النار مشعل |

تساوى له سرّ المعاني وجهرها
ولما أثار الخبء فار معينه
وقرّ به من كل فهم بكشفه
وأعجب منه نظمه الدرّ مسرعاً
فيخرج من بحر ويسمو مكانه
فهناؤه الله الكريم بفضله

فأملى أبو العلاء على الرسول مرتجلاً :

ألا أيها القاضي الذي بدهاته
فؤادك معمور من العلم آمل
فان كنت بين الناس غير مموّل
إذا أنت خاطبت الخصوم مجادلاً
كأنك من في الشافعي مخاطب
وكيف يرى علم ابن ادريس دارساً
تفضلت حتى ضاق ذرعي بشكرما
لأنك في كنه الثريا فصاحة
فعدري في أني أجبتك واثقاً
وأخطأت في إنفاذ رقعتك التي
ولكن عداني أن أروم احتفاظها
ومن حقها أن يصبح المسك غامراً
فمن كان في أشعاره متمثلاً
تجملت الدنيا بأنك فوقها

سيوف على أهل الخلاف تسلل
وجدك في كل المسائل مقبل
فأنت من الفهم المصون مموّل
فأنت وهم مثل الحمائم أجدل
ومن قلبه تلي فما تتمهل
وأنت بايضاح الهدى متكفل
فعلت وكفي عن جوابك أجمل
وأعلى ومن يبغي مكانك أسفل
بفضلك والانسان يسهو ويذهل
هي المجد لي منها أخير وأول
رسولك وهو الفاضل المتفضل
لها وهي في أعلى المواضع تجعل
فأنت امرؤ في العلم والشعر أمثل
ومثلك حقاً من به يتجمل

فشهادة أبي الطيب في الشيخ مقدمة على شهادة الغير وحسن الظن وخصوصاً
بالعلماء قد دل عليه القرآن والحديث وهو لا يأتي إلا بخير ، وكان شيخنا عيس
حسن العقيدة فيه ، واعتراف الطبري له ومدحه يكفيه :

شهادة الطبري الخبر كافية
من أعمد السيف عنه كان في دعة
أبا العلاء فقل ما شئت أو فذر
ومن نضى السيف قابله بالطبري
وقال لي يوماً بعض أصحابي من الأمراء ذوي الفهم كيف كان أبو العلاء في
اعتقاد البعث فأنشدته قوله :

فيا وطني إن فاتني منك سابق من الدهر فلينعم لساكنك البال
وإن استطع في الحشر آتاك زائراً وهيهات لي يوم القيامة اشغال
وبلغني أن بعضهم زعم أن أبا العلاء كان ينكر النبوات ، فهذا مردود
بقول أبي العلاء :

عجبت وقد جزت الصراة رفة^(١) وما خضلت مما تسربت أذيال
أعمت الينا أم فعال ابن مريم فعلت وهل يعطى النبوة مكسال
وقوله في شريف :

يا ابن الذي بلسانه وبيانه هدي الأنام ونزل التنزيل
عن فضله نطق الكتاب وبشرت بقدمه التوراة والانجيل

وقوله في الشريف أبي ابراهيم العلوي الموسوي :

يا ابن مستعرض الصفوف ببدر ومبيد الجموع من غطفان
أحد الخمسة الذين هم الأغراض من كل منطق والمعاني
والشخوص الذي خلقن ضياء قبل خلق المريخ والميزان
قبل أن تخلق السماوات أو تؤمر أفلاكهن بالدوران
وافق اسم ابن أحمد اسم رسول الله لما توافق المعنيان
يا أبا ابراهيم قصر عنك الشعر لما وصفت بالقرآن

(١) الصراة : نهر بغداد . والرفة : الطويلة الذيل .

أشرب العالمون حبك طبعاً فهو فرض في سائر الأديان
وقوله :

أيدفع معجزات الرسل قوم وفيك وفي بديتهك اعتبار
وقد طالت هذه الترجمة فإني رأيت المؤلف سأل الله غض من الشيخ فأحببت
أن أنبه على ذلك ، والله أعلم .

وفيها (١) : توفي أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني مقدّم أصحاب
الحديث بخراسان فقيه يعرف علوماً . وإياز غلام محمود بن سبكتكين ، وله مع
محمود أخبار مشهورة . وأبو احمد عدنان بن الرضي نقيب العلويين .

سنة خمسين وأربعائه :

ذكر الخطبة بالعراق للمستنصر العلوي وما كان الى قتل البساسيري

فيها سار ابراهيم نبال إلى همدان ، وسار طغرل بك في أثر أخيه أيضاً إلى
همدان وتبعه أتراك بغداد ، فوصل البساسيري بغداد ومعه قريش بن بدران
العقيلي في مائتي فارس ومعه أربعائة غلام ، وخطب البساسيري بجامع المنصور
للمستنصر بالله العلوي خليفة مصر وأذن بجي على خير العمل ، ثم عبر عسكره
إلى الزاهر وخطب بالجمعة الأخرى من وصوله للمصري بجامع الرصافة .

وجزى بينه وبين مخالفيه حروب في أثناء الأسبوع ونهب البساسيري الحريم
ودخل الباب النوبي ، فركب الخليفة القائم بالسواد والبردة وبيده سيف وعلى
رأسه اللواء وحوله زمرة من العباسيين والخدم بالسيوف المسئلة ، وسرى النهب
إلى باب الفردوس فرجع القائم وصعد المنطرة ومعه رئيس الرؤساء فقال لقريش
ابن بدران ؛ يا علم الدين أمير المؤمنين يستند بدمامك ودمام رسول الله صلى الله

(١) تابع حوادث سنة تسع وأربعين وأربعائة .

عليه وسلم وذمام العرب على نفسه وماله وأهله وأصحابه ، فأعطى قريش مخصرته
ذماماً ، فنزل القائم ورئيس الرؤساء إلى قريش وسار معه . فأرسل البساسيري
يذكر قريشاً بما عاهده عليه من المشاركة في الأمر ، ثم اتفقا على أن يتسلم
البساسيري رئيس الرؤساء لأنه عدوه .

وبقي الخليفة عند قريش ونهبت دار الخلافة وحرّمها أيّاماً ، ثم سلم قريش
الخليفة إلى ابن عمه مهاوش ، فسار مهاوش والخليفة في هودج إلى حديثة عانة
فنزل بها وسار أصحاب الخليفة إلى طغرلبك . وركب البساسيري يوم النحو
بالوية خليفة مصر وأحسن ولم يتعصب لمذهب ، وأفرد البساسيري لوالدة القائم
داراً يجاريتين وجراية ، وأحضر رئيس الرؤساء من الحبس وقد ألبسوه طرطوراً
استهزاء به وطافوا به إلى النجمي وهو يقرأ : (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء) . وبصق أهل
الكرخ في وجهه ، ثم ألبس جلد ثور وجعلت قرونه على رأسه وفي فكه كلابان
من حديد وصلب فمات آخر النهار .

وكتب البساسيري يعلم العلوي بمصر بالخطبة له ، وكان وزير مصر ابن أخي
أبي القاسم المغربي ممن هرب من البساسيري فبرد فعله وخوفه من عاقبته فعادت
أجوبته بعد مدة بخلاف ما أمّله ، ثم سار البساسيري إلى واسط والبصرة
فملكها .

وأما طغرلبك فكان قد خرج عليه أخوه إبراهيم قبل هذه مراراً ويعضو عنه
وفي هذه السنة خرج عليه فأسره طغرلبك وخنقه بوتر ثم سار إلى العراق لرد
الخليفة القائم إلى خلافته ، فلما قارب بغداد انحدر منها خدم البساسيري
وأولاده في دجلة سنة إحدى وخمسين ، ووصل طغرلبك بغداد واستقدم مهاوشاً
صحبة الخليفة فأرسل الخيام العظيمة والآلات لتلقي القائم ، ووصل الخليفة
النهروان رابع وعشرين ذي القعدة ، وخرج طغرلبك لتلقيه واعتذر له عن

تأخره بقتال أخيه ابراهيم وبوفاة أخيه داود بخراسان ، وسار الخليفة ووقف طغرلبك في الباب النوبي مكان الحاجب وأخذ بلجام بغلة الخليفة إلى داره يوم الاثنين لخمس بقين من ذي القعدة سنة إحدى وخمسين . ثم توجه جيش طغرلبك لقتال البساسيري في ثامن ذي الحجة ، فهزمت أصحاب البساسيري وقتل البساسيري وبعث طغرلبك برأسه إلى الخليفة فعلق وأخذت أموال البساسيري ونسأؤه وأولاده . والبساسيري : أصله مملوك تركي لبهاء الدولة بن بويه واسمه أرسلان نسبة إلى بسا بفارس التي منها سيده .

وفيها : أعني سنة خمسين وأربعمائة - توفي شهاب الدولة أبو الفوارس ابن منصور بن الحسين الأسدي صاحب الجزيرة ، واجتمعت عشيرته على ابنه صدقة . وفيها توفي الملك الرحيم أبو نصر خسرو فيروز آخر ملوك بني بويه بقلعة الري مسجوناً .

وفيها توفي القاضي أبو الطيب الطبري الفقيه الشافعي الثقة الصحيح الاعتقاد وله مائة وستان وكان صحيح الحواس والاعضاء يناظر ويفتي ويستدرك ودفن عند الامام أحمد . وفيها توفي قاضي القضاة أبو الحسين علي بن محمد بن حبيب الماوردي وله الحاوي وغيره وعمره ست وثمانون ، أخذ الفقه عن أبي حامد الاسفرايني وغيره ، وله تفسير القرآن والنكت والعيون والاحكام السلطانية وقانون الوزارة . ونسبة الماوردي : إلى بيع الماوردي على غير قياس . وفيها زلزل العراق والموصل ساعة ، فخربت وأهلكت كثيراً .

سنة إحدى وخمسين وأربعمائة :

وفيها توفي الملك فرخزاد بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غرنة بالقولنج ، وملك بعده أخوه ابراهيم فأحسن وغزا الهند وفتح حصوناً وصالح داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب خراسان . وفيها في رجب

توفي داود المذكور أخو طغرل بك وعمره سبعون سنة وهو يقاتل آل سبكتكين،
 وملك بعده ابنه ألب أرسلان ، وكان لداود من البنين ألب أرسلان وياقوتي
 وفاروت بك وسليمان ، فتزوج طغرل بك بام سليمان امرأة أخيه . وفيها قدم
 طغرل بك بغداد وأعاد الخليفة وقتل البساسيري كما ذكرنا . وفيها توفي علي بن
 محمود بن ابراهيم الزوزي المنسوب اليه رباط الزوزي . قبالة جامع المنصور
 ببغداد .

قلت وفيها : تسلم الامير ابو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة
 المعري من بين يدي الخليفة المستنصر العلوي صاحب مصر السجل بتأميمه وذلك
 في ربيع الآخر ، فعلا قدره وعظم شأنه ، وكان سبب شهرته وتقدمه : انه وفد
 إلى حضرة المستنصر رسولا من قبل الأمير تاج الدولة بن مرداس سنة سبع
 وثلاثين وأربعمائة ومدح المستنصر بقوله :

| | |
|-------------------------------|----------------------------|
| ظهر الهدى وتجمل الاسلام | وابن الرسول خليفة وإمام |
| مستنصر بالله ليس يفوته | طلب ولا يعتاص عنه مرام |
| حاط العباد وبات يسهر عينه | وعيون سكان البلاد نيام |
| قصر الامام أبي تميم كعبة | ويمينه ركن لها ومقام |
| لولا بنو الزهراء ما عرف التقى | فينا ولا تبع الهدى الأقسام |
| يا آل احمد ثبتت أقدامكم | وتزلزلت بعداكم الأقدام |
| لستم وغيركم سواء انتم | للدين أرواح وهم أجسام |
| يا آل طه حبكم وولاؤكم | فرض وإن عدل الوشاة ولاموا |

وهي طويلة ، ومدحه سنة خمسين وأربعمائة ثم أنجز له وعده بالتأميم فقال
 فيه قصيدة منها :

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| أما الإمام فقد وفي مقاله | صلى الإله على الامام وآله |
| لذا يجانبه فعم بفضلته | وببذله وبعموه وبماله |

لا خلق أكرم من معد شيمة
 فاقصد أمير المؤمنين فما ترى
 زاد الامام على البحور بفضله
 وعلى سرير الملك من آل الهدى
 النصر والتأييد في أعلامه
 مستنصر بالله ضاق زمانه
 محمودة في قوله وفعاله
 بؤساً وأنت مظلل بظلاله
 وعلى البدور بحسنه وجماله
 من لا تمر الفاحشات بيباله
 ومكارم الأخلاق في سرباله
 عن شبهه ونظيره ومثاله

وكان الذي كتب له سجل التأمير وسعى في مصالحة ونهض فيه هو الشيخ
 الأجل أبو علي صدقة بن اسماعيل بن فهد الكاتب بحضرة المستنصر، فشكر الأمير
 أبو الفتح سعيه في قصيدة منها قوله :

قد كان صبري عيل في طلب العلي
 فظفرت بالخطر الجليل ولم يزل
 لولا الوزير أبو علي لم أجد
 إن كان ريب الدهر قبح مامضى
 وأجل ما جل الرجال صلاتهم
 اليوم أدركت الذي أنا طالب
 حتى استندت إلى ابن اسماعيل
 يحوي الجليل من استعان جليلا
 أبداً إلى الشرف العلي سبيلا
 عندي فقد صار القبيح جميلا
 للراغبين العز والتبجيلا
 والأمس كان طلابه تعليلا

ولولا التطويل لذكرت من شعر الأمير أبي الفتح المذكور كثيراً ، فإنه
 السهل الممتنع سلس القياد عذب الألفاظ حسن السبك لطيف المقاصد عري عن
 الحشو. نال رحمه الله التأمير الذي مات المتني بحسرتة ورحل إلى كافور بسببه .
 وتوفي الأمير أبو الفتح بسروج منتصف شعبان سنة سبع وخمسين وأربعمائة .
 والله أعلم .

سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة :

وفيهما ملك محمود بن نصر بن صالح بن مرداس حلب كما مر . قلت : وفي
 محمود هذا يقول ابن أبي حصينة من قصيدة :

كفي ملامك فالتبريح يكفيني أوجرت بي بعض ما القى ولوميني
برمل يبرين أصبحت فهل علمت رمال يبرين أن الشوق يبرين
أهوى الحسان وخوف الله يردعني عن الهوى والعيون النجل تغويني
ما بال أسماء تلويني مواعدها أكل ذات جمال ذات تلوين
كان الشباب إلى هند يقربني وشاب رأسي فصار اليوم يقصيني
ياهند إن سواد الرأس يصلح للدنيا وإن بياض الرأس للدين
لست امرءاً غيبة الأحرار من شيمي

ولا النميمة من طبعي ولا ديني

دعني وحيداً أعاني العيش منفرداً فبعض معرفتي في الناس تكفيني
ما ضربي ودفاع الله يعصمني من بات يهدمني والله يبنيني
وما أبالي وصرف الدهر يسخطني وسيد نعماك يا ابن السيل يرضيني
أبا سلامة عش واسلم حليف علي وسؤدد بشعاع النجم مقرون
أشقى عداكم وأهوى أن أدين لكم وللعدي دينهم فيكم ولي ديني

والله أعلم . وفيها . توفيت والدة القائم بالله الأرمينية الأصل ، واسمها قطر
الندي (١) .

سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة :

فيها توفي المعز بن باديس صاحب افريقية بضعف الكبد ومدة ملكه سبع
وأربعون سنة ، كان عمره لما ملك إحدى عشرة سنة وقيل ثمان ، وملك بعده

(١) قيل أيضاً : بدر الدجى .

ابنه تيم . وفيها توفي قريش بن بدران بن المقلد بن المسيب صاحب الموصل
ونصيبين بنصيبين ، وقام بعده ابنه شرف الدولة أبو المكارم مسلم .

وفيها توفي نصر الدولة أبو نصر احمد بن مروان الكردي صاحب ديار بكر
وعمره نيف وثمانون وإمارته اثنتان وخمسون سنة ، وتنعم بما لم يسمع بمثله اشترى
بعض مغنياته بخمسة آلاف دينار وملك خمسائة سرية وتوابعهن وخمسة خادم
وآلات مجلس يزيد على مائتي ألف دينار وعلم طباخيه بمصر^(١) ، ووزر له أبو
القاسم المغربي وفخر الدولة بن جهير ، وقصده الشعراء والعلماء . وملك بعده
ابنه نصر ميفارقين وابنه الآخر سعيد آمد .

وفيها توفي شكر العلوي الحسيني أمير مكة ، ومن شعره الحسن قوله :

قوض خيامك عن أرض تضام بها وجانب الذل إن الذل يجتنب
وارحل إذا كان في الأوطان منقصة فالمنديل الرطب في أوطانه حطب

سنة أربع وخمسين وأربعمائة :

فيها تزوج طغرل بك بنت الخليفة القائم وكان العقد في شعبان بظاهر
تبريز ، توكل في تزويجها عن أبيها عميد الملك . وفيها استوزر القائم فخر

(١) أرسل طباخين الى مصر ، وغرم على ارسالهم مبالغ وافرة حتى تعلموا الطبخ . وأرسل
الى السلطان طغرل بك هدايا عظيمة من جملتها الحبل الياقوت الذي كان لبني بويه وأرسل معه مائة
ألف دينار ..

بلغه أن الطيور في الشتاء تخرج من الجبال إلى القرى فتصاد ، فأمر أن يطرح لها الحب من
الأهراء التي له فكانت في ضيافته طول عمره .
كانت بلاده مستقرة استقراراً تاماً . ورخصت الاسعار ورغد الناس . وكان لقبه القادر بالله
نصر الدولة .

الدولة أبا نصر بن جهير^(١) . وفيها توفي القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة ابن جعفر القضاعي الفقيه الشافعي صاحب كتاب الشهاب وكتاب الأنبياء عن الأنبياء وتواريخ الخلفاء وكتاب خطط مصر ، قضى بمصر عن العلويين وأرسلوه إلى الروم ، وقضاة من حمير وقيل : هو معد بن عدنان .

قلت وفيها عمر المسلمون حصن المرقب بساحل جبلة وباعوه للروم بمال عظيم وقبضوه ، وجاء من الروم نحو من ثلثمائة رجل ليتسلموه فقتلوا منهم وأسروا الباقين وفدوهم بمال كثير ، وكان بيعه للروم حيلة نصبها المسلمون فتمت والله الحمد . وفيها جاءت برقة وتبعها صيحة سقط لها الناس لوجوههم ، وماتت بها طيور كثيرة بالنعرة . وفيها هم أهل معرة النعمان في عمل السور عليها ونصبوا عليه المناجيق والعجل يجر الحجارة والجمال تحمل من شيث وغيره ، وكان الأمير أبو الماضي خليفة بن جهان ينفق عليه من ماله وجاهه حتى كمل في شهر سنة خمس وخمسين وأربعمائة . والله أعلم .

سنة خمس وخمسين وأربعمائة :

أخبار اليمن من تاريخ عمارة

فيها تكامل اليمن لعلي بن القاضي محمد بن علي الصليحي ، وكان القاضي محمد سنياً مطاعاً في رجال حراز وهم أربعون ألفاً ، فتعلم ابنه علي التشيع وأخذ أسرار الدعوة من عامر بن عبد الله الرواحي اليماني أكبر دعاة المستنصر خليفة

(١) كان ذلك بعد عزل ابن دارست ، (أبو الفتح محمد بن منصور بن دارست) وسبب عزله أنه وصل معه يهودي يقال له ابن علان ، فضمن أعمال الوكلاء التي لخاص الخليفة بستة آلاف كر غلة ومائة ألف دينار ، فلم يصح منها سوى ألفا كر ، وثلاثون ألف دينار وانكسر الباقي ، فظهر عجز ابن دارست فعزل وعاد إلى الأهواز فتوفي بها . وكان فخر الدولة أبو نصر بن جهير وزير نصر الدولة ابن مروان قد أرسل يطلب الوزارة وبذل فيها بذولا كثيرة فأجيب اليها .

مصر ، وصار علي بن محمد دليلاً لحجاج اليمن على طريق الطائف وبلاد السرو
وبقي كذلك سنين .

وفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة ثار بستين رجلاً وصعد إلى رأس مشار أعلى
ذروة من جبال حران ، واستفحل أمره شيئاً فشيئاً حتى كمل له ملك اليمن في
هذه السنة ، فولي علي زبيد أسعد بن شهاب بن علي الصليحي أخا زوجته أسماء
وابن عمه ، وبقي علي مالكا لليمن حتى حج فقصده بنو نجاح وقتلوه بغتة هجماً
في قرية أم الدهيم وبئر أم معبد في ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة
فحينئذ استقرت التهاثم لبني نجاح ، وصنعاء لأحمد بن علي الصليحي المذكور
الملك المكرم . ثم جمع المكرم العرب وقصد سعيد بن نجاح بزبيد وقاتله وهزمه
إلى جهة دهلك ، وملك المكرم زبيد سنة خمس وسبعين وأربعمائة ، ثم ملكها
ابن نجاح سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، ثم قتل المكرم سعيداً سنة إحدى وثمانين
وأربعمائة .

ثم ملك جياش أخو سعيد ، وبقي المكرم له صنعاء حتى مات سنة أربع
وثمانين وأربعمائة . وتولى بعده ابن عمه أبو حمير سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي
الصليحي في سنة أربع وثمانين وأربعمائة إلى أن مات سنة خمس وتسعين وأربعمائة
وهو آخر ملوك الصليحيين . وبعده أرسل من مصر علي بن إبراهيم بن نجيب
الدولة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وقام بالدعوة والمملكة التي كانت بيد سبأ .

ثم وصل إلى جبال اليمن رسول خليفة مصر وقبض على ابن نجيب الدولة
بعد سنة عشرين وخمسمائة ، وانتقل الملك والدعوة إلى آل الزريع بن العباس
ابن المكرم وهم أهل عدن من همدان بن جشم ، وبنو المكرم هؤلاء يعرفون بآل
الذئب ، وكانت عدن لزريع بن العباس بن المكرم ولعمه مسعود بن المكرم فقتلا
علي زبيد مع الملك المفضل فولي بعدها ولداها أبو السعود بن زريع وأبو المغارات
ابن مسعود إلى أن ماتا ، وولي بعدها محمد بن أبي المغارات ، ثم أخوه علي ، ثم

سبأ بن أبي السعود بن زريع وبقي حتى توفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، ثم تولى بعده ابنه الأعز بن سبأ وكان مقام علي بالدملوه فمات بالسل فملك أخوه المعظم محمد بن سبأ ، وتوفي محمد بن سبأ في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وتوفي عمران بن محمد في شعبان سنة ستين وخمسمائة ، وخلف عمران ابنين صغيرين محمداً وأبا السعود .

ومن ولي من الصليحيين الملكة الحرة سيدة ابنة احمد بن جعفر بن موسى الصليحي ولدت سنة أربعين وأربعمائة وربتها أسماء بنت شهاب ، وتزوجها ابن أسماء احمد المكرم سنة إحدى وستين وأربعمائة ، وطالت مدة الحرة ولاها زوجها في حياته فقامت بالأمر والحرب واشتغل هو بالأكل والشرب ، ومات زوجها وتولى ابن عمه سبأ وهي في الملك ، ومات سبأ وتولى ابن نجيب الدولة في أيامها واستمرت بعده حتى توفيت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة .

ومن كان له شركة في الملك الملك المفضل أبو البركات بن الوليد الحميري صاحب التعكر ، وكان المفضل يحكم بين يدي الحرة محتجب حتى لا يرجى لقاؤه ثم يظهر للقوي والضعيف حتى توفي سنة أربع وخمسمائة . وملك بعده بلاده ومعاقله ابنه منصور ويقال له المنصور ، من حين وفاته إلى سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، فابتاع محمد بن سبأ بن أبي السعود منه المعقل التي كانت للصليحيين بمائة الف دينار وعدتها ثمانية وعشرون حصناً وبلداً وبقي المنصور لنفسه حتى توفي بعد أن ملك نحو ثمانين سنة ، وسيأتي باقي أخبار اليمن .

وفيها - أعني سنة خمس وخمسين وأربعمائة - قدم طغرلبيك بغداد ودخل بابنة الخليفة ، وثلثوا على الناس بالخراج من الدور والتعرض إلى الحرم . وفيها سار طغرلبيك بعد دخوله بابنة الخليفة إلى بلد الجبل فوصل إلى الري فمرض وتوفي ثامن رمضان منها وعمره سبعون تقريباً وكان عقيماً ، واستقرت السلطنة بعده لابن أخيه ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق .

وفيها دخل الصليحي صاحب اليمن مكة مالكا لها ، فأحسن وجلب الأتوات . وفيها زلزل الشام فخرّب سور طرابلس . وفيها ولي المستنصر بديراً أمير الجيوش دمشق ، ثم ثارت الجند ففارقها . وفيها توفي سعيد بن نصر الدولة بن أحمد بن مروان صاحب آمد وديار بكر .

قلت : وفيها توفي بالمعرة أبو الحسن بن علي بن المفضل بن جعفر بن علي ابن المذهب التنوخي المعري ، قرأ القرآن العظيم للسبعة وليعقوب الحضرمي وأبي جعفر وشيبة ثمانية وعشرين رواية ولقي شيوخ القراء بجلب وغيرها وقرأ عليه خلق ، وكان مفسراً خطيباً شاعراً رحمه الله . والله أعلم .

سنة ست وخمسين وأربعمائة :

فيها قبض ألب أرسلان على عميد الملك الوزير ابي نصر منصور بن محمد الكندري وزير عمه طغرلبك سعى به نظام الملك وزير ألب أرسلان وحبس في مرو الروذ ، ثم قتله بعد سنة وقطع رأسه ونقلت جثته إلى كندر فدفن عند أبيه وكان عمره نيفاً واربعين ، وكان خصياً لأن طغرلبك أرسله ليخطب له امرأة فتزوجها هو فخصاه (٢) . وكان عميد الملك كثير الوقعة في الامام الشافعي ، خاطب طغرلبك في لعن الرافضة على المنابر بخراسان فأذن له بذلك ، فأمر بلعنهم وأضاف اليهم الاشعرية ، فأنف من ذلك أئمة خراسان منهم ابو القاسم القشيري وابو المعالي

(١) قيل أن أعداءه أشاعوا عنه أنه تزوجها فخصى نفسه ليخلص من الاتهام. قال ابن الأثير في الكامل : « ومن العجب أن ذكره دفن بخوارزم لما خصى ، ودمه مسفوح بمرو ، وجسده مدفون بكندر ، ورأسه ما عدا قحفه مدفون بنيسابور ، ونقل قحفه إلى كرمان لأن نظام الملك كان هناك » . ولما قرب للقتل قال للقاصد اليه : قل لنظام الملك : « بثسما عودت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ، ومن حفر قلبياً وقع فيه » .

الجويني وأقام بمكة أربع سنين فسمي إمام الحرمين . ومن العجب : ان ذكر عميد الدولة وأنتييه دفنت بخوارزم لما خصي . (انظر الحاشية ص ٥٥٧) . قلت :

ما لعبيد ملكهم من عاصم أو نافع
وكل ذا يا مالكي بطعنه في الشافعي

والله أعلم .

وفيهما ملك ألب ارسلان قلعة جيلان ، ثم حاصر عمه بيغو في هراة وملكها وأكرم عمه ، ثم ملك صفانيان عنوة وأسر صاحبها موسى . وفيها أمر ألب ارسلان بعود بنت الخليفة الى بغداد ، وكانت قد سارت الى طغرلبك بغير رضا الخليفة . وفيها اقتتل ألب ارسلان وقطلومش^(١) قرب الري ، فوجد قطلومش ميتاً بعد هزيمة عسكره فبكى عليه ألب ارسلان لأجل القرابة والرحم وسلاه نظام الملك ودخل ألب ارسلان الري في المحرم منها . وقطلومش السلجوقي : هو جد الملوك بقونية وأقصرا وملطية الى أيام التتر وسيأتي ، وكان قطلومش قد اتقن علم النجوم .

وفيهما شاع ببغداد والعراق وخوزستان وغيرهما أن أكراداً تصيدوا فأوا في البر خياماً سوداً فيها لطم وعويل وقائل يقول : مات سيدوك ملك الجن وأي بلد لم يلطم أهله قلع أصله ، فصدق ذلك السفلة وخرج رجالهم ونساءهم يلطمون . قال ابن الأثير : وجري بالموصل كذلك ونحن بها سنة ستائة أصاب الناس وجع الحلق ، فشاع ان امرأة من الجن اسمها ام عنقود مات ابنها ومن لا يعمل مأتماً أصابه هذا المرض ، فكان النساء والأوباش يلطمون على عنقود ويقولون :

(١) وردت في الكامل « قتلش » - كما ذكر ابن الأثير أن قطلومش هذا ، عندما اصطف العسكران للقتال ، وقف ونظر فرأى أن طالعه في ذلك اليوم قارنه نحوس لا يرى معها ظفر ، فقصد الحاجزة ، وجعل أرضاً سبخة بينه وبين ارسلان ليمنع اللقاء ، فسلك ارسلان وعساكره طريقاً في الماء ، ودار القتال وانهمت عساكر قطلومش .

يا أم عنقود اعذرينا قدمات عنقود وما درينا

وإلى الآن يقع الناس في هذا الهديان . وفيها مات أبو القاسم بن علي بن برهان الأسدي النحوي المتكلم له اختيار في الفقه ، مشى في الأسواق مكشوف الرأس ولم يقبل من أحد شيئاً ومال إلى مذهب مرجئة المعتزلة واعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار ، وجاوز الثمانين .

سنة سبع وخمسين وأربعمائة :

فيها جاوز ألب ارسلان جيحون إلى جند وصيران ومما عند بخارى وقبر جده سلجوق يجند فخرج صاحب جند إلى طاعته فأقره على مكانه ، ووصل إلى كر كنج خوارزم وسار منها إلى مرو . وفيها ابتداء نظام الملك بعمارة المدرسة النظامية ببغداد .

قلت وفيها : أقطعت معرة النعمان للملك هارون بن خان ملك الترك فيما وراء نهر جيحون أخذها حرباً وخراجاً ، ووصل إليها معه ترك وديلم وكرد وكرج نحو ألف رجل مع حاشيتهم وأتباعهم وتعففوا فيها عن الأذية حتى سقوا دوابهم الماء بئمه ونزل بالمصلى ، وجعل في حصن المعرة بعض حجابيه ، وأقام يسيراً ثم نقل إلى حلب وعوض عن المعرة بمال ، قدم هذا إلى الشام مغاضباً لأبيه . وولي المعرة بعده الأمير فارس الدولة يانس الصالحي . والله أعلم .

سنة ثمان وخمسين وأربعمائة :

وفيها أقطع ألب ارسلان شرف الدولة مسلم بن قرواش بن بدران صاحب الموصل الأنبار وهيت مع الموصل . وفيها توفي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الخسروجردي الشافعي إمام في الحديث والفقه زاهد ، توفي بنيسابور ونقل إلى بيهق وبيهق قرى مجتمعة على عشرين فرسخاً من نيسابور ، وهو من خسروجرد قرية من بيهق ، رحل في طلب الحديث إلى العراق والجزبال والحجاز ، وهو أول من جمع نصوص الشافعي في عشر مجلدات ، ومن تصانيفه السنن الكبير

والسنن الصغير ودلائل النبوة . قال إمام الحرمين : ما من شافعي المذهب إلا وللشافعي عليه منة إلا أحمد البيهقي فان له على الشافعي منة ، لأنه كان أكثر الناس نصراً لمذهب الشافعي . وكان قانعاً من الدنيا بالقليل رحمه الله تعالى .

وفيهما توفي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الحسن الفراء الحنبلي وعنه انتشر مذهب أحمد ، وله كتاب الصفات فيه كل عجيبة ويبدل على التجسيم المحض ، كان ابن التميمي الحنبلي يقول : لقد خرى أبو يعلى الفراء على الحنابلة خرية لا يفصلها الماء . وفيها توفي الحافظ أبو الحسن علي بن اسماعيل ابن سيده المرسي إمام في اللغة له المحكم وغيره وكان ضريباً ، توفي بدانية من شرق الأندلس وعمره نحو ستين .

سنة تسع وخمسين وأربعمائة :

وفيهما في ذي القعدة تمت النظامية وتقرر لتدريسها الشيخ أبو اسحاق الشيرازي ، واجتمع الناس فتأخر الشيخ فانه سمع ان أرضها مفضوبة فدرس بها يوسف بن الصباغ صاحب الشامل عشرين يوماً ثم ألحوا على الشيخ حتى درس بها (١) . قلت : وابن الصباغ المذكور هو أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد ، وأما كون اسمه يوسف فلا نعرفه ، والله أعلم . وفيها كان بالبلاد سوى الروم غلاء عظيم وموت (٢) لاسيا بجلب فانه مات بها في شهر رجب خاصة زهاء أربعة آلاف ، ومات جماعة من ساداتها والله أعلم .

سنة ستين وأربعمائة :

فيها زلزلت فلسطين ومصر حتى طلع الماء من رؤوس الآبار وردم عالم

(١) عندما بلغ نظام الملك خبر امتناع الشيخ أبي اسحاق الشيرازي عن الدرس ، أقام القيادة على العميد أبي سعد ، ولم يزل يرفق بالشيخ أبي اسحاق حتى قبل التدريس بالمدرسة .
(٢) وفيها هبت ريح حارة مات بسببها خلق كثير ، وفيها وقع غلاء وقناء بدمشق وحران وأعمال خراسان بكاملها ، ووقع الفناء في الدواب ، كانت تنتفخ رؤوسها وأعينها ، حتى كانت الناس يمسون حمر الوحش بالأيدي .

عظيم وزال البحر عن الساحل مسيرة يوم فالتقط الناس من أرضه ، فعاد الماء وأهلك خلقاً .

قلت : وفيها فتح الله على المسلمين حصن ارتاح وقد اجتمع اليه من أهل النصرانية ما حوله وقتل من رجاله نحو ثلاثة آلاف حاصره الملك هارون بن خان خمسة أشهر ، وهو فتح عظيم فان أعماله كانت بمقدار أعمال الشام من الفرات الى العاصي الى افامية الى باب انطاكية الى الأثارب ، وأحصى قوم بطرابلس في مجلس القاضي ابن عمار ان المفقودين من الروم في هذه السنة الى شهر رمضان في الدرب الى افامية قتلاً وأسراً ثلاثمائة الف ، ذكره ابن المهذب .

وفيها - أعني سنة ستين - : في أيار جاءت رعدة عظيمة بالمعرة غشي من صوتها على كثير من الرجال والصبيان والنساء ، وجاء بعدها سحب عظيم معظمه على جبل بني عليم وفيه برد فقلع الشجر وجرى منه سيل في وادي شنان الذي فيه العين فكان من الجبل القبلي الى الجبل الشمالي وغطى شجر الجوز وأخذ صخرة يعجز عن قلبها خمسون رجلاً ومضى بها فلم يعرف لها ذلك الوقت موضع ، والله أعلم . وفيها توفي الشيخ أبو منصور عبد الملك بن يوسف من أعيان الزهاد^(١) .

سنة احدى وستين وأربعمائة :

فيها وقعت فتنة بين المغاربة والمشاركة بدمشق فضربت دار جوار الجامع بالنار فاتصلت النار بالجامع وعظمت فدمرت محاسنه وزالت أعماله النفيسة .
قلت وفيها : أخذ ملك الروم حصن منبج وشحنه رجالاً وعدة ، ثم وقف على

(١) كان من أعيان زمانه، ومن أعماله أنه تسلم المارستان العضدي وكان قد دثر وخرب فجدد في عمارته وجعل فيه ثمانية وعشرين طبيباً وثلاثة من الخزان واشترى له الأملاك النفيسة والدواء . وكان كثير الصلوات والمعروف . ولم يكن في زمانه أحد يلقب بالشيخ « الأجل » سواه . انظر الكامل ص ١٠١ - ج ٨ .

عزاز ساعة ثم رحل عنها ، وسلط الله عليه وعلى من معه الغلاء والقلة ومات منهم خلق كثير فرجع حافلاً .

وفيها جمع قطبان انطاكية وقسها المعروف بالبخت جموعاً وطلع إلى حصن أشعوييا من قرى المعرة بعملة عملها لهم قوم يعرفون ببني ربيع من أهل جوزف ففتحوه وقتلوا وأسروا رجاله وواليه نادراً التركي ، فبلغ الخبر الأمير عز الدولة محمود بن نصر بن صالح وهو يسير في ميدان حلب ، فسار إليه ولم يدخل البلد ومعه نحو خمسين الفاً من الترك والعرب وأخذه من النصارى وقتل منهم الفين وسبعمائة نفس ، وهذا الحصن كان قد عمره حسين بن كامل بن حسين ابن سليمان بن الدوح العمري المرثدي الكلابي ومعه جماعة من المعرة وكفرطاب وضياعها في سنة ست وخمسين وأربعمائة وأكمل عمارته في مدة يسيرة فتعجب الناس لسرعة عمارته . ثم في سنة احدى وستين وأربعمائة اقترض عز الدولة محمود من الروم أربعة عشر الف دينار ورهن ولده نصراً عليها وعلى هدم الحصن المذكور ، فجمع الناس من المعرة وكفرطاب على هدمه . والله قول من قال :

وهدوا بأيديهم حصنهم وأعينهم حزناً تدمع
عجبت لسرعة بنيانه ولكن تخريبه أسرع

والله أعلم .

سنة اثنتين وستين وأربعمائة :

وفيها غلت مصر حتى أكل بعض الناس بعضاً ونزح من قدر ، واحتاج المستنصر فباع ثمانين الف قطعة بلور كبار وخمساً وسبعين الف قطعة من الديباج وأحد عشر الف قزاغند^(١) وعشرين الف سيف محلى ووصل من ذلك مع التجار إلى بغداد .

(١) قزاغند : معرب كثر الكند ومعناه المحشو بالحرير ، وهو لباس يلبسه الشجعان تحت الدرع في الحرب .

سنة ثلاث وستين وأربعمائة :

وفيها قطع محمود بن نصر بن صالح بن مرداس بحلب خطبة المستنصر وخطب للقائم العباسي . وفيها سار ألب ارسلان إلى ديار بكر ، فأتى صاحبها نصر بن أحمد بن مروان إلى طاعته ثم إلى حلب ، فبذل محمود بن مرداس الطاعة ولم يطأ بساطه فلم يرض ألب ارسلان بذلك ، فدخل محمود ووالدته ليلاً عليه فأحسن اليها وأقر محموداً على حلب .

وفيها سار ملك الروم أرمسانوس يجمع من الروم والجر كس والروس ووصل ملاز كرد ، فسار إليه ألب ارسلان وسأل الهدنة فامتنع ملك الروم فاقتتلوا ، فانهزم الروم وقتل منهم ما لا يحصى وأسر ارمانوس ، ثم أطلقه ألب ارسلان على هدنة ومال وأسرى . قلت : وحمل ألب ارسلان ملك الروم بازيماً وخرج يتصيد ممتناً له بذلك ، ثم أعتقه وجهاز معه جيشاً عظيماً من الترك فإن الروم ملكوا عليهم غيره ووقعت بين الأول والآخر حروب . والله أعلم .

وفيها قصد أتسز بن أبق الخوارزمي من أكبر أمراء ملكشاه بن ألب ارسلان الشام ، وأخذ الرملة والقدس من المصريين وحصر دمشق ولم يملكها . وفيها توفي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الفوراني الشافعي وله الإبانة . قلت : أخذ عن القفال الشاشي وصنف في الفروع والاصول والخلاف والجدل والملل والنحل وله في المذهب الوجوه الجيدة وطبق الأرض بالتلامذة ، وقيل : كان إمام الحرمين وهو شاب يحضر حلقاته والفوراني لا ينصفه لكونه شاباً فبقي في نفسه ، فمتى قال في النهاية : وقال بعض المصنفين كذا وغلط في كذا ونحوه ، فمراده الفوراني - بضم الفاء - أو القاضي الماوردي . والله أعلم .

وفيها توفي أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون الأندلسي القرطبي من أبناء فقهاء قرطبة وانتقل وخدم المعتضد بن عباد صاحب اشبيلية ووزر له ، ومن شعره الفائق :

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع سرّاً إذا ذاعت الأسرار لم يذع

يا بائعاً حظه مني ولو بذلت لي الحياة بحظي منه لم أبع
 يكفيك انك لو حملت قلبي ما لم تستطعه قلوب الناس يستطع
 ته أحتمل واستطل أصبر وعزأهن وولّ أقبل وقل أسمع ومر أطمع
 ونونيته المشهورة منها :

تكاد حين تناجيك ضمائرنا يقضي علينا الأسي لولا تأسينا
 وله الرسالة الزيدونية ، وشرحها الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة المصري في
 مجلدين .

وفيهما في ذي الحجة توفي ببغداد الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت
 البغدادي إمام زمانه ، ومن حمل جنازته الشيخ أبو اسحاق الشيرازي ، وله
 تاريخ بغداد ينسب عن اطلاع عظيم ، كان من الحفاظ المتبحرين فقيهاً غلب عليه
 الحديث والتاريخ ، مولده في جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة ، هو
 حافظ الشرق وأبو عمر يوسف بن عبد البرّ صاحب الاستيعاب حافظ الغرب
 ومات في هذه السنة ولا عقب للخطيب وصنف أكثر من ستين كتاباً ووقف
 جميع كتبه .

وهذا ابن عبد البر هو : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ بن عاصم
 النميري القرطبي ، كان موفقاً معاناً في التأليف وقولى قضاء أشبونة وشنترين
 وصنف لمالكها المظفر بن الأفتس كتاب « بهجة المجالس » في ثلاثة أسفار فيه
 محاسن تصلح للمحاضرة ، منها : إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه أنه
 دخل الجنة ورأى فيها عذقاً مدلى فأعجبه وقال : لمن هو ؟ فقيل : لأبي جهل ،
 فشق ذلك عليه وقال : ما لأبي جهل والجنة والله لا يدخلها أبداً ، فلما أتاه
 عكرمة بن أبي جهل مسلماً فرح به وتناول ذلك العذق عكرمة ابنه .

ومنها : عن جعفر بن محمد الصادق : إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى
 كأن كلباً أبقع يلغ في دمه ، فكان شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين وكان
 أبرص فتفسرت رؤياه بعد خمسين سنة . ومنها : إن النبي صلى الله عليه

وسلم قال لأبي بكر الصديق: يا أبا بكر رأيت كأني وأنت نرقى درجة فسبقتك
بمراقتين ونصف ، فقال : يا رسول الله يقبضك الله إلى رحمته وأعيش بمسلك
سنتين ونصف .

ومنها : إن بعض أهل الشام قص على عمر بن الخطاب (رض) قال :
رأيت كأن الشمس والقمر اقتتلا ومع كل واحد منهما فريق من النجوم ، فقال
عمر : مع أيهما كنت ؟ قال : مع القمر ، قال : مع الآية المحوثة والله لا توليت
لي عملاً ، فقتل الرائي المذكور في صفين وكان مع معاوية . ومنها : إن
عائشة (رض) رأت كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجرتها فقال لها أبو بكر
(رض) : يدفن في بيتك ثلاثة من خيار أهل الأرض ، فلما دفن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لها : هذا أحد أقمارك .

توفي ابن عبد البر بشاطبة ، وله المصنفات الجليلة كالتمهيد والاستذكار
وسيرة النبي ﷺ والاستيعاب وغير ذلك .

وفيهما توفيت كريمة بنت أحمد بن محمد المرمزية راوية صحيح البخاري
بمكة ، عالية الاسناد .

سنة اربع وستين واربعائة :

وفيهما في رجب توفي القاضي أبو طالب بن محمد بن عمار قاضي طرابلس
مستولياً عليها ، وقام بعده ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن فأحسن الضبط .

سنة خمس وستين واربعائة :

ذكر مقتل السلطان ألب أرسلان محمد

ففيها سار ألب أرسلان وعقد على جيحون جسراً وعبره في نيف وعشرين
يوماً بزائد عن مائتي ألف فارس ، ومدّ لما عبره سماًطاً في بلده فربر ولها حصن

فأحضر اليه مستحفظ الحصن واسمه يوسف الخوارزمي مع غلامين يحفظانه وكان قد ارتكب جريمة في أمر الحصن ، فأمر ألب ارسلان فضربت له أربعة أوتاد وقال : شدوا أطرافه اليها ، فقال له يوسف : يا مخنث مثلي يقتل هذه القتلة ، فغضب السلطان وأخذ القوس وقال للغلامين : خلياها ورمهاه بسهم فأخطأه ولم يكن يخطيء سهمه ، فوثب يوسف على السلطان بسكين فقام السلطان عن السدة فوقع على وجهه فضربه يوسف بالسكين ، ثم جرح شخصاً آخر كان واقفاً على رأس السلطان اسمه سعد الدولة ، فضرب بعض الفراشين يوسف بمرزبة على رأسه فقتله ثم قطعته الأتراك . فقال السلطان : صعدت أمس على تل فارتجت الأرض تحتي من عظم الجيش فقلت في نفسي أنا ملك الدنيا وما يقدر أحد عليّ ، فعجزني الله بأضعف خلقه ، وأنا أستغفر الله وأستقيمه من ذلك الخاطر .

جرح في سادس ربيع الأول وتوفي في عاشره وعمره أربعون وشهور ومدة ملكه مذ خطب له بالسلطنة إلى وفاته تسع سنين وستة أشهر وأيام ، وأوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه وكان معه فحلف له العسكر واستقر في السلطنة ، وكان المستولي على الأمر نظام الملك وزير ألب ارسلان .

وعاد ملكشاه بالعسكر من وراء النهر إلى خراسان فأرسل إلى بغداد والأطراف فخطب له فيها ، واستمر نظام الملك وزيراً نافذ الأمر . ثم خرج عم ملكشاه فاروت بك صاحب كرمان عن طاعته فاقتتلا ، فانهزم فاروت بك وأسرته وخنقه وأقرّ كرمان على أولاده ، ولما انتصر ملكشاه كثرت أذية العسكر فقوض الأمر إلى نظام الملك وحلف له وزاد على إقطاعه طوس وغيرها ولقبه القاباً منها : أتابك (أصلها أتابك معناه الوالد الأمير) ، فأحسن نظام الملك السياسة والتدبير .

أخبار المستنصر وقتل ناصر الدولة

كانت والدة المستنصر بمصر قد استولت على الأمر ، فضعف أمر الدولة

وضارت العبيد حزباً والأتراك حزباً وجرت بينهم حروب ، وكان ناصر الدولة حفيد ناصر الدولة بن حمدان من أكبر قواد مصر فاجتمعت اليه الأتراك وجرت بينهم وبين العبيد وقعات ، وحصر ناصر الدولة مصر وقطع الميرة عنها براً وبحراً فغلت الاسعار حتى أخرج المستنصر العروض كما تقدم وعدم المتحصل بسبب انقطاع السبل .

ثم استولى ناصر الدولة على مصر وتفرقت العبيد في البلاد ، واستبد ناصر الدولة بالحكم وصادر أم المستنصر بخمسين الف دينار ، وتفرق عن المستنصر أولاده وأهله . وبلغ من إهانتة للمستنصر انه كان يجلس على حصير لا يقدر على غيرها . ونوى الخطبة للقائم ، ففطن لذلك ايلدكز الفاتك التركي فاتفق مع جماعة وقصدوا داره ، فخرج اليهم مطمئناً بقوته فضربوه بسيوفهم حتى قتلوه وأخذوا رأسه وقتلوا أخاه فخر العرب وقتلوا جميع بني حمدان بمصر . واضطرب الامر هذه السنة إلى سنة سبع وستين وأربعمائة فولي الامر بمصر أمير الجيوش بدر الجمالي وقتل ايلدكز والوزير ابن كدينة فاستقام الامر .

وفيهما توفي الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري ، له الرسالة وغيرها ، فقيه أصولي مفسر كاتب فضائله جمّة ، كان له فرس يركبه نحو عشرين سنة فلما مات الشيخ لم يأكل الفرس شيئاً ومات بعد اسبوع . ومولده سنة ست وسبعين وثلثمائة . وهو إمام في علم التصوف وقرأ اصول الدين على أبي بكر بن فورك وأبي اسحاق الاسفرايني ، وله تفسير حسن وشعر حسن منه :

إذا ساعدتك الحال فارقب زوالها فما هي إلا مثل حلبة أشطر
وإن قصدتك الحادثات ببؤسها فوسع لها صدر التجلد واصبر

وفيهما توفي علي بن الحسن بن علي بن الفضل الكاتب المعروف بصردر الشاعر ، لقب أبوه صردر بعرضه ولقب هو صردر لجودة شعره كقوله :

نسائل عن يمامات بحزوى
فقد كشف الغطاء فما نبالي
ألا لله طيف منك يسمى
مطيته طوال الليل جفني
فأمسينا كأننا ما افترقنا
وبان الرمل يعلم ما عيننا
أصرتنا بذكرك أم كنيننا
بكاسات الكرى زورا ومينا
فكيف شكا إليك وجى وأينا
وأصبحنا كأننا ما التقينا

سنة ست وستين وأربعمائة :

وفيهما زادت دجلة وغرق الجانب الشرقي وبعض الغربي كمقبرة أحمد
ومشهد باب التين ، ونبتت البوابع وغرق خلق .

سنة سبع وستين وأربعمائة :

وفيهما وصل بدر الجمالي مصر من ولايته بساحل الشام ، أرسل اليه
المستنصر يشكو حاله فركب البحر في خطر الشتاء ووصل وقبض على الامراء
والقواد المتغلبين وأخذ أموالهم للمستنصر وأقام منار الدولة ، ثم أصلح أمر
الاسكندرية ودمياط والصعيد وقهر المفسدين ، فعادت مصر أحسن مما كانت .

ذكر وفاة القائم بأمر الله

وفيهما ليلة الخميس ثالث عشر شعبان توفي القائم بأمر الله عبد الله أبو جعفر
ابن القادر ، مرض بالمشرا وافتصد فانفجر فصاده نائماً فاستيقظ وقد سقطت
قوته فأشهد الوزير جهيراً والقضاة بعهدته الى ابن ابنه عبد الله بن ذخيرة الدين محمد
ابن القائم ، وتوفي وعمره ست وسبعون وثلاثة أشهر وأيام وخلافته أربع
وأربعون سنة وخمسة وعشرون يوماً ، وقيل : عمره ست وتسعون وأشهر .

ذكر خلافة المقتدي بن محمد

وبويع المقتدي بأمر الله عبد الله المذكور بالخلافة ، وحضر مؤيد الملك بن

نظام الملك والوزير ابن جهير والشيخ أبو إسحاق الشيرازي وابن الصباغ ونقيب
النقباء كراد الزينبي والقاضي أبو عبدالله الدامغاني فبايعوه ، ولم يكن للقائم ولد
سواه لوفاة ذخيرة الدين في حياة القائم ، وكان لذخيرة الدين محمد بن القائم جارية
أرمنية اسمها أرجوان فسلت مصيبة القائم في ابنه لخوفه من انقطاع نسبه بكونها
حاملا من ابنه وولدت المقتدي لسته أشهر من موت محمد فسرّ به القائم ، فلما
بلغ الحلم جعله ولي عهده .

وفيها جمع ملكشاه ونظام الملك جماعة من المنجمين وجعلوا النيروز عند
نزول الشمس أول الحمل ، وكان من قبل عند نزول الشمس نصف الحوت . وفيها
عمل السلطان ملك شاه الرصد ، واجتمع في عمله فضلاء منهم : ابراهيم الختّام
وأبو المظفر الاسفزازي وميمون بن النجيب الواسطي ، وأنفق عليه جملاً وداراً
إلى أن مات السلطان سنة خمس وثمانين وأربعمائة فبطل .

سنة ثمان وستين وأربعمائة :

فيها ملك اتسر دمشق بعد ما تقدم ذكره وخطب للمقتدي بالله وأذن
بأذان السنة ، ولم يخطب بعدها للعلويين بدمشق .

وفيها توفي أبو الحسن علي بن أحمد بن متويه الواحدي النيسابوري ، له
البيسط والوسيط والوجيز في التفسير ، ويقال له المتوي نسبة إلى جده متويه ،
والواحدي نسبة إلى الواحد بن مهرة منه أخذ الغزالي أسماء كتبه الثلاثة وكان
أستاذاً في التفسير والنحو وشرح ديوان المتنبي أجود شرح وهو تلميذ الثعلبي ،
وتوفي بعد مرض طويل بنيسابور .

وفيها توفي الشريف الهاشمي العباسي أبو جعفر مسعود بن عبد العزيز
البياضي الشاعر ، وما أرق قوله :

كيف يدوي عشب أشواقي ولي طرف مطير
إن يكن في العشق حر فأن العبد الأسير
أو على الحسن زكاة فأن ذلك الفقير

وقوله :

يا من لبست لبعده ثوب الضنا حتى خفيت به عن العواد
وأنست بالسهر الطويل فأنسيت أجفان عيني كيف كان رقادي
إن كان يوسف بالجمال مقطع الأيدي فأنت مقطع الأكباد

لبس جده بياضاً وقد لبس العباسيون سواداً ، فقال الخليفة : من ذلك
البياضي ؟ فلقب به .

سنة تسع وستين وأربعمائة :

فيها - وقيل قبلها - : مات محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي
صاحب حلب ، وملك بعده ابنه نصر فمدحه ابن حيوس بقصيدته التي منها :

ثمانية لم تفترق منذ جمعتهما فلا افترت ما افتت عن ناظر شفر
ضميرك والتقوى وجودك والغنى ولفظك والمعنى وعزمك والنصر
تباعدت عنكم حرفة لا زهادة وسرت اليكم حين مسني الضر
وأنجز لي رب السماوات وعده الكريم بأن العسر يتبعه اليسر
فجاد ابن نصر لي بألف تصرمت وإني عليم أن سيخلفها نصر
وما بي إلى الإلحاح والحرص حاجة وقد عرف المتباع وانفصل السعر

وكانت عطية ابن محمود لابن حيوس على المدح الف دينار ، فقال نصر : والله
لو قال عوض سيخلفها : (سيضعفها) لأضعفتها له ، وأعطاه الف دينار في طبق
فضة . قلت : وكان قد اجتمع على باب نصر جماعة من الشعراء وامتدحوه
وتأخرت صلته عنهم وفيهم أبو الحسن أحمد بن محمد بن الزويدي المعري الشاعر
المعروف ، فنظم ابن الزويدي أبياتاً وسيرها إلى الأمير نصر وهي :

على بابك المحروس منا عصابة مفاليس فانظر في أمور المفاليس
وقد قنعت منك الجماعة كلهم بعشر الذي أعطيته ابن حيوس
وما بيننا هذا التفاوت كله ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فأعطاهم مائة دينار وقال : والله لو قالوا : بمثل الذي أعطيته ابن حيوس لأعطيتهم مثله ، والله أعلم . وكان نصر يدمن الشرب فحمله السكر على خروجه على التركان الذين ملكوا أباه حلب وهم بالحاضر فرماه أحدهم بسهم فقتله يوم عيد الفطر سنة ثمان وستين وأربعمائة ، فملك حلب أخوه سابق بن محمود .

وفيهما توفي أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي المصري بسقوطه من سطح جامع عمرو بن العاص . قلت : ورأى يوماً قطاً ينقل الطعام إلى قط أعمى في بيت خراب فاتعظ به ، فاستعفى من خدمة السلطان ولازم اشتغاله بحمول الكلفة إلى أن مات رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

سنة سبعين وأربعمائة :

ففيها توفي عبدالرحمان بن محمد بن إسحاق الأصفهاني الحافظ ذو التصانيف منها تاريخ أصفهان ، وبأصفهان طائفة ينتمون إلى اعتقاده يسمون العبيد رحمانية .

سنة إحدى وسبعين وأربعمائة :

وفيهما ملك تتش بن السلطان ألب ارسلان دمشق وسببه : ان أخاه ملك شاه أقطعه الشام وما يفتتحه فسار تاج الدولة تتش إلى حلب . وكان بدر الجمالي أمير جيوش مصر قد أرسل عسكرياً لحصار أتنز بدمشق ، فاستنجد اتنز تتش وهو محاصر حلب فسار إلى دمشق ولما قرب منها رحل عسكري مصر كالمهزمين ، ثم وصل إلى دمشق فتلقيه اتنز من قريب فأنكر عليه تأخره عن لقائه وقبض على اتنز وقتله وملك دمشق وأحسن السيرة .

سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة :

وفيهما غزا الملك ابراهيم بن مسعود بن محمد بن سبكتكين الهند ، فأوغل

وفتح وعاد إلى غزنة . وفيها حصر شرف الدولة مسلم بن قريش المسيبي صاحب الموصل حلب فتسلمها في سنة ثلاث وسبعين ، ثم حصر القلعة وتسلمها وأنزل منها سابقاً ووثاباً ابني محمود بن نصر بن صالح . وفيها توفي نصر بن أحمد ابن مروان صاحب ديار بكر ، وملك بعده ابنه منصور ودبره ابن الأنباري . وفيها توفي أبو الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس الشاعر وتقدم ذكره .

سنة ثلاث وسبعين أربع وسبعين وخمس وسبعين وأربعمائة :

فيها كانت فتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة . وفيها أرسل المقتدي صاحب التنبيه إلى السلطان ملكشاه وإلى نظام الملك شاكياً من عميد العراق أبي الفتح بن أبي الليث ، فأكرم السلطان ونظام الملك الشيخ بخراسان وناظر بحضرة نظام الملك إمام الحرمين وعاد بأجابة الخليفة ورفع يد بن العميد عما يتعلق بحاشية الخليفة .

قلت : وفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة ليلة الخميس بين العشاءين توفي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث اليحصبي المالكي الأندلسي ومولده يوم الثلاثاء النصف من ذي القعدة من سنة ثلاث وأربعمائة بمدينة بطليوس ، ودفن بالمرية بالرباط على ضفة البحر وصلى عليه ابنه أبو القاسم ، كان رحمه الله من علماء الأندلس وحفاظها سكن شرقي الأندلس ورحل إلى الشرق سنة ست وعشرين وأربعمائة ونحوها فأقام بمكة شرفها الله مع أبي ذر الهروي ثلاثة أعوام وحج . ثم رحل إلى بغداد فأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه ويقرأ الحديث ولقي بها سادات من العلماء كأبي الطيب الطبري الشافعي والشيخ أبي اسحاق الشيرازي وأقام بالموصل مع أبي جعفر الشيباني يدرس عليه الفقه ، وكان مقامه بالمشرق نحو ثلاثة عشر عاماً ، وروى عن الحافظ أبي بكر الخطيب ، وروى الخطيب عنه قال : أنشدني أبو الوليد الباجي لنفسه :

إذا كنت أعلم علماً يقيناً بأن جميع حياتي كساعه
فلم لا أكون ضنيناً بها فأجعلها في صلاح وطاقه

صنف كتباً كثيرة منها : كتاب المقتفي وكتاب أحكام الفصول في أحكام الأصول وكتاب التعديل والجرح فيمن روى عنه البخاري رحمه الله ، وغير ذلك ، وهو أحد أئمة المسلمين وكان يقول : سمعت أبا ذر عمر بن أحمد الهروي يقول : لو صحت الإجازة لبطلت الرحلة ، وكان قد رجع إلى الاندلس وولي القضاء هناك وقيل أنه ولي قضاء حلب ، والله أعلم .

وفيهما توفي أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله بن ماكولا مصنف الإكمال ومولده سنة عشرين وأربعمائة ، قتله مماليك الأتراك بكرمان .

سنة ست وسبعين وأربعمائة :

وفيهما في جمادى الآخرة توفي الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي ، وفيروز آباد : بلدة بفارس ، وقيل : هي مدينة جور . ومولده سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وقيل سنة ست وتسعين ، كان أوحد عصره علماً وزهداً وعبادة ولد بفيروز آباد وبها نشأ ودخل شيراز وتفقه ثم قدم البصرة ثم بغداد سنة خمس عشرة وأربعمائة ، وكان إماماً في المذهب والخلاف والأصول له المهذب والتلخيص والنكت والتبصرة واللمع ورؤوس المسائل ، وكان فصيحاً ينظم حسناً فمنه :

سألت الناس عن خل وفي فقالوا ما إلى هذا سبيل
تمسك إن ظفرت بود حر فإن الحر في الدنيا قليل

قلت : وهذا قريب من قول بعض الناس :

أكثر وطء الناس من شبهة أو من زنا والحل فيهم قليل
فإن حلال نادر نادر والنادر النادر كالمستحيل

والله أعلم . وللشيخ أيضاً :

جاء الربيع وحسن ورده ومضى الشتاء وقبح برده
فاشرب على وجه الحبيب ووجنتيه وحسن خده

وكان مستجاب الدعوة مطرح التكلف ، ولما توجه رسولا من الخليفة إلى
خراسان قال : ما دخلت بلدة ولا قرية إلا وخطيبها وقاضيا تلميذي ومن جملة
أصحابي .

سنة سبع وسبعين وأربعمائة :

فيها سار فخر الدولة بن جهير بعساكر ملكشاه إلى قتال شرف الدولة
مسلم بن قريش ، ثم سير السلطان ملكشاه إلى فخر الدولة جيشاً آخر فيهم الأمير
أرتق بن أكسك وقيل : أكسب وأول أصح ، جد الملوك الارتقية ، فانهزم
شرف الدولة وانحصر في آمد ونزل أرتق على آمد فحصره ، وبذل له مسلم بن
قريش مالا جليلا ليتمكنه من الخروج من آمد ، فأذن له أرتق وخرج مسلم منها
في حادي عشري ربيع الأول من هذه السنة فنازل الرقة وبعث إلى السلطان ما
وعده به . ثم سير السلطان عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير بعسكر كثيف
وسير معه أقسنقر قسيم الدولة إلى الموصل فاستولى عليها عميد الدولة ، وهذا
أقسنقر هو والد عماد الدين زنكي ، ثم أرسل مؤيد الدولة ابن نظام الملك إلى
شرف الدولة بالعهد يستدعيه إلى السلطان ، فقدم شرف الدولة إليه وأحضره
عند السلطان بالبوازيج وكان قد ذهب أمواله فاقترض شرف الدولة مسلم ما
خدم به السلطان وقدم إليه خيلا منها فرسه الذي نجا عليه في المعركة المشهور
المسمى بشارا ، وسابق به السلطان الخيل فجاء سابقاً فقام السلطان إعجاباً به
ورضي على مسلم وخلع عليه وأقره على بلاده .

وفيها سار سليمان بن قطلمش السلجوقي صاحب قونية وأقصرها وغيرها
إلى الشام ، وملك انطاكية بمخامرة الحاكم فيها من جهة النصارى وكانت بيد
الروم من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، فافتتحها سليمان في هذه السنة .

مقتل شرف الدولة وملك أخيه ابراهيم

لما ملك سليمان بن قطامش انطاكية أرسل شرف الدولة مسلم صاحب الموصل وحلب يطلب منه ما كان يحملة اليه أهل انطاكية ، فقال سليمان : كان ذلك على سبيل الجزية ، ولم يعطه شيئاً فاقتتلا في الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة في طرف أعمال انطاكية ، فانهزم عسكر مسلم وقتل مسلم في المعركة ، وقتل بين يديه أربعمائة غلام من أحداث حلب ، وكان مسلم بن قريش أحول واتسع ملكه وزاد على من تقدمه من أهل بيته وساس ملكه بالعدل . ولما قتل قصد بنو عقيل أخاه ابراهيم بن قريش وهو محبوب فأخرجوه وملكوه بعد حبسه سنين .

وفيهما ولد لملكشاه ولد بسنجار فسماه أحمد ثم غلب عليه سنجر لمولده بسنجار ، واسمه عند الترك سنجر ومعناه يطعن . وفيها توفي أبو نصر عبدالسيد ابن محمد بن عبدالواحد بن الصباغ الفقيه الشافعي صاحب الشامل والكامل وكفاية السائل وغيرها بعد أن أضر سنين ومولده سنة أربعمائة . قلت : قال ابن خلكان : و كتابه الشامل من أجود الكتب وأصحها نقلاً وأثبتها أدلة ، وكان يقدم على الشيخ أبي اسحاق في معرفة المذهب وكان تقياً حجة صالحاً ، والله أعلم .
وفيهما توفي القاضي أبو عبدالله الحسين بن علي البغدادي المعروف بابن القفال من شيوخ أصحاب الشافعي ، ولي القضاء بباب الأزج .

سنة ثمان وسبعين وأربعمائة :

وفيهما ملك الفرنج طليطلة من الأندلس بعد أن حاصرها الأذفونش سبع سنين . وفيها جاءت ريح عظيمة سوداء كالليل ببغداد وقت العصر وتتابع الرعد والبرق ووقعت عدة صواعق وبقي النهار ليلاً بهيماً وسقط رمل بدل المطر وظن الناس انها الساعة ودام إلى المغرب ، شاهد ذلك الإمام أبو بكر الطرطوشي وحكاه في أماليه ، والله أعلم .

وفيها ملك فخر الدولة بن جبير آمد ثم ميفارقين ثم جزيرة ابن عمر بلاد بني مروان ، أخذها من منصور بن نصر بن أحمد بن مروان آخر ملوكهم وانقرضت مملكتهم بالجزيرة ، فسبحان من لا يزول ملكه . وفيها سار أمير الجيوش بدر الجمالي بجيوش مصر فحصر دمشق وفيها تاج الدولة تتش ، فلم يظفر بشيء فارتحل عائداً .

وفيها في ربيع الآخر توفي امام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله ابن يوسف الجويني ، ومولده في الكامل : سنة ست عشرة وأربعمائة ، وفي تاريخ ابن أبي الدم : سنة تسع عشرة وأربعمائة ، امام العلماء في وقته فحل المذهب ، ومن تصانيفه نهاية المطلب ، سافر إلى بغداد ثم إلى الحجاز وأقام بمكة والمدينة أربع سنين يدرس ويفتي ويصنف وأم في الحرمين الشريفين وبذلك لقب ثم رجع إلى نيسابور وجعل إليه الخطابة ومجلس الذكر والتدريس ثلاثين سنة وحظي عند نظام الملك ، ومن تلاميذه : الغزالي وحسبك وأبو القاسم الأنصاري وأبو الحسن علي الطبري الكيا الهراسي ، وادعى امام الحرمين الاجتهاد المطلق لأن أركانه حاصلة له ، ثم عاد إلى اللائق به وتقليد الإمام الشافعي لعلمه أن منصب الاجتهاد قد مضت سنوه .

٤

قلت : ولما مرض حمل إلى قرية موصوفة باعتدال الهواء وخفة الماء اسمها بشتقان فمات بها ونقل إلى نيسابور تلك الليلة ودفن من الغد في داره ، ثم نقل بعد سنين إلى مقبرة الحسين فدفن بجانب أبيه وصلى عليه ولده أبو القاسم ، فأغلقت الأسواق يوم موته وكسر منبره في الجامع وقعد الناس لعزائه ورثوه كثيراً ، ومنه :

قلوب العالمين على المقالي وأيام الورى شبه الليالي
أشمر غصن أهل العلم يوماً وقد مات الإمام أبو المعالي

وكان تلامذته يومئذ نحو أربعمائة فكسروا محابره وأقلامهم وأقاموا كذلك عاماً كاملاً ، والله أعلم .

سنة تسع وسبعين وأربعمائة :

مقتل سليمان بن قطلمش

لما قتل سليمان بن مسلم بن قريش أرسل سليمان بن قطلمش إلى ابن الحنظلي العباسي مقدم أهل حلب يطلب تسليمها ، فاستمهل إلى أن يكاتب السلطان ملك شاه ، وأرسل ابن الحنظلي يستدعي تتش صاحب دمشق ابن ألب أرسلان أخا السلطان ملكشاه ، فسار تتش إلى حلب ومعه أرتق بن اكسك قد فارق ملك شاه خوفاً من اطلاق مسلم بن قريش من آمد حسبها مر ، وجرت حرب بين تتش وابن عمه سليمان بن قطلمش فانهزم عسكر سليمان وثبت سليمان وأخرج سكيناً قتل بها نفسه ، وقيل : قتل في المعركة .

وكان سليمان بعث جثة مسلم بن قريش على بغل ملفوفة في إزار إلى حلب ليسلموها إليه في السنة الماضية ، فأرسل تتش جثة سليمان في هذه السنة في إزار إلى حلب ليسلموها إليه ، فأجابه ابن الحنظلي بالمطاوله إلى أن يرد مرسوم ملكشاه في أمر حلب بما يراه ، فحاصر تتش حلب وملكها فاستجار ابن الحنظلي بأرتق فأجاره وكان بقلعة حلب منذ قتل مسلم بن قريش سالم بن مالك بن بدران العقيلي ابن عم شرف الدولة مسلم بن قريش ، فحاصر تتش القلعة سبعة عشر يوماً فبلغه وصول مقدمة أخيه السلطان ملكشاه .

* * *

قد تم بعونه تعالى في أواسط جهادى الأول سنة (١٢٨٥) الجزء الأول من تاريخ ابن الوردي الذي عليه في فنه المعول ، واسمه : « تنمة المختصر في أخبار البشر » وتفصيل ذكره تقرّ به العيون في ص ٢٤٢ من ثاني كشف الظنون^(١) ، ويتلوه الجزء الثاني وأوله :

ذكر وصول ملكشاه الى حلب

(١) نقلت هذه الطبعة عن النسخة المطبوعة في جمعية المعارف في مصر في عهد الخديو اسماعيل - الناشر .

فهرست

| | |
|----|--|
| ٥ | مقدمة |
| ٩ | مقدمة المؤلف في بيان التاريخ وما فيه من الاختلاف |
| ١٥ | جدول التواريخ |
| ١٧ | الفصل الاول : في ذكر آدم وبنيه |
| ١٩ | ذكر نوح وولده |
| ٢١ | وفاة نوح |
| ٢٢ | سبب تبلبل الالسنه |
| ٢٢ | ذكر هود وصالح عليهم السلام |
| ٢٣ | ذكر ابراهيم عليه الصلاة والسلام |
| ٢٤ | مولد اسماعيل واسحاق |
| ٢٥ | بناء الكعبة والفداء |
| ٢٦ | ذكر لوط عليه السلام |
| ٢٨ | ذكر ايوب عليه السلام |
| ٢٩ | ذكر يوسف عليه السلام |
| ٣٠ | ذكر شعيب وموسى عليهم السلام |
| ٣٤ | ذكر حكام بني اسرائيل ثم ملوكهم - ذكر يوشع |
| ٣٥ | ذكر فينحاس وعثنال وغيرهم |
| ٤٠ | ذكر سليمان الحكيم |
| ٤٤ | ولاية بخت نصر |
| ٤٦ | عمارة بيت المقدس ، وذكر عزيز ويونس |
| ٤٧ | ذكر ارميا ، ونقل التوراة |
| ٤٨ | ذكر زكرياء ويحيى |
| ٤٩ | ذكر عيسى عليه السلام |

| | |
|-----|--|
| ٥٥ | الفصل الثاني : في ذكر ملوك الفرس |
| ٥٦ | الطبقة الاولى الفيشدادية |
| ٥٨ | ذكر الطبقة الثانية من الفرس وهم الكيانية |
| ٦٢ | ذكر الاسكندر بن فيلقوس |
| ٦٤ | ذكر ملوك الطوائف |
| ٦٤ | الطبقة الثالثة من الفرس وهم الاشفانية |
| ٦٥ | الطبقة الرابعة وهم الاكاسرة |
| ٦٨ | ذكر يزدجرد بن بهرام |
| ٧٧ | الفصل الثالث : في فراغنة مصر وملوك اليونان والروم |
| ٨٠ | ذكر ملوك اليونان |
| ٨١ | ذكر ملوك البطالسة |
| ٨٢ | ذكر ملوك الروم |
| ٨٦ | اصحاب الكهف |
| ٩١ | الفصل الرابع : في ذكر ملوك العرب قبل الاسلام |
| ٩٤ | ذكر ملوك العرب في غير اليمن |
| ٩٥ | ذكر ابتداء ملك اللخمين |
| ٩٩ | ذكر ملوك غسان |
| ١٠١ | ذكر ملوك جرهم - ذكر ملوك كندة |
| ١٠٤ | ذكر عدة متفرقين من ملوك العرب |
| ١٠٥ | سبب مقتل كليب |
| ١٠٩ | ذكر ايام بني وائل واولها يوم عنيزة |
| ١١٣ | الفصل الخامس : في ذكر امم العالم - امة السريان والصابئين |
| ١١٦ | امة القبط والفرس |
| ١١٨ | امة اليونان |
| ١٢٢ | امة اليهود |
| ١٢٤ | بيان اعياد اليهود منها الفصح |
| ١٢٦ | امة النصارى |
| ١٢٨ | بيان اعياد النصارى وصياماتهم فمنها الصوم الكبير |
| ١٣٠ | امم دخلت في النصرانية |
| ١٣٢ | امم الهند |
| ١٣٤ | امة السند ، وامم السودان |
| ١٣٦ | امة الصين |

| | |
|-----|---|
| ١٣٨ | امم العرب واحوالهم قبل الاسلام |
| ١٣٩ | احياء العرب وقبائلهم |
| ١٤٥ | ذكر العرب المستعربة |
| ١٥٠ | قصة الفيل |
| ١٥١ | مولد النبي صلى الله عليه وسلم وشرف نسبه الطاهر |
| ١٥٤ | شرفه وشرف بيته صلى الله عليه وسلم |
| ١٥٩ | تجديد قريش عمارة الكعبة |
| ١٦١ | اول من اسلم |
| ١٦٣ | اسلام عمر بن الخطاب |
| ١٦٤ | اول المهاجرين |
| ١٦٦ | سفره صلى الله عليه وسلم الى الطائف |
| ١٦٨ | بيعة العقبة الثانية |
| ١٦٩ | ذكر الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام |
| ١٧٠ | جدول التواريخ |
| ١٧٣ | بقية خبر الهجرة |
| ١٧٦ | تحويل القبلة |
| ١٧٧ | غزوة بدر الكبرى |
| ١٧٩ | غزوة بني قينقاع |
| ١٨٠ | غزوة السويق وقرقرة الكدر |
| ١٨١ | غزوة احد |
| ١٨٤ | غزوة بني النضير |
| ١٨٥ | غزوة ذات الرقاع - غزوة بدر الثانية - غزوة الخندق |
| ١٨٧ | غزوة بني قريظة |
| ١٨٩ | غزوة ذي قرد ، وغزوة بني المصطلق |
| ١٩١ | عمرة الحديبية |
| ١٩٢ | بيعة الرضوان |
| ١٩٣ | غزوة خيبر |
| ١٩٤ | ارسال الرسل الى الملوك |
| ١٩٦ | عمرة القضاء |
| ١٩٧ | غزوة مؤتة |
| ١٩٧ | نقض الصلح وفتح مكة |
| ٢٠١ | غزوة خالد بنى جذيمة |

| | |
|-----|---|
| ٢٠١ | غزوة حنين |
| ٢٠٤ | عودة الرسول الى المدينة |
| ٢٠٧ | حجة الوداع . وفاته صلى الله عليه وسلم |
| ٢١٠ | صفاته صلى الله عليه وسلم |
| ٢١١ | زوجاته وكتابه صلى الله عليه وسلم |
| ٢١٣ | ذكر الصحابة رضي الله عنهم |
| ٢١٤ | خلافة ابي بكر رضي الله عنه |
| ٢١٦ | قتل مسيلمة الكذاب |
| ٢١٧ | قتال المرتدين |
| ٢١٩ | خلافة عمر بن الخطاب |
| ٢٢٨ | خلافة عثمان رضي الله عنه |
| ٢٣٥ | خلافة علي رضي الله عنه |
| ٢٣٧ | وقعة الجمل |
| ٢٣٩ | وقعة صفين |
| ٢٤٧ | مقتل علي رضي الله عنه |
| ٢٥٠ | بيعة الحسن رضي الله عنه |
| ٢٥٢ | خلفاء بني امية |
| ٢٥٣ | اخبار معاوية |
| ٢٥٨ | اخبار يزيد بن معاوية |
| ٢٥٩ | مقتل الحسين رضي الله عنه |
| ٢٦٢ | اتفاق اهل المدينة على خلع يزيد |
| ٢٦٣ | اخبار معاوية بن يزيد |
| ٢٦٤ | اخبار ابن الزبير |
| ٢٦٥ | خروج المختار بالكوفة واستيلاؤه على الموصل |
| ٢٦٦ | ترجمة الاحنف الضحاك |
| ٢٦٧ | وفاة عبدالله بن عباس ، وتوجه عبدالملك الى العراق وملتقاه مع مصعب بن الزبير . |
| ٢٦٨ | وفاة عبدالله بن عمر ، وهدم الحجاج للكعبة |
| ٢٦٩ | بناء واسط ، واخبار الوليد بن عبدالملك |
| ٢٧١ | وفاة سعيد بن المسيب ، وفاة علي بن الحسين ، وموت الحجاج ، والوليد بن عبد الملك . |
| ٢٧٢ | اخبار سليمان بن عبد الملك |

- ٢٧٢ وفاة سليمان بن عبد الملك
٢٧٣ اخبار عمر بن عبد العزيز
٢٧٤ اخبار يزيد بن عبد الملك
٢٧٥ ذكر الفقهاء السبعة
٢٧٦ اخبار هشام بن عبد الملك
٢٧٧ وفاة الباقر ، وغزو مسلمة بن عبد الملك الروم
٢٧٨ اخبار الوليد بن يزيد
٢٨٠ اخبار يزيد بن الوليد
٢٨١ اخبار ابراهيم بن الوليد
٢٨١ اخبار مروان بن محمد
٢٨٢ ظهور دعوة بني العباس بخراسان
٢٨٤ وفاة واصل بن عطاء ومالك بن دينار
٢٨٦ اخبار ابي العباس السفاح
٢٨٧ اخبار مروان الى ان قتل
٢٩١ خلافة ابي جعفر المنصور
خروج ملك الروم الى بلاد الاسلام ، ابتداء الدولة الاموية بالاندلس
٢٩٢ وخروج الراوندية على المنصور
استيلاء محمد بن عبدالله بن الحسن على المدينة ، وبناء بغداد ،
وظهور ابراهيم العلوي
٢٩٣ تحول منصور الى بغداد
٢٩٤ وفاة جعفر الصادق
٢٩٥ وترجمة الامام ابي حنيفة النعمان
٢٩٦ بناء الرصافة ، وهجوم الخوارج
٢٩٧ خروج المنصور للحج ووفاته
٢٩٩ اخبار المهدي بن منصور
٣٠٠ وفاة الثوري ، و ابراهيم بن ادهم
٣٠١ قتل بشار بن برد ، وخلافة الهادي موسى . وظهور الحسين بن
علي بن الحسين بالمدينة
٣٠٢ خلافة الرشيد ، و وفاة عبد الرحمن الاموي بقرطبة
٣٠٥ ظهور الفتنة بين اليمانيين والمضريين بدمشق
٣٠٦ وفاة الامام مالك بن انس رضي الله عنه
٣٠٧ وفاة هشام بن معاوية بن عبد الملك صاحب الاندلس ، و وفاة سيبويه
٣٠٨

- ٣٠٩ فتح حصن الصفصاف وترجمة ابي يوسف
٣١٠ وفاة الكاظم بن جعفر الصادق رضي الله عنه
٣١١ ايقاع الرشيد بالبرامكة
٣١٣ سير الرشيد الى الري ، واحراق جثة جعفر
٣١٤ سير الرشيد الى الروم ومحاصرة هرقة وفتحها ، وموت الرشيد
اخيار الامين بن الرشيد ، وقتل تقفور ملك الروم ، وارسال جيش
لمحاربة المأمون بخراسان
٣١٥ مقتل الامين ، واخبار المأمون بن الرشيد
٣١٧ اجزاء اولاد العباس ، وقتل الروم ملكهم ، وجعل المأمون علي
الرضا ولي عهده
٣١٨ عقد المأمون علي بوران ، ومقتل الفضل بن سهل ، ووفاة علي الرضا
٣١٩ دولة بني زياد ملوك اليمن
٣٢٠ وفاة الامام الشافعي رضي الله عنه ، وترجمته
٣٢٢ وفاة ابن زياد اللؤلؤي
٣٢٣ وفاة الحكم بن هشام صاحب الاندلس ، ووفاة قطرب النحوي
٣٢٤ ظفر المأمون بابن عائشة ، ثم دخوله ببوران
٣٢٦ ظهور القول بخلق القرآن
٣٢٧ دخول المأمون بلاد الروم
٣٢٨ امتحان اهل العلم بخلق القرآن
٣٢٩ مرض المأمون ووفاته
٣٣٠ خلافة المعتصم
٣٣١ غزو المعتصم بلاد الروم
٣٣٢ وفاة المعتصم ، وخلافة الواثق
٣٣٤ وفاة ابي تمام الطائي
٣٣٥ وفاة ابن الاعرابي محمد الكوفي اللغوي ، ووفاة الواثق وبيعة المتوكل
٣٣٦ وفاة محمد بن مبشر المعتزلي ، وادعاء محمد بن فرخ النبوة
٣٣٧ امر المتوكل بهدم قبر الحسين (رض)
٣٣٨ وفاة الامام احمد بن حنبل
٣٣٩ وفاة يحيى بن اكرم
٣٤٠ نفي بختيشوع الى البحرين ، وقتل ابن السكيت
٣٤٢ وفاة دعبل الشاعر ، وقتل المتوكل ، وبيعة المنتصر
٣٤٣

- ٣٤٤ وفاة ابي عثمان المازني ، والمنتصر ، وبيعة المستعين
٣٤٦ بيعة المعتز بالله ، ووفاة البري السقطي
٣٤٧ وفاة الامام علي الهادي احد الائمة الاثني عشر
خلع المعتز وموته وبيعة المهدي ، وظهور مال كثير عند ام المعتز ،
وخرج صاحب الزنج
٣٤٨ وفاة محمد بن كرام ، والجاحظ
٣٥٠ خلع المهدي وبيعة المعتمد
٣٥١ وفاة الامام البخاري
٣٥٢ وفاة محمد بن موسى احد الاخوة الذين تنسب اليهم حيل بني موسى
٣٥٣ وفاة الحسن العسكري ، وحنين بن اسحاق الطيب معرب كتاب
اقليدس والمجسطي ، وابتداء امر السامانيين
٣٥٤ وفاة مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح
٣٥٥ دخول الزنج الى النعمانية
٣٥٧ امر المعتمد بلعن ابن طولون علي المنابر ، وقتل صاحب الزنج ، ووفاة ابن
طولون ، ومحمد الصاغاني
٣٥٨ وفاة ابن ماجه
٣٦٠ وفاة ابن قتيبة صاحب ادب الكاتب ، ووفاة الموفق بالله ،
وظهور القرامطة
٣٦١ وفاة المعتمد على الله ، وبيعة المعتضد بالله ، ووفاة ابن ابي الدنيا
٣٦٣ قتل خمارويه ووفاة ابي العينا الضيرير
٣٦٤ وفاة البحرري
٣٦٥ ظهور ابي سعيد القرمطي ، ووفاة المبرد
٣٦٧ حرب بين طنج والقرامطة ، ووفاة المعتضد
٣٦٨ بيعة المكتفي ، ظهور احمد القرمطي ومحاربته
٣٦٩ وفاة ابي العباس المعروف بثعلب
٣٧٠ وفاة ابن الراوندي ، وقتل القرامطة للحجاج
٣٧٢ وفاة المكتفي ، وبيعة المقتدر بالله وخلعه ، وبيعة ابن المعتز (الراضي بالله)
٣٧٣ انقراض بني الاغلب ، ولاية ابي نصر زيادة الله على افريقية
٣٧٤ ابتداء ملك العلويين بافريقية وبيان نسيبهم
٣٧٥ قتل احمد الساماني ، وكبير القرامطة
٣٧٩ استيلاء المهدي العلوي على الاسكندرية ، ووفاة البسامي
الشاعر الهجاء
٣٨٠

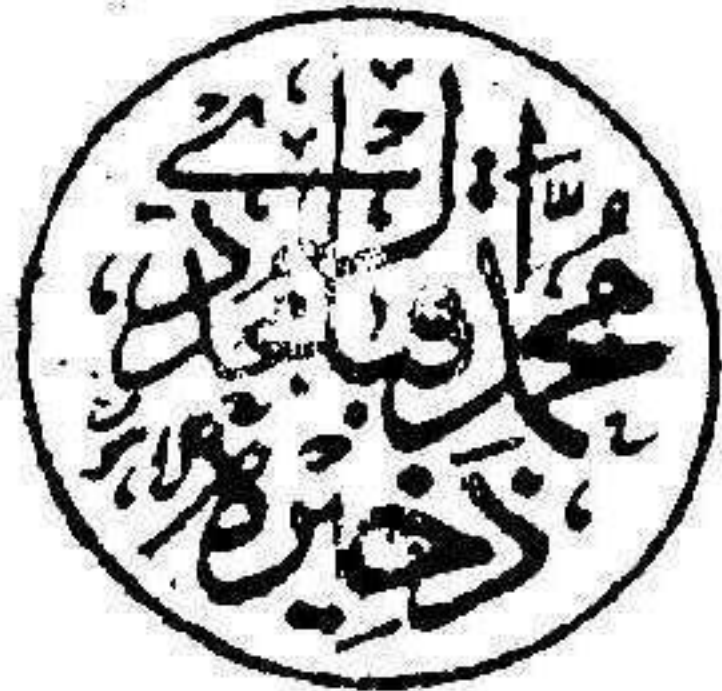
- ٣٨١ قدوم رسول ملك الروم الى بغداد
- ٣٨٢ استيلاء المهدي على الاسكندرية ومحاربتة ، و وفاة ابن سريج
- ٣٨٣ انقراض دولة الادارسة ، ومقتل الحلاج
- ٣٨٥ وفاة ابن جرير الطبري ، وابن السري النحوي
- ٣٨٦ دخول ابي طاهر الى البصرة ثم الكوفة
- بيان السبب في نفي ابن عيسى الوزير وخروج مرداويج ، ووصول
- ٣٨٨ الدمستق من الروم
- ٣٨٩ خلع المقتدر بالله
- ٣٩٠ وصول ابي طالب القرمطي الى مكة واخذه الحجر الاسود
- ٣٩١ وفاة ابن العلاف ناظم مرثي الهر
- ٣٩٢ ذكر ذبح المقتدر
- ٣٩٣ ذكر خلافة القاهر بالله
- ٣٩٤ ابتداء دولة بني بويه
- ٣٩٥ وفاة ابن دريد اللغوي
- ٣٩٦ وفاة الطحاوي الحنفي
- خلع القاهر وبيعة الراضي ، و وفاة المهدي العلوي ، وقتل الشلمغاني
- ٣٩٧ القائل بالتناسخ
- ٣٩٨ قتل مرداويج الديلمي
- ٣٩٩ فتنة النابلة بدمشق وتولي الاخشيدي مصر
- ٤٠٠ مقتل ابو العلاء بن حمدان ، فتح جونة بجيش القائم العلوي
- ٤٠٣ قطع يمين ابن مقله وبيان سببه
- ٤٠٤ عصيان ابن رايق واخبار عمال الاطراف وعجز ابي جعفر الوزير
- ٤٠٤ مسير بجكم من واسط ، وانتقام الله من ابن راتق لابن مقله
- ٤٠٥ استيلاء ابن راتق على الشام
- ٤٠٦ وفاة الراضي بالله
- ٤٠٧بيعة المتقي لله ، وقتل ما كان
- ٤٠٨ قتل بجكم ، واستيلاء ابن البريدي على بغداد
- ٤٠٩ وفاة ابن الحسن الاشعري
- ثورة الديلم ، ونهب دار ناصر الدولة ، وطاب ملك الروم
- ٤١٠ مندبل المسيح
- ٤١١ خلع المتقي
- ٤١٢بيعة المستكفي بالله ، واشتداد شوكة ابي يزيد بالقيروان

- ٤١٤ موت توزون
- ٤١٥ خلع المستكفي وبيعة المطيع ووفاة القائم العلوي ، واشتداد الفلاء
- ٤١٦ ذكر موت الاخشيد وملك سيف الدولة
- وفاة الخرقى الحنبلي ، وابي بكر الشبلي ، ووفاة ابي بكر الصولي
- ٤١٧ الشطرنجي وبيان حساب الشطرنج
- ٤٢٠ ذكر اخبار جزيرة صقلية
- ٤٢٢ مسير سيف الدولة الى اخيه وشعر المتنبى فيه
- ٤٢٣ ذكر وفاة عماد الدولة بن بويه
- ٤٢٤ اعادة الحجر الاسود الى مكة ، ووفاة الفارابي
- وفاة المنصور بالله العلوي صاحب افريقية ، وهرب الروم من سيف
- ٤٢٥ الدولة ، وكلام المتنبى في ذلك
- ٤٢٧ ارسال الناصر الاموي مركبا الى المشرق
- مسير سيف الدولة الى الروم وكلام المتنبى فيه ووفاة غلام
- ٤٢٨ ثعلب المعروف بالمطرز
- ٤٣١ وفاة الناصر الاموي ، ووفاة ابي شجاع فاتك الرومي
- استيلاء الروم على حلب ، واستيلاء ركن الدولة على طبرستان
- ٤٣٢ وجرجان ، وفتح المسلمين طبرمين
- فتح الروم حصن دلوک - واسر الروم ابا فراس ، ووفاة ابي بكر
- ٤٣٣ محمد النقاش
- امر معز الدولة بالنياحة واللطم ونشر شعور النساء على الحسين
- (رض) وقتل الروم ملكهم ، واستيلاء معز الدولة على الموصل
- ٤٣٣ ونصيبين ومحاصرة تقفور المصيصة وفتحها
- ٤٣٤ مقتل ابي الطيب المتنبى
- ٤٣٦ وصول الروم الى آمد ، وتخليص ابي فراس من الاسر
- ٤٣٦ مسير معز الدولة الى واسط ثم وفاته ، وولاية بختيار
- ٤٣٧ موت وشمكير ، وفاة كانور الاخشيدي
- ٤٣٨ وفاة سيف الدولة ، ووفاة ابي الفرج الاصفهاني صاحب الاغاني
- ٤٣٩ قتل ابي فراس ، وموت المتقي لله
- ٤٤٠ استيلاء جوهر القائد على الديار المصرية
- طمع تقفور ملك الروم في ملك الشام وذكر ما ملكه من البلاد ،
- ٤٤١ ثم مقتله
- وصول القرامطة الى دمشق ، ووفاة السري الرفا ، ووصول الروم

- ٤٤٣ الى الجزيرة والتخاذل عن صدهم
مسير المعز من افريقية الى مصر ، وقتل محمد بن هاني الاندلسي
- ٤٤٥ الشاعر
- ٤٤٦ خاع المطيع وبيعه الطائع لله
- ٤٤٧ عزل بختيار ثم عودته
- ٤٤٨ استيلاء افتكين على دمشق ثم هزيمته
- ٤٤٩ وفاة المعز العلوي بمصر وولاية العزيز
- ٤٥٠ وفاة ركن الدولة وولاية عضو الدولة وابتداء دولة سبكتكين بفزنة
- ٤٥١ وفاة الحكم الاموي صاحب الاندلس
- ٤٥٢ خروج يانس ملك الروم الى الشام وموته
- ٤٥٣ استيلاء عضد الدولة على العراق ومقتل بختيار
- ٤٥٤ مسير ابي تغلب من طبرية الى الرملة ثم مقتله
- ٤٥٦ وفاة عمران بن شاهين
- وفاة الاحدب المزور، ووفاة الازهري صاحب التهذيب واستيلاء عضد
- ٤٥٧ الدولة على بلاد جرجان ، واطلاق ابي اسحاق الصيبيء
- ٤٥٨ مسير جيش من مصر الى الشام، ووفاة فناخسرو (عضد الدولة)
- ٤٥٩ وفاة مؤيد الدولة بن بويه
- قتل ابي الفرغ بن عمران ، وولاية ابن ثمال على الكوفة ، ومسير
- ٤٦٠ القرامطة الى الكوفة وهزيمتهم
- مسير شرف الدولة من الاهواز ، ووفاة الفارسي النحوي
- ٤٦١ صاحب الايضاح
- ٤٦٢ وفاة ابي حامد الحاكم النيسابوري ، وافتتان الاتراك والديلم
- ٤٦٤ قتل باد صاحب ديار بكر ، وابتداء دولة بني مروان
- ٤٦٥ قبض بهاء الدولة على الطائع لله
- ٤٦٦ ذكر خلافة القادر بالله . ومسير بكجور الى الرقة
- ٤٦٧ ذكر ملك الترك لبخاري ، وقتل ابن المعام
- ٤٦٨ وفاة ابن عيسى الرماني النحوي وابي اسحاق الصيبيء
- ٤٦٩ عودة ابن سيمجور الى خراسان
- ٤٧٠ موت الصاحب بن عباد ، ووفاة الدارقطني
- ٤٧١ وفاة العزيز بالله العلوي وولاية الحاكم بامر الله
- ٤٧٢ ابتداء دولة بني حماد ملوك بجاية
- ٤٧٤ ذكر قتل صمصام الدولة

- ٤٧٥ انقراض دولة السامانية
- ٤٧٦ وفاة حسام الدولة ابن المقلد ، وابن الحجاج الشاعر
- ٤٧٨ وفاة ابن جنى النحوي
- ٤٨٠ استيلاء ابن واصل على البطيحة ، وتقليد ابي احمد الموسوي نقابة العلويين
- ٤٨١ فتح السلطان محمود بلدة ملتان وايغاله في الهند ، ووفاة ابن مندة الاصفهاني
- ٤٨٢ ذكر ابن كاكوية ، ووفاة البديع الهمداني . والجوهري صاحب الصحاح
- ٤٨٤ اخبار المؤيد خليفة الاندلس
- ٤٨٥ نزول ابي العلاء المعري الى بغداد، ووفاة ابي احمد الموسوي ومرثيته
- ٤٨٧ خطبة قرواش بالموصل للحاكم ، ووفاة البستي الشاعر
- ٤٨٨ اخبار صالح بن مرداس وولده
- ٤٩١ كتابة محضر بالقدح في نسب خلفاء مصر العلويين ، ومقتل قابوس بن وشمكير
- ٤٩٣ وفاة الحاكم النيسابوري ، وغزو يمين الدولة الهند، ووفاة باديس وولاية المعز
- ٤٩٤ وفاة الشريف الرضي ، ووفاة ابي حامد الاسفرايني
- ٤٩٥ ذكر انقراض الخلافة الاموية من الاندلس واخبار الدولة العلوية
- ٥٠٠ وفاة طغان خان ملك تركستان
- ٥٠٢ فقد الحاكم بأمر الله ، وولاية ابنه الظاهر ، وشغب الجند ببغداد
- ٥٠٤ وفاة صريع الدلاء
- ٥٠٥ استيلاء نجاح على اليمن
- ٥٠٧ وفاة ابن المعلم فقيه الامامية ، وكسر الحجر الاسود
- ٥٠٨ وفاة سلطان الدولة ابي شجاع ، ووفاة مشرف الدولة ، وغزوة يمين الدولة بلاد الهند ، وقتل التهامي الشاعر
- ٥١٠ اعتقال اكابر معرة النعمان ، وكلام المعري
- ٥١١ وفاة السلطان محمود بن سبكتكين ،
- ٥١٢ استيلاء الروم على الرها ، ووفاة القادر ، وبيعة القائم بأمر الله
- ٥١٥ انحلال امر الخلافة ببغداد، ووصول الروم الى بلاد حلب وانهزامهم
- ٥١٧ وفاة الظاهر بن الحاكم العلوي ، وقتل يحيى الارنسي ، واخبار الجزيرة الخضراء

- ٥١٨ وفاة مهيار الشاعر ، ووفاة الثعالبي
٥١٩ وفاة ابي الحسين القدوري الحنفي ، ووفاة ابن سينا وترجمته
٥٢١ اخبار عمان
٥٢٢ ابتداء ملك السلجوقية
٥٢٥ استيلاء السلطان طغرل بك على جرجان
٥٢٦ خروج رجل يشبه الحاكم
٥٢٧ وفاة الصيمري شيخ الحنفية
٥٢٨ وفاة المنازي الشاعر
٥٢٩ وفاة ابي كالجار المرزبان
٥٣١ وفاة السلطان مودود
٥٣١ انكار المستنصر العلوي خطبة العباسيين بافريقية
٥٣٣ وفاة قرواش بن المقلد ومرثيته
٥٣٥ هجوم اهل السنة على دار الخليفة
٥٣٦ آخر ملوك العراق من بني بويه ووقوع الفتنة بين الشافعية والحنابلة
٥٣٧ ابتداء دولة المثلثين
٥٣٩ ترجمة ابي العلاء المعري
٥٤٧ الخطبة بالعراق للمستنصر العلوي وقتل البساسيري
٥٤٩ وفاة ابي الحسين الماوردي
٥٥٠ امارة ابي حصينة المعري وترجمته
٥٥١ استيلاء ابي مرداس على حلب ومدحه
٥٥٢ وفاة احمد الكردي صاحب ديار بكر
٥٥٣ تزوج طغرل بك بنت الخليفة
٥٥٤ اخبار اليمن
٥٥٧ قبض الب ارسلان على عميد الملك
٥٥٩ وفاة ابي بكر البيهقي الشافعي
٥٦٠ زلزلة فلسطين ومصر
٥٦١ رعدة عظيمة بالمعرة
٥٦٢ غلو الاسعار بمصر
٥٦٣ قطع خطبة المستنصر من حلب
٥٦٣ تحميل الب ارسلان ملك الروم بازيا للصيد ، ووفاة ابي الفوراني
٥٦٤ وفاة الخطيب البغدادي
٥٦٥ ذكر مقتل السلطان الب ارسلان



- ٥٦٦ اخبار المستنصر ، وقتل ناصر الدولة
٥٦٨ وفاة القائم بأمر الله
٥٦٨ بيعة المقتدي بأمر الله
٥٦٩ جعل النيروز في اول الحمل ، واتخاذ الرصد ، ووفاة البياضي الشاعر
٥٧٠ وفاة ابن مرداس ، وتملك ابنه نصر بعده ومدحه
٥٧٢ وفاة ابي الوليد الاندلسي
٥٧٣ وفاة ابي اسحاق الشيرازي
٥٧٤ مسير فخر الدولة الى قتال شرف الدولة
٥٧٤ مسير سليمان الساجوقي الى الشام
٥٧٥ وفاة ابي نصر بن الصباغ صاحب شامل ، ووفاة ابن القفال
٥٧٥ مقتل شرف الدولة وملك اخيه ابراهيم
٥٧٦ وفاة امام الحرمين ابي المعالي الجويني رحمه الله تعالى
٥٧٧ مقتل سليمان بن قطامش

